

هو شاب في أواخر العشرينات من عمره يعيش في منزله الكبير بمفرده مع حراسه الذين يملؤون المنزل  
لحمايته، يعمل لدى المخبرات وفي نفس الوقت ضابط برتبة عالية، لا يعرف الخوف والجميع يخافه وقاسي  
القلب لا يتهاون مع أحد، بارد، ذو شخصية صلبة وكتلة من الغضب.

تركوه أهله منذ زمن ويعيشون في الولايات المتحدة، والده أكبر رجل أعمال في البلاد والذته قاضية، وهو  
وحيد لوالديه.

أسر زين الدين

هي فتاة جميلة طبيبة القلب، مرحة، خجولة، ابتسامتها لاتفارق ثغرها، في التاسعة عشر من عمرها، وهي في  
الجامعة متخصصة بمجال التصميم والرسم، تدوق العذاب في حياتها من أشخاص عديدين ومن بينهم والدها  
الذي ترك والدتها بعد يوم واحد من زفافهما عندما عاشها مرة واحدة وذهب تاركاً إياها خلفه تبكي بحرقة قلب  
ووصلت ورقة طلاقها بعد أسبوع من رحيل زوجها.

حملت بفتاتها وأنجبتها وربتها واعتنت بها بمساعدة والد الأم إلى أن كبرت وأصبحت فتاة بعمر الزهور، لديها  
عم واحد وهو يأتي لزيارتها بالشهر مرة واحدة فقط لديه شركة هندسة كبيرة ويعمل بها.

والذته أشهر طبيبة جراحية في البلاد والدها لديه معرض للسيارات ولكنه منذ يوم زواجه من الأم لم يراها  
ولم يرى ابنته أو يتعرف عليها أبداً.

أسيل العمري

يوسف: وهو صديق أسر منذ الطفولة وأولاد أعمام بنفس الوقت وبنفس العمر تقريباً ذو شخصية جذابة ويملك  
القدر الحقيقي من الوسامة يعمل كما يعمل أسر بالضبط ولكنه يختلف بطباعه عن أسر بشخصيته المرحة وخفة  
دمه ولكن عندما يكون في العمل يمثل الصرامة بلامحه الحادة وجديته في العمل.

والداه توفيا في حادث سيارة منذ زمن ويعيش مع أخته ذات العشرين عاماً وهي كل مايملك في هذه الحياة هي  
وأسر.

أخته فتاة طبيبة القلب ومرحة تعشق رقص الباليه ولكنها لم تمارس هوايتها بل دخلت في مجال إدارة الأعمال  
تدعى ماريا.

شهد: وهي ابنة عمه أسيل صديقة طفولتها تعتبران توأمان لأنهما بنفس الشخصية وبنفس العمر.

فتاة جميلة ورقيقة وتملك ملامح بريئة.

تتعرض للاغتصاب من قبل شاب ملتوي يرغب بها بشدة ولكنها لاتحبه ولاترغبه لذلك ينتقم منها بذلك الشكل.

-----

أشرقت أشعة الشمس الذهبية لتنتسلل خيوطها إلى نافذة تلك الفتاة الراقدة بفراشها بسلام، فتحت عيونها بانزعاج من أشعة الشمس القوية لتسمع صوت أمها تصيح بها:

"أسيل هيا أيتها الكسولة استيقظي هيا"

تململت بانزعاج ونهضت وهي تصيح لأمها بصوتها الرقيق الناعس:

"ها أنا استيقظت يا أمي حسناً"

نهضت سريعاً وفعلت روتينها اليومي، دخلت إلى الحمام غسلت وجهها ونظفت أسنانها لتخرج من الحمام وتتجه إلى خزانها وتخرج ثيابها.

لترتدي ثيابها وتسرح شعرها الناعم ذو الخصلات البندقية وتتجه إلى الأسفل حيث تجلس والدتها على مائدة الطعام.

لتركض أسيل إلى أمها وتقبلها من خدها وتقول:

"صباح الخير مامي"

ردت والدتها بابتسامة:

"صباح النور يا أسيل"

"كيف حالك اليوم؟"

تحدثت وهي تجلس على كرسيها

"بخير عزيزتي"

أجابت الأم وأطلقت تنهيدة بسيطة

"أمي هل ستذهبن اليوم إلى المستشفى، هل لديك عمل اليوم أم أنك مازلت في إجازتك"

سألته أسيل وهي مستمرة في طعامها.

تنهدت الأم وقالت:

"نعم يا ابنتي سوف أذهب اليوم لدي عمليات ولا أستطيع أن أكمل إجازتي لنهاية الأسبوع."

همهمت آسيل بتفهم ونهضت لتقبل وجنتا والدتها لتودعها وتذهب إلى جامعته راکضة لأنها ستتأخر على محاضرتها.

بينما الأم ظلت تحقق بالفراغ وتعود بذاكرتها بأول ليلة لها مع زوجها ليلة زفافها

:Flash back

"ماذا قلتي يا ابنتي"

تحدث والد سمية الذي كان يجلس بجانب ابنته ويسألها عن قرارها.

تلعثت سمية وقالت:

"كم. ا. تر. يد. يا أبي"

لم يشأ أن يغضبها على الزواج لذلك أعاد سؤاله مرة أخرى وهو يقول لها:

" اسمعيني يا ابنتي أنا لن أجبرك على الزواج أبداً إذا كنت لا تريدين الزواج من هشام تحدثي لننهي هذا الموضوع"

ضربات قلبها بدأت تطرق بشدة، هي معجبة بشخصية هشام فقد كان جارهم وكانت تراه دائماً وهو يذهب إلى عمله وهي تراقبه من نافذة غرفتها هو كان يعلم بأنها معجبة به ولكنه لم يكن يعيرها أي اهتمام على الإطلاق ولكن عندما علمت بأن هشام تقدم لخطبتها رقص قلبها فرحاً وسعدت بطلبه جداً.

أشار والدها بيده لتفريق من شرودها وقال:

"ماذا قلتي ياسمية"

بدأت بفرك يديها وهي مطرقة برأسها للأرض وقالت بصوتٍ خافت:

"موافقة يا أبي"

وخرجت مسرعة من الغرفة وقلباها ينبض بعنف بينما ابتسم والدها وذهب ليخبر والد هشام بأنها تمت الموافقة ليحددو موعد الزفاف بأسرع وقت.

## #يوم الزفاف

كانت متوترة وخائفة جداً لاتعلم لماذا هناك هاجس يقول لها بأنه لن يكون كل شيء على مايرام ولكنها تجاهلت شعورها وأكملت حفلة زفافها مع زوجها وانتهت الحفلة على خير وذهب هشام بسمية إلى منزلهم لتدخل سمية بتوتر بالغ وواضح على وجهها.

دخلا إلى غرفتهما وكلاهما لم ينطق بحرف ليبتسم هشام ابتسامة ساخرة ويقول:

"ماذا هل أنتِ خائفة أم ماذا باسمية"

لم تستطع سمية الرد أو حتى النظر لوجهه من شدة حيائها وخجلها ظلت أنظارها مركزة على الأرض لتشعر بيد تحاوط خصرها واليد الأخرى تمتد على وجهها ليرفع وجهها بيده لتتلاقا عيناها ببعض ويتحدث معها بجمود وبرود قاتل:

"سأخبرك بشيء مهم باسمية أنا لا أحبك ولا أريد الزواج منك ولكن أبي دفعني للزواج منك لأنه يرى بكِ الزوجة المثالية"

قال جملة الأخيرة بسخرية بينما هي تابعتة بصدمة ناظراً لها بسخرية ليردف قائلاً:

"سوف أفعل معك ما أريد، ستكونين لي هذه الليلة، هذه الليلة فقط"

ابتسم بخبث وسقط بها على السرير ومن ثم قبلها بوحشية وغضب مدة طويلة ليجعل شفاتها تنزف وهي تبكي بصمت وتلعن حظها العائر الذي أوقعها بين يديه وتتنظر لجسدها العاري بعد أن مزق لها ثوبها الأبيض ليبدأ هو ويفرغ بها رغبته ومن دون ذرة شفقة على حالها.

بعد مدة من الوقت تجلس على سريرها وهي تضم ركبتيها لصدرها وتبكي من ألمها وتلعنه تحت أنفاسها مئات المرات. أما هو فلم يهتم لها ولا لحالها، هو كل ما فعله أنه نهض من سريرها واتجه إلى الحمام تاركاً وراءه انثى تبكي بحرقتها.

لم يهتم لحالها، لم يهتم بمشاعرها، لم يعاملها كما يجب على الزوج معاملة زوجته في أول يوم لهما سوياً، أخذ عذريتها عنوة ولم يهتم لتوسلاتها والامها أبداً.

تركها في الصباح الباكر نائمة على سريرها متكورة على نفسها وذهب بعيداً بحيث لا رجوع له نهائياً هذا ماكان يجول في خاطره لينصدم الجميع بالشيء الذي حصل وتعود سمية إلى بيت أبيها مكسورة الخاطر، وللمفاجأة الكبرى بأنها تلقت ورقة طلاقها بعد أسبوع من زواجها واختفائه من حياتها للأبد.

لم تبدي أي ردة فعل عندما علمت بحملها بعد مرور شهران على تلك الحادثة بل على العكس كانت سعيدة جداً بأنها ستصبح أم وأقسمت بداخلها بأنها ستكون حياتها لمولودها الجديد فقط.

مرت أيام وذهبت أيام وهاهي سمية في المستشفى تأن وتتألم بولادتها لتتج بفتاة كاليد، فرحت بها سمية جداً لم تسمح لأحد بالاقتراب منها سوى أباهما وهو الذي ساعدها هو ووالدتها على تربيتها، وما هي أسيل الآن أصبحت فتاة ناضجة واعية ومثقفة والأهم من ذلك جمالها الذي يذهب العقول.

أفاقت من شرودها على صوت قرع جرس الباب لتنهض بتكاسل وتمسح دموعها بظهر يدها وهي تندفع لفتح الباب لترى أمامها أخيها مالك (رجل ملتوي ذو شخصية سلبية وغير محببة لأحد وبيغض أسيل جداً ويسعى لإبعادها عن أمها انتقام لأخته التي ظلمت من قبل زوجها فهو يحقد على أسيل ووالدها بشدة، هو في منتصف الأربعين من عمره متزوج ولديه ولدان أصغر من أسيل بسنوات قليلة).

حدقت به بصمت وأفسحت له الطريق بينما هو ينظر لعيونها الدامعة قائلاً بسخرية:

"ماذا؟ هل مدلتك بالجامعة"

لتنظر له بغضب على حديثه تجاه ابنتها وتهم بالحديث ليقاطعها هو ويردف:

"مابك لما كنتي تبكين هل تذكرتي والد ابنتك السافل"

أنهى جملته بابتسامة ساخرة لتصبح هي بغضب:

"كفاك، ألم تمل من الحديث عنه، ما الذي تريده "

ابتسم بسخرية ليجيب:

"لا أريد شيئاً ياسمية، أريدك أن تعيشي حياتك بهدوء وسعادة، ابنتك أصبحت شابة وتستطيع الاعتماد على نفسها، لم لا تقبلين الزواج من وسيم هو يحبك"

ابتسمت بسخرية وأجابت:

"هل تريدني أن أتزوج لأنك تريد أن تراني سعيدة في حياتي أم أنك تريد أن تأخذ نصف وراثتي من أبي رحمه الله"

وقف أمامها ونظر لها ببرود ليقول:

"أنت تعلمين ياسمية أن الأموال لاتهمني بقدر ماتهميني أنت، أنا أريدك أن تعيشي حياة هادئة بعيدة عن ذكريات الماضي"

صمت لوهلة ليرد قائلًا:

"تعلمين جيداً ياسمية أنني أستطيع أن أبعد أسيل عنك، أريدك أن تفكري جيداً بهذا الموضوع"

خرج بهدوء وبرود تام صافعاً الباب خلفه لتحقق سمية في فراغه والرعب يدب بأوصالها.

هي تعلم جيداً أنه يستطيع أن يبعد ابنتها عنها ولكنها لا تستطيع الابتعاد عن ابنتها، هي كل ماتملك في هذه الحياة لذلك قررت أن تفكر في الأمر بروية وحكمة وتدرس الموضوع جيداً.

قطعت شرودها بنهيدة حارة أطلقتها من أعماق قلبها متوجهة لتغير ثيابها وبعدها تتوجه إلى عملها.

---

كانت تركض بأقصى سرعة لديها كي لا تتأخر عن محاضرتها، هي لا تحتاج للمواصلات لإن بيتها قريب من جامعتها.

وصلت عند باب الجامعة وما إن وصلت حتى سمعت صوت أنثوي يحدثها ونبرتها لا تنم على خير أبداً:

"ها يا ذيل المعزة متأخرة كالعادة أيتها الحمقاء"

علمت من صاحبة هذا الصوت فوراً، التفتت للوراء وعلى ثغرها ابتسامة لطيفة لتقول لها أسيل:

"مابك أيتها الخرقاء لم أتعمد التأخير، اصمتي ياشهد وهيا أمامي إلى المحاضرة يجب أن يرى الأستاذ تصاميمنا الجديدة هيا هيا"

كانت شهد تعقد ذراعها حول صدرها وتتنظر لأسيل بعبوس كاذب ما إن سحبتها من يدها حتى تمتعت شهد:

"فاشلة"

التفتت لها أسيل وقهقهت وقالت:

"إذا كنت أنا فاشلة فأنتِ الفشل بعينه"

لتضحكا سوياً وتسيران باتجاه محاضرتهما.

-----

من جهة أخرى وتحديداً في مكان يبدو عليه الفخامة والثراء في منزل زين الدين يقف ذاك الشاب بجسده الضخم وملامح وجهه الرجولية الوسيمة في منتصف حديقة المنزل يحمل بيده كأس من النبيذ واليد الأخرى يحمل بها سيجارته التي لاتفارقه.

كان يتأمل الورود علماً بأنه لا يحبها ولكنه يحب أن يتأملها يحب الهدوء ولا يحتمل الضجة والضوضاء قاطع تأمله صوت رنين هاتفه، تأفف بانزعاج ليخرج هاتفه من جيبه وينظر للشاشة ويقلب عيناه ويجيب ببرود بصوته الرجولي الأجش:

"ماذا تريد"

وصله صوت مفعم بالحياة ولكنه صوت رجولي أجش:

"قل مرحباً يارجل"

قال جملته بضحكة مستفزة لأسر ليكز أسر على أسنانه وكأنه رأى يوسف وضحكته المستفزة ليقول بغضب:

"قل ما لديك أيها اللعين ليس لدي وقت لأضيعة معك"

ضحك وقال باستهزاء:

"مالذي دهاك يارجل! أنت تظل مشغول طوال وقتك، تمنيت لو مرة في حياتك ترفع هاتفك وتهاتفني ولكن لا، أسر لايفعلها أبداً"

كز أسر على أسنانه ليردف بعصبية:

"قل ما لديك فقط"

ليصل لمسامعه صوته وهو يمثل البكاء ويقول ببكاء كاذب:

"آه يا أبي كيف ذهبت وتركتني وحيد مع هذا البارد اللعين رحمك الله يا أبي، قل أمين أيها اللعين"

شعر يوسف بأن أسر سيثور غضبه عليه لذلك أردف قائلاً:

"حسناً حسناً، كنت أريدك أن تأتي معي اليوم لكي نذهب لنسهر في مكان ما أريد أن أرفه عن نفسي فأنا مللت من العمل"

أجاب أسر ببرود:

"حسناً في تمام العاشرة تعال إلي ونذهب سوياً"

وأغلق الخطف في وجهه لينظر يوسف للهاتف بوجه عابس وهو يتوعد لآسر بأنه سيفقده عقله اليوم حتى لو كان على حساب ضربه كالعادة من قبل أسر، سيشتمه بأسوء الشتائم.

"مالذي أسمعه لقد جن الفتى"

كان ذلك صوت أخت يوسف التي كانت تسمعه وهو يتوعد لآسر ويشتمه،

نظر لها بطرف عينه وقال:

"اصمتي يا حمقاء ماكان يجب أن أفكر بصوت عالي لإنك ثرثارة وتهوين تعذيبي من قبل أسر"

صمت لوهلة بينما هية ظلت تضحك عليه ليقاطعها بحديثه:

"أنتِ لن تقولي له بأني شتمته صحيح"

صمتت ولم تجب فقد اكتفت بابتسامة استفزازية ظهرت على ثغرها لينظر لها يوسف ويقول:

"تحدثي لماذا لاتتحدثي يا صغيرتي الجميلة، أنتِ أعظم أخت عرفها التاريخ أقسم لكِ أنا أحبك جداً"

نظرت له بطرف عينها لتقول له ببرود:

"ولكن أنا لا أحبك"

ليقول يوسف:

"أجل أعلم ولكن يجب أن تصمتي ولا تخبريه بشيء أنا أخاك حبيبك، من المؤكد أنني لن أحيى للغد إذا علم بهذا لذلك أنت اصمتي وأنا اليوم عندما أعود سوف أجلب لك كل ماتريدين"

قفزت بسعادة وقالت:

"أريد المخدرات خاصتي"

تصنع الجدية وحمم وقال:

"أنسة ماريا أنت سوف يقبض عليكى بتهمة تهريب المخدرات"

حاولت أن تتصنع الجدية هي أيضاً وتقول:

"أستاذ يوسف أنت مقبوض عليك من قبل ملك الموت لأنني سوف أذهب لابن عمي وأخبره بأنك شتمته"

تحدثت بكلمتها الأخيرة وهي تففز وتهرب من يوسف الذي ما إن سمع حديث أخته حتى جحظت عيناه وركض خلفها وهو يتوعد لها بأنه سيخنقها.

ملاحظة: المخدرات خاصة ماريا هية الشيبس والشوكولا والتسالي.

-----

في منزل أسيل حيث جالسة مع أمها تقلب بالقنوات بتمل وتختلس النظر لأمها التي كانت شاردة الذهن طوال وقت عودتها من المستشفى، حممت أسيل لوالدتها وقالت:

"مابك أمي لما أنت شاردة الذهن هل حصل شيء! هل أنت مريضة"

ابتسمت سمية لاهتمام ابنتها بها وخوفها عليها لتقول:

"لا عزيتي أنا بخير"

"إذاً مابكِ أمي"

قالتها أسيل وهي تعقد حاجبيها لتصمت الأم ولا تتطرق بحرف لتردف أسيل:

"هل خالي كان هنا اليوم"

قالت جملتها وابتسمت بسخرية، نظرت لها سمية وتنهدت تنهيدة قوية وقالت:

"يريدني أن أتزوج وسيم"

عقدت أسيل حاجبيها لتقول:

"وما المشكلة في ذلك أمي، العم وسيم رجل محترم وذو شخصية ممتازة وبالنسبة لأحواله المادية فهو مرتاح كلياً مامشكلكِ إذاً أمي"

نظرت لها سمية بعيون دامعة لتقول بنبرة أشبهها للبكاء:

"لا أريد أن أترككِ وحدكِ ومن المحتمل أن لا يسمح لكِ بالعيش معي"

بكت سمية لتنهض أسيل إليها وتحتضنها وتردف سمية بصوت باكي:

"خالكِ قال أنه يستطيع أن يأخذكِ مني وأنا لا أريد أن أبعديكِ عني أبداً"

تنهدت أسيل بحرقة فهي تعلم كمية الكره الذي يحمله لها خالها منذ صغرها لأنها ابنة هشام وخالها يكره والدها ويكن له الحقد والكرهية.

مسحت على شعر والدتها التي سكنت بين أحضانها لتقول أسيل:

"لا بأس يا أمي لاتخافي لن يحصل شيء يؤذيكي أبداً اطمئني وانا سوف أبقى بجانبكِ دائماً ولن يبعدني عنكِ أحد"

صمتت لوهلة وأردفت أسيل:

"أمي ان شاء الله ستكون الأمور على مايرام ولاتتسائلي قد يسمح لي عمي وسيم بأن أقيم معكما لاتعلمي"

ابتسمت سمية لتبادلها أسيل وتنهض من أمام ابنتها لتبقى في مكانها شاردة بحالها وبحال والدتها وما الذي سوف يحدث لهم في المستقبل، هي لاتعرف ولكن شيئاً بداخلها ينبؤها بأن الأمور لن تسير على مايرام، حاولت تجاهل شعورها هذا ونفضت تلك الأفكار من رأسها لتجر نفسها إلى غرفتها كي تكمل رسوماتها وتصاميمها.

أما عند سمية فقد كانت تفكر بطلب وسيم لها، هل تقبل أم ترفض؟ هل تنصاع لأمر أخيها أم تعاند لتخسر ابنتها وتحرم منها؟ ظلت تفكر إلى أن قررت بأنها سوف تتكلم مع وسيم غداً بخصوص هذا الموضوع ولتعلم ماهي ردة فعله عندما تقول له بأنها ترغب بأخذ أسيل معها ولا تفكر إطلاقاً بأن تدعها لوحدها، غطت في نوم عميق بعد أن أرهقها التفكير ولم تشعر بشيء من بعدها.

-----

من جهة أخرى في منزل متوسط الحجم تجلس تلك الفتاة ذات الملامح البريئة في الصلاة تغلب في هاتفها بملل وهي واضعة قدم فوق الأخرى، تأفقت بملل لتقول لها والدتها هدى:

"ما بكِ ياشهد"

أجابت شهد بغیظ:

"أمي أنا سئمت جلوسي في البيت أريد أن أخرج سئمت سئمت"

قالت كلمتها الأخيرة بصوتٍ عالي لتجيب والدتها:

"يافتاة هدئي من روعكِ أذهبي حيثما تشائين ما الذي يمنعك"

وقفت بغیظ وقالت:

"الذي يمنعني هو الست أسيل، هاتفتها منذ قليل وقالت بأنها لن تستطيع الخروج لديها تنفيذ التصاميم الناقصة"

قالت والدتها عيناها وقالت:

"دعي الفتاة وشأنها، إذا كنتي تريدين الخروج فاخرجي استنشقي الهواء قليلاً وعودي إلى البيت، وسوف يكون قد وصل والدك للبيت"

قالت عيناها شهد وضربت بقدمها على الأرض وقالت بغیظ:

"حاضر هدى هانم"

ذهبت إلى غرفتها بدلت ثيابها وخرجت من المنزل لكي تستنشق الهواء قليلاً وتلهو ريثما يعود والدها إلى البيت. كانت تمشي شاردة الذهن تراجع ذكرياتها في طفولتها مع أسيل وتبتسم ابتسامة بلهاء، شعرت بأحد خلفها استدارت للخلف ووجدت ذلك الشاب الذي كان يطاردها ويجري خلفها من مكان لمكان، تأفأفت بضجر وأسرت بخطواتها لتسمع صوته يناديها وهي لا تستمع إليه، شعرت بيد تمسكها من رسغها وتوقفها استدارت ونظرت له بحدة ونفضت يدها من يده وتحدثت بلهجة حادة:

"ماذا تريد"

ابتسم الشاب ابتسامة جانبية وقال:

"كل خير"

قلبت عيناها وقالت:

"لن يحصل خير إذا بقيت واقف مكانك وتلاحقتي من مكان لمكان"

أطلق ضحكة رنانة استفزت شهد كثيراً نظر لعينيها بتحدي وقال:

"لن تستطيعين منعي من ملاحقتك، سوف أبقى على حالي إلى أن تشفقي على هذا العاشق الولهان وتتقبليني"

قال جملة بدرامية مع مزيج من السخرية، نظرت له ببرود من رأسه حتى أخمص قدميه وقالت بنبرة استفزازية:

"أسفة ولكنني لا أتقبل الحثالة أمثالك"

نظر لها بغضب والشر يتطاير من عينيه وقال:

"أقسم لك لو لم تكوني بفتاة لكنت حطمت وجهك، سأجاهل فعلتك لك هذه المرة ولكن احذري مني ياشهد لأنني لن أتركك أبداً حت.."

قاطعته بصفعة على وجنته وهي تنظر له بغضب، رفعت سبابتها بوجهه وقالت له بتحدي ممزوج بالغضب:

"سوف تخرج من حياتي ولن تطاردني بعد الآن وإلا سوف ترى ما الذي سأفعله بك، اللعنة عليك وعلى أمثالك أيها الحشرة"

بصقت كلماتها في وجهه وهو ينظر لها بعينان مشتعلتان ومتوعدة لها بأن القادم لن يعجبها أبداً، بينما هي نظرت له بتقزز وأكملت سيرها مسرعة إلى منزلها تاركة خلفها شيطان يتوعد لها بالمكيدة، إنه سهيل (شاب من أصحاب السوء يتعاطى ويشرب الخمر، طرده والده من منزلهم عندما علم بأنه يتعاطى المخدرات ولجأ إلى أصدقائه رفاق السوء وأصبح ألعن من ذي قبل فقد أصبح يسرق أموال الناس أو المحلات التجارية أو يتاجر بالسيارات المسروقة، عمله لم يكن صالح أبداً، هو يطارد شهد منذ مدة يريد أن يقضي وقته بها لا أكثر، كان يراها هي وأسيل دائماً، أقسم بينه وبين نفسه أنه حالما ينتهي من شهد سيأتي دور أسيل، في كل مرة كان يحاول بأن يتحدث مع شهد كانت لا تفتح له المجال أبداً وتطرده وفي أغلب الأحيان تشتتمه وهذا مازاد من حقه عليها أكثر لذلك قرر عدم التراجع وتنفيذ خطته ولكن في الوقت المناسب).

كور قبضته بغضب وهو يتوعد لها بأفطع الافعال، زفر بضيق ورحل والشياطين تحوم حوله.

---

في مكان تعم فيه الضجة والأصوات الصاخبة مستنقع الفواحش والذنوب، يجلس هناك أسر ويوسف على طاولة البار يشربان ويتحدثان، ليجول يوسف بنظره وتقع عينه على فتاة اتضح له بأنها كانت تختلس النظر له منذ مدة لتعطيه ابتسامة جانبية وترفع الكأس بيدها وتشرب منه ليفعل مثلما فعلت ويشرب كأسه دفعة واحدة ويعيد النظر لها، فتتجه الفتاة إليه وهي تتمايل في مشيتها بكل خفة ودلع بقوامها الممشوق وابتسامتها الواسعة تقول:

"مرحباً"

ليجيبها يوسف بابتسامة جانبية:

"أهلاً"

اقتربت الفتاة من يوسف أكثر ليشم رائحة عطرها وعيناها مسلطة على ثوبها المغربي الذي ترتديه وتردف بدلع:

"هل يمكنني الجلوس معك قليلاً"

نظر يوسف إلى أسر الذي كان ينظر للفتاة نظرة اشمئزاز وينظر له نظرة تحذيرية ليستدير يوسف ويغمز لها:

"اذهبي الآن سنتحدث بعد قليل"

ابتسامة خبيثة نمت على وجهه وهي تغمز له وتذهب بعيداً عنه وكأنها فهمت مايجول في خاطره، التفت يوسف لأسر الذي يجلس بجانبه ولا يتفوه بكلمة فقط يكتفي بالشرب ليردف يوسف:

"مابك يارجل أنت تشغل نفسك بالشرب فقط ألا ترى الفتيات أمامك، لا أعلم لما أنت بهذا التعقيد"

نظر له أسر نظرة جانبية مستهزئة ليقول:

"هذا ليس تعقيد ولكنني لا أهوى الفتيات الرخيصات مثلك"

ضحك يوسف على كلمته ليقول:

"أنت لاتعلم كيف تعيش حياتك بسعادة، الرخيصات اللاتي لا يعجبن حضرة جنابك يجعلن الرجل في قمة سعادته ولكنك أنت تحب الكآبة والشؤم"

ابتسم أسر بسخرية قائلاً:

"إذا سوف أتركك لسعادتك أيها اللعين"

أنهى جملته بابتسامة جانبية تاركاً خلفه يوسف الذي ينظر له بغرابة.

نعم أسر يذهب إلى تلك الأماكن ويشرب ولكنه لا يحب أن يمسه امرأة كانت في حضن شخص غيره، هو يريد ذلك الشيء ولكن مع واحدة يدق لها قلبه ولكنه لايفكر في الأمر ابداً كونه لم يجرب معنى الحب ولا يريد أن يجربه لأنه يعتبر نفسه بلا قلب، بعكس يوسف تماماً فإ يوسف يعشق الفتيات ومتعدد العلاقات ولم يترك فتاة بحالها يوماً وهو سعيد بذلك الشيء، لا يخلط أموره ببعضها ف عمله هو الشيء الأساسي بحياته ولا يقصر فيه أبداً ويبعد عمله عن لهوه وفتياته لأنه يحب الالتزام بكل شيء سواء كان في عمله أو في علاقاته التي لا تعد ولا تحصى.

صباح اليوم التالي

كانت جالسة وشاردة الذهن تنتظر قدوم وسيم كي تتحدث إليه، لم تكن تعلم ما الذي سوف تقوله له وبدأت تفكر بخوف، هل يعقل بأن لا يسمح ببقاء ابنتها معها؟ هل من الممكن أن يأمرها بأن تتركها لأنها أصبحت كبيرة ومسؤولة عن نفسها؟ أسئلة كثيرة بدأت تدور في رأسها وهي خائفة من ردة فعله والحديث معه ولكنها أصرت على قرارها بأنها لن تتخلى عن ابنتها أبداً مهما حدث ولو كلفها الأمر بأن تأخذ ابنتها وتهرب بها بعيداً عن الجميع.

قاطع شرودها بوقوف رجل فاره الطول بملامحه الجميلة ولباقته وابتسامته العذبة يصل عمره لمنتصف الاربعين تقريباً لتستيقظ من شرودها وهي تراه أمامها يمد يده لها بالمصافحة لتنهض وتصافحه بابتسامة خفيفة وتجلس مكانها ليقول:

"كيف حالك سمية"

تحدث بهدوء ووقار لتجيبه بكل هدوء:

"بخير، كيف حالك أنت"

ليبتسم لها ابتسامة خفيفة ويقول:

"أنا بخير وبأحسن حال، بما كنتي تفكرين؟ لقد أتيت ووجدتك غير منتبهة لأحد وكأنك وحدك في هذا المكان، ما الذي حدث"

لتبتسم ابتسامة سخرية وتقول:

"وهل يجب علي أن أهتم بالناس، لاتقلق أنا فقط كنت أفكر في العمل"

ليهمهم لها ويهز رأسه بتفهم ويقول:

"سمية سوف أكون صريح معك لأبعد حد، أنت تعلمين بأنني أريد الزواج منك وأعلم بما يدور برأسك، أنت خائفة على ابنتك أنا متأكد من هذا، وخائفة أيضاً من أنني لا أقبل فكرة العيش معنا ولكن أريد أن أطمئنك لإنني أنا لن أقبل بأن تتربى أسيل لوحدها، لذلك سوف أرحب بها في منزلي، وسوف تكون مثل ابنتي وأهتم بها وأحميها من كل شيء، فقط أنت لاتقلقي ولا تتعيبين نفسك في التفكير، والآن هل تقبلين الزواج بي"

أنهى جملته الأخيرة بابتسامة جانبية لتتوسع عيني سمية وكأنها تكاد لاتصدق ماتسمعه، هي كانت خائفة جداً من عدم تقبله لابنتها ولكن ما الذي يحدث؟ هل حقاً سيحميها ويعاملها وكأنها ابنته؟ هل سوف يعوضها عن حرمان الأب الذي حرمت منه؟ هل سوف يكون الزوج الذي تفتخر به أمام الناس؟ ظل ينظر لها بتمعن وكأنه فهم مايدور في رأسها ليقول:

"سمية لاتقلقي أقسم لك بأنك سوف تكونين أسعد إنسانة في الوجود وسأعامل ابنتك أحسن معاملة، فقط ثقي بي واعطني فرصة واحدة لأثبت لك صحة كلامي"

نظرت له نظرة فيها الأمل لتبتسم له وتهز رأسها ب نعم لتتسع ابتسامته ويردف بقوله:

"إذاً سوف أتحدث مع أخيك لنتفق على كل شي"

لتهز رأسها موافقة وتقول:

"كما تريد"

ابتسم لها ابتسامة أراد فيها أن يطمئنها على حالها وحال ابنتها لأنه يعلم جيداً بأنه سوف يفعل قصارى جهده فقط من أجل سعادتها وسعادة ابنتها.

-----

نائم على سريره متمدّد عليه بكل أريحية وهو عاري الصدر استيقظ، من نومه على صوت أنثوي، فتح عيناه ببطء ليراها جالسة بجانبه مع ابتسامة جانبية صغيرة ليبتسم ويقول:

"صباح الخير"

اقتربت منه ووضعت يدها على خده وهي تمرر يدها عليه وتطبع قبلة صغيرة على شفتيه لتقول:

"صباح النور"

اعتدل في جلسته لينهض من فراشه إلى الحمام أما هي فقد نهضت لترتدي ملابسها كي ترحل، خرج من الحمام وهو يلف منشفة حول خصره ويمسك منشفة صغيرة يجفف بها خصلات شعره، ابتسمت له وقالت:

"هل سأراك مرة أخرى، لا أريد أن تكون ليلة عابرة فقط"

ابتسم بسخرية وقال:

"لا أعلم ربما نعم وربما لا، انظري إلي أنا لا أحب أن أتقيد بأحد، أحب التغيير وأحب أن يكون معي كل ليلة فتاة مختلفة على فراشي"

اخنفت ابتسامتها بالتدريج وقالت بعبوس:

"ولكنني أنا سوف أكون معك دائماً أفعل معي ماتشاء"

تجاهل كلامها وانتهى من ارتداء ملابسه لتردف له بغضب:

"لماذا تتجاهل كلامي أنا أحدثك"

نظر لها بطرف عينه، اقترب منها وقال:

"هل تعانين مشكلة في سماعك، حسناً قلت لك لا أحب الت ق ي ي د"

شدد على حروف كلمته الأخيرة ليتركها وهي قاطبة حاجبها ليصفق شعره بعناية ويرتدي ساعة يده، أخرج من صندوقه النقود واتجه نحوها مع ابتسامة مستفزة وقال:

"كل شيء بحسابه"

نظرت إلى يده التي يحمل بها النقود وأعدت النظر إليه بغضب، أمسك يدها ووضع النقود في يدها وقال:

"انتهى وقتك تستطيعين الذهاب"

نظرت له وهي تستشيط من الغضب لتخرج من المنزل بأكمله وهي تلعن ذاك المتكبر، بينما هو ابتسم ابتسامة نصر على سذاجة هذه الفتاة وهو يتذكر أحداث أمس.

:Flash back

عندما رحل أسر تاركاً يوسف خلفه نظر له بغرابة، ما إن تذكر تلك الفتاة حتى أصبح يبحث عنها بعينيه ليراها جالسة لوحدها وفي يدها الكأس غمز لها عندما نظرت له وتوجهت إليه قائلة:

"إنذا"

قالت كلمتها ورفعت حاجب لبيتسم لها ابتسامة ماهرة وحدثها بغيباء مصطنع:

"ماذا"

ابتسمت له وتحديث:

"أحبك عندما تصطنع الغباء، ألن نذهب"

قالت جملتها وهي تمرر يدها على وجهه ليضحك ضحكة قصيرة ويغمز لها ويقول:  
"ستكون ليلة مدللة، هيا بنا"

ضحكت بدلال واعتدل في وقوفه ليضع يده على خصرها ويذهب بها إلى منزله ليقضو ليلة جامحة ويحفرها في ذاكرتها مدى الحياة.

.End flash back

أفاق من شروده على صوت رنين هاتفه ليجيب بجدية:

"صباح الخير سيدي"

أجابه ذاك الصوت الخشن الهادئ:

"صباح النور، حضرة الضابط أريدك في مكنتي بعد ساعة من الآن"

أنهى جملته أمراً إياه ليتحدث يوسف بهدوء ونظام:

"تحت أمرك سيدي"

أغلق الهاتف واتجه إلى منزله ليبدل ثيابه إلى بدلته العسكرية، وصل إلى البيت ورأى أخته ماريًا جالسة على الأريكة، وقف أمامها ليتحدث ولكنها قاطعته بعصبية:

"أين كنت يا يوسف؟ من هي تلك الفتاة التي أمضيت ليلتك معها بالأمس ها؟ ألا تخجل من نفسك؟ ألا تتذكر بأن لديك أخت أم أنك نسيت؟ لا أعلم كيف تفعل ذلك وأنت أكبر ضابط في البلاد وتعمل مع المخابرات أيضاً"

أنهت جملتها الأخيرة بسخرية ليقلب عيناه بتملل من ذاك الحديث الذي تقوله له أخته كل مرة، تجاهل كلامها واتجه إلى غرفته ليبدل ملابسه ويخرج سريعاً ويقف أمام أخته ويقول:

"أنت تعلمين جيداً أنني هكذا منذ زمن ولن أتغير لذلك لا داعي أن تتحدثي معي بنفس الموشح كل مرة، وبالمناسبة أنا لا أربط عملي بمتعتي أعطي كل شيء حقه بالكامل لذلك كفي عن ثرثرتك، وبالنسبة لك فأنت لم ولن تكوني مثل اللاتي أقضي وقتي معهن"

أنهى حديثه وخرج من المنزل ليتجه إلى القسم أما عند ماريان فابتسمت ابتسامة سخرية على حديث أخيها السخيف الذي لا منطق له من الأساس، نهضت متوجهة إلى غرفتها لتبديل ملابسها وتتجه إلى جامعته وهي تلعن أخيها من كل قلبها.

-----

في الجامعة عند أسيل وشهد تمشي الفتاتان بهدوء تتحدثان وتضحكان وهما في طريقهما إلى المحاضرة، بعد وقت ليس بقصير تخرج الفتاتان بسعادة بالغة لأنهم أنهتا المحاضرة لتقول شهد:

"أسيل مارأيك بأن نذهب إلى المقهى ونشرب القهوة"

طرحت سؤالها بحماس لتجيبها أسيل بالموافقة لتذهبان إلى مقهى خارج الجامعة، جلست الفتاتان وطلبتا قهوة بالحليب، بعد وقت قصير جداً جاء النادل بطلبهما لتخرج شهد علبة سجائرهما وتشعل سيجارة لها، نفخت الدخان في وجه أسيل لتكح بانزعاج وتقول:

"أيتها الحمقاء أن تبطلي هذه العادة سوف تحرقين رئتيك يا فتاة"

تحدثت أسيل وهي عاقدة حاجبها لتجيبها شهد بابتسامة باردة:

"لا لن أبطلها فأنا قد تعودت عليها غير ذلك أنني لن أموت ناقصة عمر إذا شربت السجائر، اتركك مني الآن وقولي لي ماهو الخبر الذي كنتي تريدين أن تقولي له لي"

أجابتها أسيل بانتباه:

"أجل لقد تذكرت، أمي وافقت على العم وسيم وسوف تتزوج في الأسبوع المقبل وسأذهب لأعيش عندها، العم وسيم هو من طلب ذلك"

شهقت شهد وقالت بسعادة:

"مبارك لها يافتاة، بصراحة خالتي سمية تستحق كل خير هي إنسانة محبة وحنونة وأنا أحبها كثيراً، لكن لا أعلم لماذا أنتِ مثل ذيل الكلب الأعوج لما لم تكوني مثلها"

أنهت جملتها الأخيرة مازحة بابتسامتها الاستفزازية لتجذب عينان أسيل وتعقد حاجبيها وتقول بغضب مصطنع:

"اصمتي يا ذيل المعزة انا التي لا أعلم كيف أنتِ ابنة أبكِ وأمكِ أنتِ لاتشبههم بشيء، يا لكِ من حمقاء"

ضحكت شهد على غضب صديقتها المصطنع لتشاركها أسيل في الضحك وتقضيان جلستهما بالمرح والضحك، بعد وقت طويل نهضت الفتاتان لتتوجه كل واحدة إلى بيتها، في طريق العودة للمنزل رأت شهد أكثر وجه تبغضه على وجه الأرض لتعقد حاجبيها بغضب وتتابع سيرها هي وأسيل متجاهلة تماماً ذاك الشخص الذي لم يرتح قلبها له أبداً.

قاطع طريقهم ذاك المدعو سهيل ليوجه حديثه لشهد بابتسامة مستفزة:

"أهلاً بالفتاة الجريئة، إلى أين ذاهبة! ألا تريدين أن نقضي سوياً بعض الوقت ونمرح قليلاً يا جميلة"

أنهى جملته الأخيرة بغمزة لها لتستشيط غضباً منه وتحدث بغضب:

"أيها الحثالة ألن تكف عن إزعاجي، ألم أقل لك أذهب ولا تريني وجهك القبيح مرة أخرى أم أنك لاتريد أن تجري أمورك على خير"

قهقهه بسخرية على جملتها ليقول:

"اسمعيني جيداً، أنا سهيل ولا أحد يقول لي لا، أقسم بأنني سأدفعك ثمن تلك الصفعة التي تلقيتها منك، أنتِ فقط اصبري واحذري مني جيداً"

في الواقع شهد فتاة قوية ولاتخاف شيء ولكن نبرة سهيل ونظرته لها كانت مليئة بالحق والتوعدها بالجحيم اللعين لذلك شعرت بالخوف منه ولكنها لم تبين له هذا الشيء، جاءت لتتحدث وتجيبه فقاطعتها أسيل بحديثها له:

"أذهب للجحيم أيها الحثالة نحن لانخاف أحد، أرى أن تذهب إلى مستنقعك عوضاً من أن تأتي وتوقف فتيات محترمات مثلنا، أنت لست من مستوانا ونحن لانعطي أهمية لأمثالك أيها الوقح"

قالت جملتها وضربته بركبتها على منطقتة ليتأوه ويصرخ بألم، ذهبت الفتاتان من أمامه بسرعة البرق بينما هو يتلوى من ألمه ليتوعد لهما بأسوء الأفعال ولكن سيأتيهم بالدور أولاً شهد وبعدها أسيل.

-----

في منزل يظهر عليه الفخامة يجلس ذاك الرجل الذي يصل عمره إلى منتصف الأربعين بهدوئه ووقاره يحمل الجريدة اليومية في يديه ويضع نظارته الطبية ليقراها باهتمام، اتجهت إليه سيدة في الأربعين من عمرها لتجلس أمامه وتحمم بهدوء، انتبه لزوجته لبيتسم ابتسامة جانبية وينزل النظارة عن عينيه ويترك الجريدة بجانبه ويتحدث:

"أهلاً أحلام، ها أين الأولاد وأنتِ أين كنتي"

اقتربت منه لتجلس بجانبه وتقول:

"الأولاد في حديقة المنزل بالخارج، أما أنا كنت في النادي مع أصدقائي"

ابتسم لها وهو يهز رأسه لتردف قائلة:

"أنت لم تخرج من البيت اليوم لماذا هشام، حتى أنك لم تذهب إلى عملك هل هناك شيء"

أجاب بهدوء:

"لا عزيزتي لا يوجد شيء فقط لم يكن مزاجي جيد فلم أذهب للعمل لاتقلمي"

جاءت لتتحدث ولكن قاطع حديثها رنين هاتف زوجها ليجيب بيرود:

"ما الأمر"

انتبهت أحلام لملامح زوجها التي تحولت للغضب عندما جاءه هذا الاتصال ليصيح على المتصل:

"حسناً اذهب"

عقدت حاجبيها باستغراب لتسأل زوجها بمن كان المتصل لجيبها:

"لقد كان ذاك الرجل الذي كلفته بمراقبة سمية وابنتي أسيل، كان يقول بأن سمية سوف تتزوج وأسيل ستذهب للعيش معها"

رفعت حاجبها أحلام قائلة باستنكار:

"ونحن ماشئنا أم أنك تغار على الست سمية ولا تريدها أن تتزوج! فلتذهب إلى الجحيم هي وابنتها نحن لا شأن لنا"

نظر لها بغضب الدنيا وصرخ عليها:

"أحلام إلزمي حدودك أتفهمين، سمية لاتهمني بشيء ولكن ابنتي تهمني، لن أدعها تعيش عند ذاك الغريب أبداً، فلتذهب سمية للجحيم أما أسيل فسوف تأتي للعيش معي هنا"

أنهى جملته بإصرار وكأنه يقول لها لاتحاولي فد أنا قررت وانتهيت لتجيبه بصدمة:

"ولكن أنا لن أتفق مع ابنتك أبداً"

ابتسم بسخرية وأردف لها:

"لايهمني، المهم أن لاتعيش ابنتي عند رجل غريب"

أنهى جملته تاركاً خلفه امرأة تستشيط من الغيظ والغضب.

ماذا! هل حقاً يتكلم معي هكذا؟ هل حقاً سوف تأتي وتعيش معنا؟ لماذا غضب عندما علم بزواج سمية؟ هل يحبها؟ هل يحن لها؟ ولكن هو لم يقضي معها سوى يوم واحد؟ هل سيلغي زواجها؟ لا ياربي يجب أن تتزوج ولكن هناك العقبة الكبيرة أمامي أسيل، كيف سأمنعه من جلبها هنا؟ كيف سيتقبلوها أولادي مرام وغيث كيف؟ هذا ماكان يدور في خاطر أحلام.

لماذا غضب عندما علم بأنها سوف تتزوج؟ لماذا لا يمنحها سعادتها التي سلبها إياها هو منذ زمن بعيد؟ تركها خلفه غير أبه بحالها أو حال ابنتها، والآن يغضب عندما يعلم بأن ابنته سوف تعيش مع أمها وزوجها، هو يعلم تماماً بأن ابنته أسيل لن تتقبله أبداً وسوف ترفض المجيء للعيش معه ولكنه سيجبرها على ذلك، لن يحتمل بأن يرى ابنته في أحضان رجل آخر، والأصح هو يستشيط غضباً وغلاً وغيره على سمية، لا يريد أن تتزوج احداً غيره، هو يحبها نعم يحبها من قبل مجيئه وطلبها للزواج ولكن شيء ما منعه من إكمال حياته معها لذلك كذب عليها وقال لها بأنه لا يحبها وتزوجها فقط إطاعة لأوامر أبيه، لم يستطع نسيانها أو إخراجها من رأسه كان يتآكل من الداخل عندما يتخيلها في أحضان رجل غيره وكان يخشى من أن يأتي يوم ويراه على ذمة رجل غيره، ندم أشد الندم على هجرانه لها وطلاقه لها، كان يجب عليه أن لا يطلقها فقط بيتعد عنها، لكي لاتصبح لأحد غيره، ولكن تجري الرياح بما لاتتشتهي السفن، فاها هي سمية قررت أن تعيش حياةً طبيعية هادئة مع رجل يقدرها ويعيشها في سعادة.

ولكن ماذا عن هشام؟ نعم هو أناني جداً، نار الغيرة تأكله، هو نادم على فعلته تلك ونادم أيضاً على معاملتها كذلك في أول ليلة لها معه عندما اغتصبها وبث فيها أنواع الألام المختلفة، نادم على كل شيء، ولكن لماذا، لماذا فعل ذلك؟ لماذا هجرها؟ لماذا طلقها؟ لا أحد يعلم غيره، هذا السر الذي لا يعلمه أحد سواه هو، ولكن هل سيأتي اليوم لتكشف جميع الحقائق، نعم هو يعتبر نفسه معذور على فعلته تلك لأنه كان مجبور، ولكن لماذا؟ سوف يعلم الجميع بالحقيقة ولكن ليس الآن فكل شيء في أوانه.

## في منزل أسر

يجلس في صالة المنزل الكبيرة بهدوء وببده سيجارته التي تعانق شفثيه بين حين وآخر، ينظر للفراغ شارد الذهن يفكر في حياته التي يعيشها بعيداً عن والداه اللذان تركانه وحيداً غير أبهان بحاله، كيف لرجل وامرأة لايملكان سوى ولد واحد بأن يتركانه وحده؟ كيف لهما أن يتخليان عنه؟ لماذا؟ لم يستطع الإجابة على أسئلته التي تدور في رأسه، ولم يجد لهم أي عذر لهما أبداً بتركهما له وحيداً، وهذا ما جعل حقه يزيد في قلبه تجاه والديه، تركاه شاب بعمر التاسعة عشر عندما قرر بأن يتطوع بالكلية الحربية، كان يحلم بأن يكون أكبر ضابط، يحب زي العساكر ويطمح أن يصبح مثلهم، رفض والداه هذا الشيء ولكنه أصر على قراره وظل على عناده إلى أن تطوع بالكلية الحربية وذهب مع مجموعة من الشبان برفقة ابن عمه يوسف إلى التدريب والاختبارات لمدة ثلاثة أشهر، عندما عاد لم يجد والداه في البيت، تخليا عنه وسلماه زمام الأمور لنفسه، تركاه وحيداً فقط لأنه أراد تحقيق حلمه، عندما رحلا وجد أسر في غرفته رسالة من أبيه وكان محتواها:

"بني أسر لا أعلم ما الذي أقوله لك ولكنني لست راضٍ عن قرارك هذا ولا أريدك أن تصيح من الضباط، كنت أحلم بأن أربي ولدي الوحيد ليصبح مثل أبيه ناجح ومتفوق بعمله لتدير أمور شركاتي من بعدي، ولكنك حطمت جميع آمالي بك، لذلك هذا سوف يكون عقابك يولدي، سوف تحرم منا أنا ووالدتك إلى أن تتراجع عن قرارك وتترك عمك لتكمل دراستك وتدير الشركات برفقتي ورفقة ابن عمك، وإذا أصررت على قرارك اعلم جيداً بأنك لن ترانا أبداً، وسوف تخرج من المنزل ولن تحصل على الميراث، سوف أتبرع بجميع أموالني عند موتي، لذلك يابني سوف أنتظر قرارك الحاسم إما كل شيء أو لا شيء، فكر ملياً بحكمة وستعلم بأنني لا أريد سوى مصلحتك لأنك ولدي الوحيد، واعلم جيداً بأنك لم ولن تنجح في هذا العمل طيلة حياتك إذا استمررت فيه، وسوف يأتي وقت عليك لن يكون بيدك حيلة سوى اللجوء إلي وطلب العفو والسماح، أنا أعلم جيداً بأنك ستفشل في هذه المهمة ولن تنجح لذلك لاتعاندني وتخلي عن هذه الأحلام المزيفة ولا تخسر والداك، وإذا أصررت على قرارك أخرج من المنزل ولا تعود ثانية"

هل هناك أحد يشعر بما يشعر به أسر الآن؟ والسؤال الأقوى هل يوجد والدان بهذا الشكل؟ لماذا يمنعانه عن تحقيق حلمه؟ لماذا لايدعمانه في قراره؟ لماذا لايقفان بجانب ولدهما الوحيد؟ في تلك الأثناء أصر أسر على قراره أكثر من ذي قبل وخرج من المنزل نهائياً وذهب للعيش مع ابن عمه يوسف الذي رحب به أشد الترحيب وكانا كالأخوة مع بعضهما وكبرت ماريا بينهما لتعلم بأن لديها أخان وليس أخ واحد لذلك كانت تعتبر أسر كأخيها أيضاً، واستمر أسر في عمله مع الكتيبة وأكمل دراسته وتخرج من إدارة الأعمال التي دخلها نظراً لتلبية رغبة أبيه في ذلك، ولكنه ظل مع الكتيبة إلى أن أثبت نفسه وأصبح أكبر ضابط في البلاد من بعدها أصبح يعمل مع المخابرات أيضاً، لم يكتفي في حلمه فقط، أراد أن يثبت أكثر من ذلك ويفاجئ أبيه الذي استهزء به وقلل من شأنه، لذلك كان أكثر إصراراً على قراره ولم يتراجع عنه، إلى أن أصبح أسر شيئاً كبيراً في حياته وحياة الآخرين، حرمانه من أبيه وأمه أثر على شخصيته كثيراً فهو حتى وإن كان بارد وعصبي كان أيضاً طيب القلب ومحب ومرح، ولكن الآن لا يهتم في هذه الدنيا سوى عمله، لم يأبه بحال أبيه عندما علم بأنه في المستشفى ولم يسأل عنه، أصبحت والدته في الفترة الأخيرة تحاول مهاتفته ولكنه كان لايعبرها أي اهتمام ولا يكلف نفسه في الحديث معها، الآن وبعد عشر سنوات من الفراق والهجران لولدهم الوحيد شعرا بالذنب والندم، أرادا أن يعود أسر إليهما ولن يههما ماهو عمله سوف يتقبلان ولدهما بجميع أحواله ولكنه رفض ولم يعترف

عليهما بل قسي عليهما بالكلام ومن ضمنه بأنه نادم على أنه جاء من صلب أبيه غير ذلك اعتبر نفسه يتيم الأيوين.

لم يعلم كم ظل من الوقت شارد الذهن ليقطع شروده إحدى حراسه بطلب إذنه بدخول يوسف له ليسمح له بالدخول، دخل يوسف إليه بابتسامته الواسعة التي لاتفارق ثغره أبداً لبيتسم أسر بسخرية على حال صديقه المعتوه الذي اطلق عليه هذا اللقب منذ زمن، ألقى يوسف التحية على صديقه ليجلس بجانبه ويقول:

"اشتقت لك يا حبي"

قالها وهو يكتم ضحكته لينظر له أسر نظرة معناها حقاً وينفجر يوسف بالضحك بينما أسر يحاول تهدئة أعصابه كي لا يتهور ويلقن يوسف درساً قاسياً ولكنه تماسك وقلب عيناه بتملل وقال:

"أيها المعتوه هل قلبت موازينك وأصبحت تغرم بالشباب بدل الفتيات التي تقضي معهن أوقاتك الحميمة أم ماذا"

أنهى جملته بعبوس ليطلق يوسف ضحكة صغيرة ويردف:

"لا يامهجة قلبي ولكنني أحب أن أتغزل بك"

قال جملته وهو يراقص حاجبيه ليلكمه أسر لكمة خفيفة على وجهه وهو ينظر له بامتعاض، لم يتكلم يوسف وإنما اكتفى بكتم ضحكته، بادر أسر بالسؤال:

"إذاً كيف حال ماريما لما لم تأتي معك"

اعتدل يوسف في جلسته وقال بهدوء:

"لقد ذهبت إلى جامعتها، غير ذلك هنالك أمراً أردت التحدث به إليك، أنا لم أكن في المنزل كنت عند النقيب في مكتبه، لقد طلب مني جمع معلومات عن بعض الشبان الذين يتاجرون بالمخدرات في الجامعات وغيرها والشبان الذين يهربون الأسلحة أيضاً، أعطاني قائمة بأسمائهم وأوصاني بأن تكون معي في هذه المهمة"

أنهى حديثه الجدي ليعقد أسر حاجبيه ويقول:

"ولماذا لم يتصل بي"

أجابته:

"لقد اتصل بك عدة مرات ولكن هاتفك مغلق هذا ماقاله لي"

هز أسر رأسه بتفهم ليردف قائلاً:

"يبدو أنه مغلق أو لا يوجد تغطية"

أجابه يوسف:

"أجل يبدو كذلك، إذا من أين سنبدأ حبي"

قال جملته بابتسامة على وشك أن تصبح ضحكة قوية ولكنه كتمها بينما أسر نظر له بغضب ونهض من مكانه ليقلنه درساً قاسياً لن ينساه بينما يوسف يضحك بشدة على أسر الذي يظل في حالة عصبية من أمره ولا يعلم لماذا.

-----

في مكان تعم فيه الضجة والاصوات الصاخبة كعادته من كل مرة يجلس ذاك المدعو سهيل في الملهى الليلي مع ثلاثة شبان ينتمون لأخلاقه وأعماله وأفعاله الدنيئة، بينما هم يشربون إلى أن وصل اثنان منهم لحالة التمل ولم يعودان يفكرام بشيء سوى الضحك والكلام الغير مفهوم الذي يتفوهان به، ألتفت سهيل لصديقه الجالس بجانبه وتحدث:

"أريد أن أدفعها الثمن على تلك الصفحة التي أعطتني إياها سوف أخذ حقي منها تلك اللعينة"

تحدث بغل واضح بعينه ليبتسم لصديقه بخبث ويقول:

"حسناً ولكن ما الذي ستفعله بها"

تحدث سهيل بشرود:

"سوف أذلها سأسرق منها أغلى مالمديها، سأغتصبها"

التفت إلى وجه صديقه بكلمته الأخيرة ليبتسم ابتسامة مكرة ويحدثه:

"وهل سيكون لنا بالطيب نصيب، أقصد يعني هل سوف نتشارك بها أنا متأكد بأنه لا مانع لك أليس كذلك"

أنهى جملته رافعاً حاجبه ليتحدث سهيل بحدة:

"لا لن يكون لكم نصيب بشيء منها هي لي فقط، أنا الذي سيلمسها ويأخذ عذريتها، أنا فقط لا أحد غيري"

همهم صديقه بتفهم وتحدث:

"مابك يارجل لم اقصد شيء، حسناً انتهى وكأني لم أقل شيء أنسى الأمر لا تطلق"

هز سهيل رأسه بشرود وهو يفكر كيف يمكن أن يخطفها وإلى أين سيذهب بها ولكن عندما يتعلق الأمر بشباب لا يعترف بدينه وليس لديه ذرة أخلاق متسكع مع رفاق السوء لن يصعب عليه شيء، حسناً ولكن لماذا غضب عندما سمع حديث صديقه بمشاركته بها؟ لماذا استشاط من الغضب؟ لماذا ود لو أنه ينهال على صديقه بالضرب المبرح؟ في الواقع هذه ليست أول مرة سهيل يغتصب فتاة مع أصدقائه، صحيح أن الفتيات ينعدون على الأصابع ولكنهم كانوا يتشاركون بها وتبقى ضحية لهؤلاء الشبان القذرين الذين لا يفعلون حساب لربهم، أنهى سهيل سهرته وهو ثمل لا يشعر بشيء ولا يتمم سوى باسم شهد.

-----  
#بعد مرور أسبوع من الأحداث:

تزوج وسيم من سميرة بعد ذلك الحوار الذي دار بينه وبين سميرة بثلاثة أيام وها هي أسيل جاءت لتعيش مع والدتها في بيت زوجها، وسميرة تشعر بالراحة والاطمئنان مع زوجها الجديد، أسيل هذا اليوم الأول لها مع والدتها وزوجها لذلك لم تعلم شيء عن معاملته معها حتى الآن ولكن هي واثقة بأن عمها وسيم سوف يكون الدرع الحامي لها ولوالدتها، بينما هم مجتمعين ثلاثتهم على مائدة الطعام والسعادة ظاهرة عليهم ليدخل بالحديث وسيم قائلاً:

"إذا ابنتي أسيل كيف حال دراستك"

تحدث بابتسامته التي لاتفارقة لتبتسم أسيل في وجهه وتحببته:

"بخير عمي أنا الآن أموت في التصاميم الكثيرة، سيقضى علي أقسم لك ولكن أبذل قصارى جهدي كي أكون من المتفوقين"

ضحك على جملته تلك ليقول:

"أنا أعلم جيداً بأنك فتاة مجتهدة وجيدة، أيضاً يجب عليك أن ترفعي رأسي أنا ووالدتك لأنك من الآن أصبحتي مسؤولة مني وأريد منك أن تعتبريني والدك بالضبط وكل شيء تحتاجه تقولي لي فوراً ليكون عندك بسرة"

ابتسمت له بامتنان لتقول:

"شكراً لك عمي"

هز برأسه بابتسامة ليوجه نظره إلى سمية التي كانت تتابع الحديث بابتسامة ليغمز لها وتحفظ عيناها وتجول بنظرها بأحاء الغرفة بتوتر بينما هو يحاول أن يكتم ضحكته على حالها، أما أسيل فهي لم تنتبه لشيء لأنها كانت مشغولة بأكلها وذلك الشيء كان من صالح وسيم لكي يشاكس سمية قليلاً بنظراته ويضحك على خجلها وتوترها.

حسناً، ها قد تزوجت سمية وهي الآن سعيدة مع زوجها وبوجود ابنتها بجانبها تكاد تطير من الفرح، الآن علمت ماهي السعادة، الآن علمت كيف يكون لها عائلة، شعرت بأن وسيم والد أسيل بحق ويستحق الثقة التي أعطته إياها ولكن ماذا عن زوجها السابق الذي يكاد يموت من غيرته وغيظه وغضبه؟ لم تفكر به أبداً ولم يخطر على بالها نهائياً، هل سوف تمضي حياة سمية بهدوء كما رسمتها مع وسيم أم سيطرا عليها تغيير مفاجئ، بينما هشام يتأكل من داخله والنار تأجج في قلبه، هو يعلم بأنها نسيته ويعلم أيضاً بأنها سعيدة مع زوجها ولكن لن يسكت على فعلتها تلك لن يدعها تعيش بهدوء، ولن يدعها تكون لأحد غيره ولكن كل شيء له وقته.

-----

جالس في مكتبه على كرسيه مرخي رأسه ومغمض عينيه يفكر في زوجته أو بالأصح طلبته، لماذا ظل يحبها؟ لماذا لم يستطع نسيانها؟ لم يذق طعم النوم إلا قليلاً منذ يوم زواجها، هو يعلم كل أخبارها وأخبار ابنته، ويعلم بكل تحركاتهما، لا يستطيع تخيلها معه، كل ما كان يتخيلها وهي تبتسم له وتكون معه يكاد قلبه ينفجر من الغيرة والغضب، هو لم يحب زوجته أحلام يوماً ولكنه تزوجها فقط للاحتياج، كان يريد أن يحظى بحياة هادئة مستقرة فقط، ولكنه كان يرغب بهذه الحياة مع زوجته السابقة وليست أحلام، لأنها امرأة تحب المظاهرة والمفاخرة في النفس تحب السلطة والمال وهذا مادفعها للزواج من هشام طمعاً بماله في السابق ولكنها الآن تعشقه، كانت دائماً خائفة من سمية بأن يأتي يوم ويعيدها له ولكنها فرحت بشدة عندما علمت بزواجها، ولكن الآن لديها المشكلة الأكبر التي هي أسيل لأن زوجها مازال مصراً على جلبها للعيش بينهم ولكنه ينتظر الوقت المناسب، شغلت باله، وأتعبت قلبه ببعده عنها، كان دائماً يتخيلها أمامه، حتى وهو على فراشه مع زوجته كان يتخيلها سمية وليست أحلام لدرجة أنه ذات مرة نطق اسمها وهو بين أحضان زوجته عندها كادت أن تنفجر أحلام من شدة غيظها وغضبها ولكنه لم يهتم لها وعاملها ببرود.

هي ملكت قلبه، أسرته روحه في حبها ولم ينساها يوماً، نعم هو يعلم كم ذاقته من عذاب بفعلته تلك، ولكنه كان يذوق أضعاف وأضعاف عذابها هذا، كان تائه لا يعلم ماذا يفعل بدونها، ولكنه كان مجبور على ذلك، هو يعشقها منذ كانت بالثانوية ولكنه لم يبين لها يوماً حبه وعشقه لها، بل العكس كان كل ما ينظر لها أو يتحدث معها يحدثها ببرود شديد، ولكن قلبه يكاد ينفجر من تلك الجميلة، حسم قراره ليأتي بابنته للعيش معه أما سمية فسوف يتركها قليلاً إلى أن يدبر أي قصة كي يبعتها عن زوجها.

دخلت عليه أحلام غرفة المكتب لتبتسم له ويقلب عيناها بتملل، لاحظت تغيير مزاجه ولكنها اقتربت منه ووضعت يديها على كتفيه وقالت:

"عزيزي مابك، أرى أنك لم تعد تطيق أن تجلس مع أحد، ألم تشناق لي"

همست في كلمتها الأخيرة بأذنه ليتململ ويزيح يديها عنه وينهض ليمشي أمامها ذهاباً وإياباً، بينما أحلام لم تستطع أن تتحمل بعد الآن لذلك انفجرت وأردفت:

"هشام ما الذي يحدث معك واللعنة أنت لم تعد كما كنت في السابق، هل تحبها ها أجبني؟ كل هذا التغيير والبرود من أجل هذه الوقحة سم.."

لم تكمل جملتها لتأتيها تلك الصفقة على وجنتها، نظرت له بصدمة لتراه ينظر لها ببرود ممزوج بالغضب، اقترب منها إلى أن أصبحت أنفاسه الحارة تلمح وجهها ليقول:

"إياك أن تتحدثي عنها، لاتدعيني أنصرف معك تصرف غير لائق هل فهمتي وبالنسبة لابنتي سوف تأتي للعيش معي رغماً عن أنفك"

أنهى جملته وخرج من المنزل بأكمله، أما عن أحلام فتصنمت في مكانها والأفكار تدور في رأسها لتقسم بأنها حتى ولو أتت ابنته إلى هنا سوف تربيها الجحيم وتطردها من منزلها.

أما عن هشام فخرج من المنزل وركب بسيارته وذهب بعيداً لا يعلم إلى أين، أخرج هاتفه ليجري اتصالاً:

"اسمعي جيداً أنا لم أقتنع بفكرة زواجها أريدها أن تتطلق بأسرع وقت"

تحدث بصراخ وعصبية ليجيبه مالك:

"على رسلك يارجل مابك اسمعي سوف نتركها عند زوجها فترة قصيرة وأنت بهذه الأثناء تأخذ أسيل إليك"

تحدث بهدوء بينما هشام انفجر من غضبه وصرخ عليه:

"واللعنة عليك لاتقول زوجها أنا هو زوجها وليس هو هل تسمعي، أقسم لك بأنني لن يهدأ لي بال إلا عندما أطلقها منه وأرجعها لذمتي هل تفهم! وأنا عند قراري وأنت تعرفني جيداً"

هدأ هشام قليلاً ليحدثه مالك:

"حسناً فقط اهدأ ولا تفعل شيء متهور سنفعل كل شيء حسب الخطة أولاً تأتي أسيل إليك ومن بعدها سمية لاتقلق"

أجابه هشام بهدوء:

"حسناً لنرى"

أغلق الهاتف في وجهه وهو يقود بسرعة جنونية، بينما عند مالك فهو نفسه ذاك الشخص الذي أجبر هشام على الابتعاد عن زوجته وهجرانه لها وهو نفس الشخص الذي يريد أن يهدم العلاقة بينهم، لذلك لن يدع سمية تعود إلى هشام أبداً فقط كان يساير هشام ليصل إلى مبتغاه، اتصل بأحدهم ليجيب:

"نعم"

كان هذا صوت أحلام ليجيب:

"اسمعيني جيداً إذا كنتي تريدين الحفاظ على زوجك فا انتبهي جيداً وتخلصي من أسيل بأي شكل، وإذا احتجتي المساعدة أنا في الخدمة إذا أبعدتي أسيل عن والدها فسمية لن تقبل بالعودة إلى هشام أبداً لأنه أحب أن أخبرك زوجك يسعى لطلاق سمية من زوجها ليعيدها له"

صدمت أحلام من الحديث الذي سمعته لتقول:

"ومن أنت وما الذي جعلك تتحدث إلي وتنبهني، هل تعرف أسيل وسمية"

ضحك مالك على حديثها ليقول:

"أجل أعرفهم عز المعرفة وبصراحة أنا لم أتحدث إليك لسواد عينيك فقط من أجل مصلحتي وأنا أعلم بأنك تكرهين سمية وأسيل وتريدين إبعادهما عن طريقك أليس كذلك؟ لذلك اسمعيني جيداً ولا تكوني غبية هل فهمتي؟ أسيل سوف تأتي إليكم عن قريب و.."

أخبرها عن الشيء الذي يسعى إليه وكيف تتبع الخطة معه لتسمعه بإمعان وتفهم كل شيء لتبتسم ابتسامتها الخبيثة، بينما مالك يحدثها عن الخطوات التي ستقوم بها وتنفيذها مجرد ما إن تأتي أسيل، لتفرح كثيراً بذلك المخطط الدنيء الذي سوف ينفذه بحق تلك الفتاة.

-----  
في منزل شهد

تجلس تلك الفتاة اللطيفة على سريرها وهي تفكر في ذلك الشاب الذي يهدد بأذيتها، لم تستطع أن تقول شيء لوالديها كي لاتسبب لهما المشاكل ولكنها خائفة جداً فهو أكد لها بأنه لن يصمت عن فعلتها، ولكنها سوف تمثل الشجاعة أمامه إن عاد واعترض طريقها، كان كل مايجول ببالها ماالذي سيفعله بها؟ كيف سيرد حقه منها؟ لم تستطع أن تذهب فكرته من عقلها، ولم تستطع حتى أن تركز في دراستها.

تنهدت بقوة وهي تحاول أن تخرج تلك الأفكار من رأسها لتمسك بهاتفها وتهاتف صديقتها أسيل:

"مرحباً وردتي"

جاءها صوت أسيل لتضحك على كلمتها وتقول:

"مابك هل حياتك الجديدة جعلت لسانك نظيف"

تحدثت من بين ضحكاتهما لتنفجر أسيل وتقول:

"اللجنة عليك أنت أيتها الحمقاء لاينفع معك الكلام الجميل بل كان يجب علي أن أرحب بك بلقب ذيل المعزة أو الحمقاء أو الحثالة أي شيء من هذه المصطلحات"

ضحكت شهد على حديث صديقتها لتقول لها:

"مابك يافنأة كنت أمزح، إذاً كيف حالك ها؟ وكيف هي حياتك الجديدة هل أنت سعيدة مع والدتك وزوجها"

أجابت أسيل:

"أجل ياحمقاء أنا بأحسن حال وسعيدة جداً ولكن مابك أنت؟ صوتك ليس على مايرام هل حدث شيء قولي ها"

تنهدت شهد وقالت:

"وكأنك داخل قلبي يا أسيل، في الحقيقة أنا لست على مايرام، أنا خائفة من ذلك الشاب الذي هددني، أشعر بأن هناك شيء سيحصل معي، خائفة جداً"

أنهت جملتها بصوت رقيق باكي لتقول أسيل:

"لا لا لن يحدث شيء لاتقلقي جميلتي كل شيء سيكون على مايرام وهذا الحثالة لن يستطع فعل أي شيء ثقي بي، وانا سأظل معك ولن أفارقك وأي شيء سيحدث لك سيحدث لي أيضاً لأننا سنظل سوياً طوال العمر"

ابتسمت شهد على حديث صديقة طفولتها وهذأت قليلاً بينما أسيل تحاول بأن تخرجها من هالة خوفها وتكون شجاعة ولا تخاف من شيء، ظلنا نتحدثان مدة طويلة من الوقت بأحاديثهما المضحكة وغيرها لتودعا بعضهما وتلتقيا بالغد.

في مكان آخر

مكان يبعث للراحة والطمأنينة للنفس من شدة جماله وفخامته في الولايات المتحدة، بالتحديد في منزل جلال زين الدين يجلس ذاك الرجل الذي قارب على الستين من عمره بجبروته وملامحه الحادة التي تبرز وسامته رغم كبر سنه، خصلات شعره التي غزاها الشيب، عيناه التي تعطي الحدة مثل عينين الصقر، يجلس ذاك الرجل على الأريكة ويتصفح الجريدة بين يديه إنه والد أسر، وضع الجريدة بجانبه بإهمال لينده على زوجته أمينة وتأتي له بجسدها الذي لا بأس به أيضاً وخصلات شعرها الأشقر وابتسامتها العذبة فالرغم من أنها بالخمسين من عمرها فهي لا يظهر عليها الكبر.

اقتربت من زوجها وجلست بجانبه لتقول:

"ماذا هناك عزيزي"

تنهد جلال بقوة وقال:

"هل يوجد أخبار عن أسر؟ ألم يرضى أن يهاتفك عندما اتصلت به أم ماذا"

تنهدت بحزن لتظهر علامات الحزن على وجهها وتقول:

"لا يريد التحدث معي أو معك، لقد انتهى كل شيء يا جلال ابني الوحيد لم يعد يطيقنا ولن يعود إلينا"

أنهت جملتها ببيكاء ليعقد حاجبيه وتظهر تلك التجعدات فوق جبينه ليقول:

"لماذا أصبح قاسي القلب هكذا! أعلم بأننا قسينا عليه ولكن الصراحة صدمني عندما علم بأمر دخولي للمستشفى ولم يكلف نفسه للاطمئنان علي، يا للسخرية"

أنهى جملته بابتسامة حزينة، مسحت أمينة دموعها لتردف:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك ولكنني سأظل على أمل أن يأتي اليوم الذي يعود فيه إلى حضني، نحن ظلمناه كثيراً يا جلال ظلمناه كثيراً"

قالت جملتها وهي عاقدة حاجبها بحزن لينظر زوجها للأمام بحزن ويهز رأسه موافقاً على كلامها ويقول:  
"سيعود في يوم من الأيام لاتقلقي سيعود"

أومئت بصمت ونهضت من جانبه لنتركه شارداً الذهن متحسر على ولده الوحيد، كيف تركه لوحده؟ كيف تخلى عنه بهذه السهولة؟ هو أيضاً لم يكن يعلم بأن الأمور ستسوء إلى هذا الحد، كان يعتقد بأن أسر سوف يتطوع ومن بعدها يفشل ويعود إلى والديه ولكن صدمه بنجاحه وبعمله والتقدم فيه والتخلي عن والديه، ولكن لماذا نادم الآن؟ ألم يجب عليه أن لا يتسرع ويتخلى عن ولده الوحيد! ألم يجب عليه أن يكون بجانب ولده ودعمه في قراراته! والآن ليبدأ عرضنا ويبدأ الندم يأكل بجسده، ومن ثم الحنين والشوق لولده الوحيد الذي رأى الدنيا من عينيه.

مر شهرين على حياة أبطالنا:

-أسيل وسمية تعيشان أسعد أوقات حياتهما مع وسيم ولا تخلو الأمور من بعض الغضب أو المشاكل.

-شهد تعيش حياتها الطبيعية ولكن هاجس الخوف يفتحها عندما تتذكر سهيل وتهديداته المستمرة لها لدرجة انها أصبحت لا تمشي بمفردها بالطريق خوفاً من حصول أي مصيبة بل ظلت طوال وقتها ملازمة أسيل أينما ذهبت كحال أسيل التي تظل بجانبها لطمأننتها وتهدئتها.

-سهيل مازال عند وعده وسوف ينفذه عاجلاً أم آجلاً ولكن ما يعيق تنفيذ خطته هي أسيل التي تظل ملازمة لشهد طوال الوقت، علماً أن شهد كانت تذهب بمفردها في بعض الأحيان قبل أن يدخل إلى حياتها هذا الشاب وهذا ملاحظه سهيل بأنها خائفة منه وقد أفرحه الأمر كثيراً ولكنه يعمل على فكرة إبعاد أسيل قليلاً فهو لا يريد لها أن تفصح أمره وتفشل مخططاته ولكنه أصر على تنفيذ وعده ولكن في الوقت المناسب ويظن بأنه اقترب.

-أسر يعيش حياته بشكل هادئ ويعمل بجد ولا يقصر في عمله ولم يتخلص من كتلة البرود التي يضع نفسه فيها إلا أنه يشعر بالفراغ كثيراً ولكنه لن ولم يستطيع المسامحة أبداً، لينفض أفكاره منهما فوراً ويخرجهما من عقله.

-مازال يوسف في علاقاته المتعددة وغضب أخته الصغيرة منه إلا أنه لا ينفك عن فعل ما يريد ولا تخلو حياته طبعاً من اللهو والمرح ومشاكسة أسر الذي يفقد عقله منه.

-هشام مازال عند قراره بأخذ أسيل من والدتها ومازال على تواصل مع مالك الذي يأتي له بالأخبار كلها، إلا أنه يكاد يفقد عقله من شدة غضبه وغيظه وغيرته على زوجته التي لم تفارق صورتها خياله منذ عشرون عاماً، والآن شعر بأنه أتى الوقت المناسب ليأخذ ابنته من والدتها.

أحلام أيضاً ما زالت على تواصل مع مالك يحدثها بين الحين والآخر ومازالا على تنفيذ خطتهما فور جلب أسيل إلى منزل أبيها.

-----

تجلس في غرفتها تلك الجميلة تجهز تصاميمها إلى يوم غد كي تسلمها كاملة دون أي نقصان لتسمع طرقات على باب غرفتها وتجيب:

"أدخل"

كان هذا وسيم دخل عليها بابتسامة لتبادله الابتسامة ويقول لها:

"صغيرتي كيف حالك، ماذا تفعلين"

تركت الأوراق من يدها لتجيب:

"كنت أجهز التصاميم إلى يوم غد كي أسلمها للأستاذ"

ابتسم لها واقترب منها ليطلع قبلة على جبينها ويقول:

"إذاً بالتوفيق جميلتي، ولكن أريد أن أسألك سؤالاً هل بالإمكان"

هزت رأسها موافقة ليقول:

"أنا أريد أن أعلم هل أنت سعيدة بالعيش هنا؟ هل يلزمك شيء؟ تحدثني أسيل لاتخجلي مني فا أنا أكن لك المحبة ويجب علي أن ألبى كل حاجياتك"

ابتسمت له بامتنان، أمسكت يده بين يديها الصغيرة وقالت:

"عمي أنا سعيدة جداً معكما، مجرد أن أمني سعيدة أيضاً فا أنا سأكون سعيدة بالطبع، وأنا أشكرك على اهتمامك فأنا لاينقصني شيء الآن ولكن إذا نقصني أي شيء لن أتردد بالقول لك"

ابتسم لها باتساع وقبل يديها قبلة صغيرة ونظر لها لوهلة وشرد بلامحها الفاتنة، شفتاها الممتلئة، وعيونها التي بلون العسل، وجنتيها الوردية، وجها المدور، وشعرها الحريري الناعم، لم يكن طويل جداً ولا قصير فقط كان يصل إلى أعلى خصرها بقليل، أفاق من شروده هذا على صوتها ويدها التي تلوح بها أمام وجهه لتقول:

"عمي مابك بماذا شردت هل أنت بخير"

انتبه إلى نفسه ونظر إلى يديه التي كانت تحتضن يدها الصغيرة ليترك يدها فوراً ويقف ويقول:  
"لا شيء جميلتي فقط شردت في أمر لاتقلقي والآن هيا والدتك تحضر العشاء خذي قسطاً من الراحة لتتناولي  
عشاءك"

ابتسمت له وهزت رأسها موافقة لتنهض من على كرسيها وتمشي أمامه لينظر لها بطرف عينه وينظر إلى  
جسدها الرشيق ويقف متصنم ويسرح في خياله، نفذ تلك الأفكار اللعينة من رأسه ليقنع نفسه أنها ابنته فقط  
ويخرج لمائدة الطعام ويتناولوا العشاء سوياً ولكن هذه المرة يختلف حال وسيم جداً، فا وسيم كان كل ما جلس  
على مائدة الطعام كانت عيونه تراقب سمية ولكن الآن عيونه تراقب أسيل بحركة أكلها وملامحها البريئة وكل  
شيء فيها، لينتبه على نفسه ويستيقظ من ذاك الشعور ويقنع نفسه بانه يحب زوجته فقط ولا يتخلى عنها،  
لاحظت سمية توتره لذلك حدثته وقالت:

"مابك عزيزي هل أنت بخير"

محم بجدية ليقول:

"أجل حبيبتي أنا بخير لاتقلقي فقط كنت أفكر في أمر ما لاتهتمي"

هزت رأسها موافقة وأعدت نظرها إلى طبقها وأكملت طعامها بينما وسيم أعاد نظره إلى أسيل التي كانت تأكل  
بصمت إلى أن انتبهت إلى نظراته لتبتسم له ويبادلها الابتسامة ويعود بنظره إلى طبقه وهو يشعر بأنه يتسبب  
عرقاً، استأذن ونهض من على المائدة ليذهب إلى غرفته صافعاً الباب ورائه بقوة ويجول ذهاباً وإياباً في أنحاء  
الغرفة ويدور بعقله أسيل وملامحها، حاول جاهداً بأن ينفذ تلك الأفكار وأن يخرجها من رأسه إلا أن صورتها  
أبت أن تخرج من رأسه، أمسك رأسه بين يديه وشد على شعره بقوة ليجول بعقله الحوار ويقول:

(لا لا هذا غير ممكن إنها بعمر ابنتي كيف أفكر بها بهذه الطريقة؟ أنا أحب سمية فقط أجل لا بل أنا أعشقها  
انتبهينا، يا إلهي يجب علي أن أتخلص من هذا الأمر لا أستطيع كبح نفسي عنها تلك الفتاة تقودني للجنون، منذ  
أن جائت إلى هنا وصورتها لاتفارق ذاكرتي، ولكن لماذا يا إلهي، حسناً سوف أتجاهلها لن أجتمع بها سوى  
على مائدة الطعام فقط لن أحتك بها أبداً، سوف أتحكم في نفسي، هذه أمانة عندي لا يجب علي أن أفكر بها بهذه  
الطريقة) أنهى حديثه الذي كان يدور في رأسه لينتهد من أعماق قلبه ويدخل إلى الحمام ويأخذ حماماً يريح به  
أعصابه.

-----

في منتصف الليل الجميع خلد إلى النوم، إلا أن وسيم كان يمثل النوم فقط، لم يغمض له جفن وهو يفكر في تلك الصغيرة، نهض من فراشه واتجه إلى غرفتها ليفتح الباب ويجد ملاكه الصغير نائمة بسلام، اقترب منها حتى أصبح أمامها وجلس بجوارها وبدأ يمسح على شعرها، تجولت يده في أنحاء وجهها إلى أن لمس شفيتها، أحس بكهرباء تصعقه، ظل على هذا الحال مدة ليست بطويلة، بينما أسيل تمللت لتفتح عينيها ببطئ وتجد أمامها ينظر لها، نهضت بنصف جسدها لتتنظر إليه، بينما هو توتر جداً عندما استيقظت ولكنه كان محترف في إخفاء توتره، نظرت له بإمعان لتقول:

"عمي هل حدث شيء لماذا أنت هنا"

ضحك بخفة وقال:

"جميلتي أنتِ ابنتي جئت كي اطمئن عليكِ وجدتكِ نائمة ولكنني كنت أعطيكِ جيداً لأن الجو بارد"

ابتسمت له وقالت:

"شكراً عمي"

أوما لها بصمت وابتسامة صغيرة نمت على شفتيه لينهض من جانبها ويطفئ الإنارة ويغلق الباب خلفه ليستند بظهره على الباب ويتنهد تنهيدة حارة، اتجه إلى غرفة المعيشة وهو يفكر بزوجه وابتها، لا يستطيع أن يخرجها من عقله ولكنه يستطيع أن يتحكم في تصرفاته ولو كان هذا على حساب النيران التي تشتعل بداخله رغبة بها ولكنه سوف يبقى يذكر نفسه بأنها ابنته، ابنته فقط.

-----

صباح اليوم التالي استيقظت أسيل بنشاط، فعلت روتينها اليومي واتجهت إلى مائدة الطعام ولكنها استغربت بعدم وجود عمها وسيم، جلست أمام والدتها لتقول:

"صباح الخير أمي"

ابتسمت والدتها وردت:

"صباح الخير عزيزتي هيا تناولي فطورك كي أوصلك في طريقي إلى الجامعة لدي عمل مهم في المستشفى"

ابتسمت أسيل لتقول بحماس:

"حسناً أُمي ولكن أين عمي وسيم"

ابتسمت سمية لتقول:

"إنه نائم لم يحظى بالنوم الكافي ليلة أمس قال بأنه لديه صداع لذلك لم ينم جيداً البارحة"

تعجبت أسيل وتذكرت ليلة أمس عندما دخل لغرفتها ليطمئن عليها لاحظت بأنه ليس على وجهه أية علامات وجع أو شيء من ذلك القبيل ولكنها تجاهلت الأمر، أكملت فطورها ونهضت مع والدتها لتوصلها في طريقها لجامعتها، تذكرت حال شهد لتشهق بخفة وتوجه حديثها لوالدتها:

"أُمي سنمر في طريقنا إلى منزل شهد لنأخذها معنا أرجوك"

ابتسمت سمية وهزت رأسها موافقة لتبتسم أسيل بسعادة وتهاتف صديقتها وتخبرها بأن تنتظرها أمام منزلها، وصلت أسيل وسمية إلى منزل شهد لتجدانها بالخارج تنتظرهما وتصعد السيارة وتلقي التحية عليهما ومن ثم توجهت سمية بهما إلى الجامعة.

كان أسر يجلس في مكتبه، يرتدي بذلته العسكرية ليُدخل عليه أحد الحراس ويقول:

"سيدي هناك فتاتان تريدان أن تقدم شكوى بحق أحد الشبان"

استغرب أسر وعقد حاجبيه ولكنه قال:

"حسناً أدخلهما إلي"

أوما الحارس بصمت ليسمح للفتاة ومن معها بالدخول، ما إن رأى أسر هذا الجمال واقف أمامه حتى تصنم وسرح في ملامحها، ليقطع شروده صوت أنثوي:

"صباح الخير سيدي هل لنا أن نتحدث معك قليلاً"

أوما لها بصمت وعاد إلى بروده وأشار لهما بالجلوس لتجلس الفتاتان والتوتر ظاهر عليهما، نظر إليهما مطولاً ليحتمم ويقول:

"إذا ما الأمر يا أنسة"

تشجعت أسيل ومحمت بجدية واستدارت بنصف جسدها إلى أسر وقالت بهدوء:

"مم سيدي جننا كي نقدم شكوى بشأن شاب ملتوي لا ينفك عن إزعاجنا، نحن نريد فقط أن يتنبه من قبلكم ولا يزعجنا لأنه يقوم بتهديدنا دائماً"

نظر إليها أسر بهدوء ثم قال:

"حسناً ولكن كيف يهددكم؟ أفصد بأية طريقة يهددكم وماذا يقول لكما ومنذ متى وهو يطار دكما"

تحدثت أسيل:

"سيدي هذا الشاب اسمه سهيل رافع وهو كان يطار صديقتي منذ أكثر من ثلاثة أشهر، هي لم تتحمل مطارده وواقته معها لذلك صفعته ذات مرة ومن يومها ذاك وهو يتوعد لها، ومن بعدها أصبح يتوعد لنا نحن الاثنتان واليوم هددنا بالسلح أقسم لك بأنه رفع السلح علينا اليوم"

عقد أسر حاجبيه وأجابها:

"حسناً تكلمي ماذا فعل وماذا قال لكما"

:Flash bakc

عندما وصلت أسيل وشهد إلى الجامعة دخلنا للمحاضرة وسلمتا تصاميمهما كاملة ومن بعدها خرجتا من الجامعة لكي تنتزها قليلاً لأنهما اليوم لم تقضيا وقتها كله في الجامعة لذلك كان معهما بعض الوقت للتنزه، بينما الفتاتان كانتا تسيران بهدوء وتحدثان مع بعضهما رأنا سهيل لنتأفأف كل واحدة منهمل وتسيران بخطوات سريعة إلا أن سهيل كان أسرع منهما واعترض طريقهما وعلى وجهه ابتسامة خبيثة ليقول:

"ماذا هل اشنقتما لي"

غضبت شهد منه بشدة على وقاحته لترد عليه:

"فعلاً أنت حشرة"

غضب من جوابها ليرفع عليهما المسدس، لم تنطقا بحرف إلا أنهما ظللتا صامتتان وهذا ما أثار غضب سهيل ليندفع عليهما ويتفاجئ بتلك الضربة التي جاءت على منطقتة ليتلوى بألم، بينما الفتاتان ما إن ضربته شهد حتى لاذتا بالفرار من أمامه بسرعة وركبتا سيارة أجرة وقررتا أن تذهبا إلى القسم وتقدمان شكوى بحقه.

.End flash back

"هذا ماحدث سيدي"

أنهت أسيل حديثها ليتحدث بجديّة:

"حسناً، أعيدي لي ما اسمه"

أجابت أسيل:

"اسمه سهيل رافع سيدي"

عقد حاجبيه لينظر إلى للاشيء بشرود وكأنه سمع هذا الاسم من قبل لينظر بانتباه إليهما ويتجه بعدها بنظره إلى الورقة التي أمامه، تلك الورقة التي كانت تحتوي على أسماء الشبان الذين يتاجرون بالسلاح والمخدرات، ليبحث بعينيه عن اسمه ويجده من ضمن تلك الاسماء، أمسك هاتفه بسرعة وتحدث مع يوسف ليأتي إليه بسرعة البرق، تحدث بهدوء:

"حسناً يافتيات الآن سوف يأتي الرسام لكي تعطيانه مواصفات هذا الشاب ويرسمه أمامكما لتتعرف نحن على شخصيته ونقبض عليه لأنه متورط بعدة قضايا"

أومأت الفتيات بصمت ليردف لهما:

"بالمناسبة سوف نكتب ضبط، أريد أن أعلم أسميكما"

تحدثت شهد:

"اسمي شهد عبد الله وهذه ابنة خالي أسيل العمري"

نظر إلى أسيل بطرف عينه وسجل أسميهما على ورقة بجانبه لسمع طرقات على الباب ويأمر بالدخول، دخل يوسف ببذلته العسكرية أيضاً لينظر إلى الفتيات ويتسم ابتسامة حاول جاهداً أن يخفيها لينظر نحو أسر ويجده ينظر له بحدة، حمم يوسف بجرح وقال:

"إذاً ماذا هناك"

أشار أسر له بالجلوس وجلس بجانب شهد ونظر بطرف عينه إليها ليحدث نفسه: (يا إلهي ماهذا الجمال أريد الاثنتان، أرجوك ياربي اجعل أسر يختفي ولو لعشرة دقائق فقط) أفاق من شروده على صوت أسر:

"أنا أحدثك منذ زمن يوسف مابك"

حمم يوسف وتحدث بجديّة:

"مم أنا معك إذاً ما الأمر"

تحدث أسر:

"أريدك أن تجلب لي الرسام كي يعطيناه مواصفات شخص يدعى سهيل"

رفع حاجبه يوسف:

"ما القضية"

حكى أسر له عن كل شيء بينما يوسف كان ينصت له ومن بعدها نهض وجلب الرسام إلى أسر وأعطت الفتاتان ملامح الشاب ليرسم لهم سهيل ذاته، نظر أسر إلى ذلك الشاب ووجه حديثه ليوسف:

"أنا رأيت هذا الشخص ولكن لا أذكر أين رأيته"

هز رأسه يوسف موافقاً ليجيبه:

"وأنا أيضاً رأيته من قبل"

ما إن انتهوا من كتابة الضبط حتى غادرتا الفتاتان تاركتان الشبان شاردين الذهن كل منهما يفكر بشيء ما إلى أن تحدث يوسف بسرعة:

"أجل تذكرت لقد رأيته في الملهى الليلي، ألا تذكر ذلك الشاب الذي افتعل المشكلة مع حبيب الفتاة القبيحة تلك"

ما إن سمع كلمات يوسف حتى تذكره فوراً، تنهد أسر وقال:

"حسناً إذا رأيناه في الملهى أنا سأصرف وأقبض عليه ولكن أريدك أن تجلب لي بعض المعلومات عنه وعن حياته وغير ذلك"

أوماً يوسف له ومن بعدها ابتسم ابتسامة ماكرة وقال:

"يارجل ألم ترى كل هذا الجمال ياإلهي كنت أدعو ربي كي يخفيك قليلاً من وجهي"

نظر أسر له بحدة ليقول:

"يوسف أخرج حالاً"

نهض يوسف قائلاً:

"حاضر حبي"

ما إن قال كلمته حتى فر هارباً من أمام أسر ليعود ويفتح الباب ويمد رأسه ويقول:

"ولكنهما جميلتان"

أنهى جملته واغلق الباب ليتنهد أسر بغیظ ويشرد بلامح أسيل وعلى ثغره ابتسامة بسيطة، ولكنه سرعان ما نفص تلك الأفكار من رأسه وعاد ليتابع عمله بجمع المعلومات اللازمة لهؤلاء الشبان.

---

في منزل هشام يجلس على كرسية في المكتب ينفث دخان سيجارته ببرود، يفكر كيف سوف يذهب ليراها بعد كل هذه السنين! كيف ستتقبل زيارته؟ هل ستسمح له بأن يأخذ ابنتها ولكنه هو متأكد بأنها لن تسمح له ولكن هشام أقوى من أن تقف في وجهه سمية، حسم أمره ونهض متوجهاً إليها بقلب ينبض بعنف وشوق جارف بان في عينيه.

بينما كانت هناك عينان تراقبه وتشتعلان غضب ولكنها تعلم بأنها سوف تبعد أسيل عن وجهتها نهائياً لأنها رتبت لكل شيء، قررت أن تعاملها بلطف مصطنع كي لا تشك بأمرها أبداً، تنهدت بغضب لتأتي إليها ابنتها مرام ذات السادسة عشر من عمرها لتقول:

"أمي هل ذهب أبي لاصطحاب أختي أسيل إلى هنا"

نظرت لها أحلام بغضب وقالت:

"لاتقولي أختي أينها الحمقاء، اسمعيني جيداً ستأتي هذه اللعينة إلى هنا ولكن إياك ثم إياك بأن تحتكي بها هل فهمتي"

أومات مرام لأمها بصمت وبوجه حزين بينما غيث كان يراقب الموقف بعينين تشتعلان غضباً من أمه وتفكيرها، تقدم بخطوات بطيئة إلى أخته التي تكبره بعامين ليقول:

"سوف تأتي للعيش معنا لذلك يجب علينا احترامها هي أختنا الكبيرة أنا متأكد بأنها ستكون فتاة جميلة ومرحة أليس كذلك"

نظرت لأخيها لتبتسم باتساع وتهز رأسها بحماس وتصفق بيديها وتقول:

"وأخيراً وافقتني الرأي مرة واحدة في حياتك، هيا تعال لنجهز أنفسنا ريثما يصلان، كم أنا متحمسة لرؤيتها ياقتي"

ضحك أخاها على حماسها وفرحها ليشاركها هذا الحماس بوجه سعيد وفرح، حسناً يبدو أن مرام وغيث ليس لديهما أي اعتراض على مجيء أسيل للعيش معهم، فهما متحمسان ومتشوقان لرؤية شقيقتيها الكبرى، ولكنهما خائفان من والدتهما لأن غضبها عندما تسمع باسم أسيل شيء لا يطمئن أبداً، ولكنهما لن يسمعا كلامها كما أنهما قررا هما الاثنان منذ الآن أن يتخذاها كصديقة لهما وليست أخت فقط.

في منزل شهد

كانت أسيل عند شهد في منزلها، جلستا في الشرفة وبدأتا تتحدثان بين بعضهما، دخلت عليهما والدته شهد بابتسامتها اللطيفة لترحب بأسيل وتضع الضيافة على الطاولة وتذهب، كانتا تضحكان وتمزحان إلا أن أسيل لم يكن قلبها مطمئن، كان قلبها قابض لاتعلم لما ولكنها تجاهلت هذا الأمر واندمجت مع صديقتها لتتحدث شهد بصوتها الناعم:

"هياي يافتاة ألم تنتبهي لذاك الضابط عندما كنا في القسم، بالله عليك أليس جميل"

عقدت حاجبيها وقالت:

"لقد كانا اثنان يا حمقاء أي منهما تقصدين"

تحدثت شهد بحماس:

"الذي اسمه يوسف مابك الذي جلس بجانبني"

شردت أسيل لتتذكر ملامحه وتذكرته قليلاً ولكن ملامح ذلك الذي كان يجلس وراء مكتبه لم تتذكر منه شيء سوى عينيه وحدثها، استيقظت من شرودها على صوت شهد:

"مابك يا حمقاء أنا أحدثك بماذا تفكرين"

رمشت أسيل عدة رمشات لتجيبها:

"لا شيء مهم"

أردفت شهد:

"حسناً إذاً لم تقولي لي هل أعجبك هذا الذي اسمه يوسف أم لا، صراحة الاثنان وسيميان بحق حتى الرسام وسامته لاتوصف يا إلهي لما لانحظى بمثل هؤلاء الشبان"

تحدثت بيأس واستندت بيديها الاثنتين على ركبتيها ووضعت كفيها على وجنتيها ولامح الاستياء بادية على وجهها لتبتسم أسيل وتقول:

"حسناً يافاتة لاتقلقي غداً سأذهب للقسم وأجلب لك أرقام هواتفهم لتحديثهم، أنت فقط لاتحزني"

نظرت نظرة جانبية لأسيل لتمد لسانها لها وترد أسيل بحركتها الطفولية تلك، ظلت الفتاتان تتحدثان إلى أن نهضت أسيل كي تذهب إلى بيتها، ودعت شهد واحتضنتها لم تعلم لما احتضنتها ولكنها شعرت بشعور غريب، توجهت إلى منزلها شاردة الذهن، قلقة على حالها وعلى والدتها لتتنهد بيأس وتكمل طريق عودتها إلى منزلها.

-----

في جامعة إدارة الأعمال

تجلس هذه الفتاة النشيطة بكل حيوية ومرح بين أصدقائها، تتحدث وتضحك وتمرح معهم، ولكن كانت هناك عيون تراقبها لم تنتبه لها، نهضت ماريا ومن معها إلى خارج محيط الجامعة لترى ابن عمها أسر ينتظرها بجانب سيارته ويبتسم لها، ما إن رأت أسر حتى قفزت من السعادة وركضت إليه واحتضنته بقوة ليبادلها وابتناسته تزيين ثغره، رغم نظرات الجميع لهم إلا أنها لم تهتم فهي مرت عليها فترة طويلة لم ترى بها أسر، كانت نظرات الفتيات موجهة نحوها وهن يحسدونها على ابن عمها ذاك، ما إن خلص نفسه منها ومن عناقها حتى أركبها بسيارته وصعد بجانبها وانطلقوا إلى وجهتهما.

تحدثت ماريا بحماس:

"إلى أين سوف تأخذني أخي"

ابتسم لها وقال:

"يافتاة أنا مدعو على الغداء عندكم اليوم، أخاك الأحمق هو من طلب مني الحضور ولكني أنا تبرعت وأتيت لاصطحابك معي"

تحدث وهو يراقص حاجبيه كي يثير استفزازها لتعقد حاجبيه بغضب وتقول:

"ماذا تقصد ها هل تتفضل علي يا هذا سوف أقتلع عينيك الجميلتان هذه وسنرى ما الذي ستفعله"

أنهت جملتها وكفتت يديها لينظر لها ويبتسم ويقول:

"مابك كنت أمزح فقط، حسناً في الواقع أنا جئت مخصوص من أجلك كي أصطحب البرنسس ماريا معي مارأيك"

لم تجبه ولم تتحدث فقط ضمت يديها إلى صدرها أكثر وزمت شفثيها ورفعت رأسها إلى الأعلى، نظر إليها أسر وقال:

"يافتاة ألا تريدين المخدرات خاصتك"

ما إن سمعت هذه الجملة حتى قفزت على أسر وكادت تفتعل حادثة في الطريق لتهتف وتصرخ بقول:

"أجل أجل أجل أريد مخدرات هيا هيا أسر أريد المخدرات خاصتي هيبببي أنت الأفضل أحبك أخي"

ضحك على حماسها وقال:

"حسناً هل أنت متأكدة من أنك كبيرة لإنني بدأت أشك بك يا ذوات العشرون عاماً"

أنهى جملته بضحكة مكتومة لتصفق وتردف:

"أجل أنا ذات العشرون عاماً ولكن طول وجسم فقط لا يعمل لدي لا يوجد أبداً"

أنهت جملتها بمرح ليضحك عليها، بعد قليل من الوقت نظرت ماريًا للطريق باستغراب لأن هذا ليس طريق بيتهم لتقول:

"أسر إلى أين سنذهب نحن، هذا ليس طريق المنزل"

حدثها بهدوء:

"أجل أعلم اصمتي قليلاً الآن ستعلمين إلى أين سنذهب"

مر وقت ليس بطويل ليقف أسر بسيارته أمام مطعم كبير وفخم، ما إن رآته ماريًا حتى فرحت بشدة لأنها تحب الذهاب إلى المطاعم جداً، دخلت المطعم هي وأسرتحدثته قائلة:

"ألم تقل لي بأنك مدعو عندنا في البيت لماذا أتينا إلى المطعم"

تحدث أسر:

"مابك أيتها الثرثرة ألا تكفين عن الكلام؟ ستسببين لي الصداع اصمتي قليلاً"

قلبت شفتها السفلية دليل على حزنها وضمت يديها إلى صدرها، نظر لها أسر بطرف عينه وابتسم بخفة وأعاد نظره للجانب الآخر وهو شارد الذهن، مر وقت ليس بطويل ليأتي يوسف إليهما ويرحبان به ليجلس معهما ويقول:

"إذا ما الذي جرى هل تأخرت عليكما ياترى"

تحدث أسر بملل:

"يارجل لو لم تأتي لكان الحال أفضل"

قلب عينيه ليقول:

"ألن تكف عن شتمي وتهزئتي، أنا أكرهك"

ايتم أسر بسخرية ليجيبه:

"نفس الشعور أقسم لك"

ضحك يوسف على جملته ووجه نظره إلى أخته الجالسة تسمع الحديث ولا تشاركهما ليقول:

"وأنت ياقردة قلبي ألن نسمع صوتك النشار اليوم"

ما إن سمعت هذه الجملة حتى شهقت وجحظت عيناها واستعدت للهجوم ولكن أسر منعها من فعل شيء لتتوعد له بأن حسابه في المنزل، طلبوا الغداء وتناولوا غدائهم ولم يخلو الجو من مشاكسة ماريًا كل حين وآخر لاستفزازها وضحكهم عليها، انتهت جلستهم وخرجوا من المطعم متوجه كل منهم إلى وجهته.

يقف بلامحه المتوترة أمام منزلها، متردد وخائف بعض الشيء من مواجهتها، كيف ستكون ردة فعلها؟ هل ستغضب عندما تراه؟ هل ستطرده من المنزل؟ هل سيرى بريق الشوق في عينيها أم الغضب والكرهية؟ كل هذه الاسئلة كانت تدور في رأسه، شجع نفسه وطرق عدة طرقات على الباب والتوتر بادى على ملامحه ولكنه حاول أن يخفيها، سمع صوت أقدام تقترب لتفتح الباب ومع كل خطوة تتقدم ينبض قلبه بعنف ويكاد يخرج من صدره.

كان وسيم جالس في صالة البيت إلى أن سمع أحد يطرق على الباب لينهض ويفتح الباب، تقدم وفتح ليرى رجل بعمره تقريبا، عقد حاجبيه باستغراب من هذا الغريب ليقول:

"أهلاً وسهلاً من أنت"

ما إن رآه هشام حتى اشتد فكه واحتدت ملامحه ولكن حاول أن يحافظ على هدوءه ليجيبه:

"أنت لاتعرفني لكن أنا أعرفك وأعرف سمية وأسيل أيضاً"

تعجب وسيم من هذا الشخص كثيراً، أردف إليه هشام:

"ألن تستقبلني! أريد أن أتحدث إليكم جميعاً"

تحدث هشام بسخرية ليفسح وسيم الطريق ويسمح له بالدخول، دخل هشام بخطوات ثابتة وعيناه تجول بأرجاء المنزل، كانت عيناه تبحث عنها فهو متلهف لرؤيتها وبنفس الوقت خائف من مواجهتها، قاطع تفكيره سؤال وسيم:

"أهلاً بك، إذاً أنت قلت بأنك تعرف زوجتي وابنتي، حسناً من أين لك أن تعرفهما"

احتدت ملامح هشام ليتحدث بانفعال:

"ليست زوجتك واللعنة، وأسيل ليست ابنتك إنها ابنتي هل تسمع"

صدم وسيم من حديثه ولم يستوعب ما قاله، كاد أن يتحدث ولكن تلك التي كانت واقفة بصدمة جعلت لسانه ينعقد، كانت سمية جالسة بغرفتها فجأة سمعت صوت رجل لتنتفض من مكانها وتخرج لترى ما الأمر، ما إن جاءت عينها بعينه حتى تجمدت أطرافها وتوسعت عينها، انعقد لسانها ولم تنطق بحرف وهذا الأحق الذي بصدرها ينبض بعنف، لم تستوعب أي شيء وكأن الزمن توقف عند هذه اللحظة لتسمع صوت هشام وهو يوجه حديثه إليها:

"أهلاً بالمدام سمية، كيف حالك؟ ألم تتعرفي علي"

كان حال هشام لا يختلف عن حالها بشيء فهو عندما رآها تنظر إليه بدأ قلبه ينبض بعنف كحالها هي، نظر إليها من أخصص قدميها حتى رأسها، لم يستطع وصف شعوره في تلك اللحظة، حاول أن يجمع الكلام ليوجه حديثه إليها مرة أخرى:

"مابك هل رأيتي جني"

كان يتحدث ببرود ولكن داخله بركان وسينفجر من شوقه إليها غير ذلك مع كل هذا البرود الذي يتصنعه إلا أن نظرة الحب باننت في عينيه، لسانها عجز عن النطق وقدمها لم تعد تستطيع حمل جسدها لتجلس على الأريكة وتطلق لدموعها العنان بصدمة، أحس هشام بسكاكين تغرز في قلبه ولعن نفسه مئات المرات ولكنه ظل محافظ على هدوءه، بينما وسيم كان يتابع الموقف بأكمله، صدمة سمية ونظرة هشام لها، بهذه الأثناء كان قد استوعب بأن هذا الرجل هو زوج سمية السابق ووالد أسيل، نهض من مكانه متجه إلى سمية لتهدئتها، جلس بجانبها وحدثها:

"عزيزتي ما الذي يحدث معك؟ فقط تشجعي"

همس في أذنها بينما هي أفاقته على نفسها لتتنظر لوسيم ومن ثم إلى هشام الذي كانت نيران الغيرة تشتعل في قلبه مجرد أنه همس في أذنها ولكنه ابتسم بسخرية لسمع صوتها وهي تقول:

"مادا تريد يا هشام"

واللعنة اللعينة كم كان متشوق لسمع هذا الصوت وسمع اسمه من بين شفثتها، أجاب ببرود:

"أريد ابنتي"

ما إن سمعت هذه الكلمة حتى تصنمت وتحدثت بصدمة:

"ما الذي تقوله أنت! هل الآن تذكرت أنه لديك ابنة"

ابتسم بسخرية ليقول:

"أجل الآن تذكرت، أنا لن أسمح بأن تعيش ابنتي عند رجل غريب"

تحدثت سمية بانفعال:

"مند عشرون سنة وأنا لم أرى وجهك ولم تكلف نفسك للمجيء لرؤية ابنتك والآن تقول بأنك لن تسمح لابنتك بأن تعيش عند رجل غريب، هذا الرجل الغريب وقف بجانبك وكان رجلي وسندي وكان الأب الحنون لأسيل أما أنت فاما الذي قدمته لنا"

انفعل هشام بشدة ولم يستطع التحمل، نهض من مكانه وتحدث بانفعال:

"اللعنة عليك وعلى زوجك، لن أسمع لهذه الترهات، جئت لأخذ ابنتي ولن يستطيع أحد منعي هل فهمتي، ثم أن هذا الذي تتباهين فيه بأنه زوجك لن يدوم لك تذكري كلامي جيداً"

هنا تدخل وسيم في الحديث ليقول:

"أنت ياسيد لا يوجد شيء في الدنيا يبعدني عن زوجتي وأنت ليس لديك شيء عندنا هل سمعت"

احتدت ملامحه عندما سمع هذا الكلام ولكنه ابتسم بسخرية ليخرج من جيبه ورقة ويرميها على الطاولة أمامهما ليقول:

"حسناً كنت أود أن أخذها بالحسنى ولا أريكما هذه الورقة ولكنكما تفتعلان المشاكل، من الجيد أنني جلبتها معي، ظننت أنني لن أحتاجها ولكن لا بأس"

أخذ وسيم الورقة ليرى مابداخلها وسمية تشاركه لتتوسع عينين الاثنين ومن ثم تنهض سمية وتتحدث:  
"أرجوك لا تأخذ ابنتي لماذا قدمت هذا البلاغ باسترجاعها لماذا، أرجوك هي سعيدة معي، تستطيع أن تراها متى تشاء ولكن لا تأخذها"

تحدثت سمية ببيكاء، حسناً هشام لا يريد رؤية دموعها لأنها تضعفه ولكن هذا الحل الوحيد الذي سيرجعها له في الأيام القادمة لذلك لن يتراجع، تحدث بهدوء وقال:

"سمية اسمعيني جيداً أنا لي كامل الحق بأخذ أسيل لذلك شئتي أم أبيتي سوف أخذها معي وأنت متى شئتي تأتي لرؤيتها أنا لن أترجع عن قراري"

أما عن وسيم فكان مشوش، لا يعلم ما الذي يصنعه، ابتعاد أسيل عنه نقطة لصالحه لأنه لم يستطع إخراجها من رأسه، يخاف أن يفعل بها شيء ومع ذلك سوف يشناق لرؤيتها ولن يستطع إبعادها عنه ولكن زوجته سوف تتحطم كلياً إن أخذها، وقع بين نارين والآن لا يعلم كيف يتصرف، قاطع شروده صوت فتح الباب لتدخل أسيل وتلقي التحية على ذلك الغريب الذي لاتعرف أنه والدها، نهض هشام واحتضنها بقوة يشم رائحتها ويعتصرها بين يديه، تفاجئت من هذا الموقف لتبتعد سريعاً عنه وتحدث:

"عفواً يا عم ولكن من أنت وكيف تحتضنني هكذا"

ابتسم هشام ليجيبها:

"وهل على الأب أن لا يحتضن ابنته يا أسيل"

ما إن سمعت هذه الكلمات حتى توسعت عيناها وتراجعت خطوتان للخلف لتقول:

"هل أنت.."

أجابها:

"أجل أنا والدك يا أسيل وجئت لأخذك معي"

هزت رأسها نافية لتقول:

"لا لا لن أذهب معك، بعد كل هذه السنين تذكرت أن لديك ابنة، أنت لست أبي هل فهمت أنا لا أريدك"

تحدث هشام ببرود:

"حسناً كما تشائين لنجعل الأمر بيد الشرطة وهي التي سوف تجلبك إلي ما رأيك"

تدخل وسيم في الحديث ليقول:

"واللعنة عليك كيف تتحدث بهذا البرود وكأنك لم تفعل شيء، أسيل لا تريد الذهاب معك"

أوما لهم بتفهم بلامحه الباردة ليخرج من المنزل بأكمله، لم تستطع سمية منع دموعها من السقوط لتنتحب بشدة بينما أسيل وجهت حديثها إلى وسيم:

"عمي هل سأأخذني معه؟ أنا لا أريده لا أستطيع الابتعاد عن أمي"

أجابها بهدوء:

"اهدأي ابنتي لنرى ما الذي سيحدث، سأحاول جاهداً أن لاأأخذك"

تحدثت سمية ببيكاء:

"أنا أعرف هشام جيداً لن ينوي على خير أبداً"

بدأ وسيم بتهديتها، أما أسيل فقد توجهت إلى غرفتها واستأقت على سريرها وهي شاردة بحالها.

-----

أما عند هشام فما إن خرج حتى هاتف مالك ليقول:

"حسناً حاولت بالهدوء معهم ولكنهم رفضوا، ابعثهم إلي"

أغلق الهاتف وركب سيارته وظل بها ينتظر هؤلاء الأشخاص الذي حدثه هذا مالك عنهم، مرت ربع ساعة ليراهم جئوا إليه ليقول أحدهم:

"تحت أمرك سيدي"

ابتسم له ليقول هشام:

"أريد أن تلقنوه درساً قاسياً لن ينساه ذلك الرجل القبيح وتأخذوا الفتاة وتصعدوا بها إلى سيارتي ومن ثم نرحل"

أوماً الجميع بصمت ليتجهوا معه إلى منزل وسيم، ما إن سمعوا صوت طرقات الباب حتى انتفضوا من مكانهم، اتجه وسيم ليفتح الباب ويستقبله الطارق بلكمة عنيفة ومن ثم لكلمات متتالية من قبل الرجال الذين مع هشام، كان يقف بينهم ببرود بينما سمية منهارة من البكاء، ما إن سمعت أسيل هذه الضجة في الخارج حتى خرجت من غرفتها ورأت هذا المنظر، بدأت بالصراخ عليهم ولكن لاجل الحياة لمن تنادي، ليوقفهم صوت هشام ويشير لهم باصبعه لأسيل، اتجهوا لها وحملها أحد الشبان إلى سيارة أبيها بينما هي تتلوى وتصرخ بأن ينزلها، وجه هشام نظره إلى سمية التي كانت تبكي بهستيرية ليتقدم نحوها ويجلس بجانبها، مسح دموعها وكور وجهها بكلتا يديه ليقول:

"أعدك بأنك ستعودي إلي عما قريب فقط انتظريني لتعلمي كل شيء"

قبل جبينها ونهض ليخرج ويركب سيارته مع ابنته التي كانت تبكي بشدة ليحرك السيارة ويتجه نحو منزله بسرعة البرق، أما عن حال وسيم فقد أغمي عليه من شدة الضرب ولم يعد يشعر بشيء لتنهض سمية وتتجه إليه، حاولت أن توقظه ولكن لم يستيقظ، نهضت لتجلب علبة الاسعافات الأولية فهي طبيعية لذلك استطاعت أن توقظه بعد مدة طويلة ليفتح عينيه بوهن ويعود لإغلاقهم، شعرت بأنفاسه المنتظمة لتعلم بأنه دخل في نوم عميق تنهدت بحرقه وبدأت بالبكاء على حالها وحال ابنتها وحال زوجها، ظنت بأن الحياة ضحكت لها والسعادة أنتها لا تعلم بأن المشاكل بدأت من هنا.

---

يقود سيارته بسرعة وبجانبه تلك التي كانت تبكي منذ بداية الطريق، لم يذهب من عقله منظر سمية ودموعها وخوفها على زوجها، وهذا ما أثار غضبه وغيظه، لكن هو لن يتراجع أبداً ولن يسمح لهذا الزواج أن يكتمل، ثم أنه لن يحتمل بقائها معه لمدة طويلة، سوف يجعل حياتهما تعيسة لأنها هي له وحده حتى وإن رفضت أن تعود له لن يتركها على ذمة أحد ولن يفقد الأمل، شائت أم أبت سيعيدها لجواره وسيكشف الحقيقة ولكن بالوقت المناسب.

كان منزله يبعد مسافة طويلة عن منزل وسيم ولم تكف أسيل عن البكاء طول الطريق، حدثها هشام بهدوء:

"عزيزتي لاتبكين ستكونين بخير ولن أحرملك من والدتك، سترينها متى شئتني فقط لاتبكي، خالتك أحلام ستعاملك معاملة طيبة"

أجابت من بين دموعها:

"أنا لا أستطيع أن أعيش من دون أمي أريد أن أعود إليها، ثم إن الذي حدث لن أسامحك عليه يا أبي"

لم يشأ هشام أن تصل الأمور إلى هذا الحد ولكن غله وغيرته جعلاه يفعل هكذا بوسيم، هو لا يريد شيئاً سوى إعادة أسيل وأن يكسب قلب سمية لتعود له، تنهد بحرقة ليقول:

"لا تلومي والدك الذي ذاق العذاب طيلة العشرون سنة يا ابنتي، لم يكن بيدي الأمر"

انتبهت أسيل إلى كلمته الأخيرة لتعقد حاجبها باستغراب وتقول:

"كيف لم يكن بيدك الأمر، أمي أخبرتني بكل شيء وأنت تزوجتها فقط من أجل تلبية رغبة والدك أليس كذلك"

تحدثت بجديّة:

"نعم هذا ما قلته لها ولكن ليس هذا الأمر الذي جعلني أبعد عنها، لن أحدث أكثر من هذا ستعلمين كل شيء عما قريب"

استغربت أسيل من حديثه، لمست الصدق بكلامه ولكنها لن تضعف ولن تسامحه بهذه السهولة أبداً.

وصل هشام إلى منزله، نزل من سيارته هو وأسيل ليفتح الباب ويرى زوجته وأولاده جالسين ينتظرون قدومهما، منهم من هو سعيد برؤية أسيل ومنهم من هو يكاد يموت من الغيظ والغضب، اقتربت أحلام إليها بابتسامة صفراء لتقوم باحتضان أسيل وتقول:

"أهلاً بالفتاة الجميلة، أهلاً عزيزي هشام لقد تأخرتما كدت أموت من القلق عليكم، تفضلي حبيبتي تفضلي لا تخجلي"

تقدمت أسيل ببرود ولوم إلى الداخل ولكنها لم ترتاح لزوجة أبيها، تقدم إليها مرام وغيث أختها ليلقيا عليها التحية، قامت باحتضانها بهدوء كحال أخويها اللذان ما إن رأوا حتى ابتسما باتساع، شعرت أسيل بأن أخويها بعكس والدتهما فهي لم ترتاح لها ولم تطمئن لهذا الترحيب المزيف أبداً ولكن تجاهلت هذا الأمر، جلست معهم وبدأو يتعرفون عليها شيئاً فشيئاً ويعرفوها بأنفسهم، حتى نهضت أحلام لتحضر العشاء ويتناولون العشاء سوياً، بينما الجميع على مائدة الطعام، وجهت أحلام حديثها لأسيل:

"عزيزتي أسيل، إذاً ماذا تدرسين"

تكلمت أسيل:

"أنا أدرس في مجال التصميم والرسم ياخالتي"

هزت أحلام رأسها مع ابتسامة مزيفة، لتهم رنيم بالحديث وتقول لها:

"إذا أسيل أنتي تجيدين الرسم أليس كذلك"

هزت رأسها أسيل وهي تمضغ طعامها لتصفق رنيم بحماس وتقول:

"ياهووو حسناً أنا أول من سترسميها إذاً أليس كذلك"

حركت رأسها بإيجاب لتنتظر إلى غيث الذي عبس بوجهه وانكشمت ملامحه لتقول أسيل:

"حسناً وأنت أيضاً"

ما إن سمع جملتها حتى ابتسم باتساع وقال:

"شكراً لك أختي"

ابتسمت أسيل له وأكملت طعامها، بينما والدها كان يتابع الحديث بصمت وابتسامته لاتفارقة كونها أسيل اتفقت مع أختوها ولكنه كان خائف من أحلام جداً فهي لاتطبقها لأسيل وغير راضية على وجودها بمنزلها، لذلك تعجب هشام من هدوئها فجأة، لا يعلم أن هذا الهدوء يسمونه هدوء ماقبل العاصفة.

أنهت أسيل طعامها لتنهض وتغسل يديها، نهضت معها أحلام لتوصلها لكان غرفتها وعادت للأسفل، نظرت أسيل لغرفتها الهادئة والمرتبّة، لم تكن كبيرة جداً ولا صغيرة أيضاً، كانت جميلة وهادئة ومتوسطة الحجم، كان يوجد بالغرفة حمام خاص، زفرت بضيق لتتجه للخزانة وتفتحها، تفاجئت بوجود بعض الملابس بها أخذت ببيجامة ومنشفة ودخلت للحمام، كونها أسيل لم تجلب شيء من أغراضها سوى هاتفها لذلك اضطرت إلى أخذ الملابس هذه، دخلت إلى الحمام وأخذت حمام سريع ودافئ لترخي أعصابها في هذا اليوم العصيب، أنهت حمامها واتجهت للخارج قامت بتمشيط شعرها ومن ثم تمددت على سريرها، نظرت للسقف وهي شاردة، تفكر كيف ستكون حياتها مع خالتها هذه؟ وكيف ستأقلم مع حياتها بمنزل أبيها وهل ستكمل دراستها أم ماذا؟.

أمسكت هاتفها لتطلب رقم والدتها ولكنها وجدته مغلق، طلبت رقم وسيم وأيضاً وجدته مغلق للتهد بضيق وتظل شاردة، لم تفكر كثيراً لأنها غطت بنوم عميق بعد فترة قصيرة.

-----

يجلس أسر في منزله بقوامه الصلب ويبيده سيجارته ينفث منها الدخان ببرود، رن هاتفه معلناً وصول رسالة ليفتح الرسالة ويقرأ ما بداخلها، تنهد بضيق ورمى هاتفه أمامه لإن الرسالة كانت من والدته وكان محتواها.

«عزيزي أسر لقد اشتقت إليك أنا والدك، أتمنى أن تهاتفني بأقرب وقت أحبك بني..»

لم يشأ أن يصل حاله إلى هنا ولكن القدر كان أقوى من كل شيء، ليس القدر وحده بل أنانية وسذاجة والديه هما من جعلتا حياته هكذا، ولكنه لن يستطيع المسامحة أبداً كونه ذاق العذاب الكبير ببعدهما عنه وخصوصاً عندما كان يخدم مع الكتيبة الحربية، لم يكن أحداً بجانبه ليخفف عنه شقائه وتعبه، لم يواسيه أحد على الظلم الذي ذاقه، حتى يوسف كان حاله كحال أسر لذلك ظلاً بجانب بعضهما، حتى وبعد كل هذا لم يستسلمان وأكملتا طريقهما للأمام لتحقيق حلمهما، مدد قدميه على الطاولة وأعاد رأسه للخلف مغمض العينين ليدخل عليه أحد حراسه بعد مدة ليضرب التحية ويقول:

"سيدي جنتك بالأخبار"

لم يفتح عينيه أبداً ولم يغير من جلسته عندما دخل أحد حراسه بل اكتفى بقول كلمته:

"أنا أستمع"

محمد الحارس بجدية ليقول بالتزام:

"سيدي لقد توصلنا لأخبار ذلك الشاب سهيل رافع وعلما من مصادرنا أن والده طرده منذ أكثر من سنة من المنزل لأنه كان يتعاطى المخدرات ومازال، ويتردد كثيراً إلى الملاهي الليلية وهو متهم بخمس حالات اغتصاب هو وأصدقائه الثلاثة، لقد جلبت لك أسمائهم سيدي حالهم لا يختلف عن حاله بكثير، علمت أيضاً أنهم مستأجرين شقة أربعتهم ويسكنون فيها ويفعلون مايلو لهم، والجيران تشتكي منهم ومن أفعالهم كثيراً، وأيضاً سهيل متهم بسرقة الكثير من السيارات التي تفكك وتباع قطعاً وأيضاً سرقة المحلات التجارية، علمنا مكان الشقة وذهبنا إلى هناك ولكننا لم نجد أحداً فقط وجدنا بعض أكياس البودرة البيضاء وزجاجات الشرب، لكننا لم نجدهم أبداً هذا كل شيء سيدي"

أنهى الحارس حديثه ليفتح عينيه ويعتدل بجلسته، عقد أسر حاجبية لم يتوقع أن كل هذا يفعله هذا الشاب، تذكر أسيل على الفور عندما جائت وقدمت شكوى عنه، تنهد بضيق وقال:

"حسناً، من المحتمل أن يأتي أحداً إلى المنزل إذا لم يكونوا يعلمون بأننا نبحت عنهم، أريدك أن تجعل أحداً من رجالنا يراقب منزلهم دون أن ينتبه أحد، هل تفهم"

أوما الحارس باحترام ليرحل بعد أن قام بتأدية التحية أمام أسر، أعاد جلسته وتمدد بارتياح لتعود لذاكرته أسيل ويتذكر ملامحها وحديثها وثقتها، حاول أن يخرجها من رأسه ولكنها كانت قابعة في رأسه وأبت الخروج، زفر بقوة ونهض ليغير ملبسه ويتجه إلى مكتبة عله يشغل نفسه من التفكير بكل شيء.

-----

في مكان آخر، منزل صغير شبه مهجور، يجلس سهيل ومن معه بأيديهم زجاجات الشرب، يشربون ويدخنون، كان سهيل ينفث دخانه بغل واضح لأنه لم يستطع أن ينفذ انتقامه من شهد بعد، ولكنه لن يتراجع وسينفذ كل شيء حال ما تسنح له الفرصة، شارد الذهن في حاله، يفكر بها، اشتاق لرؤيتها، لإخافتها، لغضبها وكل شيء، بينما ذهب في ذهنه وتذكر كيف علم بأن الشرطة تبحث عنه.

:Falsh bakc

عندما خرجت أسيل وشهد من الفرع بعد أن قدمنا الشكوى عن سهيل، كان هناك أربعة أعين تراقبهما وتترقبهما، كان سهيل قد أمر صديقيه بأن يلحقا بهما ويعلمان إلى أين ذاهبتان، بعد أن خرجتا من الفرع ظلا هذان الشابان يطاردان أسيل وشهد ويمشيان خلفهما إلى أن سمعا حديثهما وتحدثت أسيل:

"هذا الحقيير متهم ومتورط بأكثر من قصة لم أعلم بأنه بهذه الخطورة"

أنهت حديثها أسيل لتتابع شهد:

"حسناً حمداً لله أننا قدمنا هذه الشكوى وأعطينا الرسام مواصفاته، الآن سوف يبحثون عنه ويجدونه كونهم سيحلبون كل المعلومات عنه، أتمنى أن يمسكوا به في أقرب وقت"

أجابت أسيل:

"أمل ذلك"

أكملتا طريقهما حتى وصلتا إلى منازلهما، وبعدها عادا الشابين وعكسا طريقهما، أخرج أحدهما هاتفه وتحدث مع سهيل:

"سهيل يجب عليك أن تخرج من المنزل، هاتان الفتاتان قدمتا شكوى بحقك وأعطوهما مواصفاتك، يجب أن نهرب جميعنا، أخرج من المنزل لتقابل في منزل سعد"

وسع عيناه من الصدمة، لم يصدق أنهما كانتا بهذه الجرأة لكي يقدمتا شكوى عنه ولكنه خرج من المنزل بعد أن أخذ أغراضه اللازمة ليتقابلون في المنزل المهجور.

.End flash back

أفاق من شروده على صوت صديقه وقال له:

"ماذا قررت سهيلي ألن تنتقم من هذه الفتاة أم أنك استسلمت"

لم يعلم سهيل ما سر هذا الانزعاج الذي يحدث له عندما تأتي سيرة شهد على لسان أحد من أصدقائه، زفر بضيق وقال:

"حسناً سعد هذا شيء لا يخصك اهتم بنفسك فقط لا شأن لك في هذا الأمر"

ضحك سعد على حديثه ليقول:

"ما الأمر يارفيق هل تشعر بالغيرة عليها! بالمناسبة ألن نحصل على مرادنا نحن أيضاً أم ماذا"

ما إن سمع هذه الكلمات حتى هب واقفاً وتحدث بصراخ:

"اللعنة عليك قلت لكم لن يلمسها أحد غيري هي لي فقط هل تفهمون، أقسم لكم إن تجرباً أحكمم واقتررب منها سأقتله بدم بارد هل سمعتم"

لم يعجبهم رده ولكنه تحدث طارق مهدئاً إياه وقال:

"ما بك يارجل حسناً كما تشاء لن يلمسها أحد لا تقلق، أنت حدد الموعد المناسب لنساعدك في جلبها وخذها لك وسوف نفرغ لك هذا المكان اتفقنا"

هز سهيل رأسه موافقاً ليقول:

"سأحتفظها عما قريب وسأفعل بها ما أشاء فقط انتظروا"

أنهى جملته وخرج من المكان بأكمله ليبتسمون الثلاثة ابتسامة خبيث، هم طارق بالحديث وقال:

"هذا المعتوه يظن أنه سوف يتذوق الشهد بمفرده"

ابتسم سعد ابتسامة جانبية ليقول:

"لا يا عزيزي لن يحدث هذا، لن ندعها له فقط، نحن أصدقائه وعلى الأصدقاء أن يتفاسموا كل شيء أليس كذلك يا شباب"

ضحكوا الثلاثة ليهم رأفت في الحديث:

"حسناً أولاً سنتركها له ومن بعدها سننولى أمره ونستفرد بها مارأيكم"

هزوا رؤوسهم موافقين على كلامه لتصدح أصوات ضحكاتهم الخبيثة ملاً المكان.

-----

صباح اليوم التالي استيقظت أسيل وأشعة الشمس تضرب على وجهها لتتململ بانزعاج وتفتح عيونها بثقل، نهضت من فراشها ودخلت الحمام لتفعل روتينها اليومي ونزلت إلى الأسفل لترى والدها وزوجته جالسان يشربان القهوة، توجهت إليهما وألقت عليهما تحية الصباح ببرود من ثم جلست لتشرب القهوة معهما، تحدث والدها بجدية:

"أسيل صغيرتي ألا تريدين أن تذهبين إلى جامعتك"

التفت إليه أسيل لتجيبه:

"بلى أبي أريد ذلك"

هز رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً بنيتي، لا داعي لأن تجلبي أغراضك من عند والدتك سوف تذهبين اليوم أنت وخالتك أحلام وتجلبي كل ماتريدين"

ابتسمت ابتسامة مصطنعة لتقول:

"لا داعي لذلك يا أبي لإن إقامتي لن تطول عندك، أريد العودة إلى أمي"

لمعت عينان أحلام بالحماس بينما هشام زفر بهدوء مجيباً:

"صغيرتي اسمعي، طالما أن والدتك متزوجة فلا تحلمين بالعودة إليها، إلا إذا تطلقت وعادت لتعيش بمفردها عندها سأسمح لك بالعودة إليها"

نظرت له بلؤم لتقول:

"لا يحق لك أن تمنعني عنها، ثم أنني لم أشعر بالراحة هنا، كما أنت لا تسمح لي بالسكن عند زوج أمي، فأمي أيضاً لا تسمح لي بأن أسكن عند زوجة أبي"

نظرت لها أحلام بسخرية ودعت بسرّها أن يقنّع هشام بذهابها، ليقول هشام ببرود:

"طالما هذا المنزل هو لي فيحق لك السكن فيه، ومن لم يعجبه الوضع فليرحل، هذا منزلك وستكونين سعيدة بجانبني، وبالنسبة لوالدتك فكما أخبرتك لن أحرملك منها، سأخذك إليها متى شئتني"

صمّنت أسيل ليردّف هشام:

"أظن بقائك بمنزل والدك أفضل من بقائك في منزل زوج والدتك"

أجابته أسيل بلؤم وغيظ:

"هذا إن كنت أعتبرك والدي أساساً"

أنهت جملتها وهمت بالخروج لينهض هشام بعنف ويقول بغضب:

"أسيل لا تختبرين صبري، أنا لا أريد أن أريك وجهي الآخر، لقد قررت بشأنك وانتهينا، حالما تطلق والدتك من ذلك اللعين عودي إليها، غير ذلك لا"

أنهى جملته وتحرك للأعلى ليقول وهو يرحل:

"أحلام تجهزي كي تجلبي لآسيل كل ماينقصها من أجل جامعتها"

تتهتد أحلام بحدة لتتنظر لآسيل ببرود والتي كانت تناظرها ببرود مماثل لتتركها وتصعد إلى غرفتها لتتنظر لها أحلام شذراً وتهز رأسها بتوعد للتخلص منها للأبد.

-----

كانت شهد جالسة بصالة البيت تحاول مهاتفة أسيل ولكن دون جدوى فهاتفها كان مغلق طوال الوقت، لم تذهب لجامعتها في هذا اليوم كون أسيل لم تمر عليها أو تحدثها وتقول لها ماسبب غيابها، كانت قلقة عليها بشدة، قررت أن تتحدث مع سمية والدة أسيل لتطمئن عليها وتسال عنها لتمسك هاتفها وتتصل بها وتجيئها:

بينما سمية كانت جالسة في غرفة المعيشة شاردة الذهن والحزن طغى عليها من أجل فقدانها لابنتها، وسيم كان ممدد على الأريكة ولم يستيقظ بعد، سمعت سمية صوت رنين هاتفها لترى المتصل شهد وتجيئها:

"مرحباً"

تحدثت شهد:

"مرحباً عمتي كيف حالك"

أجابت سمية:

"أهلاً شهد، بخير وأنتِ كيف حالكِ عزيزتي"

لتجيئها شهد بسرعة:

"أنا بخير عمتي، كنت أود الاطمئنان على أسيل مابها؟ لما هاتفها مغلق؟ هل هي مريضة أم ماذا؟ لما لم تأتي إلي اليوم؟ أنا قلقة عليها كثيراً"

تنهدت سمية بحزن وأدمعت عيناها لتجيئها:

"أجل ابنتي إنها بخير، ولكن أتى والدها وأخذها مني عنوة، لقد قدم بلاغ ضدنا وأصبح يملك كامل الحق باستعادة أسيل إليه لذلك أتى وأخذها"

شهقت شهد بصدمة لتتحدث:

"عمتي ما الذي تقوليه أنتِ! كيف ومتى ولماذا أتى خالي إليكم ولما أخذ أسيل؟ الآن تذكر أن لديه فتاة ها"

أجابت سمية بيأس:

"أجل الآن تذكر، لم أستطع فعل شيء أبداً لقد أخذها رغماً عني"

أجابت شهد:

"ولكن عمتي أين هو عمي وسيم ألم يتدخل بالموضوع أم ماذا"

ابتسمت سمية بسخرية من بين دموعها لتقول:

"لقد أتى خالك بعدة رجال وانهالو على وسيم بالضرب، إنه طريح الفراش الآن"

شهقت شهد مرة أخرى لتتحدث بعصبية:

"اللعنة عليهم جميعاً لا تقلقي عمتي ستعود إليك بإذن الله، أنت فقط اهدئي، سأتي إليك أنا"

أجابت سمية بنفي:

"لا عزيزتي لا تأتي فقط ابق في البيت أنت ولا تخرجي الآن، ومن أجل أسيل فسوف أحاول أن أحل هذا الموضوع"

تنهدت شهد بياس لتقول:

"حسناً عمتي أتمنى أن يكون كل شيء على مايرام، انتبهي لنفسك ولعمي وسيم، وداعاً"

تحدثت سمية:

"حسناً بنيتي، وداعاً"

تنهدت سمية بحزن وبدأت دموعها بالهطول إلى أن أجهشت بالبكاء، حاولت السيطرة على نفسها من أجل زوجها، وجهت نظرها إليه لتراه مستيقظ ينظر لها بحزن وقلة حيلة، نهضت بسرعة وتوجهت إليه، حركت أناملها على وجهه لتقول:

"عزيزي هل أنت بخير ما الذي يؤلمك"

نظر لها بوهن وتحدث:

"أجل أنا بخير ولكن جسدي يؤلمني كثيراً"

عقدت حاجبها بحزن لتقول:

"حسناً لا تقلق سأعطيك الدواء الشافي، فقط يجب عليك أن تساعدني كي أنقلك إلى غرفتك"

حاول النهوض بمساعدتها ليطلق تأوه كبير بسبب ألمه، تحامل على نفسه لينهض بجسد متعب لتتوجه به سمية إلى غرفته، ما إن وصل إلى سريره حتى استلقى عليه ليجذب يد سمية إليه ويجلسها بجانبه ليقول بصوت متعب:

"حبيبتي هل أسيل بخير"

تنهدت بأسى لتقول:

"حاولت مهاتفتها ولكن هاتفها مغلق لا أعلم عنها شيء إلى الآن"

هز رأسه متنهداً بحرقة ليردف:

"لا تقلقي عزيزتي سنكون بخير وستعود إلينا فقط اهدئي"

هزت رأسها بحزن، ابتسمت له ابتسامة صغيرة ليبادلها الابتسامة ومن ثم يقبل يدها ويسحبها لتتمدد بجانبه وهو يفكر بأسيل وما الذي سوف يحدث به بعد غيابها.

-----

بينما أسيل من الجهة الأخرى فكانت تتسوق مع خالتها وأختها، تجول بين المحلات التجارية والمكتبات لشراء كل مايلزمها، قررت أنها سوف تحاول التعايش مع والدها وزوجته ولن تحكم على زوجة أبيها فوراً، ستحاول التأقلم معها مازال هذا حالها وسوف تبقى عند والدها فسوف تتحامل على نفسها وتحمل إن تعرضت لأي موقف محزن، ولكنها لن تتخلى عن والدتها أو صديقتها وستبقى لهما ف بالنهاية والدتها هي من ربّتها وتعبت على تربيّتها، انتشلها من شرودها صوت أحلام لتقول لها:

"عزيزتي هل تريدين شيئاً آخر"

أجابت أسيل:

"لا خالتي شكراً لكِ هذا كل ما أحتاجه"

صمتت لبرهة ثم أردفت:

"بالمناسبة شكراً لك لأنك رافقتني"

ابتسمت لها أحلام ابتسامة ذات مغزى لتقول:

"لا شكر على واجب حبيبتي أنتِ بمثابة ابنتي مرام، حسناً الآن سوف تذهبين معي إلى منزل أهلي وسأعرفكِ على العائلة هناك أنا متأكدة بأنكِ ستحبينهم جميعاً وهم أيضاً، أريد أن أعرّفهم على ابنة زوجي الجميلة"

هزت رأسها لتقول:

"يسعدني ذلك"

أحلام:

"حسناً إذأ سنبعث هذه الأغراض مع السائق وسنأخذ سيارة أجرة إلى هناك ومن ثم يلحق بنا السائق بعد أن يوصل الأغراض إلى المنزل"

ابتسمت لها أسيل ووافقتها الحديث ليتجهن إلى منزل أهل أحلام، ولكن ما سر هذه الزيارة؟ أسيل فتاة ذكية وهي تعلم بأن خالتها تخطط لشيء ما، وأن كل هذا الذي تفعله معها ليس إلا تمهيد لشيء ستفعله، ولكن ما هو؟ هذا ماكان يجول في خاطر أسيل، تركت نفسها للقدر لكي يمشيها على هواه ولكنها ستبقى تلك الفتاة القوية ولن تسمح لأحد بأن يضحك عليها بشيء أو أن يستغلها وستكون حذرة من خالتها هذه لأنها لم ترتاح لها، ولكنها لن تظلمها بالحكم عليها بسرعة، سترى ما الذي ستفعله وما الذي ستبديه منها هذه المرأة.

عند أسر في منزله يجلس هو ويوسف يتحدثان عن أمور العمل ومن بينها قصة ذلك الشاب سهيل، بينما تحدث يوسف وهو عاقد حاجبيه:

"لا أعلم ما الذي علينا فعله يارجل، كيف اختفى هكذا وما الذي أدراه بأننا نبحت عنه"

نظر أسر إليه بطرف عينه ليقول:

"يبدو أن الفتاتان كانتا مراقبتان لذلك علم بأننا نبحت عنه أو أنه توخى الحذر من باب الاحتياط وسيعود عما قريب"

هز يوسف رأسه للجانبين باعتراض ليقول:

"لا أظن أنه يتوخى الحذر وسوف يعود أنا متأكد بأنه يعلم بأننا نبحث عنه، ولكن كيف سنعثر عليه"

تحدث أسر بشرود:

"هذا الشاب يخطط لفعل شيء ما ولكن انتظر فسوف نمسكه عما قريب"

هز يوسف رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً والآن أنا جائع أين الغداء"

التفت أسر إليه ليقول باستنكار:

"ألم تقول لي بأنك تناولت طعامك وأتيت إلي، ماذا! هل تجوع كل نصف ساعة أنت أم ماذا"

رفع يوسف حاجبيه ليقول:

"لا لا لقد كانت وجبة سريعة ولا تفي بالغرض ثم أنني لم أشبع هيا أريد الطعام"

تنهد أسر ليقول بغیظ:

"حسناً اذهب واجلب ماريًا لتغداً سوياً هيا"

أجابه يوسف وهو ينهض من مكانه:

"حاضر حبيبي"

أنهى كلمته وفر هارباً من أمام أسر الذي كان يستشيط غضباً منه ومن كلامه المعتوه.

-----

أمر أسر الخدم بأن يجهزو الغداء ريثما يصلات يوسف وماريا، بينما ماريًا كانت جالسة في المنزل تتحدث مع الشاب الذي أحبته والذي يتضح من حديثه معها بأنه يستغلها ويحدثها من أجل جمالها ومالها فقط، غير ذلك تعجبه سذاجتها وغيابها عندما تصدقه بكل كلمة يقولها لها.

كانت ممددة على بطنها وتحرك قدمها بالهواء وتتحدث معه بأريحية كونها تعلم بعدم وجود أخاها في المنزل ومستغلة هذا الوضع، سمعت صوت إغلاق باب المنزل دالاً على وصول يوسف للمنزل لتغلق الخط فوراً

وتعتدل في جلستها وتمسك بإحدى الكتب مدعية بأنها تدرس، فتح يوسف باب غرفتها ليراها على غير عاداتها فهي كانت متوترة ووجهها أحمر وعلامات الذعر بادية عليها، لم ترفع رأسها من الكتاب وتجاهلت دخوله إلى غرفتها، عقد يوسف حاجبيه واقترب منها ليقول:

"ما الأمر ماريا لماذا وجهك أحمر هل حدث شيء"

لم ترفع نظرها له بل اكتفت بالحديث ونظرها موجه على الكتاب:

"لا لم يحدث شيء فقط كنت أذاكر"

لم يقتنع بجوابها ولكنه تجاهل الأمر، كان يريد التحدث ولكن صوت هاتفها منعه، ما إن سمعت صوت هاتفها حتى بدأ قلبها يدق بسرعة وعلامات الخوف بادية على وجهها، وجه يوسف حديثه لأخته وقد لاحظ ارتباكها ليقول:

"من المتصل؟ لماذا لاتجيبني"

تحدثت ماريا بتلعثم:

"لا أريد أن أجي أجيب ههذه صد صديقتي دعك منها"

لم يقتنع بكلامها وأصر على كلامه ليقول:

"لا هيا أجيبها وتحدثي معها هي، او أعطني الهاتف لأحدثها أنا"

حاول أن يمسك هاتف أخته ولكنها بحركة سريعة سحبه من بين يديه لينظر لها بشك ويقول:

"ماريا أعطني الهاتف"

تشبثت بهاتفها وهزت رأسها نافية وقالت:

"لا أرجوك دعك منها إنها مزعجة"

تحدث بصرامة:

"قلت لك أعطني الهاتف هيا"

لم تسمع حديثه وظلت ممسكة بهاتفها، ولكن بحركة سريعة سحبه من بين يديها ونهض لينظر لشاشة الهاتف ويرى اسم المتصل الذي كان؛ سالي؛ بينما ماريا كانت قد شعرت بأن الدنيا تدور من حولها ولكنها تماسكت، ضغط يوسف على زر الاتصال لتجيبه وتقول:

"مرحباً يا حمة لماذا لم تجيبي على الهاتف أين كنتي ها"

ما إن سمع يوسف صوت صديقتها حتى اطمئن وأعطاه الهاتف لأخته وتحدث بجديّة:

"خذي تحدثي مع صديقتك سالي"

وخرج من غرفة ماريا التي كانت تتنفس الصعداء، بينما يوسف ما إن خرج من غرفتها ونزل إلى الأسفل حتى بدأ يراوده الشك بتصرف أخته اليوم، لم تتصرف هكذا أبداً من قبل، لماذا فعلت ذلك؟ لماذا كانت متوترة؟ هل يعقل بأنها تتحدث مع أحد الشبان أم ماذا؟ أسئلة كثيرة كانت تدور في رأسه ولكنه كان خائف على أخته كثيراً، لا يعلم كيف مر بباله شريط ذكرياته وهو بأحضان النساء، هل يعقل بأن تكون ماريا في يوم من الأيام مثل تلك السناء الذي يقضي ليالي جامحة معهن؟ مجرد التفكير بهذه القصة جعلت الدماء تغلي في عروقه وعاد إلى غرفتها ليفتح الباب بسرعة ويجدها تعلق الخط، تقدم إليها ووقف بملامحه المنزعجة ليقول:

"هلاً أعطيتني تفسيراً لماذا ارتبكتي عندما دخلت لغرفتك أول مرة"

لم تعلم ماذا تقول ولكنها تصنعت اللامبالاة لتقول:

"لا شيء يا يوسف مابك هل تشك بي أم ماذا، فقط كنت متوترة من أجل امتحاناتي التي اقتربت"

رفع حاجبه ونظر إليها نظرة غاضبة ليقول:

"اها ومع من كنتي تتحدثين إذن قبل دخولي إليك؟ لقد سمعت صوتك وأنا في طريقي إليك، كنتي تتحدثين بصوتٍ عالي وتضحكين أليس كذلك"

تلعثمت وجالت في نظرها بجميع أنحاء الغرفة وتحدثت بتلعثم:

"ل لقد گ گن كنت أذاكر بص صوتٍ عالي لل لم أكن أتج أتحدث مع أحد"

نظر لها بشك ليقول:

"حسناً أعطني هاتفك إذاً"

بلعت ريقها وقالت:

"أخي ما بك ما الأمر؟ أنا ك كنت أذاكر صدقني لم أكن أتحدث إلى أحد"

نظر لها رافعاً حاجبه لتردف له:

"هل أنت جائع لقد طبخت الاسباغيتي"

نظر لها بغضب وعلم بأنها تغير مجرى الحديث ليتحدث بجمود:

"بدلي ثيابك سنذهب إلى منزل أسر و نتناول الغداء هناك، سأنتظرك بالأسفل"

هزت رأسها موافقة ليخرج من غرفتها ويتجه إلى الأسفل بغضب، بينما هي زفرت براحة بعد خروجه لتنهض وترتدي ثيابها لتتوجه مع أخيها إلى منزل أسر وهي سعيدة بكونها ستراه لأنها اشتاقت له كثيراً.

-----

في منزل أسر

يجلس هو ويوسف وماريا على مائدة الطعام والصمت هو سيد المكان، لاحظ أسر وجه يوسف المتهجم على غير عادته، كان يلقي نظرات غاضبة لماريا وقد لاحظته أسر ولكنه لا يعلم ما الأمر، حاول أسر أن يكسر الصمت ويقول:

"ماذا هناك يوسف لماذا وجهك متهجم؟ أرى أنك لا تمازح ماريا، في العادة تكونان مثل القط والفأر"

لم يرفع يوسف نظره عن طبقه، اكتفى بالقول بلا مبالاة:

"لا شيء لكنني ملتفت لطعامي أنت تعلم عندما أرى الطعام لا أرى شيئاً آخر أمامي"

أردف أسر بسخرية:

"ولكنك لم تأكل شيء من طعامك"

وجه نظره نحو ماريا ليردف:

"ما الأمر ماريا، هل تشاجرتما أم ماذا"

بلغت مافي حلقها لتتحدث بتوتر:

"مم لا لا يوجد شيء ولم نتشاجر، ههه لاتهم"

هز أسر رأسه وهو يأكل طعامه ليوجه نظره نحو يوسف الذي يكتفي بتحريك الطعام في يده ولم يأكل شيء إلى الآن، لم يريد أسر أن يضغط عليه فهو يعلم جيداً بأنه سيأتي بنفسه ويقص عليه كل شيء لذلك اكتفى بالصمت.

بعد مدة قصيرة كانوا جالسين ثلاثتهم بغرفة المعيشة بعد أن أنتهوا من طعامهم، إضافة إلى أن يوسف مازال وجهه متهجم وماريا يوحى عليها الارتباك من نظرات يوسف التي تملؤها الشك وعدم التصديق لحديثها الذي سمعه منها عندما كانا بالمنزل، قررت أن تفر هاربة من نظرات أخيها لتتحدث بتوتر:

"مم حسناً أنا سأخرج للحديقة قليلاً"

هز أسر رأسه مع ابتسامة صغيرة بينما يوسف علم أن أخته تهرب من نظراته، تنهد تنهيدة قوية وظل عاقد حاجبيه بغضب، وجه أسر نظره إلى يوسف بعد خروج ماريا ليقول له:

"ما الأمر هيا تحدث، مابك أنت وماريا هل حدث شيء"

قص عليه كل ماحدث عندما ذهب ليجلب أخته من المنزل، ظل أسر صامتاً بعد أن انتهى يوسف من حديثه، ليقول بعد صمت قصير:

"لماذا براودك الشك بأختك؟ رأيت تعدد علاقتك إلى أين أوصلك، بدأت تشك بأختك أيضاً، حاول أن تقتنع بأن ماريا ليست كالفتيات اللاتي تخرج معهن"

التقت يوسف إليه ليحدثه بغضب:

"أنا أعلم بأنها ليست مثلهن ولكنني خائف عليها لا أريدها أن تمشي بطريق الخطأ وتتحدث إلى أحد من أبناء آدم"

تحدث أسر بغضب:

"حسناً إذا كنت تشك بأختك امنعها من الخروج والجامعة والهاتف واحرص عليها واطمن"

تحدث يوسف بانفعال:

"أنا لن أمنعها من الخروج والجامعة ولن أسجنها بالمنزل، أنا لا أمانع بأن يكون لديها أصدقاء وتعيش قصة حب ولكنني لا أريدها أن تخطئ أو أن يمثل عليها أحد الحب ويكون كاذب، أنا متأكد بأنها كانت تتحدث مع أحد الشبان ولكن الذي أغضبني بأنها لم تأتي وتصارحني، علماً بأنها كانت تحدثني بكل صغيرة وكبيرة تحصل معها، وكونها لم تحدثني بشأن هذا الذي تحدثه فأنا خائف من وقوعها بالخطأ، هذا الذي أخافه"

هز أسر رأسه متفهماً ليقول:

"أعلم بأنك خائف عليها، لا تظن بأنك وحدك من تخاف عليها، لا بل أنا أيضاً أخاف عليها ولكن ماريًا فتاة كبيرة وواعية ولا تخطأ، كونها كانت تنبهك من علاقاتك المتعددة وتكره ذلك، لا أظن بأنها ستقع في الخطأ وتفعل شيئاً كهذا، لا تقلق ستكون على مايرام وهذا لا يمنع من بعض الحرص، ضعها تحت عينيك للأحتياط فقط لتريح نفسك من هذا الشك"

هز يوسف رأسه وقد اقتنع بحديث أسر واكتفى بالصمت، دخلت ماريًا عليهما لتجلس بجانب يوسف الذي لم يعطيها أية أهمية وتجاهلها كلياً، بينما أسر كان يتابع تصرفات الاثنين معاً، وجه نظره لماريًا وتحدث:

"ماريًا ما بك أنتِ ويوسف هيا أريد أن أرى عرضكما المسرحي الذي يحدث دائماً أريد أن أضحك قليلاً"

ابتسمت ابتسامة صغيرة ووجهت نظرها ليوسف الذي لم يعطي أية أهمية لكلام أسر وتحدثت:

"لا أعلم مابه، ليس من عادته أن يكون هكذا"

وجهت حديثها ليوسف وأردفت:

"ما بك أخي هل أحزنتك من دون أن أعلم"

لم ينظر إليها وقال:

"لا"

اكتفى بهذه الكلمة، لتتنهد ماريًا بيأس، بينما أسر كان ينظر ليوسف بمجرد أن بادلته يوسف نظره حتى غمز له ليفهم عليه فوراً، تنهد يوسف بقوة ونظر لأخته وقال:

"أيتها القردة لم أشبعك من مزاحي الثقيل اليوم"

ما إن سمعت هذا الحديث حتى التفتت إليه بابتسامتها الواسعة لتقول:

"أعلم بأنك ثقيل الدم لذلك هيا أرني ما لديك"

ضحك أسر عليهما وهو يشاهد يوسف كيف يلحق بأخته التي كانت تهرب منه وهما يضحكان.

انتهت جلستهم ليذهب يوسف وماريا ويبقى أسر في منزله شارد الذهن يفكر ويفكر إلى أن ارتسمت في خياله صورة أسيل، ابتسم ابتسامة صغيرة عندما تذكرها ولكنه تهجم وجهه بعدها ونفض رأسه لكي يخرجها من عقله وخياله، اتجه إلى غرفته ليبدل ثيابه وينعم بالنوم الهادئ بعد تفكير دام طويلاً.

-----

في منزل يظهر عليه الفخامة والثراء، تجتمع عائلة أحلام كبار وصغار، شبان وفتيات، ونساء ورجال، تدخل أحلام من باب المنزل الكبير لينتبه الجميع لها ويحيونها هي وابنتها، تجلس أسيل بجانب خالتها بعد أن ألفت التحية على الجميع والأنظار موجهة حولها، وأكثرها نظرات رغبة لانبهارهم بجمال تلك الفتاة الجميلة، بينما وجه والد أحلام نظره لأسيل وتحدث:

"من تكون تلك الفتاة يا ابنتي"

ابتسمت أحلام لتتظر نظرة خاطفة لأسيل وتقول:

"هذه أسيل ابنة زوجي هشام يا أبي"

همهم والدها وهز رأسه متفهماً، لابتسم بوجه أسيل التي بادلتها الابتسامة فوراً ليتحدث بود:

"أهلاً بك يا ابنتي في منزلنا، حماك الله يا ابنتي"

ابتسمت أسيل وتحدثت:

"أهلاً بك يا جدي، أطال الله لنا بعمرك"

ابتسم الجد وتحدث بإعجاب واضح لأسيل:

"ماشاء الله يا أحلام ابنة زوجك فتاة جيدة ومهذبة، لما لم تعرفينا عليها من قبل؟ يا لك من محتالة"

ابتسمت أحلام باصطناع لتجيب والدها:

"أبي لم أكن أعرفها لقد أنت من جديد إلينا لتسكن معنا، وها أنا جلبتها لكي أعرفها على العائلة كلها ما رأيك"

هز رأسه بابتسامة ليوجه حديثه إلى أسيل ويقول:

"إذاً يا أسيل كم عمرك، وفي أي مجال متخصصة، تحدثي يا ابنتي"

أجابت أسيل:

"عمري تسعة عشر عاماً ومتخصصة في مجال التصميم والرسم في سنتي الثانية"

هز رأسه بإعجاب ليقول:

"ما شاء الله"

ابتسمت له ابتسامة صغيرة تعبيراً عن شكرها لمدحه لها، بينما التفتت إليها أخت أحلام لتقول لها بتعالي وتكبر:

"إذاً لماذا تركتي والدتك وجئتي إلى أبيك يا حلوة، هل والدتك تخلت عنك أم ماذا"

أنهت جملتها بسخرية ليتهم وجه أسيل وتحدث بلؤم:

"لا ياخالتي والدتي لم تطردني فهي لا تتخلى عني ولكن والدي هو من قرر أن أعيش عنده"

ابتسمت أخت أحلام التي تدعى سوزان لتقول بنبرة سخرية:

"أها طبعاً هذا واضح، والآن قل لي هل والدتك تزوجت أم أنها مازالت على حالها"

تحدثت أسيل بضيق:

"أجل لقد تزوجت وهي سعيدة مع زوجها، ويتهبى لي يا خالة بأنه لا شأن لك بحال أمي لتسألني عنها"

تهجم وجه سوزان وجاءت لتتحدث ولكن قاطعها والدها بقوله:

"سوزان يكفي"

لوت سوزان شفيتها بامتعاظ، لتتنظر لها أسيل نظرة جانبية تعبر عن مدى سخطها منها وتشيح بوجهها عنها، بينما كانت المدعوة سهام زوجة أخيها لأحلام تنظر إلى أسيل بغرور وتكبر لتوجه حديثها لها وتقول:

"إذاً هذه هي ابنة هشام العمري التي جائت لتكون فرداً من أفراد العائلة"

تحدثت أسيل ببرود:

"نعم هذه هي يا خالة، لا أنفع أم ماذا"

جاءت سهام لتتحدث وتقول:

"لا يا عز..."

كانت ستكمل جملتها ولكن أسيل قاطعتها بابتسامة مستفزة وقالت:

"لا والله لن تقولي شيء، ههه أعلم أعلم أنني جميلة وظريفة ولا يوجد مني اثنتان، ولكن لاتمدحي بي لأنني أخلج"

زفرت سهام بضيق لتقول:

"وأنتِ متخصصة في مجال الرسم أيتها الصغيرة"

تحدثت أسيل بتعالي وتكبر مصطنع:

"نعم أنا فنانة بعيداً عنك، هل رأيتي إذاً وأنتِ يا جدتي بماذا متخصصة"

ما إن سمعت سهام كلمة جدتي حتى جن جنونها لتقول بصراخ:

"جدة من أيتها الخرقاء أنت"

ابتسمت أسيل ابتسامة مستفزة لتنفعل سهام وتقول:

"أنا سأمشي"

انهت كلمتها ونهضت لترحل بسرعة كبيرة وهي منغاضبة من أسيل لدرجة الجنون، بينما كان جميع الحاضرين يكتمون ضحكاتهم وما إن خرجت سهام حتى انفجروا ضاحكين، تحدث رامي وهو ابن سوزان في أوائل العشرين من عمره وسط ضحكاته ليقول:

"فعلاً أنت لا يوجد منك اثنتان، أنت خطيرة"

ابتسمت أسيل ابتسامة مصطنعة ولم تعلق على كلامه بينما كانت هناك عينان تتابع أسيل من أول ما دخلت من باب المنزل، كان هذا الشاب بارد وحاد الطباع يدعى ساهر، ظل يتابعها بعيناه، انتبهت أسيل إلى نظراته ولكنها أشاحت بنظرها عنه، بينما الجميع كان يتحدث مع الآخر ومشغولين بالأحاديث المختلفة، وجهت أسيل نظرها نحوه لتنتبه وهي تراه يغمز لها، لم تعطيه أي أهمية ولم تطمئن له ولنظراته الجريئة، ولكنها تجاهلته كلياً وهذا ما زاد غيظ ساهر وغضبه، نهض بغضب وخرج متجهاً إلى الحديقة، لماذا غضب؟ لماذا انفعلي؟ ببساطة لأنه زير النساء ولم يكن لأي فتاة أن تجاهلت نظراته وحديثه، لذلك لفتت نظره هذه الصغيرة، دخلت عقله وأعجبه ويريد أن يصل لها، يريد بها أي ثمن ولكن كيف؟ حسناً هو قرر بأنه سيكثر زيارته لبيت عمته فهو يكون ابن أخيها لأحلام، شاب طويل القامة، ملامحه غاضبة، وسيم بشخصيته مغرور متكبر خطير وينفذ الذي برأسه.

بينما أسيل كانت قد شغلت هاتفها ليأتيها اتصال من صديقتها شهد، نهضت بسرعة للخارج لتتحدث مع صديقتها بينما نظرات الشبان كانت تتابعها وتتابع حركتها وكذلك ما إن خرجت حتى رآها ساهر ووجه كل تركيزه نحوها، أجابت أسيل على هاتفها بسرعة لتقول:

"شهد حبيبتي اشتقت لكِ يا حمقاء"

تحدثت شهد بغضب ممزوج بالبكاء:

"أيتها الحمقاء، لماذا هاتفك مغلق؟ ولماذا ذهبت مع أبيك هيا قولي لي، هل لن أعد أراك؟ هل سيمنعك من الخروج؟ ماذا هيا قولي لي تحدثني أسيل اللعنة عليك"

ضحكت أسيل على سرعة صديقتها في الحديث وقلقتها المزوج مع غضبها وبكائها لتقول لها مهدئة:

"مابك يافتاة اهدئي قليلاً، أنا بخير وأنا الآن عند والدي وهذا الأمر فرض علي، سوف أعود للجامعة غداً وسأكمل باقي الأيام كعادتي لاتقلقي حلوتي"

زفرت شهد بارتياح لأنها اطمئنت على صديقتها وابنة خالها لتقول:

"حسناً المهم أنك بخير، تعالي غداً إلى الجامعة لأنني اشتقت لكِ يا حمقاء"

ضحكت أسيل ضحكة رنانة لتقول لها:

"حسناً جميلتي سأتي ولكنني سأمر عليك لكي نذهب سوياً حسناً، والآن أريد أن أغلق الخط لا أستطيع التحدث كثيراً، إلى اللقاء"

تعجبت شهد من حال أسيل ولكنها لم تناقشها لتجيبها:

"إلى اللقاء"

ما إن استدارت أسيل لكي تدخل حتى رآته في وجهها ينظر لها وابتسامة خبيثة ترسم على شفثيه ليقول:

"إلى أين ذاهبة يا حلوة؟ ومع من كنتي تتحدثين؟ هل كان حبيب القلب"

غضبت أسيل من وقاحتها جداً ولكنها لم تبالي له ولم تجيبه حتى، لتحاول التقدم والدخول ولكن يده منعتها من التحرك، تحدث معها من بين أسنانه بغضب:

"عندما أكلمك لاتفكري مجرد تفكير بأن تتجاهليني وتمشي"

لم تستطع أن تتحمل هذه الوقاحة منه لتتحدث بعصبية:

"وما شأنك أنت أيها الوقح! ابتعد عن طريقي وإلا لن ترى الخير هل فهمت"

ابتسم بسخرية ليقول ممثلاً الخوف:

"أوووه صراحة لقد أخفنتي، انظري كيف أرتعش يا أسيل"

شدد على حروف اسمها لتتنظر له نظرة اشمنزاز، لاحظ ساهر هذه النظرة ليتحدث بتوعد:

"سأدعك الآن ولكن لن تفلتين من يدي هل فهمتي، هيا اذهبي"

كانت غاضبة منه بشدة على وقاحتها وطريقة حديثه معها وكأنه يعرفها منذ زمن بعيد، لم تتحرك من مكانها ظلت تنظر إليه باشمنزاز، لتقول بعد وقت قصير من وقوفها:

"وقح"

أنهت كلمتها ودخلت فوراً إلى المنزل بينما هو كان يتلبس به غضب الدنيا، لم يتجرأ أحد على الوقوف بوجهه أو التحدث إليه بهذه الطريقة، ولكن هذه الفتاة تجرأت، أصر على تمسكه بها أكثر وأكثر وقرر بأنه لن يتركها وشأنها، ولكن هل سيستطيع فعل شيء لها؟ هل سيكون لديه الوقت الكافي قبل أن تختفي من حياته أم ماذا؟ زفر

بضيق ودخل ورائها ليجلس بمكانه وعيونه تتابعها بكل حركة منها بينما هي لم ترف لها عين من دخوله وجلوسه ونظراته الموجهة لها، كذلك جميع من في المنزل كان ينظر لها، منهم من ينظر لها برغبة، ومنهم من ينظر بغيره واضحة، ومنهم من ينظر بحقد، ومنهم من ينظر بود، لم تبالي لأحد ولا لنظرات أحد فقط اكتفت بالصمت والنظر إلى اللاشيء.

بعد وقت ليس بطويل انتهت زيارتها لتعود أدرجها مع خالتها وأختها إلى منزل أبيها بعد أن ودعت الجميع برسمية، ولكن ساهر ظل يفكر بها ويفكر إلى أن كاد يجن من حديثها معه وتجاهلها له، ليهز رأسه بتوعد لها بأنه لن يتركها وشأنها وسيحوم حولها لكي يحصل على مراده.

-----

في المنزل الشبه مهجور، يجلس سهيل لوحده وهو ثمل يهذي بكلمات منها مفهومة ومنها غير مفهومة، كان كل مايفكر به هو شهد، لم يكتفي من الشرب بل ظل يشرب إلى فوق الحد وهو يهذي ويضحك، بينما أصدقائه الثلاثة كانوا يجلسون في الخارج يراقبون حركاته ويسمعون حديثه الذي يتحدث مع نفسه ليسمعوه وهو يقول:

"شهد، أنا أحب شهد أريدها لي فقط، هي لي أنا ليست لأحداً غيري"

تحدث وهو لا يعلم ما الذي يقوله ليردف:

"يا إلهي ما الذي أفعله لقد اشتقت لها، لماذا زرعت الحقد بقلبي تجاهها أنا أريدها، لا أريد أحداً غيرها، لماذا فعلت بي هكذا، سوف أنتقم منها لأنني أحبها أجل"

ابتسموا أصدقائه وهم يسمعون حديثه عن شهد لينظروا لبعضهم نظرة ذات مغزى ويقول طارق:

"أنظروا إلى العاشق الولهان يا إلهي كم أنه أحمق"

هز سعد رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً يارفاق أنتم تعلمون بأنه اقترب موعد جلبها إلى هنا، وكل منكم يعرف دوره تماماً أليس كذلك"

أجاب رأفت موافقاً ليقول:

"أجل أجل نعلم حالما تصل إلى هنا سنتركها له قليلاً ومن بعدها نأخذها ونهرب وسنختبأ في منزل الغابة الذي أملكه، سهيل لا يعلم به أبداً"

ابتسم طارق وسعد بشر ليهزوا رؤوسهم موافقين على حديث صديقهم وهم يتوعدون بالغدر والخيانة والقذارة لصديقهم ومحبيبته.

---

في الصباح التالي

ذهبت أسيل برفقة السائق باتجاه منزل صديقتها لتأخذها معها، توجهت شهد إلى السيارة حالما رأت صديقتها لتصعد وتلقي عليها التحية وتحتضنها، كانت شهد تريد الاستفسار والأسئلة ولكن أسيل منعتها ريثما تصلان إلى الجامعة، بعد وقت قصير وصلت الفتاتان لتهبطان من السيارة وتدخلان الجامعة، وهنا بدأت شهد بالحديث:

"أسيل أنا أريد تقرير كامل عن الذي حدث معك من وقت ما أخذك أبائك إلى الآن هيا هيا تحدثي"

تنهدت أسيل بقوة وقصت عليها كل الأحداث التي حدثت معها وشهد كانت تستمع إليها بتركيز، بعد انتهاء أسيل من حديثها تحدثت شهد:

"حسب ماقلتي عن تصرفات زوجة والدك أنا لم أرتاح لها، يوجد ورائها شيء، انتبهى منها جيداً يا أسيل لا تعلمين ما الذي سيكون ورائها وإذا احتجتي مساعدة أنا في الخدمة"

هزت أسيل رأسها وابتسمت لتقول:

"اشتقت لك يا حمقاء"

عقدت شهد حاجبها وتحدثت بغضب مصطنع:

"لست حمقاء، وأنا اشتقت لك بمقدار أكبر يا بلهاء"

ضحكت أسيل على كلام شهد ومشيت الفتاتان للمحاضرة، وبعد وقت طويل خرجت أسيل وشهد من الجامعة لتلتقيان بالسائق، صعدتا بالسيارة ووجهت حديثها أسيل للسائق:

"خذني إلى منزل أمي"

تحدث السائق برسمية:

"عفوآ أنستي ولكن الاستاذ هشام أمرني بأن أخذك وأرجعك من جامعتك فقط"

أمسكت أسيل بهاتفها لتتصل بوالدها ومن بعدها يرد عليها بـ:

"مرحباً عزيزتي"

تحدثت أسيل بانزعاج:

"أبي كيف حالك"

رد والدها:

"بخير وأنت كيف حالك، أين أنت"

ردت أسيل:

"أنا بخير، أبي أريد الذهاب إلى أمي أمرت السائق بأن يأخذني إليها ولكنه رفض أريد أن أراها"

تحدث هشام:

"عزيزتي عودي الآن وأنا عما قريب سأخذك إليها لا تقلقي"

انزعجت أسيل من رفض والدها ولكنها لا تريد النقاش لتتحدث:

"حسناً أبي سأتي فوراً إلى المنزل"

ابتسم هشام وتحدث:

"حسناً عزيزتي بانتظارك"

أغلقت الهاتف وتحدثت:

"أوصل شهد أولاً ومن ثم سنذهب إلى المنزل"

انطلق السائق باتجاه منزل شهد ليصلوا بعد وقت قصير، نزلت شهد من السيارة بعد أن ودعت صديقتها وقبل أن تدخل إلى المنزل رأت من لم تتوقع رؤيته، إنه سهيل ما إن رآها هو حتى توجه إليها مسرعاً ليقول ببرود:

"كيف حالك يا شهد"

انزعجت كثيراً منه وكانت خائفة بعض الشيء ولكنها تحدثت بهدوء:

"ماذا تريد ولماذا أتيت، ظننت أنني ارتحت منك لماذا عدت"

ابتسم سهيل ابتسامته المستقرة ليتحدث بمكر:

"لا لن ترتاحي مني فأنا وعدتك بأنني سأظل أطاردك أينما ذهبت، حسناً اشتقت لك ألم تشتاقي لي"

تحدثت شهد بغضب:

"لا لم أشتاق لك ولن أشتاق ابتعد عن طريقي هل تسمعي لا أريد المشاكل"

ضحك سهيل على حديثها ليقول بهدوء:

"حسناً يا شهد أعدك بأنك لن تريني الآن في الوقت الحالي ولكن بعد وقت قصير ستريني كثيراً، انتبهي لنفسك جيداً لن أتركك وشأنك وهذا وعدٌ مني، بالمناسبة أريد أن أحييك على جرأتك كونك ذهبت إلى القسم وقدمتي شكوى بحقي أنت وصديقتك ولكن لا بأس، سترين مالا يرضيك ولكن الصبر جميل، سلام ياحلوة"

أنهى حديثه واتجه بعيداً عن شهد، بينما شهد كانت قد ظننت بأنه ألقى القبض عليه كونها لم تره منذ عدة أيام ولكنها الآن خائفة منه وبشدة، كيف علم بأنها قدمت شكوى بحقه؟ وماذا يقصد في حديثه عندما قال لها بأنه لن يتركها وستراه عما قريب؟ لم تطمئن له أبداً وكانت تدعو من قلبها بأن يلقوا القبض عليه قريباً قبل أن يحاول أديتها لإنها خائفة منه حقاً، هو ليس من النوع السهل وهي تعرفه جيداً كونه لم يتركها وشأنها إلى حد الآن، ولكنها دعت لربها بأن لاتراه مجدداً وترتاح منه.

أما عند أسيل فحالما نزلت من السيارة توجهت إلى المنزل ودخلت لترى والدها وزوجته وأخوتها جالسين بانتظارها، دخلت عليهم وألقت التحية وجلست، ابتسم والدها لها وتحدث:

"عزيزتي هيا اصعدي وبدلي ملابسك لنتناول الغداء معاً"

هزت رأسها لتصعد إلى غرفتها وتقوم بتبديل ملابسها، اتجهت إلى الأسفل ورأت الجميع مجتمع على مائدة الطعام لتشاركهم وتتناول طعامها بهدوء، بعد انتهائهم من وجبة الغداء توجه الجميع إلى الصالة ليجلسون معاً عدا هشام الذي انسحب وصعد إلى مكتبه لإنهاء بعض الأوراق، بينما أحلام كانت تريد أن تتحدث مع أسيل وتستجوبها ولكن وجود أولادها كان يعيق الأمر، وجهت حديثها إلى أولادها:

"هيا يا أولاد إلى الدراسة"

تأفأف كل من مرام وغيث وتحدثت مرام بانزعاج:

"أمي بعد قليل ندرس، نريد الآن أن نجلس مع أسيل قليلاً"

ابتسمت أسيل بينما أحلام نظرت لمرام نظرة حارقة لتفهم على والدتها وتصعد بتأفأف متوجهة إلى غرفتها هي وغيث، ابتسمت أحلام ابتسامة مصطنعة ووجهت حديثها لأسيل:

"حسناً أسيل، حدثيني عنك"

التفتت أسيل إلى أحلام وتحدثت:

"لا يوجد شيء أحدثك به، تعلمين كل شيء ياخالتي"

تحدثت أحلام:

"أقصد ألا يوجد لديك حبيب أو ماشابه، ألستي في علاقة حب مثلاً أم ماذا"

ابتسمت أسيل وقالت:

"لا ياخالتي ليس لدي حبيب ولم أجرب الحب إلى الآن"

همهمت أحلام ببرود وتحدثت:

"حسناً إذأ، هل كان يوجد علاقة حب بين والدتك وزوجها وسيم"

انزعجت أسيل من هذا السؤال ولكنها أجابت بهدوء:

"لا ياخالتي لم يكن هناك علاقة حب بينهما ولكن عمي وسيم كان معجب بوالدتي وتقدم لخطبتها وبدأت علاقة حبهما بعد الزواج"

تحدثت أحلام:

"مممم رائع، ولكن هناك سؤال يشغل بالي، لماذا والدتك قررت الزواج بعد كل هذه السنين"

تأفأفت أسيل وانزعجت كثيراً لتتحدث بملل:

"لا أعلم بإمكانك أن تسألنيها، عن إذنك ياخالتي لدي واجبات وتصاميم أريد إنهاءها"

أنهت جملتها وصعدت إلى غرفتها فوراً دون نقاش طويل، تنهدت أحلام بغل واضح لتحدث نفسها (حسناً يا أسيل سيمر عدة أيام قليلة وسترين مني الجحيم بعدها، فقط انتظري)

ابتسمت بشر لتتوجه إلى غرفتها وتحدث مع مالك وتتفق معه على كل شيء ليجيبها بـ:

"أهلاً بالسيدة أحلام"

تحدثت أحلام ببرود:

"أهلاً بك، حسناً ما الأخبار هل مازلنا على اتفاقنا"

تحدث مالك:

"بالطبع نحن على اتفاقنا، انتظري عدة أيام ريثما أدبر لهشام سفرة إلى الإمارات ومن بعدها آتيك بالشاب إلى منزلك"

تحدثت أحلام:

"حسناً وهل هذا الشاب مضمون؟ سيأخذ أسيل من وجهي متأكد أنت"

تحدث مالك:

"أجل أجل مضمون ولكنني أرغب بتزويجها له، لقد عرض علي أن يتزوجها وأنا سأوافق على عرضه، هو يعيش في منزل كبير جداً مع والدته ولكنه بغير بلدة وبعيد قليلاً من هنا ما رأيك"

تحدثت أحلام:

"حسناً حسناً المهم عندي بأن يأخذها من وجهي، ولكن كيف سنزوجها له؟ أنا متأكد بأنها سترفض، وماذا سنقول لهشام عندما يعود"

ابتسم وأجاب:

"دعي هذا الأمر لي، عندما يسافر هشام سأتي إليك وسأتولى جميع الأمور لا تقلقي"

هزت أحلام رأسها موافقة لتقول:  
"حسناً والآن سأغلق الهاتف، إلى اللقاء"

تحدث مالك:  
"إلى اللقاء"

ابتسمت أحلام بشر، أخيراً ستتخلص من أسيل وستضمن بأن هشام لن يعود إلى سمية وستعود لحياتها الطبيعية مع زوجها وأولادها مرة أخرى.

-----

بينما عند أسيل في غرفتها، قررت أن تهاتف والدتها لتطمئن عليها وعلى زوجها لأنها لم تستطيع من وقت مجيئها لمنزل والدها، أمسكت هاتفها وطلبت رقم والدتها لتجيب عليها سمية بلهفة:

"أسيل حبيبتي كيف حالكِ اشتقت لكِ"

ابتسمت أسيل وأدمعت عيناها عندما سمعت صوت والدتها لتجيبها بسرعة:  
"أمي أنا بخير، اشتقت لكِ أيضاً، كيف حالكِ أنتِ وعمي وسيم هل أنتما بخير"

بدأت سمية بالبكاء عندما سمعت صوت ابنتها لتتحدث ببكاء:  
"أجل نحن بخير حبيبتي، أنتِ قولي لي هل زوجة والدكِ تعذبكِ أو تهينكِ تحدثي"

ابتسمت أسيل وقالت:  
"لا يا أمي إنها امرأة طيبة على ما يبدو لم أرى منها إلى الآن أي مهانة أو شيء سيء"

تحدثت سمية:  
"حسناً أرحنتني، إذاً هل تذهبين إلى جامعتكِ أم ماذا"

أجابتها أسيل:

"أجل أذهب، كنت أريد اليوم زيارتك ولكن أبي قال لي بأنه سيأخذني هو بنفسه عما قريب"

أجابتها سمية بلا مبالاة:

"حسناً عزيزتي ولكن لا تتأخري علي اشتقت لك أريد أن أراك"

ابتسمت أسيل وتحدثت:

"وأنا أيضاً أمتي اشتقت لك كثيراً وأيضاً اشتقت إلى عمي وسيم"

ابتسمت سمية وقالت:

"نعم وهو أيضاً مشتاق إليك"

في هذه اللحظة دخل وسيم ليسألها مع من تتحدث وتجيبه بأنها تتحدث مع أسيل، ما إن سمع اسمها حتى بدأ قلبه ينبض بعنف ويرقص من الفرح ليأخذ منها الهاتف بسرعة ويتحدث بلهفة:

"أسيل صغيرتي كيف حالك اشتقت لك"

ابتسمت أسيل لتجيبه:

"وأنا أيضاً اشتقت لك كثيراً عمي، كيف هو وضعك وكيف أصبحت أخبرني"

ابتسم وسيم من اطمئنانها عليه ليتحدث:

"الآن أصبحت بخير عزيزتي أنا قلق عليك جداً هل أنت بخير تحدثي"

أجابته أسيل:

"أجل عمي أنا بخير، إن شاء الله سأزورك عما قريب"

ابتسم وسيم وتحدث:

"حسناً عزيزتي سأنتظرك بفارغ الصبر"

ظلاً يتحدثان لوقت قصير ومن بعدها أغلقا الخط، بينما سمية تعجبت من لهفته واهتمامه وحديثه مع أسيل ولكنها حلت الأمر بأنه يعتبرها ابنته وهو خائف عليها لا أكثر، تجاهلت الأمر ولم تتحدث، بينما هو كان سعيد جداً لسماع صوت أسيل وكاد قلبه يرقص فرحاً لأنه حدثها وأطمئن عليها.

أما عند أسيل فقد اتجهت إلى دراستها وتصاميمها التي لا تنتهي لتبدأ بالرسم وانهاى جميع مالدورها، وبعد وقت طويل من العمل قررت أن تأخذ قيلولة صغيرة لتتجه إلى سريرها وتنعن بنوم هادئ دون التفكير بشيء.

-----  
عند أسر في مكتبه

بينما كان يواصل عمله ويفكر بحل القضية التي بين يديه، سمع صوت طرقات خفيفة على بابه ليأذن للطارق بالدخول، دخل العسكري إليه ليقوم بإلقاء التحية ويتحدث برسمية:

"سيدي لقد وصلتنا أخبار عن سهيل رافع"

ترك أسر الأوراق التي بين يديه ليبث تركيزه على حديث العسكري الذي أمامه ويتحدث بهدوء:

"ماذا هناك"

تحدث العسكري:

"سيدي لقد وصلنا معلومات بأن ذاك المدعو سهيل تردد إلى فتاة ووقف بطريقها وتحدث معها، هذا مقالته أحد رجالنا الذي كان يراقب الشارع الذي تمكث فيه تلك الفتاة، ولكنه لم يستطع إلقاء القبض عليه لوحده، استدعى دورية ليقوموا بالقبض عليه ولكنه ذهب فوراً قبل أن تصل الدورية، حاول اللحاق به ولكنه أضاعه وضل طريقه ولم يجد له أثر، هذا كل ماوصلنا"

ما إن سمع أسر هذه الكلمات حتى تحدث بغضب هادر:

"اللجنة عليك وعليهم جميعاً، كيف له هذا الأحمق أن يضلله، نحن نبحت عنه منذ مدة وأنت تقول لي بأنه ضلله، اذهب من وجهي وابعث لي ذلك السافل الذي كان يراقبه"

أنهى أسر جملته بصراخ وغضب لينسحب العسكري من أمامه بسرعة البرق، متحاشي غضبه تماماً، أما أسر فكان غضب الدنيا فيه، يلعن رجاله آلاف المرات على حماقتهم.

بعد وقت قصير دلف العسكري وابتلع ريقه بتوتر بالغ وألقى التحية عليه ليتحدث:

"لقد طلبتني سيدي"

نظر إليه أسر بغضب ليصرخ بوجهه:

"أيها الأحمق كيف تضلله هكذا؟ ألم أقل لكم حالما ترونه تلقون القبض عليه ولو كلفكم هذا الشيء أرواحكم ها أجنبي"

توتر العسكري وتحدث بارتباك ليقول:

"أقسم لك ياسيدي بأنني حاولت اللحاق به ولكنه فجأة اختفى عن ناظري لا أعلم كيف، أرجوك سامحني"

تحدث أسر بصراخ:

"أنا لا أسامح أحد أيها اللعين"

جلس على الكرسي وهو يحاول أن يهدأ من نفسه وأن يمسك أعصابه ليزفر بضيق ويتحدث بغضب ونبرة تحذيرية:

"استمع إلي أيها الأحمق، إن أعدت الكرة مرة أخرى ولم تأتي به إلي في المرة القادمة سأخذ روحك بيدي هل تفهم، أريد أن أعلم كل شيء عن تلك الفتاة التي تحدث معها وما العلاقة التي تربطه بها، انصرف من وجهي"

هز العسكري رأسه وألقى التحية وجاء ليخرج ولكن صوت أسر منعه ليتحدث:

"انتظر، أريدك أن تأتي بالفتاة إلي الآن، هيا اذهب"

تحدث العسكري بإيجاب:

"أمرك سيدي"

تنهد أسر بحنق وهو يمرر يده على خصلات شعره، ليرخي برأسه على الكرسي ويغمض عيناه بقوة.

-----

بينما عند شهد في منزلها

كانت جالسة بصالة المنزل بمفردها، والداها لم يكونا بالمنزل، ذهبا إلى بيت جدتها وقد طلبا منها المجيء معهما ولكنها رفضت وقررت الجلوس بمفردها بالمنزل، بينما كانت تقلب في القنوات الفضائية لتسمع جرس المنزل يقرع لتنهض بتكاسل باتجاه الباب وتفتحه لتتفاجئ بوجود شابان يرتديان الزي العسكري ويقفان أمامها لتعقد حاجبيها وتحدث باستغراب:

"أي خدمة سيدي"

تحدث العسكري بجدية:

"أنستي يجب أن تأتي معنا للفرع"

حفظت عيناها بصدمة وتحدثت بشيء من الخوف:

"فرع! ولماذا أذهب إلى الفرع أنا لم أفعل شيئاً ماذا يحدث أرجوك سيدي أجبني"

تحدث العسكري:

"لا تقلقي أنستي سنذهبين معنا وسنقوم باستجوابك على عدة أسئلة ومن بعدها تعودين، هيا تفضلي معنا"

تحدثت شهد بدموع:

"لا لن أذهب معكما والداي ليسا بالمنزل انتظرا ريثما يعودان وتحدثان إليهما"

لم يستطع العسكري أن ينتظر أكثر ليتحدث بجدية ممزوجة مع شيء من الحدة:

"أنستي أرجوك هيا تعالي معنا وإلا سنضطر لاعتقالك ونجبرك على الذهاب معنا"

بدأت شهد بالبكاء، هي بعمرها لم تذهب إلى الفرع سوى مرة واحدة وكانت مع صديقتها، ولكن الآن يختلف الأمر فهي لاتعلم ما فعلته، تحدثت ببكاء:

"حسناً ساتي معكم ولكن لا تأذوني اتفقنا"

حمم العسكري بجدية ليقول:

"نحن عساكر ولسنا قطاع طرق يا أنسة هيا تفضلي"

تحدثت ببيكاء:

"حسناً سأبدل ملابسي انتظراني من فضلكما"

همهم العسكري ليقول بنبرة امرأة:

"حسناً لا تتأخري"

هزت رأسها بإيجاب واتجهت سريعاً نحو غرفتها لتبديل ملابسها والأفكار تضرب في رأسها، ما الذي يريدونه منها؟ ولماذا هي بالتحديد؟ هل وصلهم شكوى بحقها؟ هل سهيل هو من افتعل لها المشاكل ليطلبوها أم ماذا؟ ولكن سهيل لن يستطيع أن يقترب ناحية الفرع لأنه مطلوب.

ظلت الأفكار تأكل رأسها، بعد عدة دقائق أنتهت من تجهيز نفسها لتخرج وتتوجه نحو العساكر بالخارج وتصعد معهم ليتوجهون بها إلى أسر.

بعد وقت ليس بطويل وصلوا إلى الفرع لتهبط شهد من السيارة وتلحق بالعسكري الذي أمرها بأن تتبعه، لتصل إلى مكتب أسر وقد حدثت نفسها (أليس هذا المكان ذاته الذي قدمنا الشكوى به)

تنهدت بثقل لتسمع صوت العسكري يأذن لها بالدخول وضربات قلبها تكاد تجزم بأنها مسموعة لجميع من في المكان، أخذت نفس عميق ودخلت بارتباك وتوتر بالغ، لتسمع صوت أسر الرجولي:

"أهلاً يا أنسة تفضلي اجلسي"

رفعت شهد نظرها له لتراه وتتعرف عليه فوراً، هو ذاته الذي قدمنا عنده الشكوى، ارتبكت من نظراته التي تتفحصها وكأنه يحاول أن يتذكر أين رآها، تنهد بقوة ليحدثها بقوله:

"ما اسمك يا أنسة"

تحدثت بإيجاب وتوتر:

"اسمي شهد عبد الله"

ما إن سمع اسمها حتى عقد حاجبيه وحدث نفسه بأنه سمع باسمها من قبل، ليتذكرها فوراً، أجل هي صاحبة الشكوى، فوراً تذكر أسيل أيضاً ليتحدث بجدية:

"ممم حسناً أنسة شهد، أظن بأنك قمتي بزيارتنا من قبل أليس كذلك"

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

"أجل سيدي، عندها جنّت أنا وصديقتي لنقدم شكوى على ذلك الشاب"

همهم بتفهم ليقول:

"حسناً، وصلتنا أخبار بأن ذاك المدعو سهيل تعرض لك وحدثك في شارع منزلك، أليس كذلك"

انصدمت من سؤاله واعتقدت بأنهم ألقوا القبض عليه لتتحدث بسرعة:

"أجل سيدي لقد وقف بطريقي اليوم"

تحدثت بأسر:

"ممم وما الذي قاله لك"

تحدثت شهيد:

"لقد حدثناك من قبل عنه وقلنا لك لماذا يطارنا أنا وصديقتي، ولكن سيدي هذه المرة أتى إلي وهددني وقال لي بأنني سأرى مالا يعجبني منه عما قريب، هذه ثالث مرة يهددني"

أنهت جملتها وأسر كان يستمع إليها بانتباه ليهز رأسه ويقول لها:

"حسناً أنسة شهيد، هل تعلمين أين يقيم ياترى"

تحدثت شهيد بنفي:

"لا سيدي لا أعلم عنه شيء سوى اسمه ونسبه فقط"

حركت رأسها بإيجاب ليقول:

"حسناً، نحن نعتذر لك جداً على مجيئك إلى هنا، ولكن أرجوك إذا حدث وعلمتي عنه شيء لا تترددي بإخباري رجاءً"

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

"بالطبع سيدي والآن عن إذنك"

تحدث أسر:

"سعيدونك العساكر تفضلي"

حركت رأسها بإيجاب لتخرج من مكتبه عائدة إلى منزلها برفقة العساكر، بينما أسر شرد قليلاً بقصة هذه الفتاة هي وصديقتها، ليتنهد بتعب ويغمض عينيه تاركاً لتفكيره أن يوصله إلى تلك الحساء التي تخطر على باله كثيراً.

بعد مرور يومان

قرر هشام بأن يأخذ أسيل إلى منزل والدتها لزيارتها، فرحت أسيل كثيراً لأنها وأخيراً سترى والدتها وعمها وسيم، اتجه هشام بها إلى منزل سمية ليصلان بعد وقت ليس بقصير، اتجها إلى باب المنزل ليقرع هشام الباب وقلبه يقرع كالطبول كونه سيقابل محبوبته، فتحت سمية الباب وصدمت عندما رأته واقف أمامها ببرود مصطنع وبجانبه أسيل التي ابتسمت بسعادة حالما رأت والدتها لتلقي بنفسها في أحضان والدتها، فرحت سمية بزيارة أسيل كثيراً وكأن هموم الدنيا كلها أزيحت عنها حالما رأت ابنتها، ولكن وجود هشام أربكها كثيراً، رحبت بهما واستقبلتهما لتدخلهما إلى الصالة ليجلسون ثلاثتهم.

كان هشام يتابع حركات سمية ونظراتها المرتبكة وشرد قليلاً بها وبابنته، تمنى لو كان يحظى بقليل من السعادة مع زوجته وابنته وهو بين عائلته الصغيرة ولكن إلى الآن لم يتحقق حلمه، كم تمنى أن يحظى ولو بقليل من أحضان سمية ووجودها معه ولكن لا لم يحدث ذلك، تنهد بثقل وحسرة بينما أسيل وسمية كانتا تتسامران وتطمئنان على بعضهما، وجه هشام حديثه لسمية ليقول:

"كيف حالك سمية"

أجابته بتوتر:

"بخير، وأنت كيف حالك"

ابتسم لها وقال:

"بخير أيضاً"

ابتسمت له ابتسامة متوترة لينظر لها بكثير من المشاعر، شوق، حنين، ضياع، ألم، حسرة، والكثير من المشاعر، تنهد بحرقة ليلتفت إلى حديث سمية الموجه له وهي تقول:

"ممم كيف حال زوجتك وأولادك، لما لم تأتي بهم إلى هنا"

ابتسم ليقول:

"لا اكتفيت بجلب أسيل لك الآن، مع الوقت إن شاء الله تأتئين أنتِ أيضاً إلينا"

ابتسمت بارتباك وحركت رأسها موافقة لتسمعه يقول:

"إذا أين هو السيد وسيم، أليس بالمنزل"

تحدثت سمية:

"لا ليس بالمنزل لديه بعض الأعمال، ولكن اقترب موعد مجيئه"

حرك رأسه متفهماً ليبتسم لها وتبادلته الابتسامة ومن ثم تشيح بنظرها عنه إلى ابنتها التي كانت تراقب الحديث بالكامل لتتظر لهما نظرة شك، عم الصمت في المكان لتخطر على بال أسيل فكرة وتوجه حديثها لوالدتها وتقول:

"أمي أريد أن أخذ بعض الأغراض الخاصة بي من غرفتي"

وهمت بالنهوض والرحيل من المكان دون أن تسمع جواب والدتها، لترتبك سمية وتلعن نفسها مئات المرات على هذا الموقف الذي وضعت به، ابتسم هشام وفهم على أسيل بأنها تركت لهما المجال لتتركهما يأخذان بعض الوقت بالحديث بمفردهما، تنهد تنهيدة خفيفة لينظر إلى سمية المرتبكة ليسمعها تقول:

"مم حسناً سأنهض لأعدّ القهوة، عن إذنك"

همت بالنهوض ليقفها صوته قائلاً:

"لا أريد شيئاً اجلسي سمية"

جلست بارتباك وتوتر لتجول بنظرها بأثناء الغرفة وهي تفرك يديها بتوتر شديد، سمعت صوته الذي كان محبب إلى قلبها وهو يقول:

"هل أنتِ سعيدة مع زوجك الآن سمية"

حركت رأسها بإيجاب من دون النظر إليه وقالت:

"م الحمد لله نعم سعيدة معه"

نظر لها بغیظ و غضب لیبداً بتحرك قدمه بتوتر و حنق، سمع صوتها لتقول له:

"وأنت"

نظر لها وهو عاقد الحاجبين ليقول:

"أنا ماذا"

أجابته بتوتر:

"هل أنت سعيد مع زوجتك الآن"

ابتسم هشام على سؤالها هذا ليجيبها ببرود:

"لا"

نظرت له بصدمة واستغراب ليحدق بها بعينيه العسليتان وكأنه يقول لها الكثير والكثير من الحديث بعينيه، سرحت بعينيه وهو أيضاً ولم ينتبهان لذلك الذي يقف بصمت ينظر لهما هما الاثنان، حمم وسيم ليلتفتان إليه ويجفان من شرودهما، توترت سمية كثيراً من وسيم، ما الذي ستقوله له إذا سألتها عن سبب جلوسها بمفردها معه؟ وبماذا تبرر سبب نظراتها وشرودها به! بينما هشام لعن وسيم مئات المرات لقطع لحظتهما هذه ودخوله المفاجئ، احتقن وجه هشام ليقف ويلقي السلام عليه ببرود ويجلس بمكانه، بينما وسيم اتجه وجلس بجانب سمية بصمت، غضب هشام جداً بجلوس وسيم بجانب سمية، ماذا! هل يغیظه بهذا الموقف أم ماذا! لعنه مئات المرات وتمنى لو أن تنشق الأرض وتبتلع هذا المعتوه ولكنه تصنع اللامبالاة وبداخله بركان سينفجر من الغیظ والغضب.

التفتوا جميعاً إلى صراخ أسيل التي ارتمت بأحضان عمها وسيم لیبتم هو بسعادة وقلبه یرقص فرحاً لأنه رآها، واللعة كم كان مشتاق لهذه الرائحة، جلست بجانبه لتقول:

"كيف حالك عمي"

ابتسم لها ليقول:

"بخير عزيزتي وأنت كيف حالك"

بادلته الابتسامة لتقول:

"أنا بخير وبأحسن حال"

حرك رأسه بإيجاب لينظر لها ويشرد بملامحها ليقطع شروده صوتها وهي تردف:

"وكيف حالك مع والدتي؟ هل تعذبها ها أجنبي، لا أريدك أن تحزنها أبداً مفهوم"

ابتسم لها ابتساماً واسعة وقال:

"لا عزيزتي لا أستطيع أن أعذبها هي حبيبتي ونحن بأحسن حال مع بعضنا"

حركت رأسها بإيجاب وسعادة، بينما هشام يكاد ينهض ويخنق وسيم على كلامه الذي يجعله يجن جنونه منه، تجاهل الأمر وحاول مسك أعصابه وتهد بغل ونظرات الغضب موجهة إلى وسيم.

في الواقع وسيم انتبه إلى نظرات هشام وهو يعلم بأنه لا زال إلى الآن يحب سمية ولكنه لا يعلم لما لم يشعر بالغضب أو الغيرة أو الغيظ كانت كل مشاعره متاحة لأسيل فقط، لم يعود مثل ما كان في السابق، كونه يعلم بأن هشام يغضب عندما يلاطف سمية أمامه لذلك استغل الفرصة ليغيظه أكثر وأكثر، نهضت سمية لتحضر القهوة ومن ثم تبعها أسيل ليقى هشام ووسيم بمفردهما، وجه وسيم حديثه لهشام بهجوم وسرعة كبيرة ليقول:

"هل مازلت تحبها"

عقد هشام حاجبيه بعدم فهم، ليحاول الاستيعاب ومن ثم يفهم عليه ويجيبه ببرود:

"لا شأن لك"

ابتسم وسيم ابتساماً جانبية ليقول:

"اه لا تعلم كم أحب زوجتي هي كل حياتي، أتعلم! قررنا أن ننجب طفل، أعلم أعلم بأنك ستقول لقد كبرت ما ولكن قررنا وسننجب طفل ويكون لأسيل أخ"

استطاع وسيم أن يشعل فتيلة غضب هشام ليتحدث وهو يركز على أسنانه:

"اصمت واللعة عليك ولا تتحدث بهذا الموضوع مرة أخرى أم أنك مستغني عن حياتك"

ضحك وسيم ليقول:

"لماذا؟ هل تحدثت بشيء خاطئ؟ إنها زوجتي وحبيبتي أعني أنه لا عيب ولا حرام"

نهض هشام بسرعة البرق باتجاه وسيم ليمسكه من ياقه قميصه ويتحدث بغل وغضب من بين أسنانه:

"أسمعني جيداً أيها الأحمق، أريدك أن تعد أيامك مع سمية لأنها لن تطال مدة مكوثها معك وعلى ذمتك لأنها ببساطة ستعود إلي، انتظر قليلاً أعدك بأن تراها وأنا أخذاً منك من بين عيناك هاتان هل تفهم"

أنهى جملته وترك ياقه قميصه ودفعه للخلف ولكن وسيم كان وظل ينظر إليه ببرود ليبتسم له ابتسامة استفزاز ويقول:

"سنرى"

بادله هشام الابتسامة المستفزة ليحرك رأسه بإيجاب وينظر له بتحدي، حسناً هشام لن يصعب عليه بأن يخرب علاقة سمية بوسيم وسيفعل المستحيل لكي تعود إليه وحالما تعود الى ذمته سيتخلص من أحلام بأي شكلٍ من الأشكال، توجهت سمية وأسيل إليهما وهي تحمل بيديها القهوة والكعك، اتجهت سمية إلى هشام لكي تقوم بضيافته وعيناها كانت مركزة على عيناها لتحمم وتقول:

"تفضل"

نظر لها وأخذ فنجانها وعيناها تتابعها ولا تنفك عنها، بينما قامت بضيافة الجميع وجلست بالقرب من أسيل، ابتسم هشام كون سمية لم تجلس بجانب وسيم الذي كان شارداً بلامح أسيل، انتبهت أسيل إلى نظرات عمها وبدأت تشك بأمره ولكنها تجاهلته، بعد وقت ليس بقليل نهض هشام ليتحدث بجدية:

"والآن نستأذن، عزيزتي أسيل هيا"

كادت أسيل تبكي، لا تريد أن تفارق والدتها ولكن ماباليد حيلة، ودعت والدتها وعمها الذي احتضنها فجأة وهذا مازاد من حيرتها وشكها، ابتسمت بتكلف وتوجهت نحو والدها الذي كان يرميه بنظرات حارقة، وقف هشام ونظر إلى سمية التي كانت مرتبكة بشدة، نظر لها لوهلة وألقى عليها التحية ومن بعدها نظر لوسيم بسخرية وتحدي وخرج وبرفقته ابنته واستقلا السيارة ليعم الصمت قليلاً، كسر الصمت هشام وتحدث:

"م عزيزتي أسيل، ألا تتمنين بأن نكون عائلة واحدة"

عقدت أسيل حاجبها باستغراب وعدم فهم لينظر لها هشام ويردف:

"أقصد ألا تتمنين بأن تعود والدتك إلي ونكون عائلة واحدة"

صدمت من سؤاله ولكنها لا تعلم بماذا تجيبه، نظرت له لتقول:

"كل واحد منكم يقضي حياته بالجانب الذي يريحه لا نستطيع النقاش"

تحدث هشام:

"بلى نستطيع أسيل ظروف الحياة هي من أبعثتني عن والدتك، أنا ما زلت أحبها يا ابنتي ولم أنساها يوماً ولكن صدقيني كنت مجبر على تركها"

ثاني صدمة تأتيها لتتحدث بعيون متوسعة:

"ماذا يعني هذا أبي، كيف تحب أمي وكيف كنت مجبر على تركها"

تنهد هشام بحرقة ليقول:

"لا عليك عزيزتي كل شيء في وقته، ولكن أريدك أن تعلمين جيداً بأنني لن يهدأ لي بال حتى أعيد والدتك على ذمتي وأتخلص من هذه اللعينة الموجودة عندي"

عقدت حاجبها لتقول:

"هل تقصد خالتي أحلام"

حرك رأسه بإيجاب لتتحدث معارضة:

"لا أبي، أختي يحتاجان لوالدتهما وأنت أكيد لن تتخلي عنهما أليس كذلك"

أجابها هشام ببرود:

"والدتك ستكون والدتهما وطبعاً لن أتخلي عنهما"

تنهدت أسيل وأرجعت رأسها للخلف مغمضة عينيها سارحة بخيالها، تشعر بالضياع ولكن للحقيقة هي تريد أن تعود والدتها لوالدها وتعيش بسعادة بينهما، ولكن ما ذنب عمها وسيم؟ هو يحب والدتها ولكن تصرفاته غريبة، وماذا عن خالتهما أحلام؟ هي امرأة ولا تريد أن يكسر بخاطرها، ولكن مؤكداً بأنها فعلت أشياء كثيرة تغضب أبيها لهذا يريد التخلص منها، لم تريد أن تفكر بشيء أكثر من ذلك، ظلت على حالها هذا وتركت نفسها للقدر لتري ما الذي سيحدث داعية ربها بأن يأتيها الخير هي وجميع أفراد عائلتها.

-----

بينما سمية كانت جالسة تفكر في زوجها وتصرفاته مع أسيل، بدأ الشك يراود قلبها، نعم هي مستعدة لصدمة ثانية لأنها مرت بتجربة فاشلة من قبل وتجاوزتها مثل ما ستتجاوز هذه الصدمة إن كان هناك من مزيد، ستحتمل كل شيء وتكون قوية وستتوقع حدوث كل شيء لأنها لم تعد تؤمن بأحد، أما عن هشام فتعجبت من تصرفاته معها ولم تفهم شيء من نظراته التي كانت تتلقاها منه، هي لن تنهاون معه ولن تسامحه، ستقف بوجهه إن حدث أي شيء وستكون مستعدة له، لن تنسى ولن تسامح، ستجعله يندم على تركه لها وهجرها ولكن لا تعلم لما كانت متلهفة لرؤيته منذ أن أخبرتها أسيل بأنها ستأتي هي والدها إليها، ولا تعلم إذا كانت مازالت تحبه ولم تفهم مشاعرها إلى حد الآن، ولكن مع كل ذلك لن تستسلم له ولن تضعف أمامه مهما حدث.

بعد مرور عدة أيام

قرر هشام السفر إلى الإمارات من أجل عمل طارئ وسافر فوراً، بينما ترك أسيل مع أحلام لترى الجحيم، بعد سفره بيومين بدأت أحلام تعامل أسيل معاملة قاسية وقد توقعت أسيل حدوث ذلك الشيء ولم تتعجب من الأمر ولكنها فضلت الصمت، وها قد حان موعد تنفيذ الخطة ولكن هناك من خرب مخططاتهم بقدمه وهو ساهر، أتى ساهر لزيارة عمته ولكن غرضه من هذه الزيارة هو أسيل لذلك أتى إليها، بينما أحلام كادت تجن منه ولكنها اكتفت بالصمت ولم تعلق على مجيئه واستقبلته بترحاب مزيف، ابتسم بوجهها ابتسامة باردة ليقول:

"أهلاً عمتي كيف حالك"

ابتسمت أحلام بتصنع لتقول:

"بخير يا ابن اخي وبأفضل حال"

هز رأسه موافقاً وصمت لوهلة ليتحدث بعدها:

"إذاً أين أولادك، وأين تلك الفتاة ابنة زوجك"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"هل تظن بأنني لا أعلم بأنك قادم من أجلها، بالمناسبة ما الذي تريده منها"

ابتسم ابتسامة ذات مغزى ليقول:

"طوال عمرك تفهمين علي يا عمتي الغالية، بصراحة الذي أريده منها أنت لا شأن لك به لذلك أرجو أن تخلي الغرفة قليلاً وتبعثها إلي"

ابتسمت أحلام ابتسامة مستفزة لتقول:

"هل قال لك أحداً بأنني فتحت منزلي للموعيد الغرامية لك يا هذا، إذا كنت تريدها انصرف وانتظرها إلى أن تظهر خارج المنزل"

بقي ينظر لها ببرود تام وهذا ما أخاف أحلام لأنها تعلم ساهر جيداً وتعلم عند غضبه ما الذي يمكن أن يحدث، ابتسم ساهر بتهكم ليقول:

"حسناً أريد فقط رؤيتها والتحدث معها قليلاً ومن بعدها سأنصرف"

حدقت أحلام به مطولاً لتقول بعدها:

"ما الذي تريده من الفتاة، ابتعد عنها ولا تحاول أديتها هي ليست مثل الفتيات اللاتي تعرفين لذلك انسى أمرها"

ضحك على جملتها ليقول:

"وهل تريدني أن أصدق مثلاً بأنك خائفة عليها، عمتي أنا أعرفك جيداً، أنتِ لا تطيقينها ولا تكنين لها سوى الكره والبغض لذلك لا تلعب علي دور زوجة الأب الحنونة اتفقنا، هيا اذهبي واجلبها"

كتمت غيظها لتهمز رأسها وتنهض فوراً لتنادي على أسيل وتنزلها معها إلى حيث مجلس ساهر، أسيل لم تهرب من المواجهة وقررت أن تراه لتعلم ماذا يريد منها، اقتربت لتلقي التحية ومن بعدها جلست على الأريكة لتضم يديها إلى صدرها وتتنظر له لترى بأنه ينظر لها بكل برود هو أيضاً ليقول لها:

"أهلاً أسيل، حسناً لن أدخل بمواضيع تافهة أريدك في موضوع مهم"

تحدثت أسيل ببرود تام وهذا مازاد غيظه لتقول:

"وما هو هذا الموضوع المهم"

تنهد بغضب ليقول:

"أريد الزواج منك"

نظرت له مطولاً وبعدم فهم لتقول له:

"ما الذي تهذي به يا هذا"

أجابها ببرود:

"قلت أريد الزواج منك، ها مارأيك"

تنهدت بقلة صبر لتقول:

"رأبي هو لا"

ابتسم ابتسامة جانبية ليقول:

"متوقع هذا الجواب ولكنني أريد أن أعلم لماذا"

أجابته ببرود:

"لا أفكر بالزواج الآن مطلقاً"

أجاب بهدوء:

"إذاً أريدك أن تفكري بهذا الموضوع لأنني جدي كلياً بهذا القرار، سأتي بعد يومين لإخذ منك الجواب وأتمنى بأن يعجبني، والآن إلى اللقاء"

أنهى جملته ورحل تاركاً إياها حائرة في أمرها ومتعجبة من طلبه، ولكن أياً كان لن تتيح له هذه الفرصة بتملكها لأن قلبها لم يرتاح له، بينما أحلام كانت تتجسس عليهما وتسمع حديثهما لتصاب بحالة صدمة وذهول من طلبه لأسيل وكانت تستشيط غضباً لأنه أراد أسيل بحوزته، نعم بإسادة إنها الغيرة، دخلت بكامل غضبها إلى أسيل وحدثتها:

"ما الذي فعلته له أيتها الحمقاء لكي يطلبك للزواج ها"

تعجبت أسيل من حالة خالتها لتجيبها:

"وما الذي سأفعله له ياخالتي، لم أفعل أي شيء"

تحدثت أحلام بحدة:

"كفالك تمثيل أيتها اللعينة، سترين الجحيم على يدي"

ذهلت أسيل من حديثها وصدمت لتتحدث بعصية:

"اصمتي ها، أقسم لك بأنني سأقول لأبي كل شيء حالما يأتي، أنتِ التي سترين الجحيم على يدي أعدكِ بذلك"

أنهت جملتها ورحلت تاركة أحلام بحالة صدمة لأنها تجرأت وصرخت بوجهها، حدثت أحلام نفسها بحقد:

"لن يتوفر لكِ الوقت لكي ترينني الجحيم أيتها اللعينة"

توجهت أحلام إلى غرفتها لتتحدث مع مالك ويجيبها بـ:

"أهلاً، ما الذي حدث"

تحدثت أحلام بعصية:

"يجب علينا أن نبدأ بتنفيذ الخطة ونتخلص منها فوراً"

أجابها بسرعة:

"ما الذي حدث؟ أجيبني"

أجابته بسخرية:

"هه لقد توعدت لي بالجحيم، يجب أن ننفذ حالياً"

أجابها بهدوء:

"حسناً حسناً ولكن ليس اليوم، هشام لديه ثلاثة أيام لكي يعود من سفره ونحن غداً سننفذ، ولكن أريدك أن تسجنها في غرفتها ولا تدعيها تخرج أبداً كي لا تستطيع الهرب أو أي شيء"

أجابته بابتسامة:

"حسناً سأتولى أمرها، غداً سنتخلص منها لا تتأخر علي لإنني سأبعث بالأولاد إلى بيت جدهم"

أجابها:

"حسناً اتفقنا إلى اللقاء"

أنهت اتصالها وابتسمت بشر لأنها غداً ستتخلص منها إلى الأبد، بينما أسيل كانت جالسة في غرفتها تبكي بحرقة على نفسها وتلعن حياتها مئات المرات، تمننت العودة إلى منزل والدتها، على الأقل عمها وسيم لم يعاملها معاملة كهذه، توجهت إلى سريرها لتتسرد قليلاً ومن بعدها دخلت في نوم عميق.

أما عند أحلام فكانت تنتظر إلى أن تنام أسيل لكي تستطيع أن تقفل الباب عليها، بعد مدة من الوقت توجهت أحلام إلى غرفة أسيل لتتسلل وتدخل إليها، تأكدت بأنها غارقة في نوم عميق لكي تبحث عن هاتف أسيل، وجدته بجانب أسيل لتأخذه وتخرج من الغرفة وتغلقها بالمفتاح وذهبت متوجهة إلى غرفتها لكي تغط بالنوم وعلى ثغرها ابتسامة شر ونصر.

-----  
في صباح اليوم التالي

استيقظ أسر على صوت رنين هاتفه ليتململ من فراشه بانزعاج، تنهد بغضب ليرى اسم المتصل، ومن غيره الذي يتجرأ ويوقظ أسر من نومه منذ الصباح الباكر غير يوسف، أجابه أسر بصوت ناعس وبرود:

"ماذا تريد"

أجابه يوسف بضحكة:

"أسف على إزعاج سموك منذ الصباح ولكن الأمر مهم جداً"

تحدث بانزعاج:

"حسناً ماذا لديك"

أجابه يوسف بجدية:

"بالنسبة للشبان الذين يتاجرون بالمخدرات في الجامعات لقد جمعنا عنهم معلومات كافية، أريدك أن تأتي إلى المكتب لأنني سأبعث بدوريات لكي يتم القبض عليهم لأنه سهل الوصول إليهم كي نبدأ بالتحقيق معهم"

أجابه أسر وقد استعاد وعيه بالكامل من نومه:

"حسناً ساتي، ولكن ماذا عن سهيل؟ هل عرفتم مكانه أو أي شيء عنه"

تحدث يوسف:

"لا لم يصلنا أي أخبار عنه إلى حد الآن"

تنهد أسر بحدة وقال:

"حسناً لن أتأخر إلى اللقاء"

أنهى أسر اتصاله ونهض من فراشه لكي يقوم بفعل روتينه اليومي ومن ثم ارتدى بذلته العسكرية متوجهاً إلى عمله.

بينما يوسف كان يجلس في مكتبه شارداً ذهنه بحال أخته، بدأ الشك يراود قلبه لذلك وضع أحد الحراس ليقوم بمراقبتها لكي يأتيه بكل التفاصيل وإلى الآن لم يأتي له بخبر سيء عنها وعن تحركاتها، تنهد بملل وقام بإرسال دوريات إلى جميع الجامعات التي يوجد فيها الشبان الذين يتاجرون بالمخدرات بعد أن أعطاهم المواصفات والأسماء والمعلومات الكافية عنهم، استلقى باسترخاء على كرسيه بعد أن خرج العسكري من مكتبه منتظراً قدوم أسر إليه.

تململت أسيل في فراشها وهي تفتح عينيها بصعوبة بسبب أشعة الشمس التي داعبت وجهها من نافذة غرفتها، نهضت من فراشها لتقوم بفعل روتينها اليومي كالعادة وتجهز نفسها للذهاب إلى جامعته، ارتدت ثيابها ومن ثم اتجهت لباب غرفتها وضعت يدها على مقبض الباب لتسحبه ولكنه لم يفتح، بقيت تحاول مراراً وتكراراً ولكن دون جدوى، عقدت حاجبها باستغراب ليبدأ قلبها بالخفقان بشدة وكأنها خائفة من الذي في بالها، تذكرت هاتفها لتقوم بالبحث عنه ولكن لا فائدة لأنها لم تعثر عليه، بقيت تبحث وتبحث ولكن لم يقع بيدها، توجهت مرة أخرى إلى باب غرفتها وبدأت تدق على الباب بعنف وتصرخ بأن يفتح لها أحد الباب ولكن لا حياة لمن تنادي لأنه لم يكن أحد بالمنزل، ظلت واقفة مكانها تحديق بالفراغ بذهول وبدأت نواقيس الخطر تدق عندها، هل يعقل بأنها حجزت بغرفتها؟ هل خالتها هي حجزتها؟ ولكن لماذا؟ لم تفعل شيء كبير كي تحتجزها بالغرفة، لما فعلت ذلك؟ وكيف ستخرج من هذه الغرفة؟ ظلت تجول بنظرها بأنحاء الغرفة لكي تقع عينها على النافذة التي تؤدي إلى حديقة المنزل، توجهت إليها بسرعة البرق، هي حسمت أمرها قررت أن تهرب وتعود أدرجها إلى منزل والدتها ريثما يعود والدها وتحديثه بكل شيء حدث، ألقَتْ بنظرها للأسفل من خارج النافذة لترى أن المسافة بعيدة جداً لا تستطيع القفز للأسفل، ظلت تبحث عن أي طريقة تساعد على القفز من النافذة ولكن لا فائدة، هبطت دموعها على وجنتيها وانفجرت بالبكاء وهي تلعن وتشم خالتها لأنها بهذه الحقارة، ظلت تركل الباب بقدميها بعنف وتصرخ طالبة النجدة.

بهذه الأثناء كانت قد وصلت أحلام إلى المنزل وبرفقتها مالك من أجل تنفيذ خطتهما بحق الفتاة، ابتسمت أحلام ابتسامة مكر حالما سمعت صوت صراخ أسيل ومناجاتها ليبادلها مالك بالابتسامة، صعدا إليها وفتحت أحلام باب غرفتها لتراجع أسيل عدة خطوات للوراء ومن ثم ترى أحلام وخالتها، كانت حالتها مبعثرة جداً، عيان متورمتان من شدة البكاء وشعرها بدى بحالة فوضوية وتقاسيم وجهها تدل على الصدمة والغضب، حالما رأت

خالها تسمرت في مكانها لتراه ينظر لها بابتسامة مستفزة لتوجه نظرها إلى أحلام بصدمة ومن ثم تعقد حاجبيها، وبدأ السؤال يدور ببالها (ما علاقة أحلام بخالها)، عقلها كان يعمل كالماكينة ولم تنطق بحرف وكان لسانها قد شل عن النطق، ابتسمت أحلام بابتسامة مكررة لتقول:

"ما بك أيتها الجميلة لما تبتدين بهذه الحالة"

ظلت واقفة تحديق بهما بصدمة ممزوجة بالغضب ولم تنطق أبداً لتسمع صوت خالها مالك يقول:

"هل القطعة ابتلعت لسانك يا ابنة أختي"

بلعت ريقها وحاولت جمع الكلمات لتقول بصوت منقطع:

"خ خالي ما مالذي أ أت أتى بك إلى ه هنا"

نظر مالك إلى أحلام الواقفة وهي عاقدة ذراعيها ليعود بنظره إليها ويقول:

"جئت كي أنفذ خطتي يا أسيل، طبعاً ليس لوحدي السيدة أحلام ستقوم بمساعدتي بهذا الأمر"

نظرت له بعدم فهم وتحدثت:

"خطة ماذا؟ وما علاقتك بخالتي وما الذي تريدان فعله"

ابتسم بابتسامة جانبية واقترب منها ونزل لمستوى أذنها ليتحدث بهمس:

"سننخلص منك"

حالما سمعت هذه الكلمة حتى توسعت عيناها من الصدمة وظلت تحديق بخالها الواقف أمامها ببرود لتسمعه يردد ويقول:

"لا تخافي لن نقتلك ولكننا سنبعدك من هنا إلى الأبد، بالمناسبة أريد أن أخبرك بشيء مهم، طبعاً مؤكداً بأنك تسألين نفسك لما والدك ترك والدتك أليس كذلك، حسناً سأجيبك أنا! والدك تركها لأنه أنا من طلب منه هذا لإنني لم أكن أريده زوجاً لأختي ولكنها هي كانت ترغبه وبشدة وهو أيضاً ولكن أنا كنت أقوى منهما واستطعت أن أفرقهما عن بعضهما لإنني هددت والدك بقتله وقتل جميع عائلته إذا لم يتركها وشأنها وأوصيته بأن يبتعد عن المكان نهائياً ويعيش حياته بعيداً عن أختي، طوال حياتي كنت أتمنى أن أتزوج عمك هدى والتي هي شقيقة هشام ولكن جدك ووالدك كانا دوماً ينظران لي على أنني أقل مستوى ولا أنفع لشيء، لذلك أبعدت والدك عن سمية، ولكن جائت القشة التي قسمت ظهر البعير وهي أنت وفشلت كل مخططاتي لذلك بذلت كامل جهدي كي

أقرب والدتك من وسيم وأزوجهما وبالتالي هشام لن يصمت عن هذا الوضع وسيأخذك إليه لأنه يفكر باسترجاع والدتك ولكن الآن جئت كي أتخلص منك وعندما تختفين عن الأنظار لن يستطيع هشام استرجاع والدتك ولا بأي شكلٍ من الأشكال لأنه سيكون بنظرها وغد حقير لم يصون الأمانة ولم يستطع الحفاظ عليك وبهذا الوضع أكون قد ربحت كل شيء هل فهمتي الآن عزيزتي"

كانت أسيل تستمع إلى حديث خالها وعندما انتهى ظلت تنظر إليه بصدمة، لم تنطق بحرف ولم تبدي أي ردة فعل فقط ظلت تحرق به بذهول والأفكار تدور في رأسها، كل هذه السنوات ووالدها يتعذب ببعده عن والدتها، الآن فهمت مقصده عندما قال لها كنت أتعذب طوال الوقت ولم أنسى والدتك يوماً وكنت مجبر على ذلك، لم تعلم ما الذي تفعله تمننت لو تستطيع أن تقوم بقتل خالها ولكنها بدأت تهز رأسها بعنف متراجعة بخطواتها، ظلت تبكي بقهر ودموعها على وجهها، اقتربت منها أحلام لتقول لها:

"جهزي أمتعتك سيأتي شاب ويأخذك من هنا ولكن ليس على الفور، سنتزوجينه ومن بعدها تغربين عن وجهي إلى الأبد"

نظرت لخالتها نظرة حقد ونهضت من مكانها لتمسكها من رقبته وتشدها بعنف وتقول:

"بل أنا سأرسلك للجحيم السابع أيتها الحقيرة أنت وهذا النذل الذي يقف أمامي"

لم تستطع أحلام أن تفلت من قبضة أسيل لأنها كانت محكمة قبضتها على رقبته ولكن مالك تدخل وأبعد أسيل عن أحلام التي بدأت تكح وتسعل بسبب يد أسيل التي كانت تحاوط رقبته وبدأ وجهها يميل إلى اللون الأحمر بسببها، بينما أسيل كانت تسب وتشتم وتلعنهما هما الاثنان لإنهما أوصلاها لهذه الحالة، حاولت أن تقترب من أحلام لتقوم بضربها وإخماد النار التي في قلبها ولكن مالك منعها لتبدأ بركله وضربه ومن ثم ركفته على منطقتيه ليتأوه ويجلس على الأرض اقتربت أسيل من أحلام التي كانت تقف مذهولة من أسيل وتصرفاتها لتجفل فوراً وترى أسيل وهي تقترب منها لكي تقوم بإبراحها بالضرب ولكن أحلام كانت أسرع منها وتوجهت سريعا خارج الغرفة وقامت باغلاقها من الخارج وتركنتها مع خالها كي يتولى أمرها، حالما استعاد مالك قوته وقف ليبحث بناظريه عن أي شيء يستطيع أن يوقف به أسيل عن حدثها وجنونها الهستيرى ليرى أمامه قطعة خشب تشبه الصندوق كانت قد جلبتها أسيل لكي تقوم برسم أشياء مزخرفة عليها، اقترب منها واستغل فرصة أنها تدير ظهرها له وهي تركز الباب بعنف ليضربها على رأسها وتقع مغشية عليها فاقدة للوعي، حملها بين يديه وتوجه بها إلى السرير وجلب حبل وقام بربطها ومن بعدها جاء بقطعة قماش واغلق لها فمها، لم يأبه لحالها ولم يعالج جرح رأسها استدار بكامل جسده عندما سمع صوت فتح الباب، دخلت أحلام عليهما عندما لم تعد تسمع صراخ أسيل فتأكدت بأن مالك قد تولى أمرها، نظرت لها بحنق وكره ومن ثم توجهت إلى الخارج وهو برفقتها وقررا هما الاثنان الاتصال بذلك الشاب حالما تستيقظ.

-----

دخل أسر بقوامه ويروده المعهود إلى مكتب يوسف الذي رآه ممدداً على كرسيه بكل أريحية، مغمضاً عيناه وماداً قدميه على ظهر المكتب وكأنه في عالم آخر، اقترب منه أسر ونظر له بحاجبين مرفوعين وهو يحدث نفسه (يا له من أبله)، بحث أسر بناظريه عن أي شيء قد يزعج به يوسف ليرى أمامه كوب ماء، أمسك الكوب وهو يقترب من يوسف وعلى وجهه ابتسامة مأكرة ليسكب الكوب على وجه يوسف، شهق يوسف وفرع من هذه الحركة لينظر بأعين متسعة بينما أسر كان يضحك عليه نظر له يوسف بغیظ ليقول:

"لست بهذه الظرافة، عليك اللعنة لقد أفرعتني وبللت ثيابي، ماذا أفعل بك ها"

ابتسم أسر وضم يديه إلى صدره وقال:

"ما الذي تستطيع فعله أرني مالدك"

قلب يوسف عيناه وشد على قبضته ليقول بغیظ:

"لا لن أفعل شيء، لن أضيع وقتي بضربك"

ضحك أسر ضحكة قوية ليقول له من بين ضحكاته:

"يا رجل لقد أخفتني، أعلم أنك تستطيع ضربني أعلم، سوف أكون معك وأجاريك فقط من أجل خاطرك"

أنهى جملته واتجه إلى الكرسي الذي بجانب المكتب وجلس ووضع قدم على قدم، بينما يوسف كان ينظر له بغیظ ويقضم أظفاره ليقول:

"لقد تبللت ماذا أفعل الآن؟ أعطني بدلتك هيا هيا"

نظر له أسر وابتسم ابتسامة باردة ليقول:

"انتظر قليلاً وستجف ثيابك أيها الأحمق، هات ماعندك هيا تحدث"

نفخ يوسف خديه وقال بجدية:

"لقد بعثت بالدورية لكي تلقي القبض عليهم سيأتون بعد قليل"

حرك أسر رأسه موافقاً ليقول:

"إذاً كيف حال ماري، هل مازلت تشك بها"

امتعض يوسف ليقول:

"أجل لن أكذب عليك، لقد وضعت حارس كي يراقبها ويأتيني بأخبارها"

تنهد أسر بضيق فهو لا يحب هذه الطريقة ولم يعجبه شك يوسف الذي ازداد كثيراً، التفت بوجهه إلى الجهة الأخرى عندما سمعا صوت طرقات على الباب ليدخل العسكري ويقدم التحية ومن بعدها يتحدث:

"سيدي لقد أتينا بهم، بماذا تؤمرني الآن"

نظر يوسف إلى أسر وكأنه يقول تحدث أنت ليقول له أسر:

"هل جلبتهم جميعاً"

تحدث العسكري برسمية:

"أجل سيدي جميعهم ولكن ما عدى ذلك الشاب سهيل رافع وأصدقائه الثلاثة"

هز رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً ضع كل واحد منهم في حبس انفرادي وسنذهب لنتولى أمرهم بعد قليل"

تحدث العسكري بعد أن القى التحية مرة أخرى:

"أمرك سيدي"

خرج العسكري من المكتب ليعم الصمت فجأة، تنهد يوسف وهو يطرق طرقات خفيفة على مكتبه ليقول:

"ما الذي سنفعله بهم"

تحدث أسر من دون أن ينظر ليوسف:

"سنحقق معهم ونعلم من هم التجار الأساسيين الذين يجلبون من عندهم البضاعة ومن بعدها سنحولهم للمحكمة كونهم متورطين بهذه القضية لأنه لدينا الأدلة الكافية لسجنهم"

حرك يوسف رأسه بإيجاب ليقول:

"هل سنحتاج إلى غرفة التعذيب"

ابتسم أسر ابتساماً مآكرة ليقول:

"أتمنى أن يعاند أي شخص منهم كي نحتاجها، أريد أن أفرغ طاقتي السلبية"

ضحك يوسف ليقول:

"يارجل ألا يكفيك كيس الملائمة الذي تتمرن عليه كل يوم"

رفع أسر حاجبيه ببرود ليقول تعبيراً عن رفضه:

"لا، لا يكفيني، ثم أن كيس الملائمة كالجماد ولا أسمع له صوت، بينما هؤلاء الشبان سآستمتع بصرخاتهم وأوجاعهم، لا تقلق سأعاملهم كما أعالمل كيس الملائمة يا حبي كما تقول أنت"

توسعت عينان يوسف ومن بعدها بدأ بالضحك الشديد ليتحدث من بين ضحكاته بدرامية:

"أوه أوه كم هذا جميل لا أصدق أسر يقول لي حبي! أنا حبك؟ ياويلي قلبي يرقص فرحاً أصدق"

قلب أسر عيناه ليقول:

"اصمت يا بقرة"

ضحك يوسف ليرد ف أسر:

"أيها الأحمق هيا انهض كي نرى أحوال هؤلاء الشبان هيا هيا"

حاول يوسف كتم ضحكاته لينهض ويتوجه إلى أسر ويتحدث بهمس بجانب أذنه ويقول:

"أسر"

التفت أسر إليه وعقد حاجبيه وهز رأسه بمعنى ماذا ليقول يوسف بهمس:

"أنا أعشقتك ومتيم بك"

نظر له أسر بأعين متسعة ليقول له:

"ما الذي تهذي به أيها النكرة"

كتم يوسف ضحكته ليقول:

"وما العيب في ذلك أنا أحبك وأنت تعشقتني لما لا نجتمع اليوم في منزلك ونقضي أوقات جميلة حبيبي"

أنهى يوسف جملته وهو يضع يديه على رقبة أسر لينظر له أسر ببرود ويقول:

"مممم كما تريد"

وما أن أنهى أسر جملته حتى ضربه على منطقتيه ليتلوى من شدة ألمه ويقول له أسر:

"والآن لم تعد تستطيع ممارسة الحب هيا أيها الشاذ اللعين"

ضحك يوسف من بين آهاته ليقول:

"سأعالج نفسي ومن بعدها سأجعلك تندم أيها الأحمق"

لكمه أسر على بطنه ليتألم من بين ضحكاته ويمسكه من ياقة قميصه ويجره معه إلى العمل.

-----

في الجامعة عند تلك الفتاة النشيطة والمرحة تجلس في حديقة الجامعة بمفردها تنتهد بضيق وملل ليأتيها الذي تنتظره منذ ساعتين، اقترب منها ذلك الشاب المدعوب ب أوس ليجلس بجانبها وعلى ثغره ابتسامة بسيطة، ما إن رآته حتى امتعضت ونفخت خديها بغضب ليقول أوس:

"حبيبتي الجميلة كيف حالها؟ ما بكِ هل حدث شيء؟"

قلبت عيناها بملل لتتحدث بصوت عالي:

"حبيبتيك الجميلة ها، أنا هنا جالسة منذ ساعتين أنتظرك وأنت تأتيني بكل استفزاز وتغازلني ومتأخر أيضاً"

ضحك أوس عليها ليتحدث:

"أيتها المجنونة، أقسم لك بأنني اضطررت للتأخر حبيبتي أنا أسف، كيف يمكنني إرضائك هيا تحدثي جميلتي"

تنهدت بضيق لتقول وهي تلتفت بوجهها عنه للجهة الأخرى:

"لا أريدك أن ترضيني، أذهب بعيداً عني لقد مللت منك"

عقد حاجبيه وأمسكها من يدها ليديرها له ويتحدث بحدة:

"ما الذي تقصدينه بكلامك ماريا أجننتي مثلاً؟ لإنني تأخرت عليك هذه المرة تقولين أن أذهب بعيداً عنك! ما الذي يحدث معك"

سحبت يدها منه لتنهض وتتنظر له وتقول:

"أحدثك بالذي سمعته، ابتعد عني لا أريدك بعد الآن، أنا أعلم جميع نواياك أنت لا تحبني فقط تريد إمضاء بعض وقتك معي وأنا لست كذلك، أنا أحذرك إن اقتربت مني سأوصلك للجحيم"

خطت أول خطواتها بعيداً عنه بينما هو كان مصدوم من حديثها، لحق بها ليمسكها من معصمها ويقول:

"اللعة عليك ماريا من قال لك بأنني أمضي وقتي معك فحسب، أنا أحبك كثيراً صدقيني وأريدك زوجة لي، مابك لما تحدثيني هكذا حبيبتي أقسم لك بأنني أحبك ولا أريد أحداً سواك"

قلبت عيناها بتملل لتقول:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك ولكنني اكتشفت بأن علاقتنا فاشلة ولا أريد أن أكمل معك ابتعد عني فحسب أرجوك أوس"

تحدث أوس بحدة:

"لا لن أتركك، لا تحلمي بهذا الشيء، لن أدعك لغيري هل تفهمين، تعالي معي كي نتحدث بعيداً عن الجامعة"

سحبت معصمها من يده لتتحدث:

"إلى أين سنذهب"

أجابها أوس:

"إلى أي مكان تعالي سنذهب بسيارتي هيا"

تنهدت بضيق ومشيت معه لخارج الجامعة وركبت بسيارته، بينما كانت هناك عينان تتابع حركاتها وخطواتها وقد كان ذلك الحارس الذي كلفه يوسف بمراقبتها، ركب هذا الرجل بسيارته ولحق بهما متوجهاً إلى حيث وجهت أوس وماريا، كانت ماريا طوال الطريق صامتة لا تتحدث أبداً وأوس كان يلقي عليها نظرة من حين لآخر، حاول أن يكسر الصمت ليقول:

"حبيبتي أريد أن أعلم هل لأنني تأخرت بالمجيء تريدان تركي أم هناك شيء آخر"

لم تعلم بماذا تجيب، حاولت أن تكون طبيعية لتقول:

"لا يوجد هناك شيء فقط رأيت بأن علاقتنا فاشلة ولا تصلح لذلك قررت الابتعاد فقط هذا"

نظر لها أوس بحاجبين معقودين وتنهد بضيق ليقول:

"والآن علمتي بأن علاقتنا فاشلة، الآن بعد أن تعلقت بك وقررت الزواج بك"

لقت انتباهها كلمة زواج ولكنها بدت طبيعية لتقول:

"لا أعلم"

هز رأسه موافقاً وتنهد بياس واستمر بالقيادة حتى وصلا لمكان شبه منعزل، توقف بسيارته في ذلك المكان ونزل من السيارة لتتنظر له ماريا باستغراب، لحقت به لتقول:

"ما بك أوس"

التفت لها بكامل جسده وعلى وجهه علامات اليأس والغضب ليقول:

"هل تريدان تركي حقاً ماريا"

بقيت تحديق به وتعجبت من حاله، حزنه عليه لتقول بأعين دامعة:

"لا"

ابتسم ابتسامة لم تصل لوجهه ليكور وجهها بين يديه ويقترب من شفيتها ولا يفصل بينهما سوى إشارات ليقول:

"لا تعيدي كلامك هذا بعد الآن وابقى معي أرجوك"

نظرت له وقد سقطت دموعها على وجنتها، مسح دموعها بإبهامه واقترب منها ليلتقط شفتيها بين شفتيه ويتعمقان بالقبلة، بينما من الجهة الأخرى كان الحارس يرى كل شيء يحدث وقد التقط لهما صور وهما بهذا الوضع، بقيا على هذا الحال ثواني ليفصلان القبلة ويلصق جبينه بجبينها ويغمض عيناه ويقول:

"أحبك"

ابتسمت ماريا وهي مغمضة العينين أيضاً لتقول:

"وأنا أيضاً"

ابتسم لها ومن ثم قام باحتضانها وبقيا يتحدثان بسعادة بالغة ومازال الحارس يقف ويتابع جميع تحركاتهما إلى أن استقليا السيارة وعاد أوس بماريا إلى بيتها ومن ثم ودعها بقبلة على وجنتها ورحل، بينما الحارس تنهد بضيق وبعض من الخوف لأنه لا يعلم كيف سيواجه يوسف ويحدثه بالذي حدث، حاول أن يهاتفه عدة مرات ولكنه لا يجيب، يأس من المحاولة فقرر أن يذهب إلى الفرع ويحدثه هناك ليتجه إليه بتردد وخوف على حاله وحال ماريا.

في مكان ما خارج البلاد

وتحديداً في باريس بلاد العشاق، يقف ذلك الشاب مفتول العضلات بوسامته الصاخبة، وبشرته السمراء الجذابة مع بريق عيناه الذي صبغ باللون العسلي ليعطيه مظهراً جذاباً أكثر، وشعره البني الحريري الذي كانت تتطاير خصلاته من الهواء البارد، يقف بشرفته يتنهد بين الحين والآخر، يفكر، يحن، يشتاق، ولكن الذي في عقله صعب المنال لا محال، كان يفكر في تلك الفتاة التي سلبت عقله وروحه، لم يرى لها مثيل ولم يكن يرى أمام ناظريه غيرها إلا أنها لم تكن تعطيه غير مشاعر الأخوة والصداقة على عكسه تماماً، فقد كان يعشقها حد النخاع، مجرد ابتسامة منها كانت تأسر قلبه وعقله فما باله إذا بادلته الحب أيضاً، ولكن لا، لم يكن في قلبها سوى مشاعر صداقة تافهة لعينة كما أسماها هو.

كان يعلم جميع أخبارها والخبر الذي أتاه اليوم جعله يعود إلى الوراء عدة خطوات، اشتعلت النيران بقلبه، هو نادم على حبه لها نادم على عشقه بها وندام على قلبه الذي لا يطلب غيرها لأنها لا تستحقه ولا تبالي به، ولكن هناك نقطة بأنه هو لم يفصح عن حقيقة مشاعره تجاهها أبداً، عندما علم بأنها تعتبره كأخ وصديق أحببت آماله واحترق قلبه وهذا مادفعه للسفر إلى خارج البلاد برفقة والدته وشقيقته، بقي يتذكر ملامحها، جنونها، برائتها، وابتسامتها التي يعشقها، لم يصدق نفسه كيف له أن يهيم بها إلى هذا الحد، لم تغب عن باله لحظة وبقيت تشغل باله وعقله منذ أربع سنين إلى حد الآن، انتشله من شروده صوت شقيقته رنيم لتتقدم منه وتحدثه:

"باسل بماذا تفكر؟ ولماذا تقف بالخارج؟ الجو بارد جداً"

حاول أن لا يفصح عن حقيقة ما بداخله لأخته، تحدث بمرح:

"حتى في عقلي ستتدخلين يا لك من حشوية"

عبست وجهها لتقول بنبرة حزينة مصطنعة:

"لماذا تتحدث مع شقيقتك الجميلة هكذا ها؟ لم تعد لطافتي تؤثر عليك أيها الأحمق"

ضحك على حديثها ليقول:

"رنيم اغربي عن وجهي أريد أن أنام"

أنهى جملته واتجه إلى داخل غرفته وجلس على سريره لتتقدم منه رنيم وتضع يدها على خصرها وتقول:

"يا لك من مخادع، الآن تقول لي اذهبي أريد أن أنام وبعدها تبقى مستيقظ ولا تنام"

ابتسم لها وتمدد على سريره وقال:

"لا، سوف أنام هيا اذهبي من هنا وعندما ينتهي الغداء أيقظيني"

اقتربت من السرير وجلست بجانبه لتقول:

"والدتك تحضر الغداء لا تنام أيها الطبيب المثابر"

التفت إليها وتحدث بغضب:

"هل تسخرين مني أيتها المتخلفة عقلياً"

تحدثت بنبرة بريئة:

"لا أبداً يا أخي العزيز هيا انهض لا تنام"

هز رأسه بكلتا الجهتين وزفر الهواء لينهض ويجلس على سريره ويقول:

"لن أنام أيتها البومة والآن اخرجي وحين ينتهي الغداء نادني"

امتعض وجهها لتنظر له بامعان ومن ثم تتحدث بنبرة شبه جدية لتقول:  
"هل كنت تفكر بها"

نظر إلى أخته مطولاً ليلتفت بوجهه إلى الجهة الأخرى ويقول:  
"لا أنا لا أفكر بأحد"

تنهدت بضيق على حال أخيها لتقول:  
"أنا أعلم كل شيء لا داعي للكذب باسل أنا أفهم عليك وأعرفك جيداً"

تنهد بحسرة ويأس ليقول:  
"اشتقت لها كثيراً"

صمتت رنيم ولم تتحدث لينظر باسل إليها بأعين دامعة ليقول:  
"ولكنها تعيش حياتها حتى أنها على علاقة بشاب الآن"

نظرت رنيم إلى أخيها بحزن وعقدت حاجبها لتقول:  
"وماذا يعني؟ حاول أن تنسى أو أن تتناسى عزيزي أنت لا تجلب لنفسك سوى الهم والأوجاع، تقدم في حياتك ولا تنظر للخلف"

تنهد بقلة حيلة ليبتسم ابتسامة سخرية ويقول:  
"لو كنت أستطيع كنت فعلت ذلك منذ زمن وليس الآن"

ابتسمت ابتسامة بسيطة لتقول:  
"أعلم ولكن تستطيع فعلها ونسيانها أنا أعرفك جيداً أخي أنت أقوى من أن تهزم من أجل فتاة اليس كذلك"

ابتسم لها وهو يحرك رأسه موافقاً ولم ينطق بحرف إلا أن رنيم أردفت له:  
"ولماذا لا تحدث أسر ويوسف ألم تشناق للحديث معهما"

ابتسم ابتسامة واسعة ليقول:

"بالطبع اشتقت لهما ولكن في الفترة الأخيرة لم نعد على تواصل لأنني انشغلت في عملي كما تعلمين وهما أيضاً لديهما أعمال والكثير من المشاغل والمتاعب"

همهمت بتفهم لتقول:

"حسناً الأفضل أن تعود وتحادثهما لإنهما سيخرجان منك حس الدعابة يافتى"

عبس ليقول:

"وهل ترينني طوال الوقت عابس وبارد ولعين مثلاً"

ضحكت على جملته لتقول:

"لا ياعزيزي ولكنني أعلم بأنك تفرح بالحديث معهما غير أن أحاديثكم لا تخلو من المرح والضحك"

ابتسم لها وهز رأسه موافقاً ليسمعان صوت والدتهما يصدح في المكان وتدعوها على الغداء.

باسل يكون صديق يوسف وأسر منذ الطفولة بقوا طوال مسيرتهم مع بعضهم ولم يفترقوا وكان معهم شاب آخر ولكنه سافر أيضاً، ظلوا مع بعضهم وكانوا مخازن أسرار لبعضهم وكان كل منهم يختلف بشخصيته عن الآخر ولكن الأقدار تجري بحكمها عليهم وكل منهم قرر العيش بالجانب الذي يحبه وكل منهم شق طريقه إلى مستقبله، كما أن ماري ورنيم كانتا صديقتان مقربتان أيضاً منذ صغرهما وأمضوا طفولتهما سوياً، ولكن هل سيجتمعون من جديد ياترى؟ كل شيء لترتيب القدر.

" لا يتحكمُ الناس في قدرهم، بل يقوم القدر بإنتاج من يصلحون للساعة.."

استيقظت آسيل من أثر الضربة وقد شعرت بالألم الذي برأسها، ظلت تحرق بالسقف عدة دقائق وهي تراجع الأحداث التي مرت بها، بدأت دموعها بالسقوط وهي تلعن خالتها وخالها مئات المرات، نظرت حولها ووجدت بأنها بغرفة غير غرفتها، كانت غرفة مليئة بالفوضى ورائحتها كريهة ووجدت رأسها ملفوف بالشاش، لإن أحلام أصرت على مالك بأن يعالج رأسها كي تستيقظ بأسرع وقت ومن بعدها نقلها إلى غرفة القبو وحالما تستيقظ سيقومان بتسليمها للشاب، حاولت آسيل أن تنهض وما إن وقفت حتى شعرت بدوار يقتحم رأسها لتعود وتجلس وتضع يديها على رأسها، رفعت رأسها وعادت لتهم بالنهوض وقد تحاملت على نفسها وبدأت تبحث بناظريها عن باب الغرفة لتتوجه إليه، حاولت أن تفتحه ولكنه مقفل، بدأت تصرخ وتخبط على الباب بعنف، وما إن سمعو صوتها حتى توجه مالك وأحلام إليها، فتح باب القبو ونظر إليها مالك نظرة غريبة لينتقم منها ويقوم

بحملها والصعود بها إلى غرفة المعيشة وأحلام تمشي ورائه، وضعها على الأريكة برفق وجلس بجانبها هو يعلم بأن ليس لديها القوة الكافية لكي تحاول الهروب لذلك اطمئن قلبه.

قامت أحلام بمهاتفة ذلك الشاب وأخبرته بأنها استيقظت لتسمع رده يقول لها بأنه سيأتي سريعاً، انضمت إليهما أحلام وجلست معهما وعم الصمت لدقائق، كانت أسيل لا تقوى على رفع رأسها ولكنها كانت مجبرة حتى شعرت بأنها لا تستطيع التحدث، تنهد مالك بحنق ووجه حديثه لأسيل وقال بنبرة لؤم:

"سيأتي الشاب ومن بعدها سنأتي بالمأزون ونعقد قرانك وتذهبين معه هل تفهمين؟ أحلام قد جهزت حقيبتك وكل شيء"

لم تبدي أي ردة فعل ولم تجبه وحتى أنها لم تلتفت إليه أبداً وهذا ما زاد من حنقه ليردف:

"هل تفهمين"

نظرت له نظرة خالية من المشاعر لتستجمع قواها وتقول بصوت مجروح:

"لن تستطيع إجباري على شيء، إذا كنت تريد اقتلني لايهمني"

ابتسم ابتسامة مآكرة ليقول لها:

"لا لن أقتلك وإنما سأقتل والدتك وزوجها ما رأيك"

وجهت نظرها نحوه بصدمة لتعقد جاجبيها وتقول:

"ما الذي تقوله أنت"

تنهد بقوة واعتدل بجلسته ليقول:

"اسمعيني جيداً، أنا رجل لا يهمني سوى المال ولأكون صريحاً معك فأنا قد قمت ببيعك لذلك الشاب وقد دفع بك مبلغ كبير ومحترم وهو يعلم بكامل قصتك لإنني أخبرته بكل شيء، وإذا قمت بقتل والدتك سأنتفع من ذلك حتى وإن كانت أختي أقتلها، وأريد أن أقول لك شيئاً بأنني وضعت واحد من رجالي أمام منزل والدتك وممكن بأي لحظة أن أقوم بمهاتفته وأطلب منه بأن ينفذ ويقتل والدتك وعمك، هو ينتظر إشارة مني فقط، فماذا قلتي"

نظرت له بصدمة وهي تكاد لا تصدق بأنه يكن لها ولوالدتها كل هذا الحق، كيف يستطيع بأن يقتل أخته ولا يبالي؟ كيف يستطيع فعل هذا الشيء الفظيع؟ هل المال يفعل هكذا بالناس؟ يا إلهي! هذا ما كانت تفكر به أسيل، لم تستطع القبول وكذلك لا تستطيع الرفض فما الذي ستفعله؟ بقيت تفكر ولكن دون جدوى لم تستطع أن تجد حلاً لهذه المشكلة، هي تعلم بأن خالها ممكن أن يقتل والدتها ولن يهमे الأمر، لأنه اتضح لها من نبرته وحديثه

بأنه جاهز ولن يتردد لحظة واحدة، لن تستطيع أن تفعل شيء، حسمت أمرها وأجبرت على الموافقة لأنه ليس لديها حلاً آخر، تريد إنقاذ والدتها ولا تريد أن تخسرها، تنهدت بحزن ويأس لتقول:

"حسناً موافقة"

ابتسم مالك ابتسامة واسعة وكذلك أحلام ليتنهد بارتياح تام، في الواقع مالك لا يستطيع أن يقوم بقتل شقيقته لو كان يستطيع فعل ذلك لكان قد قتلها منذ زمن ولكن لا، فهو لا يريد الموت لأخته بل يريد أن تعيش حياة هادئة بعيداً عن هشام وأسيل وهذا ما خطط له وهذا ما نفذه، حتى أنه لم يكن يضع أي شخص أمام منزل شقيقته ولكنه أجبر على أن يقول هكذا أمام أسيل كي تخاف على والدتها وتوافق، وهو يعلم جيداً بأنه عندما يتعلق الأمر بوالدتها لا تستطيع التفكير بشيء سوى سلامتها وها هو قد نجح بخداع أسيل، وهم الآن ينتظرون ذلك الشاب الذي يدعى وائل ( شاب بالسادسة والعشرين من عمره يعيش بغير بلدة ولكنها لا تبعد كثيراً عن بلدة أسيل، لديه بيت كبير نوعاً ما يعيش به برفقة والدته التي يصل عمرها إلى منتصف الأربعين تقريباً وهي سيدة متعجرفة تقوم بإقامة علاقات مع جميع الرجال ولكن ولدها لا يعلم بذلك فهي تستغله وتفعل ذلك الشيء من ورائه تدعى سهى، وبالنسبة لعمل وائل فهو يتاجر بالأسلحة وغسيل الأموال ووالدته تعلم بهذا الشيء ولكنها صامتة ولا تتدخل بشأن عمله كونه هو من يصرف عليها ويزودها بالمال الوفير)

-----

بعد مرور ساعة تقريباً وصل ذلك الشاب ودخل بقوامه الصلب، هو قوي البنية متوسط الطول ذو عيينين واسعتين زرقاء وشعر أشقر، توجه إليهم وجلس معهم بعد أن استقبلته أحلام وعلى محياها ابتسامة مأكرة، وجه نظره حول أسيل التي كانت جالسة بصمت لا حول لها ولا قوة حتى أنها لم تنظر إليه، لفت نظره رأسها الملفوف بالشاش لينظر لها بحاجب مرفوع، وجه نظره إلى مالك وتحدث ببرود:

"ما بها"

ابتسم مالك ابتسامة صغيرة ليقول:

"أنت تعلم بأنها مجبرة على الزواج لذلك لا تهتم كثيراً مع الوقت ستعتاد"

نظر إليه ببرود ليقول:

"لا يهمني إن كانت مجبرة أو موافقة، أنا أحدثك عن حالها لما رأسها ملفوف بالشاش"

نظر مالك نظرة خاطفة إلى أسيل التي كانت تنظر إلى اللاشيء ببرود قاتل وأعاد نظره إليه وقال:

"لقد اضطررنا إلى فعل ذلك لأنها تسببت بالكثير من الفوضى"

تنهد وائل بضيق ليتحدث بغضب مكتوم:

"ولكن لم يكن اتفاقنا على هذا، أنا اشتريتها منك وقد دفعت لك المال كي تسلمني إياها سليمة"

توتر مالك وأيضاً أحلام وحاول أن يلطف الجو ليقول:

"م حسناً لا بأس الضربة كانت خفيفة جداً لم تؤثر كثيراً، والآن ها هي عروستك جميلة أليس كذلك"

نظر وائل إلى مالك ببرود ومن ثم وجه نظره إلى أسيل وتحدث بنبرة عادية:

"كيف حالكِ أسيل"

لم تجبه ولم تنظر إليه فقط اكتفت بهز رأسها بمعنى بخير، نظر لها مطولاً ولم يردف لها أي شيء، تنهد بقوة ومن ثم وجه حديثه لمالك وقال:

"حسناً أين المأزون أنا على عجلة من أمري ولا أريد أن أتأخر"

ابتسم كل من أحلام ومالك ابتسامة واسعة ليقول مالك:

"سأقوم بجلبه وفي غضون دقائق سنكون هنا"

بعد ربع ساعة تقريباً جاء مالك برفقة المأزون، توجهوا إلى غرفة المعيشة وقاموا بعقد قرانهما بسرعة بالغة، تنهد مالك بارتياح وأحلام اكتفت بالابتسام بمكر، بينما أسيل كانت صامتة باردة هادئة لا تبدي أي ردة فعل، ولم تنتبه لذلك الذي شرد بملامحها وذهل من جمالها، نهض وائل واستعد للذهاب قائلاً:

"حسناً هذا جيد، هيا انهضي أسيل سنذهب"

نهضت أسيل بصمت ولم تبدي أي رأي، بينما مالك وأحلام كانا لا يصدقان بأن أسيل ستخرج من حياتهما إلى الأبد كما يعتقدان، توجهت أحلام بسرعة وجلبت حقيبة أسيل وأعطتها لوائل الذي كان يتابع حركات أسيل الباردة ومن ثم تحدثت أحلام:

"مبارك لكما"

ابتسم وائل ابتسامة باردة ليقول:

"شكراً"

ومن ثم وجه حديثه إلى أسيل ليقول:

"هيا أسيل"

توجه كل من وائل وأسيل إلى الخارج وصعدا للسيارة وتوجه بها إلى بيته، بينما أحلام ومالك زفرا براحة ليعودان إلى الداخل ويجلسان لتتحدث أحلام:

"بقي لدينا شيءٌ واحد"

ابتسم مالك بمكر ليقول:

"لا تقلقي من أجل هشام لقد توليت الأمر، خذي هذه الورقة وعندما يأتي تقولين له بأنها هربت وتركت هذه الرسالة في غرفتها اتفقنا"

أخذت أحلام الورقة من مالك لتقرأها وتتوسع عيناها ومن بعدها ابتسمت ابتسامة مكرة لتقول:

"أيها اللعين بهذا الحال لن يفتضح أمرنا"

هز رأسه بابتسامة مكرة بينما أحلام تنهدت بارتياح، نهض مالك من مكانه وجلس بجانب أحلام ليقول:

"والآن ألا تريدين مكافأتي"

عقدت أحلام حاجبيها لتقول:

"ما الذي تقصده"

زفر بانزعاج ليقول:

"أحلام لا تتعابي، هيا تعالي لكي نقوم بجولة قبل أن يأتيان أولادك من بيت جدهم"

بقيت أحلام تفكر بأنها ستعتبر خيانة إذا قامت بهذا الشيء مع مالك، هي تحب زوجها بل تعشقه ولا تريد خيانتة، تنهدت بانزعاج لتقول:

"لا لن أفعل معك شيء لا أريد خيانة زوجي"

ضحك مالك ليقول من بين ضحكاته:

"خيانة ممم وماذا عن تفريطك بالأمانة ألا يعتبر خيانة أيضاً؟ حسناً كما تشائين ولكن أريد أن تستمعي إلى هذا التسجيل"

أخرج مالك من جيبه هاتفه وقام بتشغيل تسجيل لأحلام عندما كانت تتفق معه على التخلص من أسيل، توسعت عيناها لتتنظر له بصدمة وتقول:

"كيف تفعل ذلك بي"

هز كتفيه بلا مبالاة ليقول:

"وما شأني أنا، والآن أنتِ حرة كما تشائين ولكن لاتلوميني عندما أقوم بإرسال هذا التسجيل إلى زوجك هل سمعتي"

ضيقت عيناها وتحدثت بنبرة لؤم لتقول:

"لا تنسى بأنك معي بجميع الأحوال"

ابتسم ابتسامة مستفزة ليقول لها:

"أجل أعلم ولكن أكثر الأشياء التي سأفعلها بأنني سوف أخذ زوجتي وأولادي إلى خارج البلاد وتبقين أنتِ بوجه المدفع"

أنهى جملته بغمزة وابتسامة مستفزة لتتنهد بغضب وتقول بتردد:

"حسناً، ولكن فقط هذه المرة ومن بعدها تخرج من حياتي وكأن شيئاً لم يكن اتفقنا"

ابتسم واقترب منها ليقول:

"أعدك بأن أجعلك تطلبين المزيد"

أنهى جملته وسحبها من يدها ليصعدان إلى الغرفة ويفعلان أبشع الأشياء دون خوف يذكر أو حال ينكر.

-----

بينما من الجهة الأخرى عند وائل في سيارته

كانت أسيل طوال الوقت صامتة ولا يسمع لها همس، كانت باردة المشاعر لا تفعل شيء سوى الالتزام بالصمت، وهذا مازاد من حنق وائل وقليل من الغضب، قرر أن يكسر الصمت الذي بينهما ليقول:

"ممم سأعرفك على والدتي عندما نصل، أتمنى أن تتفاهمان مع بعضكما"

وأمرت بصمت وبرود ولم تتحدث ليزفر هو بقوة ويردف:

"حسناً إلى الآن لم أسمع صوتك لما لا تتحدثين"

تنهدت ببرود ولم تجبه ليزفر بضيق واضح ويتحدث بغضب مكتوم:

"أسيل ما لعنتك ها أريد سماع صوتك"

وأيضاً لم تجبه ليردف لها:

"حسناً حدثيني عنك"

تنهدت بضيق وملل لتقول بصوتٍ مبجوح:

"ما الذي تريد معرفته عني"

ابتسم لسماع صوتها ليقول:

"ممم ماذا عن دراستك واختصاصك، ماذا تحبين وماذا تكرهين هكذا، مم حدثيني عن حياتك بشكل عام"

أجابت ببرود;

"حسناً، عمري تسعة عشر سنة متخصصة في مجال الرسم والتصميم وهذه السنة الثانية لي في الجامعة"

صمتت قليلاً لتردف بعدها:

"كنت أعيش مع والدتي وبعدها تزوجت وعشت معها فترة ثلاثة أشهر ومن بعدها انتقلت للعيش مع والدي بناءً على طلبه، إلى أن التقيت بي الآن فقط هذا"

أنهت جملتها بهمس ليههم لها ويقول:

"مجالك رائع والآن أريد أن أخبرك شيئاً بأن ليس لديكِ جامعة بعد الآن إلى أن تهدأ الأوضاع ويتوقفان والداك عن البحث عنك، لأنني متأكد بأنهما سيبحثان عنك، كما تعلمين يجب أن أبعدك عن الأنظار"

نظرت له نظرة باردة ليبادلها بابتسامة صغيرة لتقول له مضيقّة عينها:

"ما الذي جعلك تشتريني من خالي وما الذي سيفيدك بذلك وماذا ستفعل بي"

أجابها بهدوء:

"ستعلمين كل شيء ولكن ليس الآن"

عقدت حاجبها بعدم فهم وقد تملكها شيئاً من الخوف بسبب نبرته لتقول:

"أريد أن أعلم الآن"

ابتسم بسخرية ليقول:

"يا لك من عنيدة، كل شيء في وقته"

تنهدت بانزعاج لتقول له:

"حسناً أريد أن أطلب منك شيئاً"

ابتسم بمكر ليقول:

"أعلم ما الذي ستطلبينه مني"

عقدت حاجبها ورمشت بعيناها عدة مرات لينظر لها ويردف:

"تريدين أن لا أقترّب منك أو ألمسك أليس كذلك"

أخفضت بصرها وقد احمرت وجنتيها خجلاً لأنه أول مرة يحدثها أحد بهذا الموضوع لتهز رأسها وهي مخفضة رأسها لينظر لها ويبتسم على خجلها ويقول:

"حسناً لك هذا"

نظرت له نظرة امتنان وابتسمت ابتساماً لم تصل لوجهها ليبادلها بابتسامه جانبيه ومن ثم يعود بنظره إلى الأمام.

بعد وقت ليس بطويل وصل وائل إلى منزله الذي كان عبارة عن حديقة كبيرة وواسعة ومن ثم يليها المنزل من الداخل فقد كان رائع، مزود بالاثاث الفخم والذي يخطف الأنظار من روعته، تمعنت أسيل بالمنزل حالما دخلت إليه برفقة وائل لتسمع صوته ينادي على والدته، تقدمت والدته بخطوات واثقة وعلى وجهها علامات التعجب، نظرت سهى لوائل ومن ثم لأسيل التي كانت تقف بصمت مخفصة رأسها للأسفل، بينما سهى كانت تتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها وبعدها وجهت نظرها لوائل الذي كان يقف وعلى وجهه ابتسامه صغيرة ومن ابتسامته علمت سهى بأن هذه هي الفتاة التي حدثها عنها، ابتسمت ابتسامه بارده نوعاً ما لتقول:

"أهلاً بني من هذه الجميلة"

اتسعت ابتسامه وائل ليقول:

"هذه أسيل أمي"

همهمت سهى وقالت:

"التي حدثتني عنها أليس كذلك"

هز رأسه بنعم دون أن يتحدث لتوجه سهى نظرها لأسيل وتقول:

"أهلاً عزيزتي تفضلي"

رفعت أسيل نظرها إلى سهى وابتسمت لها ابتسامه صغيرة لتتقدم وتمشي وراء سهى إلى غرفة المعيشة ومن ثم تجلس على الأريكة ويجلس بجانبها وائل وأمامهما جلست سهى التي وضعت قدم على قدم، عم الصمت قليلاً لتقول سهى:

"إذاً أسيل الآن أصبحتي زوجة ولدي صحيح"

هزت رأسها دون التحدث لتهمهم سهى وتقول:

"مم يسعدني ذلك، ذوق ابني أعجبي حسناً حدثيني عنك"

حدثتها أسيل عن نفسها باختصار وصمتت.

في الواقع سهى تعلم كل شيء عن أسيل وتعلم بقصتها وقصة والديها ولكنها أرادت أن تكسر الصمت قليلاً من أجل وائل، هممت سهى وتحدثت:

"رائع عزيزتي، أهلاً بك في بيتك الثاني"

أجابت أسيل بهدوء:

"شكراً لك"

تحدثت سهى:

"ما به رأسك"

تحدثت أسيل بتوتر وقالت:

"ممم لقد تعثرت وأصبحت برأسي"

هزت رأسها سهى وهي ترفع حاجبها غير مقتنعة بكذبتها ولكنها فضلت الصمت فهي ستقوم باستجواب ابنها عندما يجلسان بمفردهما.

أما عن وائل فقد كان صامت لا يتحدث فقط يستمع، ليحدث أسيل بعد فترة قصيرة:

"حسناً هيا انهضي كي أريك غرفتنا وترتاحين قليلاً بينما يجهز العشاء"

وجه نظره لوالدته ليقول:

"عن إذنك أُمي سنرتاح قليلاً"

ابتسمت سهى وهزت رأسها موافقة لتنهض أسيل وتتجه مع وائل إلى غرفتهما، صعدت أسيل معه إلى الغرفة ودخلت لتتظر لها بتمعن وإعجاب ليبتسم وائل ويقول:

"هل أعجبتك"

هزت رأسها موافقة ليردف:

"هذه ستكون غرفتنا"

توترت عند سماعها لهذه الكلمة وقد شعر بها وائل ليقول:

"سأنام على هذه الأريكة وأنتِ ستنامين على السرير، لا أستطيع أن أنام بغير غرفة كي لا تشك والدتي بشيء، سيظل كل شيء سر بيني وبينكِ انفقنا"

نظرت له أسيل مطولاً لتقول بصوتٍ خافت:

"حسناً انفقنا"

ابتسم لها وتحدث:

"حسناً سأنزل لأجلب حقيبتك، خذي راحتك"

ابتسمت له ومن ثم نزل هو للأسفل بينما أسيل تنهدت بقوة وجلست على طرف السرير تفكر بحالها وبالمشاكل التي تحدث معها، لا تعلم أنتق بزوجها أم لا فهو يعاملها بلطف ولم يجبرها على شيء وحتى والدته كانت لطيفة معها، لم تعلم ماذا تفعل وقررت بأن لا تتق بأحد ولن تتهاون مع أي أحد بعد الآن، ستكون طبيعية ولن تفعل أي شيء يجعلهما يعاملوها بنفور أو ما شابه.

"ها نحن نتباعد عن بعضنا أكثر فـ أكثر"

كُلَّ يوم وكأننا شظايا تتناثر في الفضاء

ويعجز الواحد منا أن يسمع الآخر أو يوصل إليه رأياً

أو يلقي له أذنأ أو يفتح له قلباً "

---

عند شهد في منزلها

تجلس بقلق شديد وواضح عليها، اتصلت بأسيل عدة مرات ولكن هاتفها مغلق منذ البارحة وهي قلقة عليها ولا تعلم أين يقع منزل والدها، ترددت بأن تهاتف سمية ولكن لا تريد أن تقلقها على ابنتها الوحيدة، ظلت تجول الغرفة ذهاباً وإياباً، حاولت أن تهدأ من روعها وتطمئن نفسها بأن صديقتها بخير وتنهت بقلق.

-----

بينما في منزل سمية تجلس على الأريكة تقلب بقنوات التلفاز بملل، تنهدت بضيق وملل لترى وسيم يدخل عليها ويلقي التحية ببرود تام، نظرت له بشك لاتعلم ما الذي أصابه وما الذي حدث له، هو متغير عليها كثيراً يعاملها بجفاء ويتهرب منها ويقضي معظم أوقاته خارج المنزل ويسأل على أسيل كثيراً، تنهدت بقلة حيلة ولم تحدثه بشيء لتسمع صوته يحدثها ببرود:

"كيف حال أسيل"

نظرت له نظرة باردة لتقول ببرود:

"لم أحدثها اليوم ولكن هي جيدة"

همهم لها وقال:

"حسناً هاتفها واطمئني عليها، ألم تقل لك بأن والدها قد سافر! إذاً حدثها واسألها إذا كانت خالتها تعاملها معاملة سيئة"

زفرت الهواء وتمتمت:

"حسناً"

امسكت هاتفها وحاولت الاتصال بابنتها ولكن هاتفها مغلق، ظلت تحاول عدة محاولات ولكن دون جدوى لتزفر بضيق وتقول:

"هاتفها مغلق وليس لدي رقم هشام لاسأله عنها"

تنهد بقوة وهز رأسه وصمت، نظرت له سمية مطولاً وحدثته:

"ما بك"

نظر لها ببرود ليقول:

"لا شيء"

همهمت له ونهضت متوجهة الى غرفتها تاركة إياه سارح بملامح أسيل وعلى وجهه ابتسامة صغيرة، هو لم يخرجها من عقله ولا من قلبه، كل يوم يفكر بها ولا يمل، يريد لها ويريد أن تكون معه ولكن لن يستطيع، شعر كثيراً بالجفاء تجاه سمية لم يعد يطيق الجلوس معها أو الاقتراب منها أو الاحتكاك بها، يريد أسيل فقط فما باله إذا علم بزواجها الآن؟ كيف ستكون ردة فعله؟ وكيف سيتقبل الامر؟ وكيف سيواجه المشكلة ياترى؟.

---

قبل ساعات

عندما قرر الحارس الذي كان يراقب ماريا بالذهاب إلى الفرع عند يوسف، توجه إليه بسرعة البرق ومن ثم طلب الإذن من العسكري بالدخول إليه، وقد كان يوسف يجلس في مكتبه وأسر كان جالساً معه ليسمع صوت طرقات على الباب ومن ثم يخبرهما بأن الحارس يريد رؤية يوسف، حدث يوسف العسكري بسرعة وقال باهتمام:

"أدخله بسرعة"

دخل الحارس بتردد وخوف يجتاح قلبه من المواجهة ولكن ما باليد حيلة، سمع صوت يوسف يقول باهتمام واضح:

"ما الأخبار؟ هل حدث شيء"

انتظر يوسف إجابة الحارس بترقب ليلاحظ توتره وخوفه الشديد وبدأ يفقد أعصابه ليحدثه يوسف بحدة:

"لما تقف أمامي كالجماد قل ما لديك هيا"

أغمض الحارس عيناه بقوة ومن بعدها زفر الهواء ليقول:

"سيدي لقد جلبت لك أخبار سيئة بشأن الأنسة ماريا"

التقت إليه كل من أسر ويوسف باهتمام ليحدثه أسر:

"قل ما لديك بسرعة"

تحدث الحارس بتلعثم:

"لقد كنت أراقبها وهي بجامعة وأتى شاب إليها وجلس معها وعلى الأغلب تبين لي بأنهما كانا يتشاجران لإنني لم أستطع أن أسمع حديثهما ومن بعدها استقلت سيارته وذهب بها إلى مكان شبه منعزل وبعدها تحدثا قليلاً و."

صمت الحارس ولم يستطع بأن يكمل ليصرخ به يوسف:

"اللعة اللعة تحدث"

تحدث الحارس بسرعة:

"وقد قام بتقبيلها"

صمت الحارس ليبتلع ريقه ومن ثم يردف:

"لقد صورتها كي ترى الصور بعينك سيدي، ظلا قرابة الربع ساعة يقفان ويتحدثان سوياً ومن بعدها أوصلها إلى المنزل وأنا قمت بلحاق الشاب وعلمت أين يقيم ومعلومات قليلة عنه"

صمت عم بالمكان لا يسمع سوى صوت أنفاس أسر ويوسف الحادة، أصبحت عينان يوسف حمراء وتوعد لأخته بالجحيم هي وذلك الشاب لينظر للحارس بحدة ويقول:

"ماذا عرفت عن هذا الشاب"

تحدث الحارس:

"اسمه أوس عمره اثنان وعشرون سنة وهو يعمل مع والده بشركته للإستيراد والتصدير ويدرس في نفس مجال الأتسة ماريا فقط هذا"

تحدث أسر بشيء من الحدة:

"أرني الصور"

ابتلع الحارس ريقه وتقدم بخطوات بطيئة ليخرج من جيبه هاتفه ويريهما الصور لتتوسع عينان أسر ويوسف وتشتد ملامح وجهيهما بحدة، رفع يوسف نظره للحارس وقال:

"سأبعث معك دورية لتأتني بهذا اللعين إلى هنا"

أخذ أسر الصور من هاتف الحارس وقام بمسحهم من عنده، نادى يوسف على العسكري وأرسله مع الحارس ليأتوا بأوس وأمرهم بأن يضعوه بالمنفردة ريثما يعود.

نهض يوسف بغضب ليسمع صوت أسر يقول:

"إلى أين"

التقت يوسف ليتحدث بغضب:

"إلى تلك اللعينة"

تنهد أسر بحدة ونهض ليقف بوجه يوسف ويقول:

"حسناً ولكن اهدأ قليلاً وحاول أن تفهم منها، بالنهاية هذه أختك لا تنسى ذلك يا يوسف"

نظر يوسف إلى أسر بحدة ولم يتحدث ليخرج من المكتب صافعاً الباب خلفه ويتجه نحو منزله ولا يكاد يصدق أن يصل للبيت فقط كي يري أخته الجحيم بعينه.

-----

بعد وقت قصير وصل يوسف للبيت ليتجه فوراً إلى غرفة أخته، فتح باب غرفتها بقوة مما أدى إلى ارتطام الباب بالحائط لتفزع ماريًا وتقول:

"مابك يوسف لماذا دخلت هكذا"

نظر لها بحدة ليرفع حاجبه ويقول:

"أتيت لكي أريك شيئاً سيعجبك يا أختي المحترمة"

ابتلعت ريقها وبدأ الخوف يدخل قلبها لتراه يقترب منها بخطواتٍ سريعة ويخرج هاتفه ويريهما ما صدمه وصعقه منذ قليل لتتوسع عيناها بقوة وتتنظر لأخيها الذي ينظر لها بغضب و حدة، أمسكها من شعرها وشدها بقوة إليه ليتحدث من بين أسنانه:

"هل تسخرين مني ها؟ تكذبين علي أيتها اللعينة؟ أقسم بأنني سأريك الجحيم يا ماريانا"

انفضت بين يديه لتنزل دموعها بسرعة، هي تعلم يوسف عندما يجن جنونه لن يوقفه شيء أبداً، بدأت تشهق بقوة لتتحدث بنقطع:

"أرجوك اسمعني يا يوسف هو يحبني وسيأتي لكي يتقدم لي بالزواج"

شدد قبضته على رأسها ليقول بحدة:

"لن يكون لديه الوقت لإنني سأنهاي حياته كما أنك سترين الوجه الذي لم ترينه بي طوال سنينك التي عشتها معي"

نفضها من يده بقوة لتبدأ شهقاتها تتعالى وهي تزحف بنصف جسدها إلى زاوية سريرها ويوسف يقترب منها لينهال عليها بالضرب المبرح ويصب كل جنونه عليها، بينما هي كانت تتلوى من شدة ألمها وتبكي بهستيرية وتتألم من ضربه المبرح لها وهو لا يشفق لحالها أبداً، توقف عن ضربها قليلاً ليمسكها من معصمها ويقترب منها ويحدثها بشيء من القهر:

"لقد حاولت أن أكون لك الأخ المثالي، لم أحرملك من شيء، أعطيتك ثقتي ودلتك وعوضتك عن حرمانك لوالديك ولكنك حقيرة لا تستحقين سوى الضرب والإهانة"

أصبح تنفس يوسف سريعاً بينما ماريانا تبكي بكاء شديد على حالها ومن حديث أخيها ليرد لها:

"ما الذي فعلت معي ها؟ هل اختلى بك؟ تحدثي أيتها الحقيرة"

لم تجبه بل اكتفت بالبكاء الشديد وصوت شهقاتها التي ملأت أرجاء الغرفة ليرد أيضاً:

"أنت لا تستحقين أن تكوني أختي ولا تستحقين الدلال والرفاهية التي ربيتك عليها، تستحقين الجحيم فقط"

أعاد الكرة وبدأ بضربها بقوة وهي تتألم وتكاد لا تشعر بجسدها الصغير، ليكمل يوسف ضربه لها بهستيرية وهي تصرخ وتناجي ليفتح باب غرفتها فجأة ويدخل أسر عليهما ويقوم بإبعاد يوسف عن شقيقته بينما يوسف يكاد يجن يريد أن يفرغ طاقته بها ولكن أسر أحكم إمساكه له ليخرجه من غرفتها ويبقى هو معها ويقوم بإغلاق الباب وقفله.

زفر بقوة لينظر إلى ماريا التي كانت تبكي بهستيرية وشهقاتها المتقطعة تتعالى، ليقترب منها ويقوم باحتضان جسدها الصغير ويربت على رأسها بحنان، مر وقت قصير على أسر وهو يحتضن ماريا بينما هي كانت تنتفض بين يديه لتبدأ بالهدوء، ظل يفكر كيف سيحل هذه المشكلة وكيف سيأمن على ماريا مع يوسف؟ هو يعلم بأنه سيعارض أخذها معه إلى منزله ولكن لا يستطيع تركها معه، يخاف بأن يتورط ويأذي أخته لأنه يعلم يوسف عز المعرفة، هو مجنون ولا يتحمل بعكس أسر فهو يحاول أن يتحكم بنفسه ولا يتهور ويفكر بحكمة ومن بعدها يثور بركان غضبه، بينما يوسف سريع الغضب لا يفكر بشيء أبداً عندما يغضب ويتصرف كالثور الهائج لهذا السبب قد لحق به ليوقفه عن جنونه.

تنهد بقوة ليشعر بماريا التي انتظمت أنفاسها وقد علم بأنها غطت في نوم عميق، اعتدل بجلسته وقام بالنهوض ليمدد ماريا برفق وهدوء على سريرها ومن ثم يتجه إلى الخارج حيث سمع ضجة وأصوات تكسير وتحطيم من غرفة يوسف، توجه إليه وفتح الباب ليرى منظر غرفته وهي مقلوبة رأساً على عقب، فا يوسف لم يترك شيء في غرفته إلا وقام بتحطيمه وهو يهذي بكلمات غير مفهومة ويصرخ ويسب ويلعن بأخته وبذلك الشاب، اتجه أسر إليه ليلكمه لكمة قوية ومن ثم يترنح يوسف ويقع أرضاً، نظر إليه أسر بحدة وحدثه بصراخ:

"ما الذي يحدث لك أيها الأحمق"

بدأ قلب يوسف يعلو ويهبط بسرعة فائقة وهو يتنفس بحدة ليقول بصراخ:

"أختي لعينة ساقطة أريد أن أقتلها هل تسمعني، سأقتلها وأقتل ذلك اللعين"

تنهد أسر بحدة وحدثه:

"اهدأ ولا تتحدث هكذا، هذه أختك أيها الأحمق لن تهون عليك أنا متأكد، لا تفعل شيء تندم عليه فيما بعد"

لم يجبه يوسف بل ظل صامتاً يحدق بالفراغ بذهول تام وهذا ما أخافه ليقول:

"ما بك يوسف"

بدأ يوسف بالبكاء ليتعجب أسر من حاله ويحدثه بذهول:

"لماذا تبكي مابك"

زاد بكاء ونحيب يوسف ليتحدث من بين شهقاته بقهر:

"لقد ضربتها كثيراً، لم أكن أريد ذلك ولكن هي من أجبرتني على فعل ذلك، لقد استغفلتني وخدعتني، أنا أحب ماريا كثيراً ولا أريد إيدائها"

تنهد أسر بعجز ليقول:

"هل حاولت فهم شيء منها؟ هل اقترب منها أو آذاها"

تنهد يوسف عندما توقف عن البكاء وتحدث بنبرة جامدة:

"لا أعلم، سأخذها للطبيبة لكي تقوم بفحصها وإذا كانت ليست عذراء فأنا سأخرجها من حياتي وسأنسى بأن لدي أخت، لا أريدها أبداً"

زفر أسر الهواء وقال:

"حسناً كما تشاء ولكن الآن اهدأ"

حرك يوسف رأسه بإيجاب وجمود ولم يتحدث لينظر له أسر بحزن وشفقة على الحال الذي وصل له والحال الذي أوصله لماريا.

بالرغم من كل شيء هو يرى أن ماريا لم تخطئ فقط أحببت من قلبها وأخاها لم يتقبل الفكرة لأنها لم تقم بإخباره وهذا ما أخطئت به وما زاد الطين بلة، ظل أسر شارد الذهن لينظر بعدها إلى يوسف الذي كان يتمدد على سريره وقد غط في نوم عميق هو الآخر بعد نوبة الجنون التي فعلها، نهض أسر من جانبه وتنهد بحسرة على أولاد عمه ليتجه إلى الخارج وينزل لغرفة المعيشة، كان يريد الذهاب إلى منزله ولكنه لم يستطع أن يترك ماريا مع يوسف بمفردها لذلك قرر البقاء معهما ريثما يجد حل لهذه المشكلة.

---

حل المساء

وأسيل كانت تجلس في غرفتها حزينة على نفسها وعلى والديها اللذان سيصعقان عندما يستقبلان خبر زواجها الذي حدث من دون علمهما، بينما وائل كان يجلس مع والدته وكالعادة تقوم باستجوابه لتقول:

"حسناً ما الذي ستفعله بهذه الفتاة؟ هل جلبتها لمتعنتك أم أنك حقاً تريدها"

انزعج وائل من حديث أمه ليتأفف ويقول:

"أمي بالله عليك أريحي رأسي من اسئلتك، طبعاً لم أجلبها لمتعنتي هي أصبحت زوجتي الآن لا تتحدثني عنها بهذه الطريقة"

امتعضت سهى بشكل ملحوظ لتقول:

"وهل توفر لك الوقت الكافي لتصبح زوجتك فوراً وفعلتها معها"

نفخ بحدة ليتحدث:

"أنتِ لن تتغيرين أبداً، اسمعيني جيداً لا أريد أية مشاكل بينك وبينها اتفقنا ارجوكِ أمي"

تنهدت سهى بقوة لتقول:

"حسناً حسناً لن يحدث مشاكل ولكن أريد أن أعلم هل ستطلقها مع الوقت أم أنها ستبقى زوجتك للأبد"

نهض منتفضاً وتحدث بغضب:

"اللعة أمي ألا تسمعين ما بك؟ قلت لك أصبحت زوجتي ولن أطلقها أبداً"

أنهى جملته وترك والدته تحرق بذهول وبدأت الأفكار تضرب برأسها، وائل لم يحب أي فتاة في حياته بل كان يستمتع بالنساء فقط، هل هذه الفتاة سرقت قلبه أم أنه يشفق عليها؟ تعجبت من نبرة حديثه معها ولكنها لم تعطي الأمر أهمية، أمسكت بهاتفها وتحدثت مع أحد الرجال لكي يأتي لها بالسر ومن دون أن يشعر به أحد وقد اطمئنت كون ابنها قد جلب زوجته لذلك سوف ينشغل بها ولن يعطيها أهمية.

-----

بينما وائل صعد إلى غرفته ووجد أسيل جالسة على السرير ضامة ركبتيها إليها وتحرق بالفراغ ليقتررب منها ويقول:

"أسيل هل تعانين من شيء؟ هل يؤلمك رأسك"

التفتت له لتقول بصوتٍ خافت:

"لا، لا يؤلمني"

همهم لها ليقول:

"حسناً سأجلب علبة الإسعافات الأولية لكي أقوم بتغيير الشاشة لك"

أومأت بصمت لينهض ويتجه ليجلب العلبة ويتقدم ناحيتها بخطواتٍ سريعة ويجلس بجانبها ويبدأ بفك الشاشة ويقول:

"كيف تلقيتي الضربة"

تنهدت بضيق لتقول:

"لا شأن لك"

توقف عن ما كان يفعله لينظر لها مطولاً ببرود قاتل ومن ثم يعاود سؤاله ويقول:

"كيف تلقيتي الضربة أسيل"

أنهى جملته وعاد ليفك لها الشاش لتقول:

"كنت بحالة هستيرية وكنت على وشك أن أقوم بضرب خالتي ولكنها هربت للخارج وأقفلت الباب علي وتركتني مع خالي وجاء من ورائي وضربني على رأسي حتى أغمي علي"

ابتلع ريقه وتنهد بحنق ليهز رأسه ولم يتحدث أبداً، بعد وقت قصير انتهى وائل من تعقيم جرح أسيل وتغيير الشاش لها لينهض ويضع العلبة في مكانها ومن ثم يعود لها ويقوم بتمديدتها على السرير ويقول بتغطيتها بشكل جيد، اقترب وطبع قبلة على رأسها ليقول بصوت هامس:

"تصبحين على خير"

توترت أسيل كثيراً ولكن حاولت أن تكون طبيعية لتقول:

"وأنت بخير"

توجه إلى الأريكة وتمدد عليها مرخي بجسده بكل أريحية ليضع يده تحت رأسه وهو ينظر للسقف بشروء ويفكر بأسيل ومعرفته السابقة لها وقلبه المتعلق بها مند سنين.

" - كُلَّ شيء يحدث لسبب

-وكُلُّما كانت البداية مؤلمة كانت النهاية مُلهمة

لذلك سوف تنتهي هذه العاصفة "

بعد مرور ثلاثة أيام على الأحداث

كانت أسيل تحاول أن لا تحتك بأحد، تبقى صامتة طوال وقتها ولا تتحدث إلا إذا حاول أحد الحديث معها أو قام بسؤالها بأي شيء، كحال والده وائل فهي أيضاً لا تحتك بها كثيراً وتحاول أن لا تزجها من أجل ابنها، بينما وائل يعلم بأن أسيل ليست سعيدة معه ولم تكن تريد الزواج بالأساس ولكنه مجبر على تحملها والتماسك قليلاً إلى أن تثق به لأن هذا ما يخطط له، يريد أن تثق به وتحبه وتبادل المشاعر ولكن يجب عليه الصبر.

أما عن سميرة فهي إلى الآن لا تعلم شيئاً عن ابنتها وهذا مازاد من قلقها لأنها لم تهاتفها منذ أربعة أيام، حاولت الوصول إلى هشام ولكنها لم تستطع بينما وسيم يكاد يفقد عقله من خوفه على صغيرته وحاول جاهداً بأن يعلم أين يقيم هشام ولكن أيضاً فشل.

أما شهد فحالها لا يختلف عن سميرة ووسيم فهي خائفة على صديقتها جداً ولم تذهب إلى جامعتها منذ اختفاء أسيل وهذا مازاد من حنق سهيل لأنه كان يخطط لاختطافها ولكن لم تخرج من منزلها إلى حد الآن.

بينما يوسف فهو لا يحدث شقيقته أبداً ولا يحتك بها منذ ذلك اليوم وإلى الآن مصر على أخذها للطبيبة لكي تفحصها ولكن ينتظر قليلاً إلى أن تتحسن نفسيته بناءً على طلب أسر منه، وأسر إلى الآن يقيم معهما خوفاً على ماريما من يوسف بينما ماريما لم تتحدث إلى أحد ولم تخرج من غرفتها خوفاً من أخيها، فقط أسر الذي يدخل لها ويحاول محادثتها ولكن لا تجيبه ولكنه استطاع أن يفهم منها بأنها لم تفقد عذريتها وقد حكى ليوسف هذا الشيء ولكن يوسف مازال مصرّاً على أخذها وهذا مازاد من خوفه عليها وحنقه من يوسف بسبب ما فعله بشقيقته ومن الذي سيفعله بها.

في منزل هشام

وصل هشام إلى منزله بعد سفر شاق وكله اشتياق لأولاده ولحبيبة قلبه سميرة، دخل بهدوء ووقاره إلى منزله ليراه يعم بالهدوء، نادى على زوجته لتأتيه بعد وقت قصير لتركض له وتقوم باحتضانه وعلى محياها ابتسامة صغيرة ليقول لها:

"أين الأولاد"

بلعت أحلام ريقها وبدأت بفرك يديها بتوتر ليعقد هشام حاجبيه ويردف:

"مابك أين الأولاد، نادي عليهم أريد أن أراهم"

توترت أحلام بشدة لتقول بارتباك:

"حا حاضر سأنادي عليهم"

ذهبت من أمامه وقلبها ينبض بسرعة بينما هو دخل إلى غرفة المعيشة وجلس على الأريكة ليمضي وقت قصير ومن ثم يسمع صوت أولاده وهما يركضان إليه وقد قاما باحتضانه ليبادلهما الحضان وعلى وجهه ابتسامة واسعة، تعجب من عدم وجود أسيل ليوجه حديثه إلى أولاده ويقول:

"أين أسيل، هيا غيث اصعد ونادي عليها أريد أن أراها"

صمت غيث وهو لا يعلم بما يجب لأنه لا يستطيع القول، نظر له هشام بعدم فهم ليوجه نظره إلى أحلام ويقول:

"أين أسيل يا أحلام"

توترت أحلام بشدة ولم تجب بشيء ليعيد سؤاله ويقول:

"قلت لك أين أسيل"

تحدثت بتلعثم:

"مم أريد أن أريك شيئاً"

عقد حاجبيه ليقول:

"ليس قبل أن أرى أسيل، أين هي"

بلعت ريقها لتجمع كلماتها وتشجع نفسها وتحدث:

"لقد هربت"

ما إن سمع هذه الكلمة حتى توسعت عيناه ونظر لها بعدم فهم ليقول بتقطع:

"ما الذي تقولينه أنت؟ أين ابنتي"

بدأت أنفاس أحلام بالتسارع لتقول:

"قلت لك لقد هربت وتركت هذه الورقة هنا، هي مختفية من ثلاثة أيام، استيقظت صباحاً ولم أجدها بغرفتها فقط وجدت هذه الورقة"

أنهت جملتها لتخرج من جيبها ورقة صغيرة وتعطيها لهشام، ليمسك هشام بالورقة بيدين مرتجفتين وقلبه ينبض بشدة، قام بفتح الورقة ليقراً نص الرسالة:

"أبي، أعلم بأن الذي سأفعله هو خطأ كبير ولكنني لم أطيق العيش معك أبداً، ولا أكن لك أي مشاعر من الحب والاحترام لإنني لم أنسى ما فعلته بي وبوالدتي ولم أنسى العشرون سنة التي قضيتها من دون حنان الأب لذلك لا أستطيع العيش معك أكثر من ذلك، سأرحل ولن تراني مجدداً، بالمناسبة لقد هربت مع شاب أعرفه منذ مدة وأنا أحبه كثيراً لذلك قررت الزواج به والعيش معه بعيداً عنك، لقد تخليت عنكم جميعاً حتى والدتي لم أعد أريدها، استمتعوا بحياتكم بعيداً عني وثق تماماً بأنك لن تجدني مهما حاولت العثور علي، أوصل تحياتي لوالدتي"

صمت عم بالمكان لا يسمع به سوى صوت أنفاس هشام المتسارعة، بقي يحدق بالفراغ بذهول شديد لا يعلم ماذا يفعل، انعقد لسانه وألجمت الصدمة عليه نظر إلى أحلام المرتبكة والتي تدعي بأن تمضي هذه الليلة على خير، ظل ينظر لها نظرة شك ليقول:

"ماذا فعلتي بابنتي"

هنا وقد أوشكت أحلام على السقوط بأرضها خائفة بأن تكشف خطتهما كونه هشام يشك بها الآن، جمعت الحديث وبلعت ريقها لتقول:

"لم أفعل شيء هي هربت"

انتفض هشام ونهض ليمسك أحلام من رقبتها ويتحدث بصراخ:

"ماذا فعلتي بها؟ أين ابنتي"

كادت أن تختنق بين يديه، تحدثت بصوتٍ مختنق:

"صدقني لا أعلم"

قام بدفعها لتقع أرضاً ويتجه هو كالمجنون إلى حيث وجهته، بعد وقت ليس بقليل وصل هشام إلى منزل سمية ليقوم بالطرق على الباب بعنف شديد، انتفض كل من وسيم وسمية من سماع صوت طرق الباب لينهض وسيم فوراً ويفتح الباب، دخل هشام كالثور الهائج إلى الداخل ووجد سمية بحالة ذهول، تحدث معها بحدة:

"هل تعلمين أين أسيل"

عقدت حاجبها بعدم فهم شيء من الخوف لتقول:

"أنا من يجب أن أسألك عنها لأنني لا أعلم عنها شيء منذ أربعة أيام"

صدم هشام من جواب سمية وقد استشف الصدق بكلامها لترد له:

"أين أسيل يا هشام"

ابتلع ريقه بتوتر وخوف ليخرج الرسالة من جيبه ويعطيها إياها، أخذت الورقة وبدأت بقرائتها بينما وسيم كان بحالة صدمة لا يعلم ما يحدث حوله، اقترب من سمية ليقرأ معها محتوى الرسالة وقد صدمها هما الاثنان من المكتوب، هبطت دموع سمية على وجنتها لتقول:

"أين ابنتي هشام؟ قل لي أين ابنتي"

ابتلع ريقه ليتحدث بقهر:

"لا أعلم لا أعلم جئت من السفر ولم أجدها، أحلام قالت لي بأنها هربت منذ ثلاثة أيام"

هزت رأسها بعنف نافية لتتحدث بحدة وصراخ:

"كاذب مخادع أنت وزوجتك اللعينة هي من ورطت ابنتي هي من أخفتها أنا متأكدة، أقسم إن لم تأتي إلي بابنتي سأقتلك وأقتلها هل تفهم سأقتلك"

أنهت جملتها وبدأت تضرب هشام بصدرة وبدأت تبكي بشدة وتصرخ وهشام كان يقف لا يفعل شيء، حزين على فراق ابنته وعلى محبوبته، قام وسيم بإمساك سمية وتهدأتها وهو من يريد من أحد أن يهدأه لأنه كان يكاد أن يجن جنونه ولكنه حاول الهدوء، بينما سمية ظلت تبكي وتصرخ ووجهت حديثها لهشام ببكاء:

"أنا ربيت أسيل جيداً، ابنتي لا تفعل ذلك لا تفعل ذلك، مؤكداً بأن أحد قام باختطافها، أريد ابنتي يا هشام أعد لي أسيل أرجوك"

كان هشام حاله لا يختلف عن حالها فهو أيضاً خائف على ابنته ولكن كان هادئاً، بينما سمية ظلت على حالها إلى أن أغمي عليها وسقطت أرضاً ليسقط قلب هشام معها، قام وسيم بحملها وأدخلها لغرفتها، حاول إفاقتها ولكن دون جدوى وهشام يكاد يجن من خوفه عليها، ذهب هشام ليطلب الطبيب وقد أتى معه فوراً ليقوم بفحص سمية وقد علما بأنها بحالة صدمة الآن وهذا ماسبب لها الإغماء والتعب، تنهد هشام بقوة وخرج من منزل سمية بعد أن اطمئن عليها ليقى وسيم برفقتها ويقوم هشام بمحاولة البحث عن أسيل ويرفقه عدد من الرجال الذين يطيعون أوامره.

---

جالس بزواية تلك الغرفة المظلمة، لا يعلم لما موجود بهذا المكان ولا يعلم ماتهمته، لم يكف عن أسئلة العساكر ماهي تهمته طوال الثلاثة أيام التي مضاهها بالسجن، يفكر ويسأل نفسه ما الذي فعله أو ما الخطأ الذي ارتكبه ولكنه لا يجد جواب، انتشله من حيرته دخول عسكري ليصيح صوته ويعطي صدى كونه الغرفة مظلمة وفارغة ويقوم بمناداته لينهض أوس من مكانه ويذهب مع العسكري إلى وجهته التي يجهلها.

وصل أوس إلى غرفة مكتب يوسف برفقة العسكري ليطرق العسكري عدة طرقات على الباب ومن ثم يدخل بأوس إلى الداخل، وما إن رأى يوسف حتى تصاعدت الدماء إلى وجهه ونهض من على كرسيه لينظر له أسر نظرة تحذير ويعاود الجلوس، خرج العسكري من المكتب وبقي أوس برفقة أسر ويوسف، نظر أوس إلى يوسف والآن قد عرف ما هو سبب وجوده هنا لأنه يعرف يوسف جيداً، رأى عدة مرات عندما كان يأتي بأوقات فراغه ويأخذ ماريما من جامعتها، ابتلع أوس ريقه وحاول أن لا ينظر ليوسف الذي كان ينظر له بحدة ليسمع صوت أسر يحدثه:

"اسمعي جيداً يا أوس، نريد أن نعرف ماهي علاقتك بماريا والأفضل لك أن تتكلم، نحن إلى الآن لم نعلم بتوجيهك ولكن إذا اضطر الأمر فسيكون من دواعي سرورنا لذلك تحدث هيا"

ابتلع أوس ريقه وتحدث بتوتر:

"أنا كنت على علاقة مع ماريما و."

لم يكمل كلامه فقد كان خائف جداً لأنه يعلم جيداً ما الذي ممكن أن يفعلانه به، وهذا مازاد من حنق يوسف وجنونه لينهض ويتجه نحوه ويمسكه بقوة من ياقة قميصه ويحدثه بحدة:

"اسمع أيها العاهر أقسم إن لم تتحدث وتقول كل شيء سأوصلك لسابع أرض هل تفهم؟ لن أتردد لحظة بقتلك ورمي جثتك للكلاب"

ابتلع ريقه ليهز رأسه ومن بعدها ينفض يديه يوسف من ياقته ليتحدث أوس بتوتر:

"أنا على علاقة معها ولكن لم يكن هناك أكثر من مكالمات بيني وبينها"

نهض أسر من مكانه وتوجه نحوه ليخرج هاتفه ويريه الصور ليقول:

"إذا ما هذا"

جحظت عيناه ليقول بسرعة:

"هذه الصور كاذبة"

لكمه يوسف بقوة ليقول:

"بل أنت الكاذب يا ابن الساقطة"

لم يستطع أوس تقبل تلك الإهانات أكثر من ذلك، شجع نفسه وتحدث بلؤم شديد وليته لم يتحدث ليقول بوقاحة:

"أنا لست ابن ساقطة بل أختك الساقطة، حسناً لن أهتم أنا على علاقة بها وكانت على فراشي منذ عدة أيام، هل تريد أن أحدثك بأكثر من ذلك"

لم يستطع يوسف تمالك نفسه لينهال عليه بالضرب المبرح إلى أن نرف من أنفه، وأسر كان يجن جنونه من وقاحة هذا الشاب ولكنه وقف ببرود تاركاً يوسف ليفرغ طاقته به لأنه يستحق ذلك، ظل يوسف يضربه إلى أن أدماه ولم يعد له القدرة على الوقوف والاستيعاب ليصرخ يوسف بأعلى صوته على العسكري ويدخل فوراً ليقول له يوسف بصوت لاهت وحاد:

"خذ هذا اللعين إلى غرفة التعذيب، أريد أن أسمع صوت صراخه يصل إلى مكتبي هل تسمعي"

حرك العسكري رأسه موافقاً بخوف من منظر يوسف الغاضب ليمسكه ويأخذه إلى حيث أمره، نظر يوسف إلى أسر الذي كان وما زال يقف ببروده المعتاد ليحدثه يوسف بحدة:

"قلت لي بأنها لم تفقد عذريتها ها، وتقول بأن لا أقترب منها وأسامحها أليس كذلك؟ تريد أن أسامح أختي اللعينة"

تحدث أسر بحدة:

"أختك ليست لعينة بل هذا الشاب هو اللعين لأنه كاذب أيها الأحمق"

ابتسم يوسف بحدة ليقول:

"سأذهب بها إلى الطيبة غداً وإذا اكتشفت بأنها ليست عذراء سأعلقها بجانب ذلك الساقط هل تسمعي؟ سأبرحها ضرباً إلى أن تموت"

ابتسم أسر ابتسامة سخرية ليقول:

"كل النساء اللاتي عاشرتهم كان لديهن أخوة أيضاً ولكنهن لم يعلقن ويعذبن كما تريد أن تفعل أنت بأختك"

صرخ يوسف بأعلى صوته ليقول:

"أختي ليست مثلهن أيها اللعين"

ابتسم أسر ابتسامة رضى لأنه وصل إلى مبتغاه ليقول:

"هذا ماكنت أريدك أن تفهمه، وإذا كنت تريد أن تأخذها للطيبية غداً فخذها لكي تتأكد ولكن عدني بأنك ستسامحها إذا كانت مازالت عذراء"

تحدث يوسف بلؤم:

"لن أسامحها حتى إذا تأكدت من شكوكي لن أسامحها أبداً"

زفر أسر بقوة وقد بدأ يفقد أعصابه من يوسف ليقول:

"حسناً ولكن لا تشتكي إذا حدث لها شيء لأنها لن تتحمل معاملتك وجفائك"

أنهى جملته ليخرج من مكتبه متوجه ليفرغ طاقته بذلك الشاب تاركاً يوسف في حيرة من أمره وخوف شديد على أخته لأنه لن يتحمل فقدانها إذا حدث لها شيء، ركل الكرسي أمامه وبدأت نوبة جنونه ليقوم بتحطيم وتكسير كل ما يراه أمامه بغضب وصراخ.

---

عند أسيل تجلس بهدوء بمفردها بصالة المنزل لتسمع صوت خطوات قادمة نحوها وترى سهى أمامها، ابتسمت أسيل عندما رأتها لتجلس سهى بجانبها وتقول:

"ما بكِ أسيل لما تجلسين بمفردكِ هكذا ألا تحبين الاختلاطات"

تحدثت أسيل:

"مم لا ليس كذلك ولكن فقط أردت الجلوس هنا ولم أطلب منك الجلوس معي ظننتكِ مشغولة أو ماشابه"

ابتسمت سهى بسخرية لتقول:

"لا حبيبتي أنا أود الجلوس معكِ كثيراً"

حركت أسيل رأسها بابتسامة مصطنعة لتشعل سهى سيجارتها وتنفخ الدخان وتمد بعلبة السجائر لأسيل وتقول:

"تفضلي"

تحدثت أسيل:

"لا شكراً أنا لا أدخن"

همهمت سهى وهي تضع علبة السجائر بجانبها لتقول بجرأة:

"إذاً كيف حدثيني هل حصل شيء بينك وبين ابني"

جحظت عينان أسيل وتوردت وجنتاها ولم تجب بشيء لتردف سهى:

"ما بكِ هل قلت شيء خاطئ؟ هل مازلتي تخجلين"

أنهت جملتها بسخرية لتبتلع أسيل ريقها وأيضاً لم تتحدث لتردف سهى:

"لا تقولي لي بأنه لم يحدث شيء إلى الآن، لا أنا أريد أن أرى أحفادي يا أسيل"

تحدثت أسيل بثوتر وصوتٍ خافت:

"إن شاء الله"

أطلقت سهى ضحكة لتقول:

"أوووه لا أعلم لما أنت هكذا يافتاة، مابك تظلين صامتة ومتوترة؟ هل يوجد بك عيب"

أنهت جملتها بغمزة لتتنظر لها أسيل بحنق وغضب وتقول:

"عذراً سيدتي ولكنني لا أشتكي من شيء والحمد لله أنا بعفتي ولا أفرط بها لذلك لا ترميني بالباطل وسوء الظن"

شهقت سهى شهقة صغيرة لتقول بسخرية:

"عذراً حبيبتي لم أكن أعلم بأنك عفيفة، لقد ظننت بكِ السوء يا إلهي كم أنا غبية"

نظرت لها أسيل بحاجب مرفوع ولم تجبها لتردف لها سهى:

"أسمعيني جيداً لا تظني بأنني لا أعرف عنك شيء، أنا أعرفك وأريد منك أن لا تمثلي وترينني بأنك الملاك البريء، سأخلص منك بأول فرصة تسنح لي وأخرجك من حياة ابني هل تفهمين أيتها الغبية"

عقدت أسيل حاجبها لتقول بسخرية وبرود:

"عندها ستخدميني خدمة العمر يا سيدة"

نظرت سهى لأسيل بحنق وتحذث:

"لن تطال مدة مكوثك هنا فقط اصبري ستخرجين من هنا بفضيحة أيضاً ياحلوة"

أنهت جملتها بضحكة قوية ونهضت من جانب أسيل خارج الغرفة لتترك أسيل بحيرة وخوف، هبطت دموعها فوراً وبدأت شهقاتها تتعالى، هي حزينة على نفسها وحزينة على الذي وصلت له، انتبهت لوائل الذي دخل عليها بحاجبين معقودين وجلس بجانبها ليقول:

"مابك أسيل لماذا تبكين"

ابتلعت ريقها وهزت رأسها وقالت:

"لا شيء فقط أشعر بألم في رأسي"

تحدث وائل:

"حسناً سأجلب لك الطبيب"

هزت رأسها نافية لتقول:

"لا لا الوجع خفيف لا داعي للطبيب، سأذهب لأرتاح قليلاً"

هز رأسه بحزن عليها ليقول:

"تعالى سأوصلك أنا للغرفة"

أمسك يدها وصعد بها للغرفة ليمدها على السرير ويبدأ بالمسح على شعرها وهو يحدق بها بينما هي كانت متوترة منه بشدة ولكنها كانت تشعر بالنعاس لذلك بعد وقت قصير جداً لم تعد تشعر بشيء، شعر وائل بانتظام أنفاسها وعلم بأنها نامت ليتنهد بحزن ويأس ويتذكر عندما جمعت الصدفة بأسيل.

:Flash back

منذ خمس سنوات

كان وائل يمشي شارد الذهن لا يعلم إلى أين وجهته ليصدم بتلك الفتاة الجميلة وتقع أرضاً، نهضت من على الأرض وهي ترفرف بحنق لتقول:

"ما بك يا هذا ألا ترى أمامك"

نفخت خديها بغضب بينما هو يحدق بها بذهول لتردف له:

"انظر أمامك في المرة القادمة أسمعني يا لك من أبله"

ظلت تتحدث وتوبخه ولكنه هو كان بغير عالم فقد ظل يحدق بها وعلى وجهه ابتسامة بلهاء، ابتلع ريقه ليقول بابتسامة:

"أنا أسف أيتها الجميلة"

عبست بوجهه لتقول:

"انتبه لأنفاظك يا هذا، أنا لست صديقتك لتقول لي جميلة هل تفهم"

أنهت جملتها ورحلت بعيداً عنه ليبقى بمكانه يحدق بذهول ويحدث نفسه بجملة واحدة (كيف للجمال كله بأن يجتمع بفتاة واحدة) لم يفوت الفرصة من يده فقد لحق بها وعرف عنوان منزلها واستطاع أن يعلم عنها وعن عائلتها كل شيء ولكنه لم يكن يعلم شيء عن والدها وظل يراقبها ويقف أمام منزلها كل يوم عندما تذهب إلى مدرستها، حاول أن يوقفها عدة مرات ولكنها لم تعطيه أي فرصة وكانت لا تنتظر له بالأساس، لم يشعر باليأس ولم يتركها يوماً بل ظل ورائها، ولكن عند موت والده اضطر لإن ينتقل إلى بلدة أخرى برفقة والدته ولكنه ظل يتابع أخبار أسيل فهو لم يستطع إخراجها من رأسه، هو يحبها جداً وظل يراقبها إلى أن علم بنوايا خالها وخالتها بحقها من مصادره الخاصة ودخل بالموضوع وقد عرض على خالها بأن يعطيه إياها وأن يأخذها خارج البلدة ولكن خالها قد اعترض بشدة ولكن وائل أصر على أمرها وقد عرض عليه مبلغ كبير جداً ومن بعدها وافق، وهنا لم يكن تسعه الدنيا من شدة فرحه لأنه وأخيراً حصل عليها وقد قرر بأنه سيتركها الآن إلى أن تبادله مشاعره وحب، نعم هو يعمل عمل غير قانوني لأنه اضطر إلى ذلك من بعد وفاة والده، ووالدته لم تكن تمنع أبداً فقط كل ما يهمها كان المال ليجبر على هذا العمل لكي يوفر المال له ولوالدته الطامعة.

.End flash back

تنهد بقوة وقد أدمعت عيناه عندما عاد إلى واقعه لينظر إلى أسيل التي تغط بنوم عميق وبيبتسم ليقتررب ويطلع قبلة قوية على جبينها ومن بعدها يبتعد ليخرج من الغرفة تاركاً أسيل نائمة بسلام.

" وها أنا أكبر بمجيبك عاماً من الفرح

إذا امنحيني لحظة من قلبك

لأتوسد أحلامي وأنام "

جالسة في السيارة صامتة، حزينة، لا حول لها ولا قوة، لا تعلم ما الخطأ الذي ارتكبه حتى تعامل بهذه القسوة والجفاء، لم ترى أي ذنب اقترفته وشعرت بأنها مظلومة من هذه المعاملة، شعرت بالإهانة عندما لم يصدقها أخيها وقام بأخذها للطبيبة لكي تكشف عليها، هي سليمة وتعلم نفسها وقد قالت هذا الشيء لأسر ولكن لم يصدقها أخيها إلا بعد أن أخذها إلى الطبيبة وقد شعر يوسف بالفرح والارتياح عندما تأكد من سلامتها وشعر بقليل من الحزن على أخته لأنه ظلمها ولكن لن يتنازل وسيظل على موقفه وجفائه ولن يسامحها بسهولة.

بينما أسر كان حزين جداً على ماريما وقد لام يوسف كثيراً على معاملته وشكوكه ولكن لن يستطيع تغيير يوسف أبداً.

هبطت دموع مارياء على وجنتها وبدأت بالبكاء بصمت ولكن يوسف انتبه لها ولعن نفسه مئات المرات وتنهى بحرقاء بينما أسر حاول أن يكسر الصمت ويحدث مارياء ليقول:

"ما بك مارياء، ألا تريدين المخدرات خاصتك"

ظلت صامئة ولم تتحدث ليتنهى بقوة وينظر ليوسف الذي كان مشغول بالقيادة ليبدله يوسف النظرة ويعود فوراً بنظره للأمام.

بعد وقت قصير وصلوا ثلاثتهم للمنزل لتهبط مارياء من السيارة متوجهة فوراً إلى غرفتها ليلحق بها كل من يوسف وآسر، دخلا للصالة وجلسا لينظر آسر إلى يوسف الذي كان يريح بجسده على الأريكة متكأ برأسه ومغمض العينين ليقول آسر:

"والآن قد تأكدت من شكوكك، ألن تقوم بمسامحتها"

فتح يوسف عينيه ليوجه نظره إلى آسر ويعتدل بجلسته ويقول:

"لا أريد أن أتحدث بهذا الموضوع، انسى الأمر"

نفخ آسر خديه ليقول:

"اسمع يا أحمق مارياء لن تتحمل أكثر من ذلك هي بحالة نفسية الآن وإذا لم تكن بجانبها ستسوء حالتها خصوصاً بعد أن أخذتها إلى الطيبية"

تمعن يوسف بوجه آسر وبدأ كلامه يتردد بعقله، ابتلع ريقه وشتت نظره بأحاء الغرفة ليعود بنظره لآسر ويقول:

"انسى الأمر الآن"

انتفض آسر ونهض ليتحدث بغضب:

"أيها اللعين لما لا تستوعب؟ مارياء بحاجة إليك الآن إذا لم تسامحها ستتعرض لمضاعفات كثيرة، هل تريد أن تفقد أختك قل لي ها؟ لما أصبحت بهذه القسوة؟ أقسم لك إذا بقيت على حالك سأخذها معي إلى منزلي"

ابتسم يوسف ابتسامة سخرية لينهض ويقف أمام آسر ويقول:

"مارياء لن تذهب إلى أي مكان هذا أولاً، وثانياً لا تتحدث عن القسوة وهي أصبحت جزءاً منك"

تشنجت ملامح أسر ليرد ف يوسف له ببرد:

"عندما تسامح أنت سأسامح أنا، أظنك فهمت قصدي"

رفع أسر حاجبه وحرك رأسه موافقاً بحدة ليخرج من المنزل تاركاً ورائه يوسف الذي يتأكل من ندمه على الكلام الذي قاله لابن عمه وعلى معاملته مع شقيقته ولكن هو يفكر بأن لا أحد يفهمه والكل يلومه على هذه المعاملة، ولكن هذه الغلطة التي فعلتها أخته بالنسبة له لا تغتفر لذلك سيكون صارم معها كي تتعلم درسها وسيحاول أن يكون حريص على سلامتها.

في المساء

تجلس أسيل في غرفتها كعادتها وزوجها لم يكن موجود كان لديه عمل طارئ هذا ماقاله لها، بينما كانت تحاول النوم ولكنها لم تستطيع، سمعت صوت حركة بالخارج عقدت حاجبها باستغراب لتنهض وتقوم بفتح باب غرفتها بهدوء لترى ماذا يحدث بالخارج، خرجت من غرفتها لترى سهى برفقة رجل وقد دخلا لغرفتها، جحظت عينان أسيل وابتلعت ريقها بتوتر وهي تقول في نفسها كيف تأتي برجل إلى بيتها؟ وماذا يفعل عندها؟ وهل وائل يعلم بذلك؟ كل هذه الأسئلة كانت تدور برأسها، تسللت على أطراف أصابعها لتضع أذنها على الباب وتنتصت لتسمع قهقهات خفيفة وهمسات لم تفهم منها شيء، كان قلبها يقرع كالطبول فلا يوجد سوى تفسير واحد لوجود رجل غريب في غرفة سهى وهو بأنها سافلة، عادت لغرفتها متسللة لتدخل ويبدأ عقلها بالتفكير، تنهدت بتوتر وهي تدعي لربها بأن لا يأتي وائل بهذا الوقت.

بعد مرور وقت ليس بقصير شعرت أسيل بالعطش وقررت النزول للأسفل وحاولت أن تنزل على أطراف أصابعها كي لا تصدر حركة.

بينما سهى انتهت من فعلتها مع ذلك الرجل وقرر الرحيل، فتحت سهى باب غرفتها لترى أسيل تخرج من غرفتها فعدت وأغلقت الباب بسرعة، تنهدت سهى بعمق لتعود وتفتح الباب بهدوء وقد رأت أسيل تتجه إلى الأسفل، خطرت على بالها فكرة وقررت بأن تنفذ خطتها الدنيئة بحق أسيل وها هي الفرصة قد أنتها فوراً.

استغلت عدم وجودها في غرفتها وقد أخبرت هذا الرجل بمخططها الدنيء وضمنت له سلامته وقد وافق بعد تردد كبير منه، عادت أسيل لغرفتها وما إن رأت الذي بغرفتها حتى تسمرت بمكانها، توقف عقلها عن العمل ولم تعد تستطيع التفكير بشيء، سمعت صوت إقفال الباب من الخارج وبدأ قلبها يطرق بعنف وبدأت تطرق على الباب بقوة وتصرخ ولكن لا حياة لمن تنادي، اقترب منها الرجل وحاول التقرب منها وهي تصرخ وتبعده عنها، بينما سهى اتصلت بوائل وأخبرته بأن يأتي فوراً لسبب كبير جداً ليفزع ويأتي بسرعة البرق، وصل وائل إلى المنزل لتستقبله سهى بغضب مصطنع وتقول له:

"انظر إلى اللعينة التي تزوجتها، يوجد عندها رجل في غرفتها أيها الأحمق"

حدق وائل بوالدته بصدمة ليهز رأسه نافياً ويقول:

"مستحيل هذا مستحيل أين هي"

تحدثت سهى بغضب:

"لقد شعرت بحركة بالمنزل ورأيت زوجتك تدخل رجل غريب إليها ومن بعدها دخلت عليهما وأخذت المفتاح وقمت بإغلاق الباب عليهما لكي تراها بأمر عينك، اسمع صراخها هي تمثل فقط"

كان ينصت لها وهو بحالة صدمة وقد أوشك على البكاء، حدثها بحدة:

"أعطني المفتاح"

أعطته سمية المفتاح ليصعد إلى الأعلى بسرعة البرق وهو يسمع صرخات أسيل، توجه نحو الغرفة وفتح الباب ليرى زوجته بين يدين ذلك الرجل يحاول الاعتداء عليها، توجه نحوها وأمسك بالرجل وقام بتسديد عدة لكمات على وجهه ومن ثم توجه إلى أسيل التي كانت متكورة حول نفسها تبكي بشدة وفزع، لم يعلم ما الذي سيفعله بها ولا يعلم أصدق أم لا، بينما الرجل استغل فرصة انشغال وائل بزوجه ليفر هارباً على الفور، انتبه وائل إلى غياب ذلك الرجل وقد حاول اللحاق به ولكنه استقل سيارته وهرب، كان وائل يستطيع اللحاق به ولكنه قرر الصعود إلى أسيل، اتجه إليها وراها مازالت تبكي ووالدته تقف موجهة نظرها لأسيل بحدة، تحدثت والدته بصراخ:

"أرأيت هذه التي جلبتها إلينا لقد جلبت لنا الفضيحة، عندما علمت بأنني رأيتها بدأت بالتمثيل على أنه اعتداء، لا أعلم كم لديها من الكذب والخداع، يجب أن تتخلص منها فوراً"

ما إن سمعت أسيل هذه الجملة حتى انتفضت وبدأت تهز رأسها بعنف وحاولت التحدث ولكن منعها شهقاتها الكبيرة، نظر لها وائل بحدة وبدأت أنفاسه تتسارع وعيناه احمرت، لم يتحدث وإنما ظل متمسك بمكانه، لتعود وتحدث والدته:

"ما بك لما تقف بمكانك؟ يجب أن تطردها من المنزل"

ظل واقفاً بمكانه ومن ثم احتدت ملامحه، لا يعلم من يصدق ولكن الذي يجعله يصدق هو صمت أسيل وبكائها، لم يشعر بنفسه سوى وهو يتقدم إليها وينهال عليها بالضرب المبرح بكل قوته وطاقته بينما أسيل كانت تصرخ وتتلوى وتبكي، وسهى كانت تراقب الوضع بابتسامة خبيثة وماكرة وقد أعجبها هذا التصرف وفرحت عندما نجحت خطتها لأنها كانت تخطط لهذا الشيء منذ مدة ولكن لم تحدد الوقت وها قد جاءتها الفرصة اليوم لتنفيذ وترى النتيجة.

ظل وائل ينهال عليها بالضرب إلى أن أغمي عليها ولم تعد تشعر بشيء، حاولت سهى أن تبعده عنها وهي تحدّثه بأنها فقدت الوعي، ابتعد عنها وهو يلهث بقوة وعيناه حمراء وينظر إليها بعدم تصديق، كان بحالة فقدان للوعي ولم يصدق ما الذي فعله بها وكيف له أن يضربها كل هذا الضرب، سحبته والدته لخارج الغرفة ودخلا لغرفة سهى وأجلسته على الأريكة وهو مستسلم لها لا يتحدث ولا يفعل شيء، جلست بجانبه لتقول له:

"اهدأ عزيزي اهدأ، الأمر لا يحتاج لهذه العصبية فقط تخلص منها وأخرجها من حياتك، هي لا تستحقك"

ابتلع ريقه وهو يكاد لا يصدق ما فعله بها والذي فعلته هي، لم يتحدث ولم يصدر أي ردة فعل فقط ظل صامت وهو لا يستطيع التحدث بالأساس وكأنما انعقد لسانه وشل عن الحديث، بدأت سهى بتهدئته والمسح على رأسه، أبعدا عنها وتوجه لغرفته ليرى أسيل بحالة مزرية وهي فاقدة للوعي والدماء تسيل من أنفها، أحس بقلبه يتمزق لأجلها ولعن نفسه مئات المرات ولكنه عاد لحدته وغضبه عندما تذكر الموقف وكيف كانت بأحضان هذا الرجل، كاد أن يجن من شدة التفكير، أيعقل أن تكون والدته تكذب عليه؟ أيعقل أن يكون هذا الرجل فعلاً قد حاول الاعتداء عليها؟ ولكن من أين أتى وكيف دخل؟ لم يستطيع أن يصدق بأن والدته هي من يمكن أن تفعل ذلك وتكون مؤامرة منها، ولكن هو يجب عليه أن يجد ذلك الرجل مهما كلفه الأمر وإلى أن يجده سيظل على معاملته هذه مع أسيل.

تنهد بغضب ليتجه إلى أسيل ويقوم بتضميد جرحها وهي فاقدة للوعي وما إن انتهى حتى نظر إليها بشفقة على ما فعله بها، أحس بأنها مظلومة ولكن رأى كل شيء بعينه وطبعاً لن يتهم والدته بشيء لأنه يعلم بأنها لا تفعل ذلك كما يعتقد، تنهد بضيق و حدة ليخرج من الغرفة ويتجه إلى أية حانة شرب ليفرغ بها جميع آلامه وأوجاعه من محبوبته عله أن ينسى فعلتها هذه.

-----

في الصباح التالي

استيقظت أسيل وهي بحالة فظيعة، حاولت النهوض وأحست برأسها سينفجر من شدة الألم بجميع أنحاء جسدها، تذكرت أحداث أمس وبدأت بالبكاء، لم تعد تستطيع التحمل أكثر من ذلك، فقدت القدرة على التحمل والصبر وقد نفذ صبرها، لم تفعل شيئاً في حياتها لكل هذا، اكتفت من معاملة زوجة أبيها وتفريطها بها لتأتيها الآن والدة زوجها وتزيد الطين بلة عليها، ظلت تبكي وتتنحب وتذكرت والدتها وحنانها عليها، اشتاقت لها فعلاً واشتاقت لحنانها ومعاملتها معها، ابتلعت غصتها ونهضت من فراشها بصعوبة لترى وائل يدخل إليها، ما إن رآته حتى شعرت بالخوف والرغبة منه وظنت بأنه سيعود ويضربها، بينما هو حالما رآها استيقظت حتى هدأ قلبه قليلاً لأنه كان خائف عليها من أن لا تستيقظ أو ما شابه، نظر لها بحدة واقترب منها ببطئ وهو يرى الخوف بعينيها وكلما اقترب ابتعدت هي إلى أن حاصرها بزاوية الغرفة وقد دب الرعب بقلبها، ظل ينظر لها بحدة وهو يحاول أن يستشف من نظرتها أي شيء ولكن لم يرى سوى الخوف منه، تحدث معها ببرود يغلفه شيء من الحدة ليقول:

"لن أحكم عليك الآن إلى أن أجد ذلك الرجل وعندما أجده سأحكم عليك وعليه وأقسم أنني سأريك الجحيم إذا كان كل شيء صحيح"

هزت رأسها بخوف ليرد لها:

"ما اسم ذلك الرجل ومن أين تعرفيه"

ابتلعت ريقها وتحدثت بصوتٍ خافت:

"صدقني لا أعرفه"

تملكه الغضب ليمسكها من رقبتها ويقول بحدة:

"إذا كيف دخل لغرفتكِ ها أجيبني"

شبهت بشدة وكادت تختنق ولم تستطع التحدث، كانت تحاول أن تفلت من يده ولكنه أحكم قبضته ليرد لها:

"حسناً يا أسيل لا تتحدثي ولكنني سأجده وسأعلم كل شيء عندها سترين الجحيم إن كنتي مذنبه"

أبعد يده عنها لتبدأ بالسعال بقوة وكان لون وجهها أحمر للغاية، خرج من الغرفة وأقفل الباب عليها لينزل إلى الأسفل ويجد والدته جالسة في الصالة ليجلس معها، تحدثت والدته بهدوء:

"ما الذي ستفعله معها"

تحدثت بلا مبالاة:

"أريد أن أجد ذلك الرجل أولاً ومن بعدها سأعرف الحقيقة، لا أريد أن أراها أبداً إلى أن أجده"

صدمت من جواب ابنها، ظنت بأنه سيطردها فوراً عندما يرى كل هذا ولكن الآن يريد أن يجد ذلك الرجل وإذا وجده سنكشف الحقيقة وسيفشل كل شيء، تنهدت بحنق لتقول له:

"ما الذي تهذي به؟ كل شيء واضح، اسمعني جيداً أنا لم أكن أريد أن أقول لك ولكن يجب أن تعلم، بصراحة هذه ليست أول مرة لها فأنا قد رأيتها من قبل تدخل أحد إلى هنا في البداية ظننته أنت ولم أعطي أهمية للأمر ولكن عندما رأيت ذلك الرجل البارحة تأكدت من شكوكي كلها، غير ذلك بأنها تتحدث على الهاتف كثيراً وقد لاحظت عليها هذا الشيء"

كان يستمع وملامحه تحدد شيئاً فشيئاً مع كل كلمة تقولها، انتفض بغضب ليقول:

"ولما لم تقولي لي من يومها"

تنهدت بقوة لتقول:

"ظننت بأنك أنت لم أعلم بأنها بتلك القذارة وهذا المستوى، هذه لعينة لا تصدقها بأي شيء، هي تحاول أن تريك بأنها بريئة ولكنها عكس ذلك صدقتي، أنا لا أريد سوى مصلحتك يا بني، أطردها من المنزل ولا شأن لنا بها طلقها وارميها خارجاً"

كان حديث أمه يدور في رأسه، أطردها، طلقها، ارميها، تحاول أن تكون بريئة، كل هذه الكلمات كانت تتردد في عقله، يكاد ينفجر من الغضب وعقله سينفجر أيضاً لا يعلم ما الذي سيفعله بها، هو لا يريد أن يطلقها هو يحبها جداً ولكن ماذا إن كانت بالفعل تخونه، أهكذا تكافئه؟ أهكذا تفعل به؟ لماذا؟ لم يعاملها إلا بالإحسان، أحبها منذ زمن، ولكن هي لا تستحق، سيطلقها ويخرجها من حياته ولكن ليس قبل أن يكتشف الحقيقة وعندها سيدفعها الثمن غالياً، ابتلع ريقه والغضب تملكه من سماع حديث والدته ليتنهد بضيق ويقول:

"سأجد ذلك الرجل وبعدها سأخرجها من حياتي"

أنهى جملته وتوجه إلى خارج المنزل، بينما سهى لم يعجبها رد ابنها وقررت بأن تتخلص منها على طريقتها ولكن يجب أن تطلقها منه أولاً، ظلت تفكر مطولاً كيف ستستطيع أن تطلقها منه من دون علمه؟ زفرت بضيق واتجهت إلى غرفة أسيل، دخلت إليها لترأها جالسة على سريرها تضم قدميها وعيناها حمراء من شدة البكاء، توجهت إليها وابتسامه خبيثة نمت على شفتيها لتجلس بقربها وتقول:

"سأهربك من هنا يا أسيل"

نظرت لها أسيل باستغراب وهزت رأسها نافية، لتبتسم سهى بخبث وتقول:

"ولكن يجب أن تساعدني"

لم تتحدث بل ظلت عاقدة حاجبيها باستغراب وعدم فهم لتردف سهى:

"اسمعيني جيداً يا أسيل أنا من ورطتك بهذا الأمر وأنا من سيخرجك منه، لذلك ستفعلين مثل ما أقول لك، سأعطيك ورقة وتوقعين عليها ومن بعدها سأهربك من هنا"

تمعنت أسيل بوجه سهى مطولاً لتقول:

"أنا لم أفعل شيئاً وواثقة تماماً بأن وائل سيجد ذلك الرجل الذي جلبتبه أنت والذي كان بغرفتك قبل أن تدخله إلى هنا ومن بعدها سيكشف الحقيقة لذلك لن أهرب ولن أدعه إلا بعد أن يكشف كل شيء"

شعرت سهى بالخوف والرغبة من حديثها، لم تكن تعلم بأن أسيل قد رأت ذلك الرجل عندها، احتقن وجهها وتحدثت بغضب:

"اسمعي أيتها اللعينة حتى لو قلتي لوائل هذا الشيء فهو لن يصدقك هل تفهمين؟ ستفعلين مثلما أمرتك وإلا سترين الجحيم مني"

ظلت أسيل تنتظر إليها بحنق ولم تتحدث لتردف سهى:

"وبالمناسبة لقد قمت بواجبي وبعثت برسالة لوالديك ليعرفان حقيقة ابنتهما الجميلة ما رأيك"

جحظت عيناها لتقول:

"ما الذي بعثت به لهما"

ابتسمت ابتسامة مكرة لتقول:

"اسمعي جيداً، بصراحة إلى الآن لم أبعث لهما شيء ولكن سأبعث لهما صورتي وأنت بأحضان ذلك الرجل إذا لم تفعلين مثل ما أقول لك هذا إذا كنتي تريدين النجاة وعدم الفضيحة"

بدأت أسيل بالبكاء لتقول:

"أرجوك أنا لم أعد أحتمل أكثر من ذلك أرجوك"

اتسعت ابتسامة سهى لتقول:

"حسناً إذاً ستفعلين مثلما أمرتك به اتفقنا"

هزت رأسها أسيل باستسلام لتبتسم سهى بتوسع وتخرج من الغرفة تاركة أسيل تبكي بحرقتها على هذا الظلم الذي يحل بها، والداها كانا آخر فرصة لها وآخر أمل لها ولكن الآن لن تستطيع الذهاب إليهما أبداً، إذاً أين ستذهب بنفسها؟ ظلت تبكي وتشهق إلى أن دخلت سهى عليها وكان بيدها ورقة، اقتربت من أسيل لتعطيها الورقة والقلم وتقول:

"وقعي"

توقفت أسيل عن البكاء لتقول:

"ماهذه"

ابتسمت سهى لتقول:

"ورقة طلاقك"

أمسكت بالقلم بيد مرتجفة وقامت بالتوقيع لتتسع ابتسامة سهى وتأخذ الورقة منها وتقول:  
"حسناً هذا جيد، بقي أن أرسل الأوراق إلى المحكمة، ولا تقلقي على وائل لقد جعلته يوقع بطريقتي الخاصة"

لم تتحدث آسيل ولم تنتظر لها بل ظلت ساكنة لتردف سهى:

"بالمناسبة هناك شخص يود رؤيتك سيأتي بعد قليل"

ما إن أنهت جملتها حتى سمعت صوت جرس الباب لتبتسم بمكر وتقول:

"غيري ثيابك وانزلي للأسفل"

تعجبت آسيل بشدة، من هذا الذي يود رؤيتها؟ وإلى ماذا تخطط هذه المرأة؟ نهضت من الفراش لتقوم بتغيير ملابسها وتنزل للأسفل، وما إن رأت هذا الشخص حتى تسمرت في مكانها وصدمت منه، آخر شخص كانت تتوقع أن تراه هو هذا الشخص، اقتربت بخطوات مترددة وهي بحالة صدمة، ابتسمت أحلام ابتسامة ماكرة لتقول:

"ما بك يا آسيل؟ أهكذا تستقبلين ضيوفك"

انعقد لسانها وتعجبت من وجودها هنا وهي تسأل نفسها ما علاقة أحلام بسهى، وجهت سهى حديثها لآسيل لتقول:

"حسناً حسناً لا داعي للتفكير سأفسر لك كل شيء، طبعاً تسألين نفسك ما علاقتي بزوجة والدك وأنا سأقول لك، بصراحة هي صديقتي منذ زمن وانقطعنا عن بعضنا مدة ولكن هذه القصة جعلتني أطلب مساعدتها وبالحقيقة نحن الاثنان من دبرنا هذه الحادثة، وهذا كل شيء"

أنهت جملتها بابتسامة عفوية لتبادلها أحلام الابتسامة لتكمل أحلام:

"وأيضاً تسألين نفسك لماذا تريد أحلام أن تخرجني من حياة وائل وهي التي سلمتني له؟ حسناً سأجيبك، في الواقع أنا أعلم بأن وائل يحبك كثيراً وأنا بما أنني أكرهك كثيراً لا أريدك أن تجدي السعادة أبداً، وأشكري الرب بأننا سنبتقيك على قيد الحياة فقط سنهربك من هنا"

شعرت سهى بالملل من الحديث لتقول:

"أوووف أحلام دعينا بالمفيد الآن، حسناً عزيزتي أسيل غداً سيأتي رجل ويأخذك من هنا ومن بعدها ستسافرين خارج البلاد اتفقنا"

ماذا عن حال أسيل الآن، إلى الآن هي بحالة صدمة كل هذا يحدث معها من قبلها ولا تستطيع فعل شيء وكل يوم تكتشف حقيقة موجعة أكثر من قبل، هبطت دموعها على وجنتها وبدأت بالبكاء، ابتسمت كل من سهى وأحلام لتقول سهى:

"أوه وبالمناسبة يا أسيل الآن يوجد لدينا صور لك وأنتِ بأحضان ذلك الرجل وهم الآن بحوزة أحلام، وأيضاً ورقة طلاقك قد وقعت من وائل وسأبعث بالأوراق جميعها للمحامي كي يقدمهم للمحكمة، أعني أريدك أن تعتبري نفسك الآن مطلقة"

ظلت تبكي وتنتحب ولم تسمع أي شيء من الذي قالتها، انتفضت بغضب لتقول:

"كيف لكما أن تفعلوا كل ذلك بي؟ ما الذي فعلته لكما أخبروني؟ أنتِ وهي لستما سوى عاهراتان هل تفهمان"

بصقت كلامها واحتدت ملامحها لتصعد إلى غرفتها تاركة خلفها أحلام وسهى متعجبتان من حديثها، تحدثت سهى بحنق:

"أريدك أن تري هذه الصور لزوجك"

عقدت أحلام حاجبيها باستغراب لتقول:

"وكيف سأريه الصور، سيكتشف أمرنا وقتها"

زفرت سهى بحنق لتقول:

"يا بلهاء ضعبيهم جانب المنزل أو ابعثيهم بطرد أو أي شيء ما بك"

هزت أحلام رأسها موافقة لتقول:

"من هو الرجل الذي ستبعثين أسيل معه"

ابتسمت سهى بمكر لتقول:

"نفس الرجل الذي كان معها البارحة وسيختفي هو أيضاً كي لا يجده وائل"

حركت أحلام رأسها بشرود لتقول:

"هذا جيد عندها ستكون فكرة وجودها مستحيلة لأن زوجي مازال حتى الآن يبحث عنها"

همهمت سهى ولم تتحدث لترد أحلام:

"ولكن كيف وقع وائل على ورقة الطلاق"

ابتسمت سهى ابتسامة مآكرة لتقول:

"سرتت توقيعه وقلت للمحامي بأن يقدمهم للمحكمة وبذلك ستتطلق منه"

همهمت أحلام وابتسمت بمكر بينما سهى شردت بحال أسيل وأصرت على تنفيذ خطتها غداً لتتخلص من أسيل إلى الأبد، بينما أسيل لم تتوقف عن البكاء وهي تتحسر على نفسها وعلى حالها، هي لم تعد التحمل، كفى أوجاع، وكفى إتهامات، وكفى ظلم، حسمت أمرها وقررت الهروب في هذه الليلة إلى أي مكان، لن ندعهم يلعبون بها وبحياتها أكثر من ذلك لذا ستقوم بالهروب في هذه الليلة دون عودة.

---

جالسة بغرفتها شاردة الذهن تحديق بالفراغ، بدأت الدموع تتجمع بعينيها عندما تذكرت كلام أخيها وضربه لها وموجة غضبه التي صبها عليها، بدأت شهقاتها تتعالى شيئاً فشيئاً.

بينما يوسف كان يمر من جانب غرفتها وما إن سمع صوت شهقاتها حتى تألم قلبه وتجمعت الدموع بعيناه، لم يعد له القدرة على المكابرة، ولم يعد يستطيع أن يجافيه أكثر من ذلك، لعن نفسه ولعن غضبه لأنه لا يفكر بعقل عندما تحدث أية مشكلة، حاول أن لا يضعف ويدخل لها ولكنه لا يستطيع، فهو اشتاق لها واشتاق لاحتضانها واشتاق لأيامه معها ومشاكساته لها، إلى هنا وتحطمت جميع أسواره ليدخل عليها فجأة ويراه بحالة مزرية وعيناها حمراء من شدة البكاء، ما إن رأته حتى بدأت تشهق وسقطت دموعها مجدداً ليسقط قلب يوسف مع دموعها لرؤيتها بهذه الحالة، اقترب منها وأخذها بأحضانها واعتصر جسدها الصغير بين يديه وهو يمسح على رأسها ويبثها حنانه الذي حرمت منه طيلة هذه المدة.

منذ قليل كان يقول لآسر بأن ينسى الأمر ولن يسامحها ولكن دموعها أضعفته وقطعت قلبه، بينما هي كانت تدفن وجهها بصدرة وتشم رائحته التي اشتاقت لها، انتحبت بشدة وهي بصدرة بينما هو كان يحدثها بكلمات حنونة ليقوم بتهدأتها، سكنت بين يديه بعد مدة ولم تعد تصدر أي حركة ولا صوت فقط تحتضنه بشدة ويبادلها هو بدوره وعلى وجهه ابتسامة خفيفة، حاول أن يبتعد عنها ولكن لم يستطع فهي كانت تشد على جسده بكل قوتها، أطلق ضحكة خفيفة لتبتسم بدورها من بين دموعها، حدثها بضحكة:

"ابتعدي عني يا حمقاء"

هزت رأسها نافية ولم تتحدث ليرد لها:

"هل أعجبك الأمر"

حركت رأسها موافقة وما زالت بحضنه ليتحدث عاقد حاجبيه:

"هل تجيدين لغة الصمت يا فتاة"

ضحكت ضحكة صغيرة لتشد على احتضانه أكثر بينما هو واللعة كم كان مشتاق لسمع ضحكتها ويرى وجهها مبتسم، تحدثت بصوتٍ مبوح:

"أريد المخدرات خاصتي"

تمتم بخفوت:

"ها قد بدأنا"

نظرت له بوجه عابس ليتحدث بتوتر مصطنع:

"أنا كنت أقول هل جفائي جعلك تتعاطين المخدرات أيتها الحمقاء"

نظرت له بصدمة لتقول بغضب مصطنع:

"لا أنا لا أدخن"

جحظت عيناه ليقول بذهول:

"أيتها الحمقاء أنا أحدثك عن المخدرات وأنت تقولين بأنك لا تدخني، ماذا حدث لعقلك"

نظرت له رافعة حاجبيها وفتحت فمها وهي تهز رأسها بعدم فهم ليفعل معها المثل، نفض رأسه ليقول:

"أقسم بأنني أخذت عدوة الغباء منك"

عبست وضممت يديها لصدرها لتقول:

"أريد مخدراتي"



توقفت عن بكائها المزيف لتتحدث بابتسامه:

"مخدراتي"

كز على أسنانه ليقول:

"سأجلب لك لعنتك فقط لا تسمعي صوتك النشاز"

عبت بوجهه ورجت شفثها السفلية وكأنها تهدد بالبكاء ليهز رأسه نافياً ويقول:

"لا لا لا أرجوك لا تبكي حسناً سأجلب لك مخدراتك هيا انهضي"

نهضت بسرعة وشفقت لتقول بمرح:

"هيا"

ابتسم بوجهها ابتسامه مزيفة ليتنهد بعدها ويتمتم:

"بقرة"

استدارت له لتقول:

"سمعتك يا ذيل المعزة"

جحظت عيناه عندما سمع كلمتها ليقول:

"أنا ذيل المعزة! حسناً سأريك أيتها البقرة الصغيرة"

ما إن سمعت جملته حتى ضحكت وفرت هاربة من أمامه ليقوم باللاحاق بها وأصوات ضحكاتها تعم بأرجاء المنزل.

---

كانت تجهز نفسها لتخرج من المنزل وتتوجه إلى منزل سمية، كانت حزينة كئيبه تكاد تجن على غياب صديقتها وتتمنى بأن تكون بخير وتلتقي بها بأسرع وقت، تنهدت بحزن وخرجت من غرفتها لتتوجه نحو الباب إلى الخارج، ما إن خرجت من المبنى حتى رآته أمامها، دب الرعب بأوصالها عندما رآته يقف أمامها بابتسامته

الخبیثة، بدأ عقلها يدور وفوراً تذكرت كلماته عندما حدثها بأنه سيعود وعندها لن ترى إلا الجحيم، تراجعت عدة خطوات عندما رأته يتقدم منها لتجفل وتحاول الهرب عائدة إلى منزلها ولكنه أحكم قبضته على معصمها ليحدثها بنبرة لعوبة:

"إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟ ها قد أتيت كي أنفذ وعدي لك يا شهدي"

ارتجفت أوصالها عند سماعها لكلماته، حاولت أن تفلت من يده وبدأت تنتفض بين يديه بعنف ولكن لم تستطع الإفلات منه، لم تعد تشعر بشيء لأنه أتى شاب من ورائها ووضع قطعة قماش على فمها وقام بتخديرها بينما سهيل كان يبئس بخبث وما إن فقدت الوعي حتى حملها ووضعها بالسيارة ليأخذها إلى جحيمها.

---

كانت تقطع الغرفة ذهاباً وإياباً، لا تعلم شيء عن زوجها منذ يومان، هي خائفة عليه بشدة، لا تعلم ماذا تفعل وكيف تجده، قررت بأن تتصل بصديقه المقرب لتهاتفه ويعلمها بأن لديه منزل آخر يجلس به عندما يكون بحالة ضيق، تعجبت بشدة لأنها لا تعلم بوجود منزل آخر له، توجهت إلى غرفتها لترتدي ثيابها بسرعة كبيرة متوجهة إلى العنوان الذي أعطاه إياه صديق وسيم، بعد وقت قصير وصلت إلى ذلك المنزل واتجهت نحو الباب لتراه مفتوح، عقدت حاجبها باستغراب ولا تعلم ما الذي يحدث، دفعت الباب ودخلت لترى أثاث المنزل، كان بحالة فوضى عارمة والزجاج متناثر بجميع أنحاء الصالة على الأرض، تعجبت من هذا الحال كثيراً وتقدمت بخطواتها إلى وسط المنزل لتعلم بأن هناك ثلاثة غرف بالمنزل، عثرت عليه بجميع الغرف ولم تجده، لترى غرفة جانبية كان بابها مفتوح قليلاً، توجهت نحو هذه الغرفة ودخلت لترى ما أمامها وتتسمر في مكانها من صدمتها، كان وسيم يجلس بزاوية الغرفة وحالته مزرية كحال الغرفة التي تملأها الفوضى ولكن سمية لم تلتفت إلى كل هذا بل التفتت إلى الصور التي كانت معلقة على الجدران وقد كانت لأسيل، كانت صور مصفوفة كل منها على حداً، صدم وسيم عندما رأى سمية لأنه لا يريد أن يرى كل هذا، نهض من مكانه وتوجه بخطوات مترددة نحو سمية التي شلتها الصدمة لتحدثه بذهول:

"ما هذا"

ابتلع ريقه بتوتر وظل صامت ونظره مركز عليها لترد له:

"أخبرني بأن الذي في بالي ليس صحيحاً"

أدمعت عيناه ولم يتحدث لتصرخ بوجهه وتقول:

"أخبرني هيا، ما كل هذا؟ ولما تحتفظ بكل هذه الصور لأسيل ها أجبني"

تحدث وسيم بتلثم وتوتر ليقول:

"صدقيني لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، لم أعد أستطيع أن أخفي أكثر من ذلك"

نظرت له بصدمة وهبطت دموعها على وجنتها وظلت صامتة ليرد لها:

"سمية أنا أحب أسيل جداً، أنا أسف ولكن قلبي لم يحب سوى أسيل"

تحدثت بصوت متقطع بسبب دموعها لتقول:

"هل تزوجتني من أجلها"

حرك رأسه نافياً ليقول:

"لا لا أقسم لك أنك حصلتني على بعض المحبة بقلبي، ولكن قلبي الآن مع أسيل و.."

لم يستطع إكمال جملته ليشعر بصفعة نزلت كالسهم على وجنته لدرجة أنه التفت وجهه إلى الجانب الآخر من شدة الصفعة، أعاد نظره إلى سمية التي كانت تبكي بحرقة، لم يبدي أي ردة فعل ولم يتحدث أبداً لتقول سمية:

"أيها اللعين لقد اعتبرتك زوجاً وفيماً ووالد جيد لابنتي وأنت الآن تأتي بدورك وتقول لي بأنك تحبها وهي بعمر أولادك"

تنهد بحرقة وظل صامت لترد له وتتحدث بحدة:

"أتعلم شيئاً، كنت أشك بالأمر واليوم تأكدت من شكوكي، حسناً أعترف بأنني فضلتك عن القمامة، أنت لست سوى حقير مريض، سأذهب إلى بيتي وابعث بورقة طلاقني إلى بيتي هل تفهم"

أنهت جملتها ورحلت تاركة ورائها رجل تحطم كبريائه بسببها وبسبب ابنتها التي شغلت عقله وقلبه وتفكيره، هبطت دموعه وبدأ بالبكاء بصمت، تعجب من نفسه كيف له أن يبكي من أجل فتاة صغيرة، هو يحبها من كل قلبه، لقد ساءت حالته بعد أن ما انقطعت أخبارها ومن وقت اختفائها، شعر بنفسه ضائع لا وجود له في العالم، اشتاق لرؤيتها كثيراً، لذلك كان يقضي أغلب أوقاته بهذا المنزل من بعد غيابها بالشرب والخمر والسجائر، و قام بتصويرها منذ أن كانت تقيم معهم وسرق من هاتفها عدة صور وقام بتكبيرها وعلقها على جميع جدران هذه الغرفة كي يشعر بوجودها ويرأها بكل مكان، ولكن ماذا عن ضميره الذي يعذبه الآن، لم يكفي وجع قلبه ليجعه ضميره الآن من أجل سمية، تلك التي ظلمت ولا ذنب لها بشيء، أعطته ثقتها وقلبها وعقلها وهو لم يفعل شيء سوى محبته لابنتها.

تنهد بضيق وحسرة وبدأ يجول بنظره بأنحاء الصور المعلقة على الجدار، اقترب من صورتها التي تعتبر أكبر صورة لها من بين كل الصور وبدأ يتحسسها بأنامله ويتأملها باشتياق، لا يعلم كيف يخرجها من قلبه، لقد تملك

قلبه وتربعت عليه ولم يستطع إخراجها منه، ولكن الآن سيستسلم لجميع آلامه ويعلن هزيمته ويقوم بالانفصال عن سمية لأنه لن يستطيع العيش معها وقلبه مشغول بابنتها، تنهد بحسرة ليتجه ويعمل بأوراق الطلاق والسفر لأنه سيسافر هذه المرة دون عودة ولن يلتفت لورائه تاركاً كل شيء خلفه، متحسر على قلبه الذي تعلق بمحبوبته، نادم على فعلته مع سمية واستسلامه للحب من أخرى وهي ابنتها، ليعلن القدر عن انتهاء قصة حب من طرف واحد.

عند المساء

حسنت أمرها أسيل وكانت عازمة على الهروب، ظلت طوال الليل مستيقظة، جهزت نفسها وليست ثيابها، نظرت لوجهها في المرآة كان مليء بالكدمات، تنهدت بحسرة وعزمت على تنفيذ فكرتها، ظلت مترقبة سهى حتى تدخل في نوم عميق وقد تأكدت من ذلك، بينما وائل لم يكن بالمنزل لذلك قررت الهروب الآن وعلى الفور، كتبت رسالة صغيرة لوائل وتركتها على الطاولة الصغيرة وخرجت من غرفتها متسللة على أطراف أصابعها كي لا تصدر حركة، دعت بسرها أن لا يأتي وائل بهذا الوقت، كان قلبها يطرق بعنف ويتملكها بعض الخوف كونها ستهرب ولا تعلم إلى أين ولكن ستهرب منهم إلى أي مكان لأنها لم تحتل أكثر من ذلك، وصلت للبوابة الكبيرة وفتحت الباب الكبير وخرجت، كان الجو بارداً جداً لتسري قشعريرة بجسدها من شدة البرد، بدأت بالركض إلى وجهة لا تعلمها، ظلت تركض وتركض مبتعدة عن هذا المكان بالكامل، مر على هروبها وقتاً طويلاً وهي تركض مبتعدة كل البعد عن البلدة التي كانت تقيم بها.

بينما وائل كان عائداً إلى منزله، دخل بسيارته إلى الحديقة وتعجب من وجود البوابة مفتوحة، دخل للمنزل ومن ثم صعد إلى غرفة أسيل ليعقد حاجبيه باستغراب من عدم وجود أسيل، فتح باب الحمام الملحق بالغرفة ليراها إن كانت بالداخل ولكن لم يجدها، تملكه الخوف وأحس بنغزة في صدره وبدأ قلبه يطرق بعنف وتمنى بأن لا يكون الذي في باله صحيح، أصبح كالمجنون بدأ بالصراخ ظل يبحث عنها بأرجاء المنزل ولكن لا وجود لها، وقد استيقظت والدته على صراخه والضجة التي يثيرها، فزعت من منظره لتحدثه:

"ما بك وائل؟ ماذا حدث؟"

بدأ يلعن ويشتم ليصرخ بها:

"أين أسيل أمي أين هي؟"

بدأ قلب سهى ينبض بعنف لتحدثه بصدمة:

"لا أعلم أقسم لك لم أراها"

بدأ يكسر الزجاج والغرفة أصبحت بحالة فوضى ليتحدث بغضب:

"هل هربت"

تحدثت والدته بتوتر:

"صدقني لا أعلم"

مسح وجهه بكفه تعبيراً عن توتره وخوفه، نظر بأرجاء الغرفة ليرى ورقة صغيرة موضوعة على الطاولة، توجه نحوها سريعاً وفتحها بيدين مرتجفتين وكان محتوى الرسالة:

"اعذرنى يا وائل لإنني هربت، أعلم بأنه خطأ كبير وأعلم بأنك تحبني ولكنني لم أعد أحتمل، إذا سألت لماذا هربت فسأجيبك ليس خوفاً منك وليس خوفاً من اكتشاف الحقيقة ولكن صدقني لم أعد أحتمل، أنت ظلمتني والدتك ظلمتني وخالتي ظلمتني أيضاً، لقد اكتفيت منكم جميعاً وسأرحل بعيداً عنكم ولن تروني بعد الآن، ولتطمئن لإنك لن تجدني عند أحد من أقاربي أو والداي، سأبتعد عن كل شيء موجه، وأنا أعتذر منك بشدة ولكن أريد ان أقول لك يا وائل بأن تنتبه جيداً من والدتك لأنها ظلمتني وهي التي تسببت بكل هذه المشاكل هي وخالتي، وأقسم لك بأنني بريئة ولم أخطئك أبداً ولم أفكر بهذا الشيء، لقد عاملتني أحسن معاملة وتفهمتني لذا مؤكداً بأنني لن أكافئك بالخيانة، وبالمناسبة والدتك طلقنتني منك أردتك ان تعلم فقط، انظر حولك وحاول أن تجد ذلك الرجل لتعلم أنني بريئة ومظلومة والله شاهد على كلامي، أتمنى لك من كل قلبي الحياة الهادئة والهنئية بعيداً عن والدتك التي ظلمتني. أسيل"

ظل يحرق بالورقة أعاد قرائتها قرابة العشر مرات وهو يردد الكلام في عقله، لم يعلم أيصدقها أم لا وكيف سيحدها، التفت إلى والدته التي كانت تحرق به بخوف ليتقدم منها ويقول:

"ماذا فعلتني بأسيل"

ابتلعت ريقها بتوتر وبدأ قلبها يطرق بعنف لتقول بتلعثم:

"لم أفعل شيء صدقني"

صرخ بها بأعلى صوته ليقول:

"ماذا فعلتني لها واللعنة"

بدأت تفرك يديها بتوتر وتجول بنظرها بأحاء الغرفة ولم تستطع التحدث، نفذ صبره ليمسكها من كتفيها ويقول:

"قولي لي ماذا فعلتني لها"

ظلت صامتة ليقول بصراخ:

"اللجنة عليك لماذا فعلتني كل ذلك أُمي لماذا؟ ألا تريدني لي الحياة الهنيئة؟ لماذا كنتي أنانية هكذا؟ ماذا فعلت لك كي تبعديها عني وأنا أعشقها، ظللت طوال تلك السنوات أعمل أشبع الأعمال كي أشبعك أموال ولكن أنت بماذا كافتني ها"

أنهى جملته بحرقة وبدأ بالبكاء، نظرت له بصدمة وكانت على وشك البكاء ليعود هو إلى غضبه وحدثه ويقول:  
"سأجد ذلك الرجل وسأجدها وعندها سترون جميعكم"

أنهى جملته بحدة ليخرج من المنزل ويبحث عنها لعل وعسى يحالفه الحظ ويجد محبوبته.

-----

بينما عند أسيل كانت تركض بسرعة كبيرة كي تبتعد عن البلدة حتى لا يعثر عليها وائل لأنها تعلم تماماً بأنه سيبحث عنها، بينما كانت تركض وتسرع وجدت دورية شرطة لتسمع صوت صافرة تنذرها بالوقوف، وقفت وهي تلهث لترى شابين عسكريين يتقدمان نحوها ليحدثها أحدهما:

"إلى أين ذاهبة يا آنسة؟ ولماذا تركضين هكذا؟ هل تهربين من أحد"

تحدثت وهي تلهث وتقول:

"لا لم أهرب من أحد فقط كنت أركض"

نظر لها العسكري نظرة شك ليقول لها:

"حسناً إلى أين وجهتك"

تحدثت بتلعثم ولا تعلم بماذا تجيب لتقول:

"بصراحة أنا سأذهب إلى بيت خالتي أجل بيت خالتي"

رفع حاجبه مستنكراً ليقول العسكري الآخر:

"بيت خالتك في هذا الوقت"

تحدثت بتوتر:

"مم أجل وما المانع"

نظر العسكريان إلى بعضهما ليقول أحدهما:

"حسناً يا آنسة ستذهبين معنا إلى الفرع"

جحظت عيناها وتحدثت بخوف:

"الفرع! ولماذا؟ أنا لم أفعل شيء"

هز رأسه موافقاً ليقول:

"أجل أجل أعلم ولكن نريد أن نقوم باستجوابك والاطلاع على ملفك ومن بعدها نحن سنرسلك إلى بيت خالتك"

أنهى جملته بابتسامة صغيرة تدل على شيء لتتظر حولها بخوف، ظلت صامتة ولم تتحدث بينما العسكريان يراقبانها بحذر لتخطر على بالها فكرة الهروب منهما أيضاً، ابتلعت ريقها بتوتر لتتهم راكضة منهما بينما العسكريان قاما باللاحق بها وهما يصرخان بها بأن تتوقف، ظلت تركض وتركض إلى أن ابتعدت عنهما وأضاعتهما، التفتت إلى ورائها ولم تجد أحد لتتنهد بارتياح وتواصل ركضها، بينما العسكريان تحدثا مع الدورية التي تقف بالوجهة الثانية وتعلمهم بتتبعها والإمساك بها وقد أعطوهم أوصافها، كونها فرت هاربة منهم ف هذا يعني أنها فاعلة شيء.

بينما أسيل كانت تواصل ركضها لترى دورية ثانية وما إن رأوها العساكر حتى ألقوا القبض عليها وأمسكو بها لتصرخ هي وتركل بيديها وقدميها طالبة منهم أن يتركوها ولكن ظلوا ممسكين بها إلى أن وصلت الدورية التي فرت منها أسيل منها ونزل العسكريان من السيارة ليقتربان منها ويقول أحدهما:

"إذاً بيت خالتك أليس كذلك"

هبطت دموعها لتقول بتوسل:

"أرجوك لا تسجنني أنا لم أفعل شيء فقط هربت أرجوك سيدي"

تحدث العسكري بجمود:

"ستذهيبين معنا وعندما نتأكد بأنك لم تفعل شيء عندها سنطلق صراحك"

بدأت تشهق وتبكي أكثر من قبل ليأمرهم العسكري بأن يصعدوها بالسيارة ريثما يأتي، تنهد العسكري ليحدث صديقه:

"ما الذي سنفعله بها"

مسح وجهه بكفه ليجيبه:

"لا أعلم ولكن يجب علينا أن نقول للضابط أسر ونأخذ أوامره"

حرك صديقه رأسه موافقاً ليقوم العسكري بإجراء اتصال به، بينما أسر كان في منزله ليأتيه هذا الاتصال وقد تعجب من حال هذه الفتاة ليأمرهم بأن يأتوه بها ليطيع العسكري أوامره ويغلق الهاتف، تنهد العسكري وتحدث:

"أمرني بأن أجلبها له"

نظر له صديقه بصدمة ليقول:

"ماذا؟ وكيف ذلك؟ ولماذا إلى بيته"

زفر العسكري ليقول:

"لا أعلم سأنفذ وانتهينا هيا"

توجهها العسكريان إلى السيارة ومن ثم إلى منزل أسر بينما أسيل كانت تبكي وتشهق وتسالهم كل حين وآخر إلى أين سيأخذونها ولكنهم لا يجيبون فقط يلتزمون الصمت، وصلت السيارة إلى جانب المنزل لينزلون أسيل من السيارة وما زالت أسيل تبكي وتلعن حظها العاثر، ما إن رأت المنزل حتى اتسعت عيناها وتوقفت عن البكاء لتتصد من جمال وضخامة هذا المنزل، تعجبت من وجودها هنا لتعاود البكاء وتعاود سؤالها للعساكر ولكن لم يجيبها أحد بل شعروا بالصداع من صوتها وبكاءها وأسئلتها التي لا تنتهي.

-----

كان يجلس في الصالة يضع قدم فوق الأخرى ويبيده سيجارته ليدخل عليه الحارس ويعلمه بوصول الفتاة برفقة العساكر ليسمح لهم فوراً بالدخول، دخلا العسكريان وبرفتهم أسيل التي كانت ومازالت تبكي إلى حد الآن،

تمعن أسر بالفنأة لينصدم عندما يراها ويبدأ قلبه يطرق بعنف لأنه تذكرها فوراً ولم ينسى ملامحها أبداً، تعجب من حالها ليحمم بتوتر ويقول:

"أهلاً بك يا أنسة أسيل"

كانت أسيل نظرها موجه للأرض وتبكي بصمت وتشهق، سمعت صوته وتعجبت لأنها سمعت هذا الصوت من قبل، رفعت نظرها لتقابل عيناها بعيناه وتنصدم من وجوده لتتذكره على الفور و.....

" يحدث أن نفترق كي نلتقي من جديد

ولكن أكثر صدقاً وأكثر طهراً"

---

مكان مظلم يعم بالفوضى والرائحة الكريهة، شباك العنكبوت التي تحاوط زواياه، في أحد المخازن القديمة المليئة بالأتربة والحشرات بأنواعها وبرودة الطقس فيه، مكتفة تلك الفتاة البريئة من يديها، ملقاة بوضع النوم، ثيابها مليئة بالأتربة، خصلاتها البنية منطلقة بحرية ووجهها شاحب كالموتى، وضوء خافت في نصف المخزن المتسع، جالس على كرسي خشبي مهالك، يتفرس ملامحها الطفولية، شحوب وجهها لا يمنع فتونها، تنهد سهيل بضيق وهو يمسح على خصلاته السوداء وارتشف من كأسه الذي يحمله بين يديه وهو مازال على وعده لها سينتقم منها، سيسلب لها عذريتها ويجعلها ملكه، لقد اعترف بأنه يحبها كالمجنون ولكن حبه ليس طاهر بل سيدنسها بحبه ويفقدها أعلى ماتملك.

تململت شهد بانزعاج وعقدت حاجبيها وهي مغمضة عينيها، فتحت عينيها لتظهر عسليتها وتعادل بجلستها وتتنظر حولها بأرجاء المكان لتقع عيناها على أكثر وجه تبغضه بابتسامته الخبيثة، نظرت له بصدمة، أتاها فجأة صداد برأسها لتطلق تأوه صغير وتضع كلتا يديها على رأسها، نهض من مكانه متوجه إليها ليتخذ وضعية القرفصاء ويضع يده على وجنتها ويتحسسها ببطئ ويشعر بنعومتها، زحفت بمؤخرتها بعيدة عنه وهي تشهق وتبكي، ابتسم ابتسامة مأكرة ليقول بصوت أشبه بالهمس:

"ما بك يا شهدي؟ لاتخافين مني اتفقنا، ولكن دعينا نمارس الحب معاً، سأجعلك تحلقين بالسماء صدقيني"

بدأت تشتد بيكائها وهي تهز رأسها نافية بينما شعرت بأنه ليس بكامل وعيه من نبرته لتقول بصوت خافت:

"ابتعد عني أرجوك"

أطلق ضحكة ومستهزئة ليقرب منها ويقوم بفك الحبال المقيدة بها مع ابتسامته الخبيثة ليقول:

"أريدك أن تقاوميني بكامل قوتك، أريد أن أسمع صرخاتك وتوسلاتك لي اتفقنا حبيبتي"

بدأت تهز رأسها بعنف وتبكي بهستيرية وهي تصرخ وتبكي، لم يرأف بحالها بل ظل يضحك عليها ليرد لها:

"أنت لي قولها هيا حبيبتي، اسمعيني ستبقين معي طوال حياتك لن أدعك أبداً، ساجعلك لي ياشهد"

ظلت تبكي وتنتحب لتقول:

"أرجوك لا تفعل ذلك"

تحدثت من بين شهقاتها والرعب يدب بأوصالها ليبترس بشر ويقول:

"لماذا يا حلوة، ألا تريدين أن تشعرين بشعور جميل؟ حسناً أنا موجود، أنت لي هل تسمعين أنت لي ولن تكوني لغيري"

صرخت بأعلى صوتها معلنة عن ضعفها وحرقة قلبها، ظلت تقاومه وتبعده عنها ولكنه كان يفوق قوتها بمرات واستطاع أن يتغلب عليها لينقض عليها كالوحش ويغتصبها بأبشع الطرق بينما هي تصرخ بحالة هستيرية وتناجيه طالبة الرحمة منه ولكنه كان مغيب عن عالمه فهو الآن مع التي ملكت قلبه ولكنه لا يستحق هذه البريئة، لم تستطع أن تفعل شيء كان متحكماً بها تماماً، سلب لها عذريتها وأصبحت دمائها تسيل على الأرض من وحشيته وفعلته الشنيعة، لم يكتفي منها وشعر بأنه يريد المزيد منها ليعاود فعلته معها بأكثر عنف، فقدت الوعي من أول مرة فعلها معها ولكنه هو لم يكثرث لحالها.

بينما كان بالخارج هناك ثلاثة شبان يسمعون صراخها ويستمتعون بصوتها غير مباليين بالذي يحدث لها، تنهد رأفت بغل واضح ليقول:

"والآن جاء دورنا يارفاق"

أجابه سعد:

"أجل ولكن كيف سنتخلص من سهيل ونفتح هذا الباب؟ إنه مقفل أيها الأحمق"

ابتسم رأفت بتهكم ليقول:

"أجل أعلم، سنكسر الباب ندخل ومن ناحية سهيل فهو سيفقد الوعي بعد قليل لأنه شرب حتى اكتفى"

ابتسموا ثلاثتهم بخبث وعزموا على تنفيذ مخططهم.

بينما سهيل بعد ما انتهى من فعلته مع شهد تنهد بقوة واستلقى بجانبها وهو يبتسم على فعلته، أخيراً فعلها معها وسلبها عذريتها وأصبحت ملكه، بدأ يضحك بشدة ومن دون سبب، استدار لوجه شهد التي كانت مغمضة عينيها وأنفاسها متقطعة وحالتها مزرية ووجهها شاحب وبارد كالثج، تحسس وجهها بأنامله وابتسم ليقول:

"لقد فعلتها ياشهد، وأخيراً فعلتها، أنا سعيد بفعلتي هذه أتعلمين لماذا؟ لأنك أصبحتي ملكي الآن يا حبيبتي، أنا أحبك جداً"

لم يشعر بحركة لها ولم يسمع لها صوت، أغمض عينية مستسلم لفقدان وعيه. بعد وقت طويل كان الشبان ينتظرون بالخارج حتى ينام سهيل أو بالأصح يفقد الوعي لأنهم يعلمون جيداً بأن سهيل عندما يشرب الخمر يفقد الوعي بعدها فما بالهم إذا كان يفعلها مع أحد الفتيات، حاول رأفت كسر الباب وهذا ما سبب لسهيل الاستيقاظ، كان بين اليقظة والمنامة، دخلوا إلى المخزن وأمسكوا بشهد وأبعدوها عن سهيل بينما هو كان يستيقظ شيئاً فشيئاً ليراهم وهم يقتربون منها ويتلمسون جسدها بشهوة، عقد حاجبيه بغضب بعد أن استعاد وعيه الكامل وهم لم يكونوا منتبهين لحاله ليصرخ بهم صوت جعلهم يجفون ثلاثتهم ويدب الرعب بقلبيهم، نهض سهيل من مكانه ليقترب منهم وينهال على رأفت بالضرب المبرح بينما سعد وطارق كانا يتابعان ما يحدث بخوف لأنهما يعرفان سهيل عز المعرفة ولكن لا يستطيعان ترك صديقيهما يُعتدى عليه بالضرب بهذا الشكل، اقترب سعد من سهيل ليعده عنه ولكنه لم يستطيع لأن سهيل كان بحالة هستيرية، كيف تجرأ على لمسها هو وأصدقائه كيف؟ بينما طارق سحب مسدسه على سهيل لبيتعد سهيل عن رأفت وينظر إلى طارق بسخرية ليحدثه:

"ماذا تنتظر هيا أطلق النار"

تحدث طارق بحدة:

"نحن لا نريد أن نقتلك نريد هذه الفتاة فقط، لن تأخذها لك وحدك"

شعر سهيل بالغضب لأنهم يتحدثون عن حبيبته ويريدونها لهم، لن يسمح لهم بأخذها أو لمسها، تحدث سهيل بنبرة شر:

"صدقني إذا اقتربت منها سيكون هذا آخر شيء تفعله بحياتك، لن تقتربون منها إلا على جثتي"

حسناً لا مفر من سهيل سيقتلونه وبعدها سيحصلون عليها ولكن سهيل ليس هيناً، استغل فرصة أن طارق ينظر لسعد الذي يحذره ليسحب سهيل المسدس بحركة سريعة منه ويقوم بتوجيهه عليه وابتسامته شر وإصرار نمت على شفثيه ليقول بحدة:

"والآن أرني ما لديك"

ابتلع طارق ريقه بخوف كحال سعد ورأفت، حاولوا تهدأته كي لا يقوم بفعلته ولكنه لم يأبه لحالهم، هو يكاد يجن منهم لأنهم رأوا عارية وتحسسوا جسدها الصغير، لم يأبه لهم ولم يستمع لحديثهم وتوسلاتهم المستمرة، أطلق رصاصة برأس طارق ليقع أرضاً على الفور تحت نظرات سعد ورأفت المصدومة، شعرا بالرعب منه وحاولا الهروب ولكنه كان يقف أمام الباب وأي حركة منهما لن يستطيعان فعل التي تليها لإنهما سيكونان في عداد الموتى، ظل سهيل ينظر لهم وهو يضحك بصخب كالمجنون وهو يقول:

"ها قد قتلت صديقكما والآن جاء دوركما يا أنذال، سأجعلكما تندمان على لمس جسدها الذي يعتبر ملكي، لن أرحمكما، شهد لي هيا قولها شهد لي"

دب الرعب بأوصالهما من جملته ليقولان هما الاثنان بصوت واحد ومرتجف:

"شهد لك"

ضحك مرة أخرى ليقول:

"أحسنتما والآن وداعاً"

جحظت عيناها بخوف ليطلق النار على رأفت بجهة قلبه ولم يتبقى سوى سعد الذي بدأ بالبكاء والتوسلات لسهيل ولكنه لم يكثر ليطلق النار عليه أيضاً برأسه، ابتسم بتشفي لتتقلب الابتسامة إلى ضحكة عالية وصاخبة، رمى المسدس من يده ليتجه إلى شهد التي مازالت إلى الآن فاقدة للوعي، نظر لها وهو عاقد حاجبيه ليرى دمائها على الأرض، دماء عذريتها ومن بعدها أصبح نزيق قوي، جحظت عيناه وهو ينظر إلى الدماء التي تغطي أرجاء المكان على الأرض، دماء حبيبته ودماء أصدقائه، وضع يديه على رأسه وهو يصرخ ويتحدث بتقطع بـ:

"يا إلهي ماذا فعلت؟ لقد قتلتهم، شهد حبيبتي شهد هيا انهضي شهد حبيبتي اسمعيني أريد الزواج منك هيا استيقظي انهضي اللعنة عليك انهضي"

ظل يصرخ بها ولكن لا إجابة منها أبداً، هبطت دموعه على وجنته، يبكي بألم، يبكي بندم على ما فعله بها وبأصدقائه، لم يرى أمامه عندما رآهم يقتربون منها، منعهم بأخر لحظة، تمنى لو أنه قابل شهد بشخصية أفضل من شخصيته التي يبغضها الجميع، هو يحبها بل يعشقها ويريدها له، يريد أن يعيش معها حياة هنيئة ويبيتها كل أنواع الغزل والحب ولكن ليس بهذه الطريقة، شعر بحركة خارج المخزن ليحفل من بكائه بخوف، هو لا يريد أن يبتعد عن شهد ولا يريد أن يحدث له شيء، نهض من مكانه ليرى ما يحدث بالخارج وإذ به يرى مجموعة من العساكر يحاطون المكان، جفل وشعر بالخوف ليبعد بيضى ويتوجه إلى الباب الذي من الجهة الأخرى ويفتحه بصعوبة مما سبب صوت قوي، دخلوا عناصر الأمن إلى المخزن لينتبهوا لسهيل الذي يفتح الباب الآخر

ويهرب ليتقدموا جميعهم ويحاولون إيقافه بضرب الرصاص ولكنه فر هاربا منهم واستقل سيارة تخص صديقه رأفت.

دخل يوسف إلى المخزن بعدهم ليرى مافعله سهيل والدماء التي تغطي أرضية المكان ليتقدم منه أحد العناصر ويقول:

"سيدي لقد فرّ هارياً"

صرخ يوسف به:

"أغبياء، كيف يهرب منكم"

أجاب العسكري بتوتر:

"سيدي يبدو أنه شعر بمجئنا وهرب فوراً، لم نستطيع اللحاق به"

تحدث يوسف بغضب:

"عشرون رجل لم يقدرُوا على رجل واحد؟ أيها الحمقى"

صرخ بأخر جملته ليلتلع العسكري ريقه ويبتعد عنه، بينما يوسف حاول تهدأة نفسه لينتبه لسيارة الإسعاف التي حضرت ليقومون بحمل الشبان الذين فارقوا الحياة منذ أن اخترقت الرصاصات أجسادهم، جال يوسف بنظره لتقع عيناه على شهد التي كانت عارية تماماً والعساكر يقومون بتغطية جسدها لينقلونها إلى المستشفى لأنها مازالت على قيد الحياة، علم بأنها هي الفتاة التي يبحثان عنها والداها، صدم مما رآه وتملك الحزن قلبه على هذه الفتاة المسكينة وهو يتذكر حال والدتها التي كانت مفطورة من البكاء على فقدان ابنتها.

:Flash back

بعد غياب شهد كانت هدى والدة شهد تقطع غرفة الصلاة ذهاباً وإياباً من قلقها عليها وتأخرها الكبير، هي تعلم بأنها ذهبت إلى سمية ولكنها اتصلت بسمية التي كانت حالتها صعبة جداً لتقول لها بأنها لم تراها أبداً وهذا ما زاد من قلقها وخوفها على وحيدتها الصغيرة، علم والداها باختفائها ليهرعا سريعاً إلى الفرع، دخلا الأم والأب إلى مكتب يوسف في منتصف الليل ليعقد يوسف حاجبيه باستغراب ويعلم ماقصتهما وقد رأى والدة شهد تبكي بشدة ليحدثهما:

"تفضلا كيف أستطيع مساعدتكما"

تحدث والد شهد بقلق وخوف:

"أرجوك حضرة الضابط أرجوك ابنتي مفقودة، منذ عدة ساعات خرجت من المنزل ولا نعلم أين هي، جدها لنا أتوسل إليك هي ابنتي وحيدتي"

كعادته يوسف لا يتهاون مع أحد ولا يعطي مجال لنفسه بأن يتعاطف مع أحد هكذا تعلم في السابق، ولكن نبرة ذلك الرجل وخوفه على ابنته وبكاء والدته الفتاة جعله يتقطع قلبه على حالهما، تنهد بعمق ليقول مهدئاً:

"حسناً ياعم اهدأ قليلاً، اهدأي ياخالتي، سنجد لك ابنتك ولكن هي إلى أين كانت ذاهبة"

تحدثت هدى ببكاء:

"كانت ذاهبة إلى والدتي صديقتها"

هز رأسه ليقول:

"حسناً ولكننا لا نستطيع أن نجدها الآن ليمر على اختفائها أربعة وعشرون ساعة اعذراني"

ازداد بكاء والدته شهد وخوف والدها، نظر لهما يوسف بشفقة وحنن، هو لا يعلم لما يتعاطف معهما هكذا، تنهد بقوة ليرد لهما:

"حسناً اهدئا قليلاً، هل ابنتكما لديها هاتف محمول"

حرك والدها رأسه موافقاً ليعطيه يوسف ورقة وقلم ليقول:

"سجله هنا"

سجل والدها الرقم على الفور وأعطاه ليوسف ونادى يوسف على العسكري ليأتيه على الفور ويحدثه يوسف ببرود:

"خذ وتتبع هذا الرقم وجد لي موقعه"

هز رأسه العسكري موافقاً وألقى التحية وخرج، لينتهد يوسف وينظر إلى الوالدان اللذان كانا يكادان يموتان من شدة قلقهما على ابنتهما، حاول يوسف أن يكسر جو التوتر ليقول:

"ما اسمها ابنتكما"

تحدثت هدى ببكاء:

"شهد عبد الله"

ابتسم يوسف لتحتفي ابتسامته بالتدريج ويعقد حاجبيه باستغراب، لقد سمع هذا الاسم من قبل ولكن لا يذكر أين، هز رأسه موافقاً ليحدثهما بكلمات تطمئنهما، بعد وقت ليس بقصير دخل العسكري على يوسف وحدثه:

"سيدي لقد حددت المكان يوجد بمنطقة شبه خالية، هذا العنوان"

أخذ العنوان من العسكري ونظر له عاقد الحاجبين ليأمره:

"جهز دورية كبيرة هيا"

ألقى العسكري التحية وخرج ليطيع الأوامر بينما والد شهد تحدث بتوتر:

"هل هل وجدتم ابنتي"

نظر يوسف إلى الرجل بحزن وهو يدعي بأن لا يكون الذي في باله صحيح ليهز رأسه ويطمئنه قائلاً:

"أجل سنجلبها لك، يجب عليكما أن تنتظرا هنا"

هز رأسه موافقاً لينهض يوسف بسرعة كبيرة متوجه إلى ذلك المكان، حمد ربه بأنهم استطاعوا أن يجدوا مكانها عبر تحديد الموقع كون شهد كانت تفعل هذه الخدمة وكون سهيل لم يأبه لحال هاتقها الذي كان يرن طوال الوقت مستمتع بقلق والديها عليها، وصلوا إلى وجهتهم لتنتشر العساكر بجميع المكان ويحدث ما حدث.

.End flash back

تنهد يوسف بحزن ولا يعلم كيف يخبر والديها بالذي حدث بها، أدمعت عيناه وتذكر أخته فوراً وحمد ربه بأنها لم تتعرض إلى أي أذى، عاد إلى الفرع ليرى حال والديها ويحاول البحث عن سهيل لأنه سيجعله يندم على فعلته تلك وسينابع قضية شهد التي لا يعلم إن كان لها حل.

---

في منزل أسر

ما إن سمعت أسيل صوته حتى تعجبت لأنها سمعت صوته من قبل، رفعت نظرها إليه لتتصدم من رؤيته، لقد تذكرته فوراً، بينما هو كان ينظر لها بنظرة لم تفهمها، حاولت أن تجمع الكلام ولكنها لم تستطع، عاودت البكاء بطفولية ليعقد حاجبيه باستغراب ويقول بجمود:

"ما بك لماذا تكيين؟ وما تهمتك ها"

زاد بكائها ونحيبها، ظنت بأنه سيقوم بسجنها أو يدبر لها تهمة، لا تعلم بأنه وقع لها منذ أول لقاء بينهما، تعجب من حالها ليقول لها:

"حسناً اهدئي واجلسي وحدثيني بكل شيء، لماذا ألقوا القبض عليك"

تحدثت من بين شهقاتها:

"سيدي أنا لم أفعل شيء أرجوك لا تقم بسجني"

ابتسم بسخرية ليقول:

"حسناً لن أسجنك ولكن حدثيني بكل شيء، من أين أنتي؟ وإلى أين كنتي ذاهبة؟ حدثيني بكل شيء عنك"

شهقت بقوة وبدأت بالنحيب بينما أسر كان سينهض ويلكمها من شدة جمالها وهي تبكي بطفولية ولكنه تمالك أعصابه ليقول ببرود:

"ألن تكفي عن البكاء بعد، اهدئي قليلاً وتحدثي"

حاولت أن تهدأ من روعها وتحاول عدم البكاء ولكن لم تستطع، تنهد أسر وبدأ يغضب ليحدثها ببرود وقليل من الحدة:

"أسيل لقد تسببت لي بالصداع من بكائك، كفي عن البكاء أريد أن أعرف كل شيء عنك"

شعرت بحدة صوته لتجفل وتهداً نفسها شيئاً فشيئاً، توقفت عن البكاء قليلاً لتتحدث بنقطة:

"أنا هربت من زوجي"

صدم من جملتها وتحطمت آماله وتملكه الغضب ليتحدث بجمود:

"لماذا؟ أريدك أن تحدثيني بكل شيء من البداية"

أخذت نفس عميق وحكت له كل شيء بالكامل، حدثته عن زوجها وخالتها وأبيها ووالدة زوجها ولم تنقص حرفاً واحداً، أنهت حديثها وعاودت البكاء، كان يستمع لها باهتمام وتنصت، ألمه قلبه من العذاب الذي رآه ولكن هو لن يصدقها فوراً، سيعلم كل شيء عنها من مصادره الخاصة وبأسرع وقت، تنهد بقوة ليقول:

"حسناً يا أنسة أسيل لا تقلقي، ولكن لدي سؤال لماذا هرتني من الدورية"

تحدثت ببكاء:

"خفت من أن يرجعوني إلى زوجي السابق ويقتلني أو تبعثني والدة زوجي إلى المكان الذي قالت لي عنه"

حسناً أسيل لم تخبر أسر بطلاقها وما إن سمع بكلمة زوجها السابق حتى ضيق عيناه وقال:

"هل قلتي زوجك السابق؟ كيف ذلك"

تحدثت أسيل:

"أجل لقد وقعت على ورقة طلاقي، والدة زوجي هي من طلبت مني ذلك وجعلته يوقع على الورقة من دون علمه وبعثت بالأوراق إلى المحكمة"

تهللت أسارير أسر وابتسم ابتسامة صغيرة ليعود إلى بروده ويقول:

"ممم حسناً وماذا عن والدك"

تحدثت ببكاء:

"لا أستطيع أن أذهب إليهما لأن والدة زوجي وخالتي بعثت بصوري إليهما"

عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"صور ماذا"

اشدت بكائها لتقول:

" لقد صورتني عندما كان ذلك الرجل في غرفتي "

احتدت ملامحه ليأمر الحراس أن يجلبو لها العشاء ليأتوها على الفور بالعشاء، تحدث أسر بجمود:

"كلي"

تتحنحت أسيل وتحدثت بحرج:

"لست جائعة سيدي"

ابتسم على جملتها ليقول بجمود:

"كلي"

ابتلعت ريقها لتقول:

"شكراً ولكنني لست جائعة"

صرخ بها ليقول:

"كلي"

جفلت من صوته وعادت للبكاء ما إن سمعت صراخه ليلعن نفسه مئات المرات لأنه صرخ بها ويقول:

"حسناً حسناً اهدني فقط كلي هيا"

نظرت له وابتلعت ريقها وتوقفت عن البكاء وبدأت بالاكل، كانت تأكل وهي محرجة منه لأنه كان يتقرسها بنظراته ويتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها، ينظر إلى كل شيء بها وابتسم على طريقة أكلها، لم يعلم أبيقها عنده أم لا! ولكنها هاربة من الجميع كيف سيتدبر أمرها؟ حسم أمره وقرر أن يبقيها عنده وهذه كانت

فرصة لا تعوض لإنها لصالحه، ابتسم بسره ونظر لها وكانت تنظر له لتشيح بوجهها فوراً لتتسع ابتسامته عندها، تنهد بقوة ليسمع صوتها الناعم وهي تقول:

"شكراً لك سيدي لقد شبعت"

هز رأسه موافقاً دون أن يتحدث لتعتدل بجلستها وتسمع صوته يقول:

"ستقيمين هنا يا أسيل إلى أن أعلم كل شيء عن والداك"

نظرت له بصدمة لتتحدث بتوتر:

"لا شكراً سيدي أستطيع أن أتدبر أمري سأذهب"

تحدث بجمود وشي من الحدة ليقول:

"لا أنت محتجزة هنا إلى أن أقرر أنا بذهابك"

ابتلعت ريقها ونظرت له نظرة جرو بينما هو ابتسم ابتساماً لم تصل لوجهه ليقول:

"بالمناسبة ما سر هذه الكدمات التي على وجهك"

رجت شفتها معلنة البكاء لتقول بصوت خافت أشبه للبكاء:

"ضربات زوجي"

احتدت ملامحه وهمهم لها ليقول:

"سأبعث معك الخادمة لتوصلك إلى غرفتك"

صاح صوته لينده على الخادمة وتأتيه على الفور ويأمرها بأخذ أسيل إلى غرفتها، بينما هي نظرت له بامتنان، وبادلها النظرة ليقول:

"هيا اذهبي"

تحدثت أسيل:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك سيدي ولكنك غمرتني بلطفك وكرمك أنا أشكرك حقاً"

تحدثت بتلعثم وهمس خافت رأسها لبيتسم ابتسامة صغيرة ويخفيها فوراً ويحدثها ببرود:

"حسناً يا أسيل بإمكانك الذهاب الآن لكي تستريحي"

ابتسمت ابتسامة صغيرة ليسرح هو بهذه الابتسامة وتذهب هي برفقة الخادمة، ظل يحدق بفراغ مكانها وعلى محياه ابتسامة صغيرة، تنهد بقوة وصدح صوته ليأتيه الحارس فوراً ويحدثه أسر بجمود:

"أريدك أن تجلب لي جميع المعلومات التي تخص أسيل العمري، كل شيء هل تسمعني"

هز رأسه الحارس موافقاً ليذهب ويجلب له جميع المعلومات، بينما أسر ظل يحدق بالفراغ وقلبه وعقله يتصارعان في شيء ما وهو يشعر بالضيق من ذلك، لا يعلم مايفعله ولكن الآن أصبحت معه ولن يفرط بها مهما كلفه الأمر.

" رأيتُ فيك كُل ما أريد "

كُل ما أحتاج كُل ما أحب

وأحياناً مالا أطيع

. وهكذا أحببتك ! "

---

تركض تلك المرأة بأرجاء المستشفى كالمجنونة بحثاً عن ابنتها الوحيدة وهي تتحسر عليها، لم تصدق عندما أخبرها الضابط بأن ابنتها قد تعرضت للأغتصاب، ما إن سمعت هذا الكلام حتى بدأت بالصراخ والبكاء بينما زوجها جلس على الكرسي وسقطت دموعه معلنة عن حرقه قلبه على وحيدته، لم تنتظر زوجها ذهبت فوراً إلى المستشفى لترى ابنتها، بدأت تصرخ بالأطباء وتمسك بكل أحد تجده أمامها وتساله عن ابنتها كالمجنونة، وصلت إلى آخر الممر وسألت عن ابنتها ليقولون لها بأنهم يفعلون لها الإجراءات اللازمة ويقومون بمعالجتها، انتحبت بشدة وبدأت بالبكاء ليأتيها زوجها على الفور، لم يصدق بأن ابنته تعرضت للاغتصاب، أراد أن يشرب من دمه ليروي عطش قلبه المفطور، هبطت دموعه على وجنته من دون سابق إنذار ليرى الضابط متوجه لهما وبرفقته اثنان من العساكر، وقف يوسف أمامهما وهو يرى هذان الأبوان كيف هي حالتهما من أجل ابنتهما الوحيدة، خرج الطبيب من الغرفة التي بها شهد وما إن رآوه حتى نهضا بسرعة باتجاه الطبيب، بينما يوسف تحدث مع الطبيب بقلق ليقول:

"كيف حالها أيها الطبيب"

تنهد الطبيب ليقول:

"لقد تعرضت للأغصاب بأبشع الطرق وليس مرة واحدة، بصراحة وضعها حرج جداً ولكن لا تقلقوا لا يوجد خطر على حياتها، لقد نزفت كثيراً ولكن استطعنا إيقاف النزيف، ستستيقظ على الأغلب غداً ولكن عليكم أن تحرصوا على سلامتها لأنها ستعرض لصدمة شديدة وحالة نفسية سيئة"

أنهى الطبيب جملته ورحل من أمامهم، انتحبت الأم بشدة بينما والدها ظل صامت عاجز مكسور الخاطر، يرى ورده عمره ذابلة ولا يستطيع أن يحرك ساكناً، تنهد يوسف بعمق ليقول مهدئاً:

"ستحسن حالتها ان شاء الله"

تحدث سليم بجمود:

"أريد أن أرى ذلك السافل"

تنهد يوسف ليقول:

"نحن لم نستطيع أن نقبض عليه يا عم، لقد هرب بأخر لحظة ولكننا نبحت عنه وصدقني سنجده، نحن نبحت عنه منذ زمن لا تقلق سنجده وسينال عقابه"

ظلت هدى تبكي وتنتحب بينما سليم هز رأسه باستسلام وحزن ليردف يوسف:

"علي الرحيل الآن ولكن سأعود غداً إن شاء الله كي أرى شهد"

حرك سليم رأسه بايجاب وجمود ليرحل يوسف تاركاً وراءه والدان انفطرت قلوبهما من شدة حزنهما على وحيدتهما.

---

جالس في غرفة مكتبه يكاد يبكي من فقدانه لابنته، لا يعلم أين هي، بحث عنها كثيراً بمساعدة مصادره الخاصة ولكن لم يرى لها أثر، يكاد يجن يريد أن يراها فقط، يحتضنها ويضمها إلى صدره، هو نادم على تركه لزوجته وابنته، نادم من خوفه على نفسه عندما هددوه بالابتعاد عن زوجته، لم يكن بوسعه فعل شيء سوى الصمت والاستسلام، ولكن ليس بعد الآن، لن يستسلم وسيجد ابنته ويعيد زوجته إليه، وصله خبر طلاقها وابتعاد زوجها

عنها ولكن لا يعلم ما السبب وفرح جداً، ولكن بنظره لا يوجد للفرح مكان بما أن ابنته مفقودة وزوجته بعيدة عنه، سيفعل كل شيء لأجلهما وسيعيدهما إلى حضنه ولن يتخلى عنهما أبداً.

تنهد بحزن وتعجب من كثرة التفكير، سمع صوت جرس الباب يذق كثيراً تعجب من أنه لا أحد يفتح الباب، ظل الجرس يرن إلى أن نهض هو ليفتح الباب، تعجب عندما لم يرى أحداً أمام الباب، التفت يمين ويسار ولم يجد أحداً، وجه نظره إلى الأرض ليرى ظرف بحجم الكف، حمله وعقد حاجبيه باستغراب، فتحه ورأى عدة صور لابنته وهي بأحضان الرجل، أحلام هي من تولت أمر الصور وعدلتها بطريقتها، وجد صور ابنته بعدة وضعيات، جحظت عيناه وبدأ قلبه يطرق بعنف، ابتلع ريقه وعاود النظر للصور التي بين يديه، لم يصدق أن ابنته هي التي بالصور، هو يعرف ابنته جيداً ليست من هذا النوع الرخيص، لم يصدق هذه الصور، مزقها فوراً ولم يستطيع أن يرى بقية الصور، تنهد بحنق وقلق، ما الذي يحدث معها الآن؟ ماذا تفعل؟ ماذا تأكل؟ كيف تعيش؟ كل هذه الأسئلة كانت تدور في عقله، انتشله من شروده رنين هاتفه ليرى المتصل أخته هدى، أجاب فوراً:

"كيف حالكِ أختي"

وصله صوتها الباكي ليعقد حاجبيه ويردف:

"ما بكِ أختي؟ لماذا تبكين؟ هل كل شيء على ما يرام"

شهقت بقوة وبدأت تنتحب لتتحدث بتقطع:

"ابنتي شهد"

اعتصر قلبه ليقول:

"ما بها شهد أختي تحدثي"

تحدثت ببيكاء:

"لقد أغتصبت"

أنهت كلماتها وبدأت تنتحب لينصدم من حديثها ويقول:

"ما الذي تقولينه أنتِ هدى"

لم تجب بل ظلت تبكي ليقول لها:

"أين أنتم الآن"

تحدثت ببكاء:

"في المستشفى"

أخذ منها عنوان المستشفى ليسرع ويرتدي ملابسه ويذهب إليها بسرعة البرق.

في صباح اليوم التالي

استيقظت أسيل على أشعة الشمس، تمللت بفراشها لتفتح نصف عينيها بسبب أشعة الشمس، ظلت مدة على فراشها تراجع أحداث أمس، نهضت من فراشها ونظرت إلى الساعة لتراها قاربت على الواحدة ظهراً، تعجبت من أنها نامت كل هذا الوقت، اتجهت إلى الحمام الخاص بغرفتها التي تقطبها لتأخذ حمام سريع، انتهت من حمامها لتلف المنشفة على جسدها الرقيق وتخرج لترى الخادمة أمامها وعلى محياها ابتسامة صغيرة، تحدثت الخادمة بابتسامة:

"صباح الخير أنستي"

ابتسمت أسيل بوجهها لتقول:

"بل مساء الخير، حسناً صباح النور"

ضحكت الخادمة ضحكة صغيرة لتقول:

"دخلت عليك منذ قليل ورأيتك مازلت نائمة مؤكد بأنك متعبة"

تنهدت أسيل بتعب وهزت رأسها موافقة لتعقد حاجبيها وقد تذكرت شيئاً ما، عقدت حاجبيها الخادمة لتقول:

"هل يوجد مشكلة أنستي"

تحدثت أسيل بوجه حزين لتقول:

"لا يوجد لدي ملابس لقد نسيت الأمر"

ابتسمت الخادمة لتقول:

"لقد جلبت لك ثياب أنستي هذه الخزانة مليئة بالثياب، السيد آسر هو من جلبها لك، بالمناسبة أنا أدعى هبة وأنا سأكون الخادمة الخاصة بك"

ابتسمت أسيل في سرها لتقول:

"تشرفنا يا هبة أنا أسيل وأفضل بأن تكوني صديقتي لا خادمتي"

ابتسمت هبة ابتساماً واسعة لتقول:

"أتشرف بذلك شكراً لك، السيد آسر ينتظرك في الأسفل"

ابتلعت أسيل ريقها لتقول:

"حسناً سأرتدي ثيابي وأنزل"

هزت هبة رأسها موافقة وخرجت من الغرفة، ارتدت أسيل ثيابها وخرجت ليبدأ قلبها يطرق بسرعة، كانت خائفة من أن تراه ولا تعلم لماذا، أخذت نفس عميق ونزلت للأسفل، لتجده يجلس في الصالة الكبيرة، اقتربت بخطوات مترددة بينما هو كان يتابع حركتها من أول ما رآها لابتسامة صغيرة ويقول:

"ما بك لماذا تقفين بمكانك؟ تفضلي"

ما إن سمعت صوته الرجولي حتى زادت طرقات قلبها لتقترب بتردد وتجلس بحرج، ظلت صامتة ومنزلة برأسها للأسفل ولم تتحدث، كاد آسر أن يأكلها بنظراته وقد انتبهت لهذا الشيء، حمم قليلاً ليقول:

"أتمنى أن تكوني شعرتي بالراحة بالنوم يا أسيل"

ابتلعت ريقها ورفعت نظرها إليه بتردد لتتقابل عسليةها بعسليةه وتقول بصوت خافت:

"مم شكراً أجل ارتحت"

همهم ليقول:

"حسناً الا تريدان أن تأكلين"

نظرت له بطرف عينا ولم تتحدث لبيتسم ابتسامة جانبية ويردف:

"حسناً الأكل جاهز بإمكانك الذهاب لتأكلي وعودي إلى هنا عندما تنتهين"

حركت رأسها موافقة ونهضت لتأكل طعامها وتعود إليه بعد وقتٍ قصير، جلست بحرج لتقول:

"لقد انتهيت"

حرك رأسه ولكنه لم يتحدث بل ظل ينظر لها بنظرات متفحصة، محم ليقول:

"هل أحببتي زوجك أسيل"

نظرت له بتفاجؤ على سؤاله لتبتلع ريقها وتقول:

"لا أعلم ما الذي أقوله لك، ولكن هو كان جيداً معي وعاملني بالإحسان واحترم رغباتي ولكن لم أحبه بل أحببت هدوءه ومعاملته معي فقط ذلك"

همهم بتفهم ليقول:

"ماذا تقصدين برغباتك"

محممت بتوتر ولم تجب ليفهم أسر شيء ويتحدث بجرأة:

"هل مازلت عذراء"

نظرت له بعيون جاحظة وتوردت وجنتيها وبدأت شفقتها ترتجف من سؤاله الجريء وبعدها أنزلت بنظرها ولم تتحدث، ظل أسر ينظر لها وإلى وجنتيها المتوردة ليعض على شفته وتزداد احمراره، لم ينتبه لنفسه وهو سارح بها ليحمم بتوتر ويعيد سؤاله التي كادت تنفجر من الخجل لتهز برأسها موافقة دون أن تنطق بحرف لبيتسم ابتسامة واسعة ويقول بصوتٍ خافت:

"حسناً هذا جيد"

رفعت نظرها إليه لتعقد حاجبها بعدم فهم وتهز رأسها بمعنى ماذا ليقول ببرود:

"لا شيء، حسناً أسيل إذا أحببتي بإمكانك أن تتجولي بالمنزل وتكتشفين الأماكن"

هزت رأسها موافقة لتنهض متوجهة إلى الحديقة الخارجية تحت نظرات الحراس المتعجبة من وجودها بالمنزل، بينما أسر ظل سارح بها وبشكلها وعلى وجهه ابتسامة صغيرة، انتثله من شروده دخول الحارس ليلقي التحية على سيده ويقول:

"سيدي لقد جلبت المعلومات الكاملة لأسيل العمري"

"لإنك اعترضتِ دربي

وصوبتِ حسنك على قلبي

فصار المدى أنتِ

والصدى أنتِ

صرت أراك بكل العيون

وأسمعك بكل الأصوات

وأشمك بكل الزهور

استسلمتُ، وأحببتك "

-----

مستلقية على سريرها، مغمضة العينين، شاحبة الوجه، شفتاها تحولت للون الأزرق بعد أن كانت وردية، كل من يراها يظنها ميتة، تجلس والدتها أمامها ولم تجف لها دموع، تتحسر على وردتها الذابلة، بينما والدها يقف بقوامه جامد بارد وجهه لا يدل على أية مشاعر، كان هشام وسمية موجودان أيضاً وحالهما لا يختلف عن حال هدى وسليم، لأن ابنتهما الوحيدة أيضاً مفقودة ولا يعرفان شيئاً عنها، عم الحزن عليهم جميعاً من دون سابق إنذار، كان هشام يخطف نظرات إلى سمية التي تجلس وتبكي بصمت، تمنى لو أن يحتضنها ويطبب عليها، نفض تلك الأفكار من رأسه فوراً لأنه لا وقت الآن لعشقه ونظراته، بينما شهد كانت تفتح عينيها شيئاً فشيئاً لتستقبل عينيها الضوء وترى كل من أمامها مستقبلة واقعها المؤلم بتفاجئ، تلممت قليلاً لتحاول استيعاب ما يحدث حولها، تجمعت الأحداث بعقلها التي حدثت معها وتذكرت كل شي لتبهط دموعها وتجحظ عيناها وتبدأ بالصراخ والبكاء، بينما الجميع انتفضوا فور سماع صراخها ليهرعوا إليها ويحاولون تهدأتها، ظلت شهد تصرخ وتبكي وتتحدث بكلمات غير مفهومة بينما الجميع يحاول تهدأتها وهي لا تكف أبداً، ظلت تبكي وتصرخ وتتحب وتضرب على السرير بقبضتها الصغيرة، ليجفل كل من في المستشفى ويهرعوا إليها الأطباء، دخل الجميع إليها أطباء وممرضات، ليأتي الطبيب على الفور ويعطيها إبرة مهدئة بصعوبة بالغة كي تعود للنوم تحت صراخها ومقاومتها الشديدة له ولكن هشام وسليم أمسكها وهذا ما سهل عليه إعطائها للإبرة المهدئة لتعود إلى أحلامها الوردية تاركة واقعها المؤلم والمخيف لهم، لتتعم بالنوم والهذوء مرة أخرى، احتدت ملامح سليم وزاد حقه على

الذي تسبب بانتهيار شهد وفقدانها لعذريتها بينما هدى احتد بكائها ونحيبها على ابنتها لتقوم سمية بتهدأتها شيئاً فشيئاً، ظل هشام واقفاً بجمود لبيتهد بحزن، والآن ابنتاه الاثنتان تقعان في ورطة، دخل يوسف عليهم بقوامه الصلب ليلقي التحية عليهم وينظر إلى شهد مطولاً ليتحدث بجمود:

"كيف حالها الآن؟ ألم تستيقظ بعد"

رد هشام بهدوء:

"استيقظت وبدأت بالصراخ والبكاء وجاء الطبيب وأعطاه إبرة مهدئة لتعود للنوم"

تنهد بحزن ليوجه حديثه إلى سليم ويقول:

"أعلم بأنه ليس الوقت المناسب ياعم ولكن أريد أن آخذ أقوال شهد"

ابتسم سليم ابتسامة ألم ليقول:

"لن تستطيع أن تأخذ من شهد لا حق ولا باطل وهي بهذه الحالة"

تنهد يوسف بقوة وعقد حاجبية ليقول:

"حسناً ياعم لا بأس، أعذك بأننا سنجده عما قريب، وشهد ستتحسن تفائل بالخير"

حرك سليم رأسه بحزن واستسلام ليستأذن يوسف ويتوجه إلى الخارج ويمسك هاتفه ليتصل بأسر ويجيبه أسر ببرود:

"ماذا تريد"

أجاب يوسف بغضب:

"أيها اللعين أين أنت، انقلبت الدنيا بغيابك واتصلت بك أكثر من مرة وأنت هاتفك مغلق والآن تجيبني بكل برود ها"

قلب أسر عينيه ليقول ببرود:

"ماذا حدث هل تحررت القدس أم ماذا قل ما لديك"

احتدت لهجة يوسف ليقول بصوت عالٍ:

"العين، سافل، بارد، لقد تعرضت فتاة للإغتصاب من قبل سهيل رافع"

نهض أسر من مكانه بسرعة ليقول باهتمام:

"ماذا؟ كيف حدث ذلك"

تنهد يوسف بحدة ليقول:

"أذكر تلك الفتاتان عندما جاءتا إلى القسم وقدمتا شكوى ضده"

حفظت عينان أسر وانقبض قلبه وتذكر أسيل ليقول:

"أجل ما بهما"

أجاب يوسف:

"لقد تعرضت للأغتصاب واحدة منهما، اسمها شهد وهي الآن موجودة في المستشفى، اغتصبها بوحشية هذا اللعين"

تشنت تفكير أسر وجال بنظره بأرجاء المكان ليقول:

"أنا سأتي فوراً"

تحدث يوسف:

"حسناً وأنا سأكون بالفرع بعد ربع ساعة"

أنهى أسر اتصاله ليضع يده على جبينه تعبيراً عن قلقه وخوفه على أسيل عندما تعلم بصديقة عمرها ما الذي حدث معها، اتجه أسر وبدل ملابسه ليخرج فوراً متجهاً إلى الفرع وهو يفكر بحال أسيل وكيف سيخبرها بحال صديقتها، تنهد بغضب وضرب على مقود السيارة وقرر بأنه لن يحدثها بشيء في الوقت الحالي إلى أن تتحسن حالة شهد مبدئياً.

---

في مكان ما في باريس

يقف بملامح جدية، كامامة على فمه، يلبس الصدرية الخضراء، وبجانبه أدواته، ويقفون حوله باستعداد لإتمام عملية قلب مفتوح، تنهد بقوة ليبدأ عمله وبجانبه تلك الممرضة التي تناوله الأدوات اللازمة لإتمام العملية، أصبح العرق يتصبب منه بعد وقت طويل كون جهاز القلب قد بدأ يعطي خط مستقيم ويصفر، لم يفشل بحياته بأية عملية كانت، دائماً كان الطبيب المجدّ والناجح، تنهد بقوة وأصبح قلبه يطرق طرقاً متزايدة وكأنه يعطي المريض من دقات قلبه السريعة المتزايدة، أصابه التوتر، أغمض عيناه بقوة ليعيد تركيزه المشتت ويعاود المتابعة بعمليته التي أصبحت خطيرة، شغل صدمات الكهرباء ليلصقها بجسد المريض، الضربة الأولى والثانية والثالثة إلى أن عاد نبضه إلى طبيعته، تنهد بقوة وعاود عمله ليكمل عملياته وتتم بنجاح، خرج من غرفة العمليات والدماء تملئ قميصه الأخضر، توجه إلى مكتبه ومن بعدها إلى حمام مكتبه ليغسل يديه ويلبس مريولته البيضاء ويجلس على كرسيه بتعب واضح، دخل إليه أحد الشبان والذي لا يعتبر مكانه بالمستشفى ليطل أمامه مبتسماً ليبادلها الابتسامة باسل ويأتي ليث ويجلس أمامه ضاحكاً ويقول:

"ماذا أيها الطبيب؟ كيف كانت العملية؟"

تنهد بتعب ليقول:

"لقد فشلت"

جحظت عيناه ليقول:

"مستحيل، أنت لم تفشل في حياتك بأية عملية، ماذا أصابك؟"

ابتسم باسل ابتسامة صغيرة ليقول:

"معك حق"

تنهد ليث بارتياح ليقول:

"لقد أخفتني يارجل، إذاً كيف حال والدتك ورنيم؟"

أجاب باسل:

"بخير، ألن تأتي إلينا اليوم على الغداء أيها الأحمق؟"

ابتسم ليث ليقول:

"بلى بالطبع سأتي"

همهم باسل ليقول:

"جيد"

حرك ليث رأسه ليقول:

"ألم تتحدث مع أسر ويوسف"

تحدث باسل بجديّة:

"اتصلت بهما عدة مرات ولا أحد منهما يجيب"

عقد ليث حاجبيه باستغراب ليقول:

"لماذا؟ هل حدث معهما شيء"

أجابه باسل:

"لا أعلم شيء عنهما"

همهم بتفهم ليقول:

"وماذا عن ماريا"

نظر باسل إلى ليث نظرة قوية ليقول:

"دعك من هذا الحديث"

صمت ليث ولم يرغب أن يضغط على باسل أكثر من ذلك لأنه يعلم مدى عشقه لها ومدى وجعه منها، ويعلم أيضاً بكل شيء عن ماريا كون ليث مخزن أسرارها لباسل.

ليث هو الشاب الرابع للشلة وهو شاب طويل القامة بعيون زرقاء وشعر أشقر وجسد رياضي وكل الفتيات تتهاقن عليه، يحب أن يصادق الفتيات كثيراً وكان متعدد العلاقات كثيراً كحال يوسف وكان يتعاطى المخدرات وظل سنة ونصف يتعالج من مرضه وتعافى بشكل كامل وترك كل شيء من وقتها لأنه متيم بفتاة ويحبها بجنون لدرجة أنه أصبح يتعاطى بسببها لأنها رفضته كونها تعلم بعلاقاته المتعددة لذلك رفضته وهي رنيم أخت باسل، وباسل يعلم بكل شيء وكان هو السبب الأساسي لمعالجة ليث من إدمانه كون أخته هي من كانت السبب باستدراجه لدخول هذا العالم الذي ليس له رجعة ولكن ليث تراجع في الوقت المناسب وأصبح شاب محترم

وملتزم وابتعد عن كل شيء خاطأ، وهو الآن على حاله منذ سنة ونصف لم يتعاطى أبداً وابتعد عنه بلا رجعة وله من اعترافه بحبه لرنيتم ثلاث سنوات وإلى الآن يعشقها ويتمناها زوجة له، عاد من ألمانيا بعد أن كان يعمل بشركته الخاصة بالهندسة التي تركها له والده مع أملاكه جميعها، ولكنه نقل جميع أملاكه إلى وطنه وقرر أن يأخذ باسل ووالدته وأخته معه بعد أن أخذ موافقته لعودتهم إلى الوطن، تنهد بقوة بعد أن كان شارداً الذهن كحال باسل الذي كان يفكر بحبيبة قلبه لينتشله ليث من تفكيره ويقول:

"حسناً سأذهب الآن وسنتقابل في منزلك، لا تنسى أن تمد لي السجاد الأحمر اتفقنا"

ابتسم باسل بسخرية مجيياً:

"أغرب عن وجهي"

خرج ليث ضاحكاً وتاركاً باسل بشروده وعشقه لحبيبة قلبه التي عذبت فؤاده وشغلت باله.

---

يجلس كل من أسر ويوسف في غرفة المكتب، والقلق ينهش صدريهما، تنهد أسر ليتحدث بجديّة:

"ماذا حدث؟ أخبرني، كيف يفلت منكم هكذا"

نظر يوسف لأسر بغضب مجيياً:

"وما شأنني أنا؟، أنا وصلت بعدهم وأخبروني أنه فر هارباً، هؤلاء الحمقى لم يستطيعون إيقافه"

تحدث أسر بتفكير:

"يجب أن نجده بأسرع وقت، هذا مجنون تماماً، لربما يحاول أذية الفتاة"

انتفض يوسف واقفاً ليقول بغضب:

"كيف سيؤذيها يعني؟ ألم يكفي أنه اغتصبها! ماذا سيفعل بعد الآن هذا العاهر"

نظر له ببرود قائلاً:

"لا أعلم، شاب مثله اغتصبها بوحشية ربما يفعل أفظع من ذلك، يجب أن نحمي الفتاة ونضع عدة حراس في المستشفى ريثما يتم القبض عليه"

ابتلع يوسف ريقه وجلس ليقول:

"معك حق، يجب أن نحمي الفتاة ونتوقع كل شيء منه"

نظر له أسر بشك ليحتمم ويقول متصنعاً عدم المبالاة:

"أظن أنك متعاطف مع الفتاة ومهتم بها"

نظر له يوسف بغضب محبباً:

"ألا تريدني أن أتعاطف معها؟ هذا الحقير دمر مستقبلها واغتصبها، ماذا تريدني أن أفعل؟ أتشمت بها مثلاً"

ابتسم بررود ليقول:

"اهداً قليلاً، لم أقصد ذلك يا رجل"

أشاح يوسف بوجهه عنه وزفر بضيق ليحرك رأسه موافقاً دون التفوه بحرف،

لا يعلم أسر إذا كان يجب عليه أن يقول ليوسف عن أسيل أم لا، ولكن لما يقول له عنها؟ لا لن يتفوه بحرف ولن يقول شيء، كان يفكر بأسيل ومكوئها معه، وما الذي سيحدث بعد حين؟ وكيف ستتقبله عندما يعلم بأنه يهيم بها؟ لعن نفسه ولعن الحب، هو يكابر، أجل يكابر ولن يتحدث أو يعترف لها بحبه في الوقت الحالي، أو بالأصح من الممكن أن لا يعترف بتاتاً ولكن لن يتركها أو يجعلها تضيع من يده مرة أخرى، بحث عبر مصادره الخاصة عن حال زوجها السابق وعلم بأنه مازال يبحث عنها وعن ذلك الرجل، هو خائف جداً بأن يجدها ويأخذها منه، لذلك سيبقى محافظاً عليها ومحتجراً إياها في منزله وأمام عينيه مطمئناً نفسه بوجودها، فهو لن يتخلى عن حياته بعد أن وجدها.

---

كانت جالسة تلك الفتاة في غرفتها بتوتر بالغ، لم تصدق عندما علمت بأنه قادم إليهم، رقص قلبها فرحاً وتملكتها السعادة لأنها وأخيراً ستراه، فهي لم تراه منذ سنة ونصف، قلبها يدق بسرعة شديدة ولا تعلم ما هو السر، نهضت وارتدت أجمل الثياب وتزينت لتظهر بأبهى صورها، ولكن لماذا تفعل كل ذلك؟ أليست هي من رفضته؟ أليست هي من رفضت حبه وارتباطهما؟ إذاً لماذا تفعل كل ذلك الآن؟ انتهت من تجهيز نفسها لتتظر في المرأة وتبتسم ابتساماً رضى على مظهرها، ما إن سمعت صوت جرس الباب حتى بدأ الخوف يملكها وقلبها يدق بعنف، كيف ستواجهه؟ وبأي عين؟ هي من كانت السبب بضياعه، ماذا سيفعل عندما يراها؟ وكيف سيعاملها؟

بدأت تفرك يديها بتوتر وتقطع غرفتها ذهاباً وإياباً، انتظرت قليلاً ومن بعدها هبطت إلى الأسفل ومع كل درجة تنزلها يهبط قلبها أكثر من قبل.

كان يجلس في الصالة بكل هدوء، ظاهره هادئ ولكن داخله بركان يتفجر من شدة شوقه لرؤيتها، هو يعلم بأنه سيراه، ابتلع ريقه عندما سمع صوت خطواتها وهي تهبط على الدرج، وكل هذا كان يتابعه باسل، تقدمت رنيم بخطوات ثابتة وألقت التحية عليه وصافحته لتتلاقى الأعين وتحكي الكثير والكثير من الكلام، أفلتت يده بتوتر واتجهت لتجلس بجانب أخيها ونظرها موجه للأرض، بقي ليث ينظر لها مطولاً وقلبه يدق بعنف، لم يسأل ولم تجاوب، لم يعاتب ولم تدافع، فقط اكتفيا بتبادل النظرات الجانبية، حمم باسل ليقول:

"هل نقلت جميع أوراقك إلى البلدة"

التفت ليث إلى باسل ليقول:

"م أجل نقلتهم جميعهم لم يتبقى شيء، بالمناسبة متى السفر"

تحدث باسل:

"بعد شهر تقريباً بينما أجهز جميع أوراقى وأوراق جامعة رنيم أيضاً"

همهم ليث بتفهم ونظر نظرة خاطفة لرنيم التي كانت تتابع الحديث بصمت ليغض نظره عنها، نهض باسل ليلقي نظرة على والدته أو بالصح ليخلي لهما المكان قليلاً، ظل ليث ورنيم صامتان لا يتفوهان بكلمة لتحمم رنيم بتوتر وتتحدث:

"كيف حالك ليث؟ وكيف هو عمك"

نظر لها بقوة ولمعت عيناه ليقول:

"أنا بخير وعملي جيد، وأنت كيف حالك"

حركت رأسها لتقول:

"بخير"

همهم لها وصمت ليعلم هاتفه عن رنينه ويرى اسم المتصل وتكون فتاة، نظر إلى رنيم نظرة خاطفة ليحجب على الهاتف:

"مرحباً"

ظل يتحدث مع هذه الفتاة وهي مسؤولة عن مشروعه الجديد لذلك أتصلت به، كانت رنيم تتابع الحديث والغيرة تنهش قلبها لأنها علمت بأن التي يحدثها هي فتاة، أنهى اتصاله ونظر لها ليقول:

"م هذه المسؤولة عن المشروع الجديد اسمها مريم"

همهمت بتفهم ورفعت حاجب لتبتسم بسخرية وكأنه فهم بأنها لم تصدقه ليرد لها:  
"أقسم لك هذه المسؤولة وكنا نتحدث عن العمل، ألم تسمعي؟ كنت أحدثها عن المشروع"

نفخت خديها لتقول بنفاذ صبر:

"بلى لقد سمعتك ولكن أنا لا شأن لي فلتتحدث مع أي أحد، هذا الأمر يعود لك"

نظر لها بحزن ليقول:

"تعين بأنك لا تهتمين لي أبداً"

تحدثت بلا مبالاة:

"أجل لا أهتم"

هز رأسه وابتلع غصته ليتحدث:

"رنيم أنا لا أعني لك شيء"

صمتت رنيم قليلاً لتقول بعدها:

"أنت صديق أخي"

ابتسم ليقول:

"فقط"

حركت رأسها موافقة ليرد لها بهمس:

"حسناً"

نظرت له بعد أن أبعد نظره عنها، عقدت حاجبيها بحزن ولم تتحدث، اقتحم المكان باسل ووالدته لينهض ليث ويلقي عليها التحية ويتقدمون إلى مائدة الطعام ويبدأون بتناول طعامهم بصمت، كل الوقت كانت رنيم تنظر ل ليث نظرات خاطفة ولكنه هو لم ينظر لها أبداً وتجاهل وجودها وهذا ما زاد من غيظها، أنهموا طعامهم ليجلسون بغرفة المعيشة ومازال ليث لا ينظر لرنيم أو يحدثها، بعد وقت قليل كان ليث ورنيم يجلسان بمفردهما لتتحدث رنيم بقليل من الغضب:

"ما بك لما لا تحدثني ها"

تصنع اللامبالاة ليقول:

"ولما أتحدث معك يا رنيم"

نظرت له عاقدة حاجبيها لتقول بغضب:

"لأنه يجب عليك أن تحدثني"

ابتسم بسخرية ليقول:

"مم حسناً كيف حال جامعتك هل تدرسين جيداً يا شقيقة صديقي"

عقدت حاجبيها لتقول:

"هل تسخر مني أم ماذا"

تحدث بلا مبالاة:

"لا أبداً ولما أسخر منك يا فتاة"

هزت رأسها بحنق وصمتت والغیظ يأكلها، ابتسم ليث ابتسامة صغيرة على منظرها، هو يعلم نقطة ضعفها، لن يتحدث معها ولن يهتم لأمرها عندما يجتمع بها، سيتركها حتى تأتي هي إليه هكذا قرر في سره، توسل لها كثيراً من قبل وأقسم لها بأنه ابتعد عن جميع الفتيات ولكنها لم تصدقه لذلك ابتعد عنها هارباً من قسوة قلبها عليه، لهذا قرر بأن يعاملها بجفاء ولن يقترب منها لتشعر به وبقلبه، أتى باسل وأخذ ليث معه إلى الأعلى ليجلسان قليلاً بمفردهما، ما إن وصلا إلى غرفة باسل حتى أمسك بليث وحدثه بفرح وحماس:

"لقد تركته يا ليث تركته لم تعد على علاقة معه"

عقد ليث حاجبيه بعدم فهم ليقول:

"اهداً اهداً وافهمني ما الذي يحدث معك"

تحدث باسل بسعادة:

"ماريا أيها الأحمق لقد تركت ذلك الشاب"

امتعض ليث ليقول:

"يارجل وما المفرح بالأمر؟ فهي لم تحبك إلى الآن"

عبس باسل ليقول بغیظ:

"ألا يمكنك أن تصمت قليلاً وتجاريني في فرحتي؟ دائماً يجب عليك أن تمقتني أيها اللعين"

ضحك ليث ليقول:

"أيها الأحمق انتظر إلى أن نرجع إلى البلاد ومن بعدها تتحسن أمورك بإذن الله"

تنهد باسل بقوة ليقول:

"أتمنى ذلك"

حرك ليث رأسه وصمت لينظر له باسل ويرد له:

"وأتمنى لك أيضاً"

تنهد ليث بقوة ليتبادل هو وباسل النظرات ويبدأ بالضحك من دون أي سبب كان.

---

جالسة في منزلها مرتاحة البال ولا هم على قلبها، ترتشف من فنجان قهوتها بكل غرور، سمعت رنين هاتفها معلناً عن وصول فيديو لها، عقدت حاجبها باستغراب عندما وجدت هذا الفيديو مرسل من مالك خال أسيل، فهي لم تعد تراه منذ أن خرجت أسيل من حياتها ومنذ تلك الفعلة التي فعلتها معه، فتحت الفيديو لتراه وتجحظ

عينها بقوة، لم تصدق الذي تراه أمامها، أصبح تنفسها سريع وقلبها يدق بشكل عنيف، وصلتها رسالة لتفتحتها وتقرأ محتوى الرسالة

"عزيزتي أتمنى أن يعجبك الفيديو"

هبطت دموعها على وجنتها وبدأت تضرب وجنتها بخوف وقلق من المستقبل فالفيديو كان يحتوي على صورتها وهي بين أحضانه وهما يفعلان الفاحشة معاً، لقد استطاع أن يصورها وقد فعل كي يستغلها فهو لن يهنئها بحباتها أبداً كونها امرأة حقيرة وهو أحقر منها، اتصلت به ليجيبها باستفزاز:

"هل اشتقتي لصوتي"

تحدثت بخوف:

"ماهذا يا مالك؟ كيف تفعل ذلك بي"

ضحك بسخرية ليقول:

"وهل أفهم منك بأنه يفرق معك الذي بعثته لك؟ ألسني عاهرة ياسيدة أحلام"

انفجرت أحلام لتقول بغضب:

"بل أمك وأختك العاهرة أيها السافل"

سمع جملتها وقد استفزته ليحدثها بتوعد:

"أقسم لك بأنني سأنشر هذا الفيديو على جميع برامج التواصل الاجتماعي وسأبعث بالفيديو إلى زوجك المصون كي يرى عهر زوجته سترين"

جحظت عينها لتقول بخوف وترجي:

"أرجوك لا، لا تفعل ذلك أرجوك يا مالك أنا أسفة لن أتحدث عن والدتك أو أختك بهذا الشكل بعد الآن أرجوك لا تفضحني"

تنهد بحدة ليقول:

"حسناً، أمامك نصف ساعة لتكوني عندي بمنزلي، زوجتي وأولادي خارج البلدة لا تتأخري وإلا هذا الفيديو سيكون بحوزة زوجك هل تسمعين"

أنهى جملته وأغلق الهاتف بوجهها ولم ينتظر ردها، أجهشت أحلام بالبكاء وتهد بقلة حيلة لتنهض وترتدي ثيابها لتذهب إليه قبل أن يفضحها عند زوجها لأنه عندها ستخسر كل شيء فعلته كي تحصل على زوجها وستخسره هو أيضاً.

---

يجلس ذلك الشاب بغرفته حزين مكسور خاطر على زوجته التي ذهبت وأخذت قلبه معها، يتألم ببعدها عنه وهجرانها له، أضعافها من يده من دون أن يعلم، وخصوصاً عندما أرسلت أوراق طلاقها إلى المحكمة وتطلقت منه، وقد تأكد من ذلك الشيء بعد أن ذهب إلى المحكمة وتأكد بنفسه، شهقاته ملأت الغرفة، تمنى لو كانت بجانبه، أصبح يتخيلها أمامه ويحلم بها في منامه، تمنى لو أن يلمسها ويمارس الحب معها بعشق متبادل، تمنى لو أن تحمل بطفله ويتابع نمو بطنها أمام عينيه، تمنى لو أن يرى أولاده منها، تمنى لو أن يعيش فقط معها وتشاركه نفس الغرفة، يعيش معها بسلام بعيداً كل البعد عن المشاكل والمصائب وعن والدته أيضاً، نعم هو يقبل أن يعيش معها دون حتى أن يلمسها، المهم أن تكون بجانبه وأمام عينيه، قلبه يقول له بأنها بريئة من تهمة الخيانة وعقله يقول عكس ذلك، ولكن مع كل هذا هو يريد لها، إذا كانت مذنبه سيسامحها ويعيدها له، سيتقبلها كيفما كانت ويجعلها زوجته، سيتحملها بجميع حالاتها ويهيم بها عشقاً أكثر وأكثر، المهم أن تعود له، حاول كثيراً أن يبحث عن ذلك الرجل ولكن ليس له أثر، تنهد بحزن على حاله وأمسك بصورتها التي يضعها بجانبه كل يوم متمنياً لها ليلة سعيدة، بكل ليلة يتأملها ويرى ملامحها البريئة ويقبلها كأنها أمامه، بينما يحاول جمع تركيزه بأحداث تلك الليلة، تذكر أمر الكاميرا التي يضعها بحديقة المنزل، نهض فوراً ليرى تسجيلات الكاميرا في الأيام السابقة، أعاد كر التسجيلات ليوقف الشاشة عند سيارة ذلك الرجل الذي كان بغرفة أسيل ليحاول رؤية نمرة السيارة وقد استطاع بالفعل، سجل رقم السيارة لينهض مسرعاً إلى ذويه من مصادره الخاصة وهو يأمل أن يحظى به ويقع تحت يده ليكتشف الحقيقة كاملة.

---

عاد أسر إلى منزله ليرى أسيل جالسة في الحديقة تلعب مع طفل صغير، عقد أسر حاجبيه ليكتشف أن هذا الطفل هو ابن هبة الخادمة الخاصة بأسيل وعمره أربع سنوات، ابتسم لمنظرهما اللطيف ليتقدم إليهما بقوامه الصلب، ما إن رآته أسيل حتى بدأ قلبها يطرق بعنف وابتلعت ريقها بتوتر، تقدم أسر ليقف بوجه أسيل ويحدثها ببرود:

"كيف حالك"

تحدثت بتوتر:

"بخير سيدي"

ابتسم بسره ليقول:

"لا تقولي سيدي"

نظرت له بصدمة لتقول:

"إذاً ماذا أقول"

تحدث ببرود:

"أسر"

ابتلعت ريقها بتوتر لتجول بنظرها بأنحاء المكان لتقول بتلعثم:

"سيدي لا أستطيع"

ابتسم بسخرية ليقول:

"ألا تستطيعين أن تتطقين اسمي مثلاً"

ابتلعت ريقها ولم تجيبه لتشعر بأحد يشدها من الأسفل وهو رامز، ابتسمت بوجهه لتتنزل لمستواه وتقول:

"ما بك حبيبي"

ضحك الطفل ضحكة بريئة ليقول:

"تعالى والعبي معي هيا"

حركت رأسها موافقة لتقول بابتسامة:

"حسناً قادمة"

ابتسم أسر على لطافتها وتحدث بابتسامة لم تصل إلى عينيه ليقول:

"هل تحبين الصغار"

حركت رأسها بابتسامة دون أن تتحدث ليرد لها:

"ألا تتمنين أن يكون لكِ طفل صغير"

نظرت له لتقول بتوتر:

"بلى أتمنى"

همهم بتفهم ليقول بجمود:

"حسناً هيا موعد الغداء تفضلي"

تحدثت بتلعثم:

"ولكن سيدي رامز يريدني أن ألعب معه"

تحدث بلا مبالاة:

"اتركيه سنأتي أمه وتأخذه هيا إلى الغداء"

أنهى جملمته ورحل دون سماع إجابتها لتعقد حاجبها بغضب على بروده وغروره، تنهدت بقلة حيلة لتقول لرامز:

"حبيبي رامز سأذهب كي أتناول طعامي وأتي لألعب معك اتفقنا"

حرك الصغير رأسه بابتسامة صغيرة لتبادلها الابتسامة وتقرص وجنته بخفة وتلحق بأسر، دخلت إلى مائدة الطعام لتجلس بجانب أسر باستحياء، نظر لها أسر ليقول بحاجب مرفوع:

"كلي"

بدأت تتناول طعامها بصمت وخرج من نظراته، نظرت له نظرة جانبية وابتعدت نظرها عنه، بعد وقت قصير نهضا الاثنان إلى غرفة المعيشة، حمم أسر وتحدث:

"بالمناسبة أسيل ماذا عن جامعتك؟ أأن تكلمي دراستك"

تنهدت بحزن وقالت:

"لا أستطيع، فوالدي ووائل حتماً سيجدانني عندها إذا عدت إلى جامعتي"

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"إذاً على ماذا تنوين"

تحدثت بحرج:

"أ سيدي سأسافر لن أظل هنا ولن أزجج حضرتك يكفي أنك استقبلتني في منزلك، هذا كرم منك"

هبط قلب أسر لفكرة ابتعادها عنه ليقول بنفي وجمود:

"أنا لم أحدثك عن رحيلك من هنا، هذا الموضوع بيدي وأنا الذي أقرر بذلك وليس أنت"

عقدت حاجبها باستغراب، إلى هنا واكتفت من بروده وغروره وسيطرته، شجعت نفسها لتقول بحنق وشجاعة  
أنتها:

"أنا لا أحد يجبرني على البقاء هنا يا سيد، أنا شاكرة فضلك علي ولكن أنا من أحدد بشأن رحيلي وليس أنت"

نظر لها أسر بحاجب مرفوع ليقول:

"ماذا تقصدين"

تنهدت بحنق لتقول:

"أقصد أنه عندما أرغب بالذهاب سأذهب"

أنهت جملتها وضمت ذراعها إلى صدرها ونظرت إلى اللاشيء، ليبتسم أسر بسخرية وينهض بسرعة كبيرة  
إلى جانبها مسبباً لها رعية من هذه الحركة لينزل بنصف جسده إليها وتتلاقى عيناها ببعض ويتكأ بيده على  
الأريكة بجانب رأسها ليقول بصوتٍ أشبه للهمس:

"سأقول لك شيئاً مهماً يا فتاة، لا أحد يقول لآسر لا أو يتحداه، عندما أقول كلمتي تنفذ من دون أي اعتراض وهذا سيكون أفضل لك أن تطيعي أوامري اتفقنا ياحلوة"

تجرات آسيل ودفعتته من أمامها لتقف بوجهه وتقول له بتحدي:

"ومن أنت حتى تمنعني؟ اسمعني جيداً أنا لا أطيع أوامر أحد، أنا لست عبدة عندك هل فهمت"

في الواقع آسر لا يحب أن يقف أحداً في وجهه ولكن تمرد وغضب آسيل أعجبه جداً واستقبله برحابة صدر، مسح بيده على ذقنه ليجول بنظره بأنحاء الصالة وبحركة سريعة يقوم بسحبها لصدرة واضعاً يده على خصرها واليد الثانية يداعب بها وجنتها، اقترب منها كثيراً ولم يفصلهما إلا بضع إنشآت ليتحدث بهمس:

"أحب التمرد كثيراً، ولكن لا تمارسي تمردك علي هل فهمتي"

ظل يمرر يده على وجنتها بينما هي تاهت في عسلية، ظلت تنظر لعيناها مطولاً لتنزل بنظرها لشفتاه المتكرزة بجرأة، كحال آسر الذي كان ينظر لكل جزء في وجهها وأخيراً وجه نظره نحو شفتيها ليبتلع ريقه بتوتر، شعر بغصة في حلقه يريد تقبيلها ليروي عطش قلبه منها، تجرأ واقترب من شفتيها ليضغط بشفتيه على شفتيها، بينما هي كانت بعالمها الخاص معه، استسلمت للقبلة وبادلته فوراً لتشعر بفراشات في معدتها، تعمق آسر في القبلة ليرفع يدين آسيل ويضعها حول رقبتة بينما هو وضع يديه على خصرها وتعمقا أكثر وأكثر، كان آسر يشعر بالسعادة تتملكه، الآن علم ما معنى الحب، شفتاها كانت كافية لتخدره وتأخذه إلى أحلامه الوردية، كان يشعر بمشاعر كثيرة وكلها تدل على الفرح والسعادة، شعرت آسيل بنفسها وحظت عيناها أثناء القبلة لتدفعه من صدره وقلبها يدق بعنف ووجها اكتسى باللون الأحمر، لا تعلم كيف قبلته وكيف نسيت نفسها معه، خجلت من نفسها لتتركه وحيداً في الصالة وتصعد إلى غرفتها لتبكي بصمت على الذنب الذي اقترفته، بينما آسر انزعج كثيراً منها كونها فصلت القبلة لأنه كان ينتعم برحيق شفتيها، ما إن تركته حتى تنهد بحنق وضرب الحائط بيده كونه ضعف أمامها واستسلم لها بسهولة وتاه بهذا النعيم الذي وهبته إياه من دون أن تشعر بنفسها.

---

مر أسبوع على حالة أبطالنا

آسيل تتجنب آسر كثيراً بعد ذلك الموقف الذي حدث وهذا ما زاد من حنق آسر وغضبه وشربه للخمر بسببها الذي يفوق الحد.

بينما شهد على حالها كل يوم تستيقظ لتبكي وتصرخ ليعاودوا الأطباء ويعطوها الإبر المهدئة، ويوسف يكاد يموت من خوفه عليها، لا يعلم كيف امتلئ قلبه حباً لها وتعلقاً بها، أصبح يأتيها كل يوم لينظر لها مطولاً ويرى حالة صراخها ويرحل.

سمية وضعها على ما هو تعيش في بيتها بعيدة عن كل شيء تتحسر على ابنتها المفقودة وشهد الذي وضعها يكسر الظهر، بينما هشام لا يحرك ساكناً تائه لا يعلم من أين يبدأ وكيف له أن يجمع شمل عائلته.

مالك مازال يستغل أحلام بذلك الفيديو ويهددها به كي يأخذ منها ما يريد بينما هي تكاد تموت منه والذي زاد الطين بلة هو جفاء زوجها لها وهجرانه لها أيضاً.

"وإن كانَ خمرُ شفتيكِ حرام

فأهلاً بالذنوب "

---

في المستشفى في غرفة شهد

كان يوسف عندها ووالدها والدتها يجلسون أمامها بصمت، تملمت بفراشها لتقابل الضوء، عقدت حاجبها لتبدأ بالصراخ والضرب على السرير، فزع من في الغرفة ليتقدموا منها وتصرخ شهد بهم:

"ابتعدوا عني"

ظلت تردد هذه الكلمة ليبعدوا عنها وتعاود والدتها وتتقدم منها ولكنها صرخت بأعلى صوتها لتبتعد والدتها عنها من حالتها الهستيرية ليتقدم يوسف منها ويمسكها ويصفعها على وجنتها، التفتت بوجهها للناحية الأخرى من قوة الصفعة، صممت ونظرت له بأعين متسعة ووجهها أحمر كالدّم، شفتاها ترتجف وعيونها زائغة، ظلت تنظر إلى ذلك الغريب الذي يقف أمامها، تنهد يوسف ليحدثها بحدة:

"اهدئي وكفاكِ صراخٍ يا شهد"

صرخت به بأعلى صوتها:

"ابتعد عني أيها الضابط اللعين، اين كنتم عندما اغتصبوني ها أين كنتم؟ اللعنة عليكم جميعكم، اللعنة على الجميع"

ظلت تصرخ وتضرب بحالها إلى أن نهضت وسحبت المصل من يدها بعنف لتقول بصراخ:

"أريد أن أموت أريد أن أموت"

توجهت إلى الشباك الموجود بغرفتها لتفتحه وتصد عليه لتلقي بنفسها للأسفل ولكن يدان حاوطتها و منعها من ذلك وهي يدان يوسف، مسكها بقوة قبل أن تلقي بنفسها تحت مقاومتها وجنونها ليضعها على السرير بعنف ويصرخ بها:

"كفى"

جفلت من صوته ليدخل إليها الطبيب وببده حقنة، ما إن رأت شهد الحقنة بيده حتى أمسكت بيد يوسف وقالت:  
"أرجوك لا تدعهم يعطوني حقنة أرجوك لا أريد حقنة أرجوك"

تنهد يوسف وبدأ يهدأها ليقول:

"حسناً اهدئي فقط، حسناً انظري إلي ياشهد"

نظرت له وهي تهمهم باستمرار وترتجف بين يديه ليردف لها:

"لن أدعهم يعطونك حقنة أبداً ولكن عديني بأن تهدئي وتكفي عن الصراخ اتفقنا"

نظرت له وأصبحت وتيرة تنفسها عالية لتحرك رأسها موافقة ويردف لها أيضاً:

"حسناً أحسنني، أيها الطبيب اخرج هيا"

حرك الطبيب رأسه بإيجاب وخرج ليتنهد يوسف وهو يمسك يد شهد ويحدثها بكلمات مهدئة ليقول لها:

"حسناً ياشهد فقط اهدئي، كل شيء وله حل ولكن لا يجب عليك البكاء والصراخ هكذا، اسمعيني ألا تريدان أن تخرجين من هذه المستشفى المملة"

حركت رأسها بإيجاب بسرعة ليقول لها:

"حسناً اتفقنا ستخرجين من هنا عما قريب ولكن يجب أن تعديني بأن لا تفعلي ذلك وتصرخين بعد الآن  
وسنصبح أنا وأنتِ أصدقاء ما رأيك"

نظرت له مطولاً نظرة بريئة وبأعين دامعة لتحرك رأسها موافقة دون أن تتفوه بحرف، ابتسم لها ونظر لها نظرة تشجيع، بينما هي أمسكت بالغطاء وأعدت تغطية نفسها متمسكة به بقوة لتجول بنظرها بأنحاء الغرفة،

ابتلعت ريقها وظلت تنظر إلى اللاشيء، تنهد يوسف بقوة وحزن على حالتها، كل شيء حدث كان تحت نظر أمها وأبيها يراقبانها والدمعة لا تفارقهما، تنهدت أمها بحزن ومسحت دمعها التي هبطت على وجنتها فوراً، ظلت شهد صامتة وشاردة الذهن تحديق بالفراغ، بعد وقت قليل جداً بدأت بالبكاء بصمت، نظر لها يوسف وكأنه سيبكي معها ليوجه حديثه لوالديها:

"اتركانا بمفردنا قليلاً بعد إذنكما"

خرجا بصمت ليبقى يوسف وشهد التي مازالت تبكي بمفردهما، تنهد يوسف ليقول:

"اسمعيني ياشهد، كونك تعرضتي للاغتصاب هذا لا يعني نهاية الحياة، أعلم بأنك تعذبتي كثيراً وأنا أشعر بشعورك هذا، ولكن يجب عليك أن تكوني قوية وتتحدى الصعاب لأنك أنت فتاة جميلة وقوية ولن تقف حياتك عند هذا الأمر هل تفهميني؟ ستخرجين من المستشفى وتكملي دراستك وتتفوقين وتعيشين حياتك بهدوء وسيأتي الشاب الذي يستحقك وتعيشين معه قصة حب جميلة وتزوجان وتتجبان الكثير من الأولاد، لذلك ياشهد يجب عليك أن تكوني قوية هل تسمعيني"

أنهى جملته بمرح وابتسامة صغيرة، وكل هذا وشهد ما زالت تبكي وكل كلمة يزيدا يوسف يزيد من حدة بكاء شهد، ظلت تشهق وتبكي وكان يوسف لم يتحدث ليتنهد بقلة حيلة ويمسك بيدها المرتجفة لتجفل عن بكاءها وتتنظر إلى يدها الصغيرة التي بين يديه، نظرت له نظره ذات مغزى ليبادلها النظرة وكأنه فهم من نظرتها بأنها تتوسله ليبقى معها أو بشكلٍ أصح أن يدعمها ويقف بجانبها، ابتسم لها ابتسامة صغيرة لتبادلها الابتسامة من بين دموعها وتتوسع ابتسامته أكثر عندما رأى ابتسامتها، حدثها بحماس:

"حسناً ياشهد أتعلمين لدي أخت بعمرِك وهي جميلة مثلكِ مِم حَسناً أنتِ أجملُ منها بقليل ولكن لا تقولي لها إنها مجنونة اقسم لكِ بأنها توسعني ضرباً دائماً، وتأكُل من مخدراتها كثيراً ماذا أفعل بها ها هيا قولي لي"

ابتسمت لتقول بصوتٍ مبحوح:

"أتمنى أن يكون لي أخ مثلك وأمزح معه وأوسعُه ضرباً كما تفعل أختك معك"

اختفت ابتسامة يوسف قليلاً عندما سمع جملتها ولكنه عاد وضحك ضحكة بلهاء ليقول:

"مم حسناً أتعلمين سأخذك معي إلى منزلي وأعرفك على ماريَا أختي إنها مجنونة كثيراً أنا متأكد بأنكما ستنتفقان معاً وسيصبح لدي ..."

صمت قليلاً ولم يكن يريد أن ينطق بكلمة اختي ولكنه حمم ليقول:

"مم سنكون ثلاثتنا أصدقاء دائماً ها ما رأيك"

حركت رأسها موافقة ليسرح يوسف بها ويبتسم ببلاهة، تذكرت شهد شيء ما وتحدثت بصدمة:

"هل قلت لي بأن أختك تأكل مخدرات؟ كيف تسمح لها بذلك"

ضحك يوسف على سذاجتها وبرائتها ليقول:

"أجل أجل مخدراتها الخاصة هي الشيبس والشوكولا وغيرها من التسالي، أنتن الفتيات تتطلبن كثيراً، يا إلهي دائماً أختي تسبب لي الصداع كل يوم تأتي إلي وتقول لي يوسف أريد المخدرات خاصتي أرجوك أريدها حالياً"

أنهى جملته وهو يقلد أخته بصوت ناعم لتضحك شهد من على طريقة كلامه بينما هو فرح جداً لأنها خرجت من جو الاكتئاب، ظل ينظر إليها بقوة لتنتبه شهد لنظراته وتعدد حاجبها بقوة، انتبه يوسف إلى نظراته ليحمم ويقول بجديّة:

"إذاً يا شهد الآن أريد أن أخذ أقوالك بالحادث، وأسألك عدة أسئلة لعل وعسى نستطيع من خلالك معرفة مكانه والقبض عليه"

ما إن سمعت هذا الحديث حتى صدمت و دب الرعب بأوصالها لتقول بصوت مرتجف:

"ألم تقبضوا عليه بعد"

أمسك يدها بقوة وحدثها مطمئناً:

"لا ليس بعد، لقد هرب يوم الحادث، ولكننا سنجد اطمئني، وبالنسبة لك فلا تقلقي لإننا وضعنا عدة رجال هنا كي لا يقترب من هنا، اطمئني"

بدأت تجش ببالكاء وتنتحب، نظر لها يوسف بضياح ليقول لها مهدئاً:

"اهدئي يا شهد أعلم بأنه صعبٌ عليك تذكر تلك الأحداث وأنتِ تحاولين نسيانها أعلم صدقيني ولكن كل شيء أفعله هو لمصلحتك، فقط ثقي بي ولن تندمين"

نظرت له شهد وهي تبكي لتشبح بنظرها عنه للجهة الأخرى وتصمت ليتنهد بقلة حيلة، هو يعلم بأنه سيتعب معها ليصل إلى أقوالها ويخرجها من حالتها ولكنه لن يتركها مهما كلفه الثمن، هدئها قليلاً إلى أن غطت بنوم عميق لينهض من مكانه ويتجه إلى منزله تاركاً قلبه مع شهد، لقد تقدم بخطوة جيدة ولصالحه اليوم كونها شهد

قد بدأت تنسى وتضحك على حديث يوسف، هذا يعني بأنها ارتاح قلبها له قليلاً وقد سعد بهذا الشيء، ابتسم عندما تذكر ضحكتها ليتنهد بقوة ويستمر بقيادة سيارته وهو سارح بملامح شهد وبراءتها وضحكتها.

---

مكان مظلم، مليئ بالروائح الكريهة والحشرات الكثيرة، يجلس ذلك الرجل على كرسي خشبي متهاك، مقيد اليدين وشريط لاصق على فمه وعصبة على عينيه، سمع الرجل صوت حركة في المكان ليبدأ ويهمهم، اقترب منه وائل ليفك العصبة التي على عينيه ويفك الشريط اللاصق، أخذ نفساً عميقاً لينظر إلى الذي يقف أمامه ويحفظ عيناه بقوة وطرقات قلبه تتزايد، علم بأن هذا اليوم آخر يوم في حياته بما أنه وقع بيد وائل، هو نفس الرجل الذي كان بغرفة أسيل، ظل وائل صامت لا يتفوه بحرف فقط يحوم حول ذلك الرجل الذي يدعى عماد، وضع وائل يده على يد عماد ليقترب وجهه من وجه عماد ويقول:

"أريد أن أعلم بكل شيء وأنت ستتحدث رغماً عن أنفك هل تفهم"

ابتلع عماد ريقه بخوف ليردف وائل:

"ماذا يوجد بينك وبين أسيل"

ظل عماد صامت ولم يتحدث فقط يحدق بوائل بخوف لتأتيه صفة على وجهه جعلت وجهه يلتف للناحية الثانية من قوتها، تحدث وائل بغضب:

"هيا تحدث"

ابتلع عماد ريقه ليتحدث بتقطع:

"إلا لا يوجد شيء بيننا"

اقترب وائل منه ليقول:

"إذاً كيف دخلت إلى غرفتها ومن الذي أدخلك ها"

تحدث عماد بخوف:

"سيد وائل ارحمني أرجوك"

أمسك وائل بوجهه واعتصره بقبضته ليتحدث بغضب:

"أقسم بأنني سأريك الجحيم انتظر قليلاً"

توجه وائل للخارج ليعود وبرفته ثلاثة شبان، أمرهم بأن يعلقو عماد من يديه ويبدأو بتعذيبه ليطيعوا أوامره بصمت، علقوه وبدأ وائل يبرحه ضرباً بيديه وبأدوات حادة أيضاً إلى أن غاب عماد عن الوعي، أصبحت حالة وائل مزرية والعرق يتصبب من جبينه، توجه للخارج ليعود ويده وعاء كبير مليء بالماء ليسكبه عليه ليعود عماد إلى وعيه، وجه وائل حديثه لعماد ليقول:

"تحدث بكل شيء تعرفه هيا أيها اللعين"

تحدث عماد بتعب:

"فك وثاقي أولاً أرجوك"

حرك رأسه موافقاً بحدّة ليأمر الشبان بفكه ورميه على الأرض، ليفعلوا كما طلب ويتحدث وائل:

"حسناً تحدث"

تنهد عماد بتعب ليقول:

"السيدة سهى هي من أمرتني بدخول غرفة زوجتك واتفقت معي على أن يبين الأمر بأنني عشيقها لتأتي أنت وتراها معي وتتخلص منها، وهي قد ضمننت سلامتي وأمرتني أن أهرب ولا أعود أبداً"

كاد وائل أن يجن ويفقد أعصابه ولكنه تمالك نفسه ليتحدث بحدّة:

"وما علاقتك بوالدتي"

ابتلع عماد ريقه ليقول:

"أنا كنت عندها في الغرفة هي عشيقتي و.."

لم يكمل جملته لأن وائل لكمه على وجهه ليحدثه بغضب:

"كيف يحدث ذلك ها"

أنهى جملته بصراخ ليتحدث عماد:

"لست أول من يدخل غرفتها، والدتك تقوم بجلب الرجال إليها كل يوم من وراءك"

ابتلع وائل ريقه ليتحدث بصدمة:

"ما الذي حدث بينك وبين زوجتي"

تحدث عماد بسرعة:

"أقسم لك لم يحدث شيء، زوجتك لا شأن لها بكل الذي حدث، والدتك هي من ورطتني بهذا الأمر وقد طلبت مني بعدها أن أقوم بأخذها وأسفرها بعيداً عن هنا ولكنها قالت لي بأنها هربت قبل موعد التنفيذ بيوم"

نظر وائل إليه مطولاً ليقول:

"هل هناك أحد آخر شارك معكم في هذه القصة"

ابتلع عماد ريقه ليتحدث بتوتر:

"أحلام"

جحظت عينا وائل ونظر له بعدم تصديق، كيف لها أن تشاركها هذه المرأة بهذه القصة وهي قد فعلت الذي فعلته، ألم يكفيها كل مافعلته؟ يا إلهي كم هي امرأة لعينة، حرك وائل رأسه بإيجاب ليقول له:

"حسناً وماذا أيضاً"

تحدث عماد:

"فقط هذا كل شيء"

تنهد وائل بقوة ليقول:

"حسناً من هم الرجال الذين كانوا يأتون لوالدتي"

تحدث عماد:

"انا لا أعرف غير اثنان منهم فقط صدقني"

حرك وائل راسه بإيجاب ليقول:

"حسناً ياسيد عماد لا تقلق سأجلب لك ونيس وهي والدتي، سأريكما الجحيم أنتما الاثنان"

أنهى جملته بغل ليتوجه إلى منزله ويأتي بوالدته إلى عذابها تاركاً عماد يتأكل من خوفه ومن غضب وائل الذي لا يحتمل على الإطلاق.

-----

أطل ذلك الشاب بريية متلفتاً حوله يمين ويسار، كان يريد أن يراها ويشبع ناظره منها، يريد أن يطلب منها المسامحة، رغم بشاعة ما فعله إلا أن قلبه الذي كان حاقداً من قبل وأصبح مليءً بنيران عشقها الآن جعله يقدم على هذه الخطوة، أن يراها، أن يطلب العفو والغفران، أن يقبل قدميها فقط لكي تسامحه.

لو أنها تقبل به زوجاً، لو أنها تجن معه وتهرب معه بعيداً بحيث لا رجعة لهما إلى هذه البلاد، إلا أنه متيقن من الإجابة، متيقن من كمية الكره والحقد اللذان تكنانه له.

تقدم ببطئٍ وحذر عبر رواق المستشفى واضعاً قبعة المعطف على رأسه كي يخفي هويته ولا أحد يراه، يريد فقط أن يرى شهبه ويطلب المسامحة وبعدها سيقتل نفسه أمامها، فليكون فداءً لها، لا يهم، المهم أن تغفو عنه. وقف فجأة في منتصف الرواق عندما رأى رجالاً من العساكر لبيتلع ريقه ويستدير ببطئٍ ليعكس اتجاهه ويعود أدراجه.

لم يحسب حساب أن يكون هناك أحد يراقب الوضع، أساساً لم يعلم كيف خطر لهم أنه سيذهب لرؤيتها، تنهد بضيق ونفاذ صبرٍ ليعزم على تنفيذ مايجول بخاطره اليوم ليلاً، سيرى شهبه ولو كلفه الأمر حياته يعني سيراه.

" بدُونك "

تكرهُ الطرقات مشيي

تُخاصمني على قلبي النحيل

بدُونك

تمرضُ الأشياءُ حولي

وأكبرُ ألفَ حُزنٍ بعدَ حيلي "

---

تجلس تلك الجميلة في غرفتها الخاصة، تمارس هوايتها التي تعشقها وهي الرسم، ترسم بعشوائية ومع كل خط ترسمه تتذكر أسر وقيلته، لتنتهي رسمتها وترى بأنها رسمت ملامحه، هي بهذه الحالة منذ أسبوع، لا ترسم شيئاً غيره، ولا تتذكر أي شيء غيره هو، لا تعلم كيف ومتى ولد بصيص أمل في قلبها ونقطة مشاعر تجاهه، ولا تستطيع تفسير الذي يحدث معها، تنهدت بحنق ورمت دفترها بجانبها بعد أن رأت ملامحه التي رسمتها، كيف يحدث ذلك معها؟ كيف ترسمه؟ كيف لا تستطيع أن تنسى ملامحه الرجولية الوسيمة؟ هي بذاتها ليس لديها جواب، أحست باشتياقها له ولرؤيته، لتنهض من على سريرها وتتجه للأسفل على أمل أن تراه ولو لمحة صغيرة، لأنها لم تعد تراه كثيراً منذ ذلك اليوم، فقط تجتمع به على مائدة الطعام، لا تنظر إليه لأنها خجلة من نفسها على تصرفها ذلك، ولا تعلم بأنها بهذا التصرف تشعل فتيلة غضبه وحنقه وتشعل النيران في قلبه.

وقفت متمسرة مكانها عندما سمعت صوته الرجولي يناديها باسمها، التفتت له لتراه يقف أمامها مباشرة، ظلت تحرق به وبرجولته الطاغية مطولاً، تراه أمام عينيها بقوامه ولا تستطيع إزاحة عينيها عنه، فأسر لديه شخصية جذابة ورجولة طاغية، انتشلها من شرودها صوته الساخر ليقول:

"أعلم بأنني وسيم ولكن ليس لدرجة أن تنظرين إلي هكذا ببلاهة يا أسيل"

حممت بتوتر لتقول مدافعة:

"لا سيدي لقد فهمتني غلط أنا كنت شاردة بشيء ما فقط"

ابتسم بتهكم ليقول:

"وبما كنتي شاردة إذًا"

عقدت حاجبها بقوة، ألهذا الحد مغرور وبارد؟ يريد أن يدخل لعقلها ويعرف بما تفكر، يا له من حشري، تنهدت بحنق لتقول بوجه عابس:

"كنت شاردة بلا شيء"

ابتسم بسخرية ليقول:

"يا فتاة هل حدث لعقلك شيء"

يتحدث ببرود ويسخر منها هذا ما زاد من حنقها وغيظها لتقول بغیظ:

"أجل عن إذنك"

التفتت وأعطته ظهرها ولكنها لم تستطع أن تخطي خطوة واحدة لأن يده انتشلتها وضمتها إلى صدره ليقول ببرود وجمود:

"أنا لم أسمح لك بالذهاب كي تذهبي"

عقدت حاجبها وقد بلغت ذروة غضبها لتقول بغضب مكتوم:

"أتركني يا سيد لا يجب عليك أن تفعل هكذا، ليس من أخلاقك أن تفعل ذلك"

تحدثت بجرأة وبرود:

"لماذا هل أجلسك بحضني وقيلتك مثلاً لتحدثين عن أخلاقي"

جحظت عيناها بقوة لتقول بغضب:

"أتركني وإلا"

تحدثت بتحذير ليشدد قبضته على خصرها ويقول بتحدي:

"وإلا ماذا"

حسناً لا مفر منه، لقد تغلب عليها، مجرد النظر لعيناها تقع له، لتلعنه على بروده، تحدثت بصوت أشبه للبكاء:

"وإلا سأبكي"

ارتجفت شفقتها السفلى لتوقظ مشاعر أسر النائمة ويرغب بتمزيق شفتيها هذه بالحال، تمالك نفسه بصعوبة وهو يضغط فكه، ليحمم ويتركها بالكامل ليصعد إلى غرفته، هو يعلم بأنها تسيطر عليه ويعلم أيضاً أنه لو ظل ثانية أخرى لكان قد قبلها لأدماها، لأنه لا يستطيع السيطرة على مشاعره، موجة مشاعر أتته تجاهها، لا يعلم كيف ومتى المهم أنه يعشقها، ولكن ليس أسر من يخضع لامرأة لذلك قرر أن يسفرها بعيداً عنه كي يقاوم رغبته بحبها وجعلها ملكة للأبد، من هي حتى توقظ مشاعره الميته والتي لم تكن فيه بالأساس؟ من هي حتى تقف بوجهه وتتجاهله وتغيب عنه عندما كان يرغب برؤيتها أمامه؟ كسرت غروره وأوقعته بشباكها ولكنه لا يريد أن يعترف بذلك، حسناً هو كان يأتيها كل ليلة يتسلل إليها ويمسد على شعرها ويظل أمامها يتأملها بشوق جارف لساعات دون ملل أو كلل.

دخل إلى غرفته بغضب يلعن ويشتم نفسه على ضعفه أمام عينيها، كان يريد أن يخبرها بأمر السفر ولكن لا يعلم كيف أجم لسانه عن النطق وانجرف بمشاعره ليفعل مافعله، تنهد بحنق وأغمض عينيه لتأتيه صورتها بخياله، فتح عينيه على وسعها ليقبض بيده على شعره ويشده بقوة، يريد أن يبعتها عنه كي لا تكون نقطة ضعفه، لا يعلم كم من المشاعر المختلطة بداخله الآن، يريد أن يشكي همه لأحد ويبوح بسرهم وبمشاعره لأحد ولكن لا، لا يستطيع، فكل من عرف أسر عرف عنه بأنه بقلب ميت ولا يوجد به ولو القليل من المشاعر، أخذ غرفته ذهاباً وإياباً أو بالأصح جناحه، توتر، قلق، خوف، حب، ندم، هذا ما يشعر به، صدح صوت رنين هاتفه ليرى رقم المتصل وتكون والدته، وها هي الآن تتصل به كي تزيد الطين بلة، تنهد بغضب ورمى بالهاتف على السرير ولم يجب، صدح صوته مرة أخرى وأخرى ولكن لا يجيب، سمع صوت هاتفه معلناً عن وصول رسالة ليقوم بقراءتها ويبدأ قلبه يقرع كالطبول، الرسالة من والدته ومحتواها:

"بني أسر والدك بالمستشفى وهو الآن لديه عملية في القلب أتمنى أن تسامحه هذا ما قاله لي قبل أن يدخل إلى غرفة العمليات لإن نسبة نجاحها 50 في المئة، ومحمّل بأن لا ينجو منها، ادعو له وسامحه وسامحني أنا أيضاً"

رغبة جامحة أتمه بأن يرى والده الآن وحالاً ولكن لا، لن يتنازل عن كبريائه، أجل هو لن يسامح ولا يريد هما ولكن لا يريد أن يحدث لهما شيء، فليعيشان بعيداً عنه ولكن من دون أن يتأذى أحداً منهما، تنهد بغضب ودخل إلى حمامه الخاص كي ينعم بحمام دافئ ويهدأ اعصابه من خوفه على أبيه.

-----

أما عند أسيل فبمجرد إن تركها أسر حتى بدأت بشتمه ولعنه في سرها، لعنت نفسها ولعنت مشاعرها التي تسيطر عليها، لم تستطع مقاومته وتاهت في ذلك العسل الذي بعيناه، ترى تصرفاته معها ولا تستطيع أن تضع تفسيراً له، تنهدت بحنق واتجهت إلى حديقة المنزل لتتعمع بالهواء الطلق، التقت برامز في الحديقة لتبدأ وتلعب معه تاركة نفسها لتتسى همومها قليلاً، ضحكاتها، برائتها، جنونها، حديثها مع الصغير، كل هذا كان يتابعه أسر من الشرفة، كيف لصغيرة مثلها أن تسيطر عليه وتجعله واقعاً لها؟ بيتسم لابتسامتها، يضحك لضحكاتها، ويعبس لعبوسها، كيف سيستطيع العيش من بعد رحيلها؟ أجل سيتغلب على آخر نقطة ضعف له ويجعلها ترحل بعيداً عنه كي يظل على قراره بأن لا وجود للحب والمشاعر في حياته أبداً.

مكان مظلم، كئيب، مخيف، تجلس تلك المرأة مقيدة اليدين، مرمية ومتعفنة في هذا المكان منذ يومين، يومين لم تعرف شيء عن الذي سيحدث معها، خائفة، نادمة، تهاب ابنها الذي وضع كل مقاييس الاحترام تحت قدمه بشأنها، سمعت صوت صرير الباب المزعج يفتح، لترى ابنها يقف أمامها بجمود وشبابان يدخلان ورائه ويحملان عماد ليلقونه أرضاً ويتأوه بقوة من عزم الوقعة، جحظت عيناها بقوة، رأته أمامها ورأت عماد، تسارعت أنفاسها وعلمت بأنها لن تنجو من قبضته، كونه عزلها يومان غير مكترث أنها والدته، نسي الرقي ونسي الأدب وعاملها هذه المعاملة، أتاها صوته الأجنس ليقول:

"حسناً يا أمي، أو لا لن أقول أمي لأنك لا تستحقين هذه الكلمة، تستحقين كلمة لعينة، ها هو عماد أمامك ذاك الرجل الذي اتفقتي معه كي تشككان بأخلاق زوجتي وتجعلاني أتخلص منها"

جحظت عيناها بقوة، ابنها من يعاملها هكذا؟ كم تتمنى الآن أن تنشق الأرض وتبتلعها، أردف لها بسخرية:

"لا يامدام سهى لا تنصدمي لقد علمت بحقيقتك وسأريك الجحيم، لا أعلم ما الذي جعلك تنفيذين مخططك الحقيقير مثلك، سلبيتي حياتي وحيي الوحيد مني وكنتي تريني أنعذب وأحترق وأنت غير مبالية والآن جاء دورك"

كانت تبكي وتشهق لتقول من بين شهقاتها:

"بني وائل أنا .."

قاطعها وائل بصراخه ليقول:

"لا تقولي بني لا تقولي، أنا لست ابنك هل تسمعين لست ابنك، أنت امرأة لعينة لا تكثرئين لأحد، عشت طوال عمري كي أؤمن لك المال والحياة الرغيدة وأنتي كافنتني بهذا الشكل، لم تقفي بجانبتي ولو لمرة واحدة بحياتك، وتلك أحلام الساقلة سأندبر أمرها فيما بعد"

علق عماد لينزل به بالسوط مستمتع بصراخه الذي بالنسبة له كموسيقى كلاسيكية، اجتاحه التعب وبدأ يتنفس بسرعة ويلهث، رمى السوط من يده ليأمر الشابان بتنزيله، حمل قدر كبير مليء بالبنزين متوجهاً إليه ليسكبه عليه وهو يصرخ ويتوسل، أشعل عود الكبريت ليبتسم بشر ويوجه حديثه لعماد ويقول:

"أمنيتك الأخيرة أيها اللعين"

رغم تعبته وهلاكه ولكنه كان يتوسله بكل طاقته ويعتذر له بكل كلمة اعتذار يعرفها، ليبدأ بالصراخ فور رميه لعود الكبريت عليه، مشتعلأ أمامه يصرخ بأخر أنفاسه ووائل يبتسم مستمتع بمنظره، تحولت جثته لرماد بعد وقت قصير، وجه نظره الى والدته التي كانت تنظر لجثة عماد بأعين متسعة ومذعورة ليقول:

"حرقك لك حبيب القلب يا أمي"

نظرت له بذعر ولم تتحدث لينظر لها بحدة واشتعلت فتيلة غضبه وجنونه، بدأ يصرخ ويلعن، متمني حضن أسيل، لا يريد شيئاً غيرها، مستعد أن يحرق العالم لأجلها فقط كي تعود له، ولكنه قطع الأمل من عودتها، تنهد

بأسى على حاله وعلى حياته التي لم يرى فيها طعم السعادة إلا بوجود أسيل، سيذهب بنفسه كي يسلم نفسه للأمن ويعترف بجريمته ولكن ليس الآن فقط لم ينتهي من انتقامه بعد، بقي عنده أحلام وهذه سيكون لها انتقام خاص يجعلها تذرف بدل الدموع دماً، فقط تنتظر هي وسترى ما الذي سيحل بها ومن بعدها سيسلم نفسه وسيترك نفسه لهم ليفعلوا به ما يشاءون، فما حاجته للحياة والحرية ومعذبتة ليست معه؟ وأيضاً طبعاً سيكون عقاب والدته كالتالي والذي ستعلمونه فيما بعد.

---

كان يتقدم بهدوء وحذر في رواق المستشفى، أطل رأسه بحذر معائناً الرواق ليراه خالي تماماً، تنهد براحة ليضع قبعة المعطف على رأسه ويمشي بخطوات سريعة قاصداً غرفتها.

وقف أمام غرفتها وقلبه يقرع كالطبول، خائف من مواجهتها ولكن شوقه لرؤيتها وندمه لفعلة الشنيعة أكبر من كل شيء سيقف بوجهه.

أخذ نفساً عميقاً ليدير مقبض الباب ببطئ ويطل برأسه داخل غرفتها، وجدها خالية من أي شخص ماعداها.

كانت نائمة بسلام وضوء خافت منبعث من النافذة، تقدم بحذر نحوها ليشبع ناظريه من رؤيتها، أحس بقشعريرة سرت بجسده حالما ملس على شعرها لبيتسم بعشق وجنون، قبل جبهتها مطولاً وبدأ يوزع قبلاته على جميع أنحاء وجهها، تلملت شهد بانزعاج وبدأت تهمهم لتفتح عيناها ببطئ وتقابل شخصاً ما أمامها، لم تميز ملامحه بسبب العتمة، والضوء الخافت لم يساعدها على ذلك، كانت شاخصة وساكنة وعقلها متوقف عن العمل.

ابتسم سهيل حالما استيقظت ليقول بهمس:

"اشتقت لك شهدي"

استطاعت أن تميز صوته لتجذب عيناها بقوة وتقول بصوت مرتجف:

"م من أنت"

لم يجيبها بل ظل يملس على شعرها لتشيح بوجهها عنه وتغمض عيناها بقوة وتردف بخوف وهذيان:

"أنا أحلم، مؤكد بأنه حلم، بل كابوس، أجل كابوس كابوس وأسستيقظ منه، إنه كابوس"

ابتلع ريقه بصعوبة ليقول بهمس:

"شهد، أنت لا تحلمين، أنا أمامك، جئتك معتذراً نادماً، مريني بما تريدين وسأنفذه لك بالحال، أعلم أن فعلتي بك لا تغتفر ولكني نادم، صدقيني أنا نادم جداً على ما فعلته بك، مستعد لتنفيذ أي شيء تطلبينه مني، أذهب للموت لأجلك فقط لكي تسامحيني"

كانت تستمع لكلماته اللعينة بارتجاف ودموعها خطت على وجنتها، صوته الذي يتغلغل إلى مسامعها جعلها تتذكر الحادث، نفس النبرة ونفس الصوت، الرعب متمكن منها لدرجة أنها لم تقوى على الحديث ليرد لها بلهفة وصوت هامس:

"شهد، حبيبتي، أنا نادم، قولي لي كيف أكفر عن فعلتي وسأكفر صدقيني، أتيت لرؤيتك ولطلب العفو منك، أخشى أن يقبضوا علي وأنت مازلت تلعينني، أرجوك، أعلم أن فعلتي شنيعة ولا تغتفر ولكني طامعاً بغفرانك، أرجوك، أنت لا تعلمين ما مر علي من قبل، لو علمتي ربما ستتعاطفين معي قليلاً، أرجوك يا حبيبتي، لا تقسين علي، أنا أريد الزواج منك"

إلى هنا ولم تعد تستطيع تحمل كلماته لتحاول الصراخ ولكنه أطبق على فمها ليقول بنبرة هامسة وتحذيرية: "ياك، ياك، والصراخ ياشهد، صراخك يعني القبض علي وشنقي، وهذا لم يأتي موعده بعد، إذا أردني الموت لي فلن أموت سوى على يدك أو أمام عينيك، ليس القانون ولا المحاكم من يقررون موتي، فقط أنت، هل تسمعينني"

حركت رأسها موافقة ببطئ وبكائها يحتد ليبعد يده عن فمها وشهقاتها تعلو شيئاً فشيئاً، ليرد لها سهيل ببيكاء: "شهد، أنا لست لعين، أنا أعلم أن أي شيء في هذه الدنيا لا يبرر فعلتي بك ولا أفعالي البشعة سابقاً، ولكني لم أخلق هكذا، لم أرد أن أكون هكذا، كل شيء حولي جعلني لعين وشاب متهور وأفعالي رخيصة، أنت الوحيدة التي غيرتي بي أشياء كثيرة، جعلتيني أراجع كل أفعالي وأندم عليها، بسببك ولأجلك أنت، أنت يا حبيبتي"

كان أنينها يدوي في الغرفة، تحاول أن لا تركز معه، فقط تريده أن يبتعد، لا تريد أن يكمل ولا أن تسمع صوته، داخلها نيران متأججة.

يراقبها بشفقة ودموعه على وجنتيه، لا يعلم كم تكفيها من كلمات الاعتذار ليمطرها بها، أحقاً يجب على المجرم أن يعتذر من الضحية؟ أحقاً تستطيع الضحية نسيان هذه الفعلة الشنيعة والمسامحة؟ لا أظن ذلك، فعلته أكبر من أن تغتفر.

شهق ببيكاء خافت ليقول بصوت مبحوح:

"أرجوك إن استطعتي أن تسامحيني فسامحيني، أرجوك يا شهد، أقبل قدميك، لا أستطيع العيش بهذا الذنب ولا أستطيع الموت دون أن تسامحيني، اغفري لي فعلتي يا حبيبتي"

مسح على شعرها ليراقب حالتها المثيرة للشفقة وهي تشهق بكل ما أوتيت من قوة، مغلقة عيناها بقوة وهي تبكي بكاء مريز، بكاء طعن الشرف، ليبتعد عنها ببطئ ويخرج من الغرفة كما دخل، وما إن شعرت بخروجه حتى بدأت بالصراخ ليجتمع المرضيين بعد دقائق في غرفتها جراء صراخها وبكائها، ظناً منهم أنها نوبة أنتها قد اعتادوا عليها، ليقدم منها أحد المرضيين ويعطيها حقنة وتسكن شيئاً فشيئاً أمامه وهي تهذي بكلمتان فقط (لن أسامحك).

-----

في اليوم التالي استيقظت أسيل على أشعة الشمس، تملمت بفراسها لتفتح عينيها وتنهض بتكاسل، دخلت للحمام وفعلت روتينها اليوم، خرجت لترى أمامها هبة بابتسامة صغيرة، ألقت عليها التحية وبادلتها، لتخبرها بأن أسر ينتظرها على مائدة الطعام، توجهت لخزانتها وغبرت ثيابها، هبطت على الدرج وقلبها يقرع كالطبول، ها هي حالتها دائماً عندما تتأهب لتقابله، ابتلعت ريقها بتوتر ودخلت لتلقي عليه التحية وتجلس دون حتى النظر إليه، وهذا ما زاد من حنقه وإصراره على ابتعادها عنه، لو كان منها ذرة مشاعر اتجاهه لكان فكر بأمر بقائها ولكن لا، حتى وإن كان لن يبقيها عنده، سيتخلص منها وسيسفرها بعيداً عنه ليتخلص من حبها، تنهد بقوة ليحاول إخراج الكلمات من فمه بصعوبة، تحدث بجمود:

"أريدك أن تجهزي أمتعتك، ستسافرين"

نظرت له بعيون جاحظة وهذا الصغير الذي بصرها يعلو ويهبط بخوف لتبتلع ريقها وتقول بتوتر:

"إلى أين"

أجاب بجمود:

"إلى تركيا"

نظرت له ووجدت وجهه خالي من المشاعر تماماً، لا تعلم بكم النيران المشتعلة والتي تزداد اشتعالها بصره لتقول:

"ولكن أنا.."

قاطعها ليقول:

"أنتِ ماذا"

هو حتى لا ينظر لها فقط يكتفي بحديثه معها بجمود وبرود، هبطت دمعة ساخنة على وجنتها، يكاد قلبها ينفجر ولا تعلم لماذا، كل ما تعلمه هو أنها لا تريد الابتعاد عنه، حركت رأسها نافية بعد أن مسحت دمعها بسرة كي لا تريه ضعفها لتقول:

"لا شيء"

ألمه صوتها وحزنها، شعر بحزنها وبعدم رغبتها بالسفر ولكنه يفعل ذلك لأجلها ولأجله أيضاً، يحمي نفسه من حبها، ويحميها من حبه أيضاً، لأنه إذا بين لها حبه وتملكه ستخونك منه، هه لا يعلم بأنها تستقبل كل شيء منه برحابة صدر، حرك رأسه موافقاً بجمود وهو يكمل طعامه، أمرها بأن تحضر ثيابها لإن السفر بعد ساعتين، استأذنت منه وخرجت لتصعد إلى غرفتها لتسمح لنفسها بالبكاء الشديد، تاركة ورائها رجل انفطر قلبه من حبها، تنهدت بأسى من بين دموعها، لماذا يحدث ذلك معها؟ لماذا كل ما تعلقت بأحد يبتعد عنها؟ حسناً لن تهتم، ستعيش بعيداً عن الجميع غير أبيه لأحد، أليس هو من اختار الابتعاد؟ أليس هو من يريد لها أن ترحل؟ حسناً سترحل ولكن هي تعلم وواقفة بأنه سيأتي إليها، وعندها ستريه العذاب الذي تتعذبه هي كثيراً.

مسحت دموعها بعنف ونهضت من على الأرض لتبدأ بجمع أغراضها بحقيبة صغيرة، انتهت من جمع أغراضها وبقي على موعد رحيلها ساعة واحدة، ومع كل دقيقة تمر يحترق أسر من داخله، يفكر بها، تشغل باله وعقله، لن يدعها من دون حراسة، سيحميها حتى وإن ابتعدت عنه، خصص لها طقم حراسة كامل كي يقومون بحمايتها وجهز لها منزل بتركيا امتلكه هو منذ سنتين، وسيسفرها بطائرته الخاصة، تنهد بحزن وهو يقف بالشفرة بجمود، حسناً وها هي الساعة الثانية قد انقضت وحال أسيل وأسر لا يمكن وصفه، كل منهما يتحسر على نفسه، تمنى اثناهما أن يمر الوقت ببطئ شديد، وكأن عقارب الساعة تحدثهما لتمر بسرعة شديدة، تنهدت أسيل بحرقه بعد أن رأت الحارس دخل عليها ليأخذ حقيبتها للسيارة، خرجت من غرفتها لتهبط إلى الأسفل وتراه يقف بجمود وبرود، وقفت أمامه ونظرت له مطولاً، وكأنها تحفظ ملامحه وترسخها في ذاكرتها، وعلى من تكذب؟ فقد تمكن من قلبها من أول كلمة نطقها أمامها، ملامحه بالأساس مرسخة بذاكرتها فلماذا تحفظها؟ ولكن عندما ترى الشخص الذي تعشقه أمامك بشخصيته وحواسه كلها سيكون للدنيا طعم ثاني، على عكس أن تتخيل الشخص أمامك دون أن تراه بالواقع، كحاله هو كان ينظر لها بندم، حب، شوق، ألم، وعلى السبب الذي جعله بلا مشاعر أو شبه بلا مشاعر، لأنه كاذب، فلا يوجد إنسان من دون مشاعر وأحاسيس، ولكن كونه أسر فسيخفي جميع هذه الأحاسيس التي أفاقنتها أسيل ويرميها بعيداً.

ظلا ينظران لبعضهما مطولاً، أسر ينظر لها ببرود مخفي مشاعره بداخله، وهي تنظر له بحزن وشوق، بحركة سريعة ومن دون سابق إنذار ولا يعلم كيف اقتعل ذلك ضمها إلى صدره، دافئاً وجهه في عنقها يستنشق عبيرها وكأنه يغلغل رائحتها في أنفه لتظل عالقة به، بادلته العناق بشوق وحنان مستمتعة بهذه اللحظة، سيكون أول وآخر عناق بينهما على ماتعتقد لذلك ستستغل هذه الفرصة وتستمع بهذه اللحظة التي لا تعوض، بينما هو كاد أن ينفجر بمشاعره، تحول العناق إلى عناق يكسر العظام بالنسبة لأسيل فهو كان يعتصرها بين يديه، ابتعد عنها وتنهد بحزن وحمم قليلاً ليتركها ويعود إلى بروده الذي لعنته ومقتته أسيل ويتحدث بجمود:

"حسناً انتبهي إلى نفسك، هيا قبل أن تتأخرين"

ابتسمت ابتسامة ألم، لتمد يدها وتعطيه ورقة شبه كبيرة وتتحدث بجمود ولكن بصوتٍ ناعم:

"وداعاً أسر"

أنهت كلمتها ورحلت فوراً لينظر هو لها وهي تبتعد عنه وتخرج من المنزل بأكمله، ماذا! هل نادته بأسمه؟ هل لفظته على لسانها؟ كم عشق اسمه عندما سمعه منها، لقد ندم، أجل ندم كثيراً عندما رحلت، منذ ثواني رحلت واشتاق لها، نظر للصورة التي أعطته إياها ليرى نفسه قد رسمته باحترافية، خطوط وجهه وتقاسيمها، لحيته التي تزيده وسامة، عيناه التي كعينان الصقر، وحاجبيه المعقودين دائماً، كل هذه الملامح جسدها أسيل لتخرج

فنها وتنتهي رسمتها بصورته التي بين يديه، تنهد بقوة وتمنى بهذه اللحظة أن تعود إليه ليسحق جسدها من عناقه المشتاق، سيحتفظ بهذه الصورة للأبد لأنها منها هي، وسيحتفظ بعشقه لها في قلبه ولن يبوح بعشقتها لأحد، سيبقى محافظاً عليه في عقله، أجل سيصارع نفسه كل يوم كي يخرج أمام الناس ببروده وجموده مختبئاً وراء قناعه المعهود محتفظاً بحب فتاة أوقعته في شباكها من النظرة الأولى.

-----

هبطت الطائرة معلنة عن وصولها إلى تركيا ومع هبوط الطائرة تهبط دموع أسيل لتتنزل منها وتركب بسيارة فخمة وبرفقتها طقم الحراس الذي خصصه أسر لها، وقفت السيارة عند بيت حديقة المنزل، حسناً ليس كبيراً ولا صغيراً فقط مناسب الحجم وجميل بكل ماتعنيه الكلمة من معنى، دخلت للمنزل لترى أثاثه المرتب والبسيط والجميل، اتجهت للأعلى لكي تكتشف المنزل، حسناً من الآن لا حزن ولا ألم ولا والدين ولا أسر، ستعيش حياتها بعيداً عن الجميع، أجل اشتاقت لهم جداً واشتاقت لأسر أيضاً بالرغم من أنها لم يمضي سوى ثلاث ساعات على بعدها عنه ولكنها اشاقت له، ولكن هو من اختار بعدها لذلك ستحاول جاهدة أن تخرج ذلك الشعور الذي ولد بقلباها من جديد متمنية له ولنفسها وللجميع بحياة جديدة وجميلة بعيدة كل البعد عن الحزن والألم والأسى.

" أه كم هو صعبُ القرار

والأصعبُ منه هو الاختيار

أه سأسميها لُعبةُ الأقدار

مخبرينَ بينَ الجنةِ والنار

فكلهُما سيُغيرانِ المسار

سأمتُ الإنتظار

سأختار ..

أو... لا سأفضلُ الإنتحار

هذه نهايةُ لُعبتي تنتهي بالانهيار "

كانت تنتهد بحنق وغضب، كئيبة، حزينة، منغاضة، غاضبة منه، لا تعلم ما الذي غيره، كيف له أن ينساها وهو كان يموت بها عشقاً؟ هل تخلي عنها؟ هل مل منها ومن وجودها؟ ظنت بأنه سيكون مشتاقاً لها كثيراً مثلها تماماً، ولكنه لا يابيه لها ويتجاهلها، ما الذي فعلته له حتى يفعل هكذا بها؟ ولكن هي من تسببت بهذا الشيء، رفضته وأبعدته عنها، والآن تشعر بأن لا وجود لحياتها بدونها، تريده وبشدة، تشعر بتأنيب الضمير على ما فعلته به، أخذت غرفتها ذهاباً وإياباً وهي ممسكة بهاتفها، وضعت يدها على زر الاتصال برقمه بتردد، تتصل أو لا؟

لا تعلم، كبريائها يمنعها وقلبيها يصرخ طالباً لسماع صوته، تنهدت بعمق وشجعت نفسها لتضغط على زر الاتصال ويرن هاتفه، ومع كل رنة تزداد دقات قلبها، أجابها صوته الناعس الأجش ليقول:

"نعم"

ارتبكت ولم تستطع الحديث ليعقد حاجبيه باستغراب ويقول:

"نعم من معي"

هو لا يملك رقمها في هاتفه ولكنها هي أخذت رقمه من هاتف أخيها، تحدثت بتلعثم:

"أمرحباً ليث"

أناه صوتها ليفتح عينيه باتساع ويعتدل بجلسته ليقول بهدوء:

"أهلاً من أنت"

امتعضت حين لم يعرف صوتها وقد أوشكت على أن تفقد الأمل منه وندمت على اتصالها له، هو يعرف صوتها ويميزه من بين مائة صوت ولكنه أراد استفزازها قليلاً، تحدثت بحنق:

"أنا رنيم"

ضحك بسره ليقول ببرود:

"أهلاً رنيم كيف أتيتي برقمي"

تنهدت بحنق بينما هو مستمتع بحنقها لتقول بغضب:

"جلبتة من باسل اللعين ارتحت الآن"

ضحك بخفوت ليقول باستفزاز وبرود:

"حسناً ولماذا تلعين؟ وماذا تريدين؟ هل كل شيء بخير"

صرخت به لتقول:

"لا شكراً لا يوجد شيء مع السلامة"

أنهت مكالمتها وأغلقت الهاتف بوجهه بينما هو ضحك عليها أشد الضحك لينظر لهاتفه ويحدث نفسه:

"لم ترين شيئاً بعد يا حبيبتي الغاضبة"

بينما رنيم تكاد تموت وتتفجر من شدة غيظها، لما يفعل معها ذلك؟ ولما يعاملها بهذه الطريقة؟ تنهدت بضيق وحسرة لتنهض وتشغل نفسها بأي شيء حتى لا تشغل تفكيرها به، ستحاول أن تعلن استسلام قلبها وتكابر وتتجاهله كما يتجاهلها، ستبدأ قصة حبهما من جديد ولكن حب يغلفه الكبرياء والكرامة، وسنرى من سينتصر على الآخر ومن سيتنازل للآخر أيضاً.

جالس بغرفته، ظلام كامل ودخان يتصاعد في الغرفة، الكثير والكثير من السجائر والخمر، يراها أمامه، يتذكر ضحكتها التي لم يرى لها مثيل، ابتسامتها البريئة، بكائها الذي يضعفه، وعذريتها التي فقدتها لتكسر ظهره بالظلم الذي حل بها، يحاول أن يأخذ منها الكلام ولكن لا يسمع منها سوى البكاء والصراخ، في آخر مرة كان عندها فرح كثيراً بتقدمه خطوة للأمام معها، تلك الصغيرة تجعله يشعر بتأنيب الضمير على ترك شاب سافل مثل سهيل ليسلب منها برائتها وضحكتها، منذ حادثة ماريما أخته لم يمس امرأة، أقسم بيومها أن لا يعود للنساء ولعلاقاته المتعددة، والآن أصر على أنه سيظل على قسمه ولن يمس امرأة سوى من دخلت قلبه، يحبها ويرى بها البرائة، وإن كانت بلا عذرية ولكن لن يكون متخلف إلى ذلك الحد، لديه أخت ويخاف عليها مثلما يخاف على شهد تماماً، سيخرجها من حالتها ولو كلفه الثمن عمره بالكامل.

نهض ليجهز نفسه ويذهب إليها لتنفيذ ما يجول في خاطره عل وعسى تتجاوب معه، دخلت شقيقته عليه لتكح بشدة من الدخان المتصاعد، ابتسم لها وهو يخرج ثيابه ليرى صوتها تحدثه بحق:

"يا رجل ما كل هذا الدخان؟ ولماذا تشرب إلى هذا الحد"

ابتسم بفتور ليقول :

"ألم تعتادين بعد؟ اخرجي أريد أن أغير ثيابي"

ضمت يديها إلى صدرها لتقول:

"وإلى أين سنذهب؟ لا تقل لي بأن لديك موعد غرامي"

امتعض ليقول:

"لا، سأذهب إلى المستشفى"

عقدت حاجبيها لتقول بقليل من الخوف:

"ولما المستشفى؟ هل تعاني من شيء؟ ماذا حدث أجيني؟ حسناً سأأتي معك انتظرني حتى ..."

قاطعها يوسف ضاحكاً:

"يافتاة اهدئي، لا أعاني من شيء، سأذهب لزيارة مريضة وأحقق بقضية"

انتابها الفضول لتعرف ما سر ذهابه وما هي القضية لتقول بفضول:

"ومن هي الفتاة وما بها؟ هل هي جميلة؟ من ماذا تعاني"

نفخ خديه بملل ليقول:

"ماريا اغربي عن وجهي لا شأن لك"

تقدمت منه لتضع يدها على كتفه وتقول:

"أرجوك قل لي من هي الفتاة وماذا أصابها وماهي القضية"

تنهد بقوة ليقول بجمود وبرود عكس النيران التي تشتعل في صدره من الداخل:

"اسمها شهد وقد تعرضت للأغتصاب وأنا أذهب لها كل يوم كي أخذ أقوالها ولكن لا تجيبني سوى بالبكاء والصراخ، حالتها النفسية سيئة جداً"

شهقت ماريا بقوة وعقدت حاجبيها بحزن لتقول بنبرة حزينة:

"مسكينة، كم عمرها"

تنهد بقوة ليقول:

"من عمرك تقريباً"

ظلت على حالها وتنهدت بحزن وهي تفكر بها وبحالتها وتشعر بها، التفتت لأخيها لتقول:

"وأنت لما مهتم بها"

نظر لها بقوة وامتعض وجهه ليقول:

"ماريا ضعي نفسك مكانها، ألا تحتاج الشفقة والوقوف بجانبها"

تحدثت بنبرة ذات مغزى:

"وأنت تقف بجانبها شفقة عليها فقط"

عقد حاجبيه باستغراب ولعن نفسه كونه قد فضح أمره بمشاعره الظاهرة ليقول بتهكم محاولاً قلب الوضع لصالحه:

"لا، أقف بجانبها كي أخذ منها ميعاد"

ضحكت لتقول:

"أنا أعرفك جيداً فلا داعي لإن تخبئ مابداخلك، أنت لا تهتم لأي فتاة إلا إذا كنت تحبها"

تنهد بقوة ليقول:

"حسناً اخرجي الآن"

ابتسمت له لتقول:

"أريد أن أذهب معك أرجوك أريد أن أراها، لعل وعسى أستطيع أن أخرجها من حالتها وسأخذ لها الكثير من المخدرات، ها ما رأيك"

أنهت جملتها بمرح ليضحك ضحكة صغيرة ويقول:

"حسناً أذهبي وارندي ثيابك ولكن لا تتفاجئي إن صرخت عليك اتفقنا"

حركت رأسها موافقة بابتسامة لتقول بغرور:

"لا تقلق سأستطيع التفاهم معها، شقيقتك مفعولها قوي، سنصبح أنا وهي أصدقاء وسنتبادل صور الممثلين المشهورين والوسيمين يسس"

صفت بمرح لتخرج راكضة من غرفته خلف ضحكات أخيها عليها، ارتدى ملابسه وهو على أمل بأن يستطيع التحدث إليها والتفاهم معها في هذا اليوم، أنهى من ارتداء ملابسه ليخرج ويرى شقيقته تقف بابتسامة عريضة ويتجه بها إلى المستشفى، هبط يوسف وماريا من السيارة ليدخلان المستشفى ويتوجهان للغرفة التي تقطن بها شهد، تنهد يوسف بقوة وطرق طرقات خفيفة على الباب ليفتحه بهدوء ويدخل ليرى والديها وهشام وسمية عندها، ألقى التحية عليهم وعرفهم على شقيقته ليوجه نظره لها ويراها ممددة على سريرها بهدوء، شاردة الذهن تنظر إلى النافذة بجمود، عقدت ماريا حاجبها بحزن ورغبة كبيرة أتنها بالبكاء على هذه الصغيرة، توجه يوسف إليها وجلب كرسي وجلس أمامها ليقول موجهاً حديثه لها:

"كيف حالك يا شهد"

نظرت له ولم تجبه ليقول بنبرة مرحة:

"مم انظري لقد جلبت معي شقيقتي كي تتعرفين عليها وتصبحين أنتِ وهي أصدقاء"

ابتسمت ماريا باتساع وتقدمت من شهد لتجلس بجانب أخيها وتقول:

"أهلاً أيتها الشاردة، حسناً حسناً سأعرفك عن نفسي، مم اسمي ماريا وعمري عشرون عاماً، جميلة ولطيفة وأحب التسالي كثيراً، بالمناسبة لقد جلبت لك منهم انظري"

أنهت جملتها وهي تخرج التسالي من حقيبتها وعلى محياها ابتسامة مرح، لتتظر شهد لها وتهز رأسها، اتسعت ابتسامتها لتردف:

"هيا عرفيني عليك، ماذا؟ اه أجل أجل أعلم لما أنتِ صامتة لإنني قلت لك بأنني جميلة، حسناً هذه هي الحقيقة أنا جميلة وطيبة جداً ولكن أنتِ تتعدين صفاتي بأشواط، يافتاة أنتِ تسرقين مني الأضواء"

ابتسمت شهد بفتور لتتسع ابتسامة ماريا وكذلك يوسف فرح جداً وأيضاً والدا شهد لأول مرة يبتسمان من بعد تلك الحادثة وكذلك هشام وسمية، وجهت ماريا نظرها ليوسف لتقول بابتسامة:

"أرأيت لقد قلت لك، حسناً هيا اخرجوا جميعاً نريد أن نتحدث أنا وشهدي لوحدنا"

رفع يوسف حاجبيه ليقول ضاحكاً:

"ولما نخرج؟ تحدثنا أمامنا"

عبست ملامح ماريًا لتقول:

"لا لا هذه أحاديث فتيات وغير ذلك لقد جلبت مخدراتي معي كي أتقاسمها أنا وشهد، أنتم الآن تأكلونها كلها هيا هيا اخرجوا"

ضحكوا جميعاً وشاركتهم شهد وماريا أيضاً ليقول يوسف:

"سنبقى ولكن لا تخافي لن نقرب من المخدرات خاصتك"

عبست ماريًا وانتفضت لتقول:

"اصمت واخرج يا أحمق"

جحظ يوسف عيناه ليقول:

"أيتها البقرة أقسم بأنني سأندبر أمرك في المنزل"

وجهت ماريًا حديثها لشهد لتقول:

"شهد دافعي لي سيضربني أنا صديقك حبيبك هيا قولي له"

ابتسمت شهد ولم تتحدث وهي توجه نظرها بينهما لتردف ماريًا:

"يا فتاة أنا لا أحب المستشفيات، انظري سأبعث بيوسف حتى يأخذ لكِ إذن كي تخرجين من المستشفى ونذهب أنا وأنتِ سوياً ونمرح على طريقنا"

أنهت جملتها غامزة لشهد ليرفع يوسف حاجبه ويقول:

"إلى أين سنذهب"

امتعضت ماريًا لتقول:

"ها قد بدأنا، حباً بالله اغرب عن وجهي أريد أن أخطط مع الفتاة لنرى مشاريع اليوم"

تحدث بحنق:

"أيتها الغبية اصمتي، كيف للفتاة أن تخرج من المستشفى الآن، مازالت متعبة فقط اصمتي لأن صوتك النشاز يضرب على رأسها، هيا هيا اصمتي"

امتعضت ماريًا لتوجه حديثها لوالد شهد وتقول بتذمر:

"عمي قل له أن يصمت قليلاً أو ووف"

نظر يوسف لها نظرة جانبية وصمت بينما الجميع يضحكون عليهما، تحدث يوسف موجهاً حديثه لشهد مماًزحاً:

"إذاً لم تقولي لي كيف حالك؟ لا لا يا إلهي أختي أخذتك مني سأنتحر اتركوني"

أنهى جملته بمرح لتضحك شهد ويبتسم الجميع لأنها خرجت من حالتها قليلاً بسبب هذان الشقيقان، تحدث يوسف بابتسامة وقليل من الجدية:

"حسناً يا شهد، ألا تريدين أن نتحدث أنا وأنتِ قليلاً"

أشاحت ببصرها عنه إلى اللاشيء لتقول ببرود:

"بماذا سنتحدث"

أجاب بهدوء:

"بالحدث"

ابتسمت بسخرية قاتلة:

"ولماذا سنتحدث بما أنكم لم تقبضون عليه حتى الآن"

ابتلع ريقه بصعوبة كما أن ماريًا استأنتت جداً لحالتها حيث استشفت الألم الذي بداخلها ليقول يوسف بحرج:

"أنا من أجل ذلك أريد التحدث معك، لعل وعسى أستطيع أن أتوصل إلى أي شيء يخصه وأعرف مكانه"

أجابت بتهكم ومازال نظرها بعيداً عنه:

"إذا أردت القبض عليه فقم بتشديد الحراسة هنا لأنه كان هنا في الأمس"

شهق كل من في المكان بأعين جاحظة ليقول يوسف بعدم فهم:  
"ما ماذا قلتي شهد؟ من كان هنا في الأمس؟ هل تقصدين سهيل"

حركت رأسها بإيجاب ليرد لها بذهول:

"كيف أتى؟ كيف استطاع الدخول إلى هنا؟ ماذا قال لك"

نظرت له ببرود محيية:

"لا أعلم كيف دخل، ولا يهمني أمره، ولا أريد أن أتذكر ماقاله، أريدك فقط أن تقبض عليه، إذا كنت فعلاً تريد أن تساعدني"

كان يريد أن يتحدث ولكن ذهول الموقف أصمته وجعله يخرج من المكان مسرعاً تحت أنظار الجميع، تقدم إليها والدها ليقول بحنو:

"صغيرتي، أحقاً كان هنا؟ أم أنك رأيتي منام؟ أو أنه يهياً لك ذلك"

تابعته شهد بصدمة لتنفعل وتقول بصراخ:

"هل حقاً لا تصدقني أبي؟ هل حقاً تظن أنني مجنونة لكي لا أستطيع التفريق بين الواقع والحلم؟ هل أنت أيضاً أصبحت توافق الأطباء الذين يتابعون حالتي على أنني مجنونة"

ارتبك جداً كحال كل من في الغرفة لتتدخل ماريا بالحديث:

"حبيبتي شهد، والدك لا يشكك بشيء، ولكن صعوبة الحادث قد تفرض عليك أشياء كثيرة وأحلام وكوابيس، لذلك هو يسألك لا أكثر"

انفعلت أكثر لتجيب بأعين دامعة:

"لا يهمني، ولا أريد أن أتحدث بهذا الأمر بعد الآن، إن كان لا بد من فشل أخيك ومن معه بالقبض عليه فدعوني وشأني، لن أخبركم بما حل بي لإنني لا أريد أن أراجع تلك الحادثة، هو أساساً متورط بعدة قضايا فلن تقف قضيتي عليه، حالما يقبضون عليه يقومون بإعدامه أو سجنه لا أعلم، المهم بعيداً عني"

وجهت نظرها وحديثها لوالدها مكلمة:

"أريد أن أخرج من هذه المستشفى اللعينة أبي، لا أطيق رؤية وجهه مجدداً، لا أريد أن يأتي إلى هنا مجدداً، أريد أن أخرج لأن أولئك العساكر الذين في الخارج ك قتلهم أسمعني أيها الضابط؟ رجالك ك قتلهم"

أنهت كلامها بصراخ موجهة إياه ليوسف الذي يقف في الخارج ويستمع لها، وما إن أزاحت عن صدرها هذا الكلام حتى بدأت بالبكاء والنحيب محاولاً كل من بالغرفة تهدأتها، أما يوسف فقد أدمعت عيناه وأخذ نفساً عميقاً ليزفر بضيق وداخله بركان من الغضب من رجاله ومن سهيل وسينفجر حتماً.

---

يجلس في منزله الواسع وكأنه يضيق على صدره هذا المنزل الكبير، لا يعلم لما بدأ يكره المكوث فيه، هل من أجلها هي أم ماذا؟ اشتاق لها، اشتاق لرؤية عينيها، اشتاق لشفتيها ولكل شيء بها، يحاول التحكم بنفسه بصعوبة مخافة من أن يسافر إليها ويبرحها ضرباً كي لا تبتعد عنه مرة ثانية ويعيدها معه ليتزوجها غضباً عنها، بلغت ذروة غضبه وحقه، يريد لها ولكنه يكابر،، حسناً ولما المكابرة؟ لما الحماقة بالأساس؟ أليس من هو الذي تركها تسافر؟ أليس من هو الذي أبعداها عنه؟ حسناً إذاً لا تشتكي من لسعة النار وأنت من بدأ بإشعالها، ظن بأنه سيرتاح عندما تبعد عنه ولكنه هو الآن يتعذب أكثر من ذي قبل، يكاد يجن من فقدانها، لا يستطيع خسارة شخص آخر في حياته، ولكن كل هذا من صنع يده، لما يوجد في الدنيا شيء يسمى الفراق؟ ولما يوجد شيء اسمه كبرياء؟ واللعنة كم تجرح القلب وتحرق الصدر من جوفه.

منذ ليلة أمس حتى الآن وهو لا يكل ولا يمل عن الشرب والسجائر، لم يذق طعم النوم فقط يفكر بها، يكاد يبكي لفقدانها ولكنه يتحامل على نفسه كي لا يبين ضعفه أمام نفسه حتى، كم هو صلب ولعين لا يعرف مصلحته، أحس كم هو غبي وساذج عندما أبعداها عنه، لم يعلم بأنه سيحترق من داخله بهذه الطريقة البشعة، الآن عرف ماهو الحب وما هي لعنته، عرف ماهو الفراق وما هو العذاب، لم يرى يوماً أبيضاً في حياته كل حياته كانت باللون الأسود، قاتمة، مملّة، إلى أن جاءت تلك الفتاة ولونت حياته بالألوان الزاهية، لتبتعد عنه ويعود إلى الأسود فقط. يمسك كأسه بيد واليد الثانية يمسك سيجارته بها، هو حتى لم يذهب إلى عمله ويمارس روتينه اليومي، فقط على حاله منذ ليلة أمس ومنذ وقت رحيلها بالشرب والسجائر.

رمى الكأس من يده ليصدم بالحائط ويتناثر ويتحول إلى قطع زجاج صغيرة، يريد أن يفرغ طاقته السلبية بأي شيء، كسر وحطم ولم يدع شيئاً في غرفته إلا وحطمه، يلعن فقط على غيابه الذي لم يعهده بنفسه من قبل، بدأ يتنفس بسرعة شديدة ويلهث بصعوبة بالغة، أمسك بالصورة التي أعطته إياها قبل رحيلها وبدأ يتأملها، صحيح بأنه يتأمل نفسه ولكن هذه الورقة التي بين يديه تذكره بها، كونها هي من أعطته إياها فهي منها ويتذكرها بها، تأملها بهدوء تام وهو يتحسر على نفسه وعلى والده اللذان جعلان منه شخص قاسي كاره حياته غير مبالي لأحد، وغير مبالي لمشاعره الميتة التي استيقظت عندما دخلت أسيل لحياته، ليس له ذنب في الذي يحدث معه، لم يرتكب أي خطأ في حياته، كان كل همه أن يحقق حلمه، فقط حلمه، وبماذا كوفئ غير بالفراق والابتعاد، ولكنه قوي وسيظل كذلك إلى آخر نفس في حياته، سيكابر، أجل سيكابر ولن يتراجع عن قراره، يرى الصح له ولها في رحيلها، سيبقى يحترق من داخله بينه وبين نفسه، لن يعترف، ولن يذهب إليها، ولن يعشقها أبداً.

---

عند أسيل في بيتها الجديد

تجلس تلك الفتاة شاردة الذهن، حزينة، كئيبة نوعاً ما تكاد تموت من شوقها له، لم تشعر بطعم الاشتياق إلا عندما فقدته وابتعدت عنه، تسأل نفسها، لم أبعدا عنه؟ لما قسي عليها إلى هذا الحد؟ هل تضايق من وجودها في منزلها؟ هل يرى بها عيب كونها هربت من زوجها وظلم والدته؟ أسئلة كثيرة في عقلها لا يوجد لها جواب عندها، تحترق من الداخل، لقد مرت بأصعب من ذلك وستجاوز هذه المحنة وتنسى كل شيء لتبدأ حياة جديدة بعيدة كل البعد عنه، ستكون بعيدة عن الحزن والألم لأنه لم يجلب لها سوى الحزن، تمنى أن يقف بجانبها ويساندها، ولكن لما؟ هو ليس مجبور على فعل ذلك، مجرد فتاة غريبة عنه تعرضت لعدة مشاكل في حياتها وهربت من بيت زوجها، هذا ما تفكر به وتقعن نفسها به أيضاً، تسخر من نفسها ومن تفكيرها الأحمق، تسخر من حياتها التي لم ترى فيها إلا الحزن في آخر فترة، تسخر من قلبها الذي تعلق برجل بارد لعين جامد، ستحاول نسيانه وتبدأ من جديد، هه لا أحد يموت على فراق أحد، ستظل تقعن عقلها وقلبها الأحمق بذلك الشيء إلى أن تلتقي بأمير يستحقها ويستحق برائتها وأثوتها.

" وكأني وُلدتُ على ظهر وترٍ

تعزفُ الأيامُ على قلبي دونَ رحمةٍ

ولا أملكُ حيلةً

فكلما ابتسمتُ علمتُ أنّ حظي بعدها حُزن

وما إن أرقصُ حتى تهوى الذكرياتُ كالمطر "

---

في بيت وائل

عازم على إجراء اتصال مصيري، ينتظر الرد وهو متلهف لما سيحدث بعد قليل من الوقت، سينتقم من كل من أبعدا عنه، وسيعاقب نفسه على سذاجته من بعدها، ينتظر رده بفارغ الصبر، رنة رنتان ثلاث ويجيب ببرود:

"نعم"

تحدث وائل ببرود متبادل:

"سيد هشام"

أجابه:

"أهلاً من معي"

أجابه ببرود:

"مم لا أعلم كيف أبدأ الحديد معك ولكن أنا مضطر جداً لأن أقابلك بمنزلك أنت وزوجتك المدام أحلام والمدام سمية ماذا قلت"

عقد هشام حاجبيه باستغراب ليقول:

"من تكون؟ ومن أين تعرفني وتعرف أحلام وسمية"

ابتسم وائل بسخرية ليقول:

"أليس أنت والد أسيل"

لهف قلبه من سماع اسم ابنته ليتحدث بسرعة:

"أجل أنا والدها، أنت تعرفها؟ أين وجدتها؟ وكيف حدث ذلك؟ أرجوك دعني أراها تفضل إلي في أي وقت حسناً"

اتسعت ابتسامته وائل ليقول:

"حسناً حسناً بالمناسبة اسمي وائل ولقد تكلمت مع طليقتك المدام سمية وقلت لها بأنني أود مقابلتها ومقابلة حضرتك من أجل موضوع ابنتكما أسيل ولقد تلهفت لمعرفة الخبر الذي سأتيكم به، إذا سمحت وكرمت اذهب واجلبها لمنزلك ريثما أصل إليكم"

تحدث هشام بسرعة:

"حسناً سأجلبها فوراً ولكن أرجوك لا تتأخر"

تحدث بشرود:

"لا تقلق سأتي في الحال"

أنهى جملته وأغلق الخط بسرعة ليبتسم بسخرية على ما سيحدث ويتخيل منظر أحلام عندما يكتشف زوجها حقيقتها، سيحدثهم بكل شيء وسيفعل ما في ذهنه من بعدها وهو مرتاح البال.

-----

بينما عند هشام ما إن أغلق الخط حتى توجه راكضاً للأسفل وهو يرتدي سترته بسرعة، التقت به أحلام وهو يهبط بسرعة لتعقد حاجبها باستغراب وتقول:

"على رسلك عزيزي إلي أين"

تحدث بسرعة وهو متوجه نحو الباب:

"سيأتي ضيف الآن سأذهب لأجلب سمية هناك أمر مهم انتظريني"

ما إن سمعت اسم سمية حتى تغلغل الدم في رأسها وتنهدت بغل و حدة، ماذا يريد منها؟ ولماذا سيأتي بها؟ ماذا يحدث؟ يا لها من لعينة هي وأخاها، اللعنة عليهما وعلى آسيل، هذا ماكانت تحدث نفسها به، تنهدت بحنق وتوجهت لغرفة المعيشة منتظرة قدومهما وقدم ذلك الضيف الذي تجهله، لا تعلم بأن جحيمها قادم وبأن اليوم سيكون آخر يوم لها في هذا المنزل.

-----

يقود سيارته بسرعة كبيرة كالمجنون، يدعي بسره أن تكون ابنته مع ذلك المجهول ويأتيه بها، متلهف ومتشوق لرؤيتها وضمها لصدره معطياً حنانه الذي حرمت منه طوال العشرون عاماً، غير ذلك لا يعلم ما سر خفقان قلبه بسرعة كلما جاءت سيرة سمية على الألسن، فما باله إذا كان ذاهب لرؤيتها ولجلبها معه إلى بيته أيضاً.

ركن سيارته على الجانب الأيمن، هبط من سيارته ليتوجه مسرعاً إلى محبوبته بقلب صارخ من شوقه لاسترجاعها، أخذ نفس عميق وطرق على بابها ليأتيه صوت خطواتها من الداخل وتفتح الباب له وهي مستعدة للخروج معه، نظر لها بشوق وهيام لتلاحظ نظرتة وتتجاهله، تحدثت معه ببرود عكس شوقها له الذي بداخلها لتقول:

"أهلاً سيد هشام، أنا جاهزة، أرجو أن يكون أمر ذلك الشخص مهم ويكون لديه معلومات عن ابنتي"

امتعض جداً كونها نادته بسيد، ابتسم بسخرية ليصح لها ويقول:

"تقصدين ابنتنا يا سمية"

تحدثت بلا مبالاة لاستفزازة:

"أياً كان هيا فلنذهب رجاءً"

راقبها بعيناه وهي تغلق الباب وتتوجه إلى الجانب الآخر، تنهد بحنق وكور قبضته تعبيراً عن غضبه منها، لن يفقد الأمل، حسناً سيهدأ، لديها كامل الحق في ذلك وسيستقبل منها كل شيء برحابة صدر، نفص سترته بعنف وتوجه لها، صعدا سوياً لسيارته وأخذ نفس عميق ليبدأ بالقيادة، حاول أن يكسر الصمت ليقول:

"مما الذي قاله لك ذلك الشخص؟ أقصد ماذا حدثك بشأن أسيل"

أجابت بجمود:

"قال بأنه يعلم كل شيء عن أسيل وسيتحدث بأشياء مهمة كثيراً بالنسبة لك"

عقد حاجبيه باستعراب ليقول:

"أشياء مهمة، لم أفهم"

تحدثت بلا مبالاة:

"حسناً عندما يأتي تفهم منه"

نظر لها بحنق ليقول:

"ما بك؟ أشعر بأنك لا تطيقين سماع صوتي حتى"

همهمت ببرود لتقول:

"أجل ولست بمزاج جيد، أرجو أن ينتهي كل شيء على مايرام وتعود ابنتي لحضني بأقرب وقت"

نظر لها بغضب ليقول:

"سمية لا تحاولين استفزازي، تعلمين جيداً بأنني أستطيع أن أحرملك من أسيل ولن أدعك ترينها إذا بقيت على أسلوبك هذا"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"هي تعود أولاً ومن بعدها هدد على مزاجك يا سيد هشام، لم أعد أبالي لشيء فلا تحاول إخافتي بشيء تعودت عليه مسبقاً"

ابتسم بسخرية ليقول:

"رائع"

لم تجب بل ظلت بلامحها الباردة، تنهد هشام بحنق وغضب، هاهي تزيدا عليه أكثر، شعر بقليل من الإحباط بسببها، لن يحتمل معاملتها وجفائها هذا، يحاول أن يتحكم بغضبه الذي تعرفه هي جيداً وإلا لن تسلم منه أبداً، سيحاول كبح نفسه عن عدم ضربها أو إجبارها على شيء ما، هو يريد أن يسترجعها بالحسنى وليس بالغضب، لذلك سيظل متحكم بنفسه وبأعصابه التي أتلقتها هذه المرأة، وصلاً إلى منزل هشام ليهبطان من السيارة، تمشي سمية بثقة وهدوء وبرود، مسببة صوت طرقات على الأرض بكعبها العالي، بينما هشام يتابع خطواتها ومشيتها الواثقة ليبتسم بشرود دون وعي وهو واقف بمكانه، رمش عدة مرات ليتوجه إليها بسرعة ويفتح الباب بمفتاحه، دخلا اثناهما للمنزل لتستقبلهما أحلام بغل ونظرة اشمئزاز موجهة لسمية، بينما سمية نظرت لها ببرود وصافحتها باشمئزاز وتعالى لتقول ببرود:

"أهلاً"

لم تنتظر لتسمع ردها فقد توجهت للصالة الكبيرة تحت نظرات أحلام المشتعلة منها، بينما هشام يحاول جاهداً كبح ابتسامته من موقف سمية مع أحلام، لحق هشام بسمية تاركاً أحلام بمفردها مشتعلة من غيظها، توجهت إليهما لتتضم لهما وتجلس معهما، ظلت أحلام تنتظر لسمية والغيرة تنهش بقلبها، بينما سمية لم تعرها أي اهتمام تضع ساق فوق الأخرى وتتنظر إلى اللاشيء بشرود، كان هشام يتابع نظرات أحلام إلى سمية وهو يبتسم باتساع على حالها، وجه نظره لسمية التي لم تعر لهما اهتمام أبداً، ظل ينظر لها بهيام وحب وشوق، بينما أحلام وجهت نظرها لهشام الذي كان شارد بلامح سمية الباردة لتتنهد بحنق وغل وغضب، حاولت أن تلتفت نظرهما لتقول:

"إذاً ماذا تحبي أن تشربين سمية"

تنهدت بقوة وتحدثت ببرود من دون النظر لأحلام لتقول:

"يتهيأ لي بأن الألقاب حفظ للمقامات يا مدام أحلام، وشكراً لك لا أريد أن أشرب شيء، لم آتي إلى هنا من أجل الضيافة بل من أجل الموضوع المهم فقط"

كزت أحلام على أسنانها من جوابها البارد لتقول:

"بالمناسبة لم أعرف ما سبب هذه الزيارة وما هو الموضوع المهم"

زفرت سمية بضيق ووجهت نظرها لهشام الذي كان ينصت لحديثهما باستمتاع، بادلها النظرة ليفهم عليها فوراً ويحدث أحلام:

"أحلام اجلبي لنا قهوة من بعد إذنك"

تحدثت أحلام بحنق:

"ولكن المدام سمية لا تريد أن تشرب شيء"

تحدث هشام بصرامة:

"اجلبي لنا القهوة أحلام هيا"

نهضت بحنق وغضب وتوجهت لتعد القهوة سريعاً، لن تترك لهما الفرصة بالجلوس بمفردهما لذلك كانت على عجلة من أمرها، بينما هشام ما إن ذهبت أحلام حتى تحدثت مع سمية:

"أعتذر عنها أنا اسف جداً على حديثها"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"اختيار موفق"

امتعض بوجهه وكز على أسنانه، لم يعد يحتمل برودها أبداً، نهض من مكانه متوجهاً لها وأمسكها من معصمها وأوقفها لتصبح بمستواه وحدثها بحدة:

"اسمعيني جيداً سمية، طريقتك هذه لا تمارسيها علي رجاءً وإلا لن تتوقعين ما الذي يمكنني فعله هل تفهمين"

حرك يدها بعنف في نهاية جملته بينما هي لم يرف لها جفن وظلت تنتظر له ببرود، بللت شفيتها لينتبه هشام إلى تلك الحركة وينظر لها بشرود، تحدثت ببرود:

"ما الذي ستفعله ها؟ لم أعد زوجتك لتأمرني، كانت غلطة وندمت عليها والآن لا يحق لك بأن تأمر أو تهدد حتى، وفر تهديداتك هذه لغيري واحترم نفسك و عد لمكانك رجاءً"

نظر لها بصدمة من جوابها، كور قبضة يده وتشنج فكه، ظل ينظر لها بقوة ولم يتزحزح من مكانه، دخلت عليهما أحلام لتتسع عيناها عندما رأتهما يقفان بالقرب من بعضهما، تحدثت أحلام بحدة:

"ماذا يحدث هنا"

حدثها هشام بنفس حدثها:

"لا شأن لك، قدمي واجبك واجلسي بصمت"

أنهى جملته وتوجه إلى مكانه وجلس بحنق بينما سمية جلست بهدوء وكأن شيئاً لم يكن، توجهت أحلام إليها لتقدم لها القهوة ونظرت لها بحدة، بينما سمية لم ترفع نظرها لها فقط اكتفت بأخذ فنجانها ووضعته أمامها، توجهت أحلام لهشام ووضعت فنجانها أمامه وجلست تنتظر لهما اثناهما وتراقبهما إذا كانا ينظران لبعضهما ولكن كل منهما كان ينظر بوجهة مختلفة.

صاح صوت رنين جرس المنزل لينهض هشام مسرعاً ويفتح الباب ليطل عليه وائل ببروده، تمعن به هشام وهو يسأل نفسه إذا سبق ورآه من قبل أم لا ولكن الاجابة كانت لا، رحب به هشام وقد أحبطت آماله كون ابنته ليست معه ظناً منه أنه سيأتي بها، دخل وائل بقوامه الصلب ليقابل وجه أحلام التي ما إن رآته حتى جحظت عينها وتسارعت أنفاسها وبدأت يداها ترتجف من الخوف، نظر لها وائل بتوعد وقوة، توجه لسمية وألقى عليها التحية وجلس بجانب هشام، تحدثت سمية بلهفة:

"حسناً أين ابنتي ياسيد وائل"

ابتسم بتهكم ليقول:

"على رسلك يامدام، ألا تريدين أن تعرفين القصة من بدايتها"

حركت سمية رأسها بإيجاب ليقول هشام:

"حسناً حدثنا هيا من فضلك"

نظر وائل لأحلام التي كانت ترتجف من الخوف والذي كان واضح عليها ليقول:

"سأحكي لكم كل شيء ويهمني جداً وجود المدام أحلام هنا، ولا تقلقون كل كلمة سأقولها ستكون صادقة ولدي كامل الإثباتات"

عقد هشام حاجبيه ونظر لأحلام بعدم فهم بينما أحلام ظلت تنتظر له بخوف، تحدث وائل بجمود:

"كنت أعرف أسيل منذ عدة سنوات، التقيت بها صدفة وظللت أراقبها عندما كانت تذهب لمدرستها، حاولت مراراً أن أحدثها ولكنها لم تعرني أي اهتمام، بعد وفاة والدي اضطررت بعدها أن أسافر أنا والدتي إلى غير بلدة وسافرننا، عملت بتهديب المخدرات وغسيل الأموال كي أؤمن لوالدتي الطامعة كل ما تحتاجه، والدتي تكون صديقة المدام أحلام زوجتك المحترمة، منذ عدة أشهر علمت من مصادر خاصة بأن خال أسيل يريد التخلص منها لأنه يكرهك ولا يريدك أن تتقرب من المدام سمية، لذلك اتفق مع أحلام على التخلص من ابنتك وأنا بدوري عرضت عليه مبلغ من المال مقابل أن أخذ أسيل وأتزوجها وأذهب بها بعيداً، وحدث ذلك الشيء فعلاً عندما كنت أنت مسافر إلى الإمارات، طبعاً مالك أوسعها ضرباً وضربها على رأسها حتى غابت عن الوعي لإنها رفضت أسيل الأمر إلى أن جئت أنا وأخذتها، وعندها قام مالك بكتابة رسالة بخط أسيل وأوصى أحلام بأن تضعها في غرفتها وتقول لك بأنها هربت، وبالمناسبة سبب بعد السيد هشام عنك يا مدام سمية هو تهديد أخاكي له، هدده بأنه سيقنله ويقتل عائلته إذا لم يتركك بعد يوم واحد من ليلة زفافكما هذا هو سبب بعده عنك، طبع السبب الرئيسي لذلك هو عدم موافقة السيدة هدى شقيقة السيد هشام على مالك، علمت أنه منذ سنين طويلة كان يحبها وهي رفضت حبه وكان رأيها الرفض بشأنه تماماً كراي والد السيد هشام به.

المهم بدأت حياتي مع أسيل بشكل جيد، لم اقترب منها أو ألمسها بناءً على طلبها، أثنائها قررت والدتي بأن تتخلص منها ودبرت لها مؤامرة بمساعدة هذه المرأة وجلبت والدتي رجل وأدخلته إلى غرفة أسيل كي يوهمني بأنها تخونني معه، أنا تخبطت بنفسي وبدأت اضربها وهي تبكي وتصرخ بين يدي ولكنني لم أبالي ولم أبتعد عنها إلا عندما فقدت الوعي، وطبعاً ذلك الرجل هرب وفي اليوم التالي والدتي جعلت أسيل توقع على ورقة طلاقها وزورت توقيعها وقدمت الأوراق للمحكمة وتم الطلاق، وبعد يوم واحد فقط هربت أسيل من المنزل بعد أن حدثتها والدتي بأنها ستسفرها مع ذلك الرجل اللعين وكانت أحلام طبعاً مشتركة بالمؤامرة مع والدتي لذلك هربت أسيل ولم أعد أعرف شيء عنها، تعذبت كثيراً ببعدها وكنت أموت ألف مرة في اليوم وكل ذلك من صنع يد والدتي، إلى أن وجدت ذلك الرجل الذي يدعى عماد وقمت باستجوابه وعلمت بكل شيء وبالمؤامرة التي حيكت ضدي وضد أسيل، وجلبت والدتي إلى المكان المتعفن الذي كنت أضع به ذلك اللعين وقمت بحرق عماد أمامها، لقد حرقتة أجل وانتقمت وأخذت حق زوجتي، بقي عندي زوجتك المصون ولكن انتقامي لها سيكون مختلف، أعلم بأنها تعشقك لذلك عقابها سيكون بعدها عنك، فأنا جلبت لك شيء لا أعلم إذا كان سيفرحك أم سيحزنك، زوجتك قامت بخيانتك مع مالك ونامت على سريريه عدة مرات وصورها بعدة وضعيات وبالنسبة إلى مالك لقد قمت بتدبير قضية له وقد حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، مجرد حشرة لعينة لا يستحق الحرية والحياة الرغيدة وطبعاً تدبرت أمر أمي ورميتها بالسجن بتهمة الدعارة، وها هو الشريط الذي يثبت صحة كلامي شاهده وستصدق كل شيء بعدها، وإذا أحببت أن تذهب إلى مكان فعل جريمتي التي ارتكبتها بحق عماد فإمكانك الذهاب، ما زالت الجثة بمكانها وأنا سأذهب كي أسلم نفسي للشرطة، ولكن كنت أنتظر فقط كي أنتهي من انتقامي وها قد انتهيت، والآن اسمحو لي، سأرحل، وبالمناسبة أنا أعشق أسيل كثيراً، كل نبض في قلبي ينبض باسمها بلغوا سلامي لها إن حدث وقابلتوها يوماً ما، بالإذن"

أنهى وائل حديثه ورحل تاركاً ثلاث أفراد شلت حركتهم من الصدمة وبالأخص أحلام، سكون، هدوء، صمت يعم بالمكان، لا يسمع فيه سوى أصوات الأنفاس المتسارعة فقط، هبطت دموع أحلام وكذلك سمية، أما هشام فقد وضع يديه على رأسه وتحسر على ابنته، لم يهتم لحال أحلام ولا لما فعلته، صب كل تركيزه على ابنته، أين هي الآن؟ وماذا تفعل؟ وأين تقيم؟ وماذا حدث لها؟ نظر لسمية التي كانت تضع يدها على فمها وتبكي بصمت، وجه نظره لأحلام التي كانت كالجثة الهامدة، لن يغفر لها ولن يرحمها، نهض بعنف وجلب الكمبيوتر المحمول الخاص به ليرى الشريط المسجل وقد رآه بالكامل، وبالفعل كانت أحلام بين يدين مالك أكثر من مرة، انتفض هشام ونهض من مكانه ليمسك أحلام من معصمها ويتحدث بحدة:

"أيتها اللعينة لن أرحمك أبداً"

نظرت له أحلام نظرة ترجي وتحذت بخوف:

"أرجوك يا هشام لقد اضطررت لفعل ذلك أرجوك سامحني"

هز رأسها بعنف ليقول بغضب:

"لن أسامحك، هه بالأساس كنت أسعى للتخلص منك وما قد أنت الفرصة، لن أدع امرأة رخيصة على ذمتي هيا"

جرها وهي تصرخ وتبكي، رماها خارج المنزل وأغلق الباب بحدة وغضب، وتوعد لها بأنه سيرسل هذا الشريط لمنزل أهلها، توجه هشام إلى سمية التي كانت جالسة تبكي بهستيرية، ضمها لصدره ليبيتها حنانه ويحدثها:

"لا تقلقي عزيزتي سنجد ابنتنا لا تقلقي"

ظلت تبكي وتنتحب، ابتعدت عنه قليلاً لتحذته ببيكاء:

"لماذا لم تخبرني لي عن سبب بعدك عني؟ لماذا هشام لماذا"

انتفض هشام ليقول:

"عزيزتي اهدئي كنت مجبور على فعل ذلك صدقيني أرجوك"

حركت رأسها نافية لتقول:

"لم أعد أصدق أي أحد ولا أريد أي أحد بعد الآن، سأعثر على ابنتي وسأجدها وأعيدها إلي أتفهم سأجدها"

ابتلع هشام ريقه بخوف ليقول مهدناً:

"حسناً فقط اهدئي، سنجدها مؤكداً سنجدها"

ابتعدت عنه بعنف لتقول بصراخ:

"ابتعد عني كل ذلك بسببك وبسبب تلك اللعينة، هي من أبعدت ابنتي عني لن أرحمها ولن أرحمك إذا عدت لحياتي من جديد أتفهم"

أنهت جملتها وأمسكت بحقيبتها وتوجهت لخارج المنزل بينما هشام جلس بعجز على الأريكة، لم يكتفي من فقدان ابنته أيضاً فقد سمية، فقد لذة حياته وفقد رغبته بالحياة، توعد لأحلام بالجحيم اللعين، سيريتها مقامها وسيندمها أشد الندم، لن يتهاون معها ولن يستسلم لقرار سمية ببعدها عنه، سيعيدها إليه وسيعيد ابنته إليه ويظلون سوياً مدى الحياة.

تجلس على كرسيها، تميل بيدها وترسم باحتراف، كل خط وكل بقعة وكل بصمة تضعها على تلك الرسمة باحترافية، أصبحت تشغل نفسها بالرسم والألوان، عل وعسى أن تتلون حياتها مثلما تلون رسوماتها باحترافية وإتقان، تكاد تجن لأنها لم تستطع أن ترسم شيئاً غيره، لا يوجد شيء في ذاكرتها سواه، والأدهى من ذلك كلما رسمت رسمة وانتهت منها تجد بأنها رسمته بوضعية مختلفة ولكن بنفس النظرة العابثة والحاجبين المعقودين، تموت شوقاً له وتعاني من بعده ولكن هو من اختار الرحيل، تحملت الكثير والكثير وقد نفذت قواها، أنهت رسمتها لتتنهد بعد أن رأت الرسمة، تأملتها مطولاً وابتسمت ابتسامة من قلبها، لأنها رسمته وهو يرتدي بذلة رسمية وكأنه في يوم زفافه، ظلت شاردة برسمتها مدة طويلة لتنتبه لنفسها وتعود لعيناها نظرة الحزن.

شعرت بالملل من المنزل لتنهض وتغير ثيابها لتخرج للتنزه قليلاً، خرجت من المنزل وهي تتجول بأرجاء المدينة، تكتشف كل شيء، طبعاً لن ننسى الحارسان اللذان يمشيان خلفها حرصاً على سلامتها، وبناءً على أوامر أسر، تمشي غير مبالية لأحد، فقط تنتظر للمحلات التجارية وتكتشفها وتتجول بأرجاءها، تمشي والهواء يلفح وجهها وتتطاير خصلاتها البندقية لتعطيها مظهراً جذاباً، وقفت تنتظر للبحر بشروء، وترى مدى جماله وروعته، تنهدت بحزن و هبطت دموعها على وجنتها عندما تذكرت أيامها مع صديقة دريها، ابتسمت من بين دموعها عندما تذكرت مواقفهم المضحكة سوياً، اشتاقت لها ولجنونها، اشتاقت لوالديها ولأخوتها، اشتاقت لمعذبها والذي أسر قلبها، هي لا تريده فقط تريد قلبها الذي تركته معه، حائرة، ضائعة، شاردة، حزينة، لا تعلم ماذا تصنع، تريد الذهاب لوالديها ولكنها خائفة، خائفة بأن يرميها بالباطل ولا يصدقانها، والأهم خائفة من أن تقابل زوجها السابق ويقتلها، لقد فاتها الكثير ولا تعلم بالأحداث التي مضت.

قررت أن تعود أدراجها إلى المنزل، دخلت إلى المنزل وجلست على الأريكة بإهمال، جلبت دفتر مذكراتها لتكتب مايجول في خاطرها:

" كم يحرقني شوق الابتعاد

أحاول أن أحمده ولكني أخسر

أحاول جاهدة أن أطمأن نفسي

بأن اللقاء بات قريباً أكثر فأكثر

ولكن ماالذي بوسعي فعله

فإن نسيته أعود وبسرعة أتذكر

هيا لا تتأخر وعُد لي بسرعة

فأنتَ الوحيد الذي يجعلني من قيودي أحرر

فا بوجودك ياسندي أصبح قويةً

وإن غُبتَ فا سرعانَ ما أتكسر "

أغلقت الدفتر وتنهدت بقوة وقد أثرت عليها هذه الكتابات بشكلٍ سلبي، فكرت بينها وبين نفسها هل تهاتفه أم لا؟ ولكنها لاتملك رقمه، كيف ستصل إليه، نهضت لتخرج إلى حديقة المنزل وتحدث الحارس:

"عذراً هل بإمكانك إعطائي رقم هاتف السيد أسر؟ أريد أن أهاتفه لأمرٍ مهم"

تحدث الحارس برسمية:

"أنستي قولي لي ما الأمر وأنا أحدثه، لا أستطيع أن أعطيك رقمه"

عقدت حاجبها لتقول بترجي:

"أرجوك لا أستطيع أن أقول لك، أريد محادثته هو"

تنهد الحارس ليقول:

"حسناً أنستي سأهاتفه أنا وأعطيك الهاتف عندما يجيب، انتظريني"

حركت رأسها بإيجاب وانتظرته ريثما يأتي، تعجبت من نفسها على شجاعتها لمحادثته، كيف لها أن تحدثه وهو من أبعدها عنه؟ ولكنها تريد سماع صوته فقط، اشتاقت لبروده، لغروره، وكل شيء فيه، جاءها الحارس ليحدثها برسمية:

"سأهاتفه أنستي انتظري"

أخرج الحارس هاتفه ليهاتف أسر وهو ينتظر الرد، رنة اثنتان ثلاث ليحجب بنبرة متلهفة كونه يعلم بأن هذا الحارس الشخصي لأسيل فهذا الأمر يهمه جداً لأنه يأتيه بأخبارها كل يوم، تحدث أسر:

"أهلاً، ما الأمر تحدث"

ارتبك الحارس من سرعته ليقول بتوتر:

"سيدي الأنسة الصغيرة تريد أن تحدثك بأمرٍ مهم، طلبت مني رقمك ولكنني لم أعطيها إياه، فقط قلت لها بأنها ستحدثك من هاتفي"

بدأ قلب أسر ينبض بعنف، يصرخ قلبه طالباً لسماع صوتها ولرؤيتها أيضاً، ولكنه هو يعلم نفسه جيداً ما إن سيسمع صوتها سيضعف فوراً وينطلق إليها من دون وعي، تنهد بحزن ليقول بصوتٍ بارد:

"حسناً قل لها بأن لدي عمل ولا أستطيع محادثتها الآن وانتبهوا لها جيداً، مع السلامة"

تنهد الحارس بحزن ليقول لها معتذراً:

"سيدتي السيد أسر لا يستطيع محادثتك الآن، لديه مهمة ضرورية، سيحدثك بوقت لاحق، أعتذر بشدة"

نظرت له بحزن ودخلت للمنزل وهي مكسورة الخاطر، كم هي غيبية وساذجة، لماذا طلبت مهاتفته؟ لماذا ضعفت أمام قلبها وطلبت ذلك الشيء؟ تكاد تموت من شوقها له، ولكن هو ببساطة لا يبالي لها ولحالها، علمت بأنه يتهرب منها، أقسمت على أنها لن تعاود فعلتها هذه بعد الآن ولن تتنازل وتحدثه إذا طلب محادثتها بيوم من الأيام، كرامتها وكبريائها فوق كل شيء، جلست على الأريكة مطلقة سراح دموعها من جديد، ليس من أجله بل من أجل حياتها ووحدتها التي تعيش بها.

---

كما دخل في المرة السابقة إلى غرفتها دخل هذه المرة أيضاً، لم يابه للحارس الذي كان نائماً في رواق المستشفى ودخل دون أن يشعر به.

كانت شهد شاردة بوجوم، وما إن رآته حتى بدأ قلبها يطرق بعنف وخافت منه كثيراً، كان ينظر لها بأسف وندم مسترسلاً معها خلال نظراته لها ليقول بهمس وهو يتقدم منها بحذر:

"لا تخافي شهدي، أتيت فقط لكي أودعك، هذه المرة الأخيرة التي سأراك بها"

نهضت بعنف وتراجعت للخلف لتقول بخوف:

"لا تقترب مني، لا تقترب، اخرج وإلا صرخت بأعلى صوتي، أين هو ذلك اللعين الذي في الخارج؟ كيف لم يراك أيها الحقير"

ابتسم بسخرية وهو متقدماً نحوها ليقول:

"لو اجتمعت كل جيوش الأرض لمنعي عن رؤيتك فسأصل لك، لا مهرب مني يا حبيبتني"

ابتلعت ريقها بخوف وهي تراه يتقدم نحوها لتبدأ بالبكاء وتتحدث بصوت مرتجي:

"أرجوك ابتعد عني، أرجوك، ماذا تريد مني أكثر من الذي أخذته؟ لقد دمرت حياتي واغتصبتني، ماذا تريد أكثر من ذلك"

بكائها أضعفه وجعله يود لو يقتل نفسه أمامها، كيف يفرط بمحوبته؟ كيف يبكيها؟ كيف يغتصبها بوحشية ولا يشفق لحالتها؟ لا يعلم.

كل ما يعلمه بأنه يود لو أنه يعانقها ويأخذ وجعها ليضعه داخل أعماقه، فليتألم مئات المرات ولا تتألم هي بمقدار ذرة.

ابتلع ريقه ودموعه على وجنته، يبكي لبكائها، يحترق لاحتراقها، ويلعن نفسه على ما فعله بها، لم يندم على أي فعل قام به عدا فعلته بها، نادم أشد الندم على إوجاعها بهذا الشكل القاسي.

كور وجهها بين يديه ليحدثها بهمس:

"أرجوك لا تبكين، أرجوك يا شهيد، للمرة المائة أقولها لك، أعلم أن فعلتي لا تغتفر ولكني نادم، إذا استطعتي مسامحتي فسامحيني، أنا أفضل الموت على أن أراك بهذا الحال، وهذا ما أتيت لفعله، أتيت لكي أموت أمام عينيك، أتيت لكي تنفذيني بي حكم الأعدام بيدك أنت، أنت من يحق لها محاسبتني، لا محاكم ولا قضاة ولا ضباط، فقط أنت هل تسمعي"

حركت رأسها بنفي لتقول ببيكاء:

"لا أريد محاسبتك على أي شيء، لا أريد أن أراك أمامي حتى، فقط اغرب عن وجهي، أنا لا أستطيع النظر بوجهك حتى، لا أستطيع نسيان ما فعلته بي، لا أستطيع مسامحتك، أنت شخص لعين، مغتصب، حقير، ابتعد عن.."

أرادت أن تصرخ بأخر جملتها ولكنه أطبق على فمها قائلاً بهمس:

"أنا لعين وحقير ورخيص، أجل، أنا كل الأشياء الرخيصة، لا يهم، المهم أن تسامحيني، لقد أتيت بقدمي إليك، أريد أن أموت على يديك يا شهدي، أنت من يحق لها محاسبتني فقط، أنت من يجب عليها أن تقتلني، لأجلك أنت أموت وأحترق بجهنم لا يهمني، المهم أن لا أموت على يد شخص سواك، أتيت لكي تصدرين الحكم علي بنفسك، إن قلتي لي مت فسأموت، إن قلتي لي اهرب فسأهرب، إن قلتي لي تزوجني فسأتزوجك"

أنهى جملته ببيكاء وصوت مرتجف وبعينان لامعة ومتلهفة لهذه اللحظة التي إن وافقت عليها فسيكون أسعد شخص في الوجود.

أردف لها بصوت مرتجف ومتأمل:

"تزوجيني يا شهد، دعينا نتزوج، سنتزوج ونهرب بعيداً عن أي شخص يعرفنا، نهرب إلى بلاد أخرى ونعيش أنا وأنت طوال العمر، نأسس عائلة صغيرة ونجلب أولاد يضاهونك بالجمال والحلاوة والرفقة، سأغير لأجلك يا حبيبتي"

شهق بقوة وابتلع ريقه ليردف بلهفة:

"أعلم بأنني قتلت، وأعلم بأنني اغتصبتك ولكننا نستطيع أن نبدأ من جديد، كل شيء من جديد، سنهرب ونبدأ من جديد، وبطريقة صحيحة تعجبك وترضيك، فقط وافقي وأنا سأكون طوع أمرك وعبداً تحت قدميك، سأقضي حياتي كلها أنت تأمرين وأنا أنفذ لك"

كانت تتابع حديثه مغمضة عيناها بقوة وتنتحب بشدة، تحاول تجاهل كلامه وكالعادة تهدأ نفسها على أنه كابوس وستستيقظ منه، ليس وجوده تعتبره كابوس فحسب بل مسألة اغتصابها ولقائها به هو كابوس بحد ذاته وستستيقظ منه.

دفعته وهي مازالت تنتحب ليقبل عليها مجدداً قائلاً بصوت مرتجي مليء بالحسرة والندم:

"ماذا ستقولين عن شخص أعماه الفقر والظلم منذ صغره؟ ماذا ستقولين عن شخص أهلكه الجوع عندما كان طفلاً؟ أنا لم أختار حياتي يا شهد، بل هي فرضت علي فرض، لم أحتلم الفقر لذلك عملت بالأعمال الغير قانونية، سرقت وعملت بأشياء جداً رخيصة فقط لكي أشبع مما حرمت منه في صغري، أولئك الذين قتلتهم هم أثاروا علي وأصبحت مثلهم تماماً، إلى أن علم والدي بكل أفعالي وطردني من المنزل، المجتمع والبيئة هما من لم يقبلاني، والدي لم يحاول أن يصلح حالي نهائياً، فأصبحت أسوأ من ذي قبل، منذ الصغر وأنا لدي عقدة، عقدة النقص من كل شيء، ماذا ستقولين عن طفل تعرض للاغتصاب عندما كان صغيراً؟ شعورك أنت بالحدث تماماً كشعوري عندما تم اغتصابي على يد شابين كنت أعمل معهما في مصنع الكراسي، كنت أعمل منذ صغري وهذا ماجنيه على نفسي، لم أستطع البوح حينها لأنهما كانا يهددانني بالقتل عندها.

صمت لبرهة وهي تتابعه بعينان شاخصة ليردف بحقد:

"إلى أن كبرت، وبعد طرد والدي لي بحثت عنهما طويلاً وقتلتهما، أجل قتلتهما ولم أبالي، هذا هو السبب الأساسي لانحرافي، هما من تسببا بضياعي وأنا قضيت عليهما ولم يرف لي جفن حتى، كنت أتابعهما بتشفي وهما يموتان أمام عيني، لقد أخذت حقي منهما، وها أنا الآن أمامك، لكي تأخذين حقي مني، أتيئك بخيارين لا ثالث لهما، إما أن أموت أمامك أو أن تهربيين معي ونتزوج ونعيش بعيداً عن الجميع"

وكان الكون توقف عندها في هذه اللحظة وعند تلك الكلمات التي خرجت منه، كانت خائفة، مرتابة، تشعر بقلبيها سينفجر إذا ما ابتعد عن ناظرها في هذه الدقيقة، لم تصدق ماتسمعه منه، ولا تريد أن تسمع بالأساس، ما يطلبه منها صعب المنال، لا تستطيع قتله وبذات الوقت لا تريد أن ترى وجهه الذي تبغضه.

شهقت بحدة لتقول:

"اخرج من هنا، لو كنت آخر رجل في هذا العالم لن أتزوجك، اغرب عن وجهي أيها الحقير، كل ما قاسيته في حياتك لا يبرر فعلتك الشنيعة بي ولا يغفر لك عندي"

ابتسم بسخرية وسط دموعه ليوماً بصمت ويخرج مسدسه ويضعه في رأسه تحت انظارها المرتابة والخائفة، تحرك رأسها رافضة بعنف وهي تبكي، أما هو فتتسع ابتسامته ليقول:

"أخبرتكَ أن لا ثالث بينهما، إما أن أموت أمامك وتحت قدميك أو تتزوجيني، وأنتِ رفضتي الخيار الثاني يا حبيبتي"

تحدثت بتلعثم وارتجاف:

"أرجوك لا تفعل ذلك بي، ابتعد فقط، اخرج فقط، لا أريد أن أراك ميتاً ولا أريدك أصلاً، ابتعد فقط، اخرج من حياتي فقط أيها اللعين"

صرخت بأخر جملتها ليقول بجمود:

"سأخرج يا شهدي، ولكن جثة هامة، سأخرج وستتسبن مافعلته بك، ستكملين حياتك من بعدي، وأنا سأموت، سأموت لأجل عيناك، لأجل أن أكفر عن ذنبي، أقسمت أن لا أكون بحياة لستي أنتِ بها، وأن لا أموت سوى بين يديك، أعشقتك يا شهيد، سامحيني"

ضغط على الزناد لتخرج الرصاصة وتستقر برأسه ويسقط على الأرض أمام عيناها جثة هامة كما وعدّها، لتصرخ بذعر، صراخ جعل كل من في المستشفى يدخل عليها يرون ذلك المشهد الفظيع أمامهم. سقطت شهد مغيبة عن الوعي تماماً بجانب سهيل الممدد على الأرض ودمائه تسيل على الأرضية، بينما كل من دخل كان واقفاً متصنماً لهول هذه الرؤية.

وكان الشاعر أبو فراس الحمداني كان حاضراً هذا المشهد بينهما قائلاً:

"رَأَيْتَكَ لَا تَخْتَارُ إِلَّا تَبَاعُدِي

فَبَاعَدْتُ نَفْسِي لِاتِّبَاعِ هَوَاكَ

فَبُعْدُكَ يُؤْذِنِي وَقُرْبِي لَكُمْ أَدَى

فَلَكَيْفَ احْتِيَالِي يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ"

تسير تلك الفتاة في طريقها شاردة الذهن، لا تعلم لما هي حزينة إلى هذا الحد، تصرفات ليث معها قد زادت عن الحد، اعترفت لنفسها بأنها تحبه، ولكن اتضح لها من معاملته معها بأنه لم يعد يحبها كما في السابق، هي قوية وستتخطى هذه المرحلة، هذا حبها الأول ولكن إذا كان الحبيب لا يبالي فلماذا هي ستبالي؟ لن تظهر له مدى وجعها وحنقها من تصرفاته، ستصمد وستقف مكتوفة الأيدي لتراقبه بصمت من دون أي ردة فعل، وأي شيء موجه تمر به بسببه ستتخطاه وستكبت في نفسها ولن تخرج مآساتها لأحد.

زفرت بقوة وأكملت طريقها إلى المنزل، دخلت إلى المنزل لتسمع صوت ضجيج وعلمت بأن هناك ضيوف في المنزل، دخلت إلى غرفة المعيشة وصدمت من ما رآته، فقد كان ليث يجلس برفقة فتاة جميلة، ويجلسان معهما باسل والدة، أخفت كل معالم حزنها وبؤسها، دخلت إليهم ومشت بخطواتها الواثقة ورسمت على محياها ابتسامة واثقة لتلقي عليهما التحية وتجلس بجانب أخيها غير مبالية لوجودهما مع بعض، نظر لها ليث مطولاً ولم يرى أي علامات تدل على أنها منغاضة، حاول أن يغيظها ليقول:

"كيف حالكِ رنيم"

ابتسمت ابتسامة لم تصل إلى وجهها لتقول:

"بخير وأنت"

بادلها الابتسامة ليقول:

"أنا بخير"

حركت رأسها من دون أن تتفوه بكلمة لتسمعه يردف لها:

"أ عفواً لم أعرفكِ هذه مريم، محتمل أن تكون خطيبتي عما قريب، أتوقع بأنني حدثتِك عنها أليس كذلك"

نزلت عليها كلماته كالصاعقة ولكن هذه الفتاة بالتحديد تستطيع أن تخفي ردة فعلها بسرعة كبيرة، كبتت حرقة قلبها لثمهم بابتسامة واسعة وتقول:

"أجل لقد سمعت عنها، أهلاً وسهلاً بكِ يا جميلة ومبارك لكما أتمنى لكما الحياة الهنيئة"

صدم ليث من جوابها ومن ردة فعلها، كان يتوقع بأن تكون ردة فعلها مفاجئة وتحزن وتتملكها الغيرة، ولكنه لم يعلم بأن رنيم أقوى مما يظن، بينما مريم ابتسمت بوجهها ابتسامة ود وشكرتها على جملتها، ظلت رنيم جالسة وهي صامتة لا تتحدث بشيء، تجول الأفكار في رأسها، تعلم بأنه يعتمد إغاضتها ولكن ليس بهذا الشكل السلبي، فهذا الشيء سيؤثر على هذه الفتاة إذا كان بالفعل متعمداً إغاضة رنيم، نظرت له شذراً وقد تملكها بعض الكره

تجاهه، يقوم بنسيان فتاة بفتاة أخرى؟ يحاول إغاضة فتاة بفتاة؟ هل ظننت بأنه قد عقل والتزم ولكن مازال على تصرفاته الصبيانية وهذا لن يناسب رنيم أبداً، لا تنكر بأنها كانت تشعر بالغيرة والغضب ولكنها أخفت كل هذه الصفات تحت قناع البرود واللامبالاة، كانت تهتم به وتشعر بنيران تتأكل في جوفها عندما يتجاهلها وكانت تبين له هذا الشيء، ولكن ليس بعد اليوم، ستصدمه أكثر وأكثر، كلاهما أخطأ بحق بعضهما، كيف ستستخدم هذه الحرب التي شنت بينهما؟ لا أحد يعلم. نهضوا جميعاً إلى مائدة الكعام وتناولوا غذائهم بصمت، ولكن ليث كان بغير عالم، كان بعالم رنيم فقط، ينظر لها بتعجب، هو بالأساس متعجب من ردة فعلها ومصدوم بشدة، تنهد بقوة ونهض من على المائدة فجأة تحت أنظار الجميع المتعجبة من موقفه، نهض باسلاً ورائه بعد دقائق ليراه جالس في الحديقة ويدخن سيجارته، توجه له ليجلس بجانبه ويتحدث بسخرية:

"لقد فشل مخططك أليس كذلك"

نظر ليث له بغضب وحدثه:

"ماذا تقصد"

ابتسم باسل ابتسامة جانبية ليقول:

"ليث عزيزي أريد ان أقول لك شيئاً، أولاً أنا أعلم بأنك تتعمد إغاضة رنيم فقط من أجل أن تشعر بك، وثانياً أعلم بأنك لا تحب تلك الفتاة، فقط تحاول إغاضة رنيم بها، ثالثاً هذا الشيء ليس صحيحاً وليس من شيمك يا ليث لكي تغضب فتاة بفتاة أخرى، رابعاً وهو الأهم هذا الشيء الذي تفعله سيجعلك تافه بنظر رنيم ولن تستطع أن تكسب قلبها، على العكس إذا كان هناك في قلبها ذرة مشاعر ستختفي الآن، لأنها علمت بأنك تحاول إغاضتها وتشعرها بالغيرة، رنيم فتاة لا مبالية وتكبت في قلبها ولا تظهر وجعها، لذلك أرجو أن تجد طريقة أخرى تحاول بها كسب قلب أختي"

أنهى باسل جملته ونهض راحلاً عنه، بينما ليث شعر بتفاهته وغبائه وأحس بأنه قد زاد الأمور عن حدها، لذلك قرر أن يصلح خطأه ولكن ليس هنا وإنما عند عودتهم إلى البلاد، وبما أن علاقته قوية مع ماريًا وهناك مزاح وضحك بينهما سيجعلها تتولى أمره وتسانده بمخططه.

---

كانت جالسة في غرفتها تتضارب الأفكار في رأسها، لم يكن سهل عليها ذلك المشهد في ذلك اليوم، شعور جداً قاسي، كلماته، صوته، حديثه، نظراته، كلها لم تنساها ولم تستطع إخراجها من رأسها.

كانت تريد العقاب له ولكن لا تعلم كيف تعبر عما بداخلها الآن، أرادت أقسى عقاب له ولكن ليس بتلك الطريقة، أن يقتل نفسه أمامها هذه فعلة قاسية وجريئة جداً، وكيف لا! وهو من ذاب بها عشقاً وندم أشد الندم على ما فعله وأراد الغفران منها.

كثيراً قالت أنه لا يهملها أمره وأنها تريد فقط أن يلقون القبض عليه دون أن تراه، أرادت أن يُعاقب أشد العقاب ولكن عندما وُضعت في الموقف أحست أنها تائهة، لأنها لم تكن تريد هذا العقاب له، ربما قيل أن تسمعه كانت حاقدة عليه وتتمنى له الموت ولكن بعد أن سمعته تغير رأبها، ليس به بل بطريقة العقاب.

منذ الحادثة ومنذ أن خرجت من المستشفى وهي شارة، واجمة، لا تُحاكي، ولا تخرج منها كلمة واحدة، ما حدث صعبٌ عليها جداً وصعب نسيانه بسهولة.

لم تعلم ما حدث بعد أن أغمي عليها في ذلك اليوم، فقط عندما استيقظت رأيت من حولها والديها ويوسف وهشام وسمية وأسر وماريا.

لم تكفيها تلك المعاناة لتأتيها معاناة صديقتها أيضاً وتتحسر عليها، تبكي وتشهق من أجلها، علمت بكل شيء حدث لها، لقد حدثها هشام بكل شيء وقد انهارت بالفعل عند سماعها لما حدث لأسيل، ترتجف شفقتها السفلى ببيكاء، تحاول أن تكتم شهقاتها لكن دون جدوى، شعور مؤلم يحدث لها الآن من أجل أسيل ومن أجل مامرت به، تمنت لو أن تلتقي بها وتحضنها بشدة كما في السابق، اشتاقت لها، تريد رؤيتها، دعت ربها بأن يفرج كربها ويحميها أينما كانت وتلتقي بها عما قريب، أمسكت دفترها الصغير لتدون عليه عبارة صغيرة معبرة عن حزنها من أجل رفيقة دربها:

" يا صديقتي إن شعرت بالوجع

وبكيت يوماً، فلا تنسي نصيبي مما يولمك .

ليس عدلاً أن نفرح سوياً

وتتألّم أنت بمفردك

فأنت لست صديقتي

وإنما أختي، تختلف نهايةُ أسمائنا فقط .."

تنهدت بحزن ومسحت دموعها لتسمع طرقات على باب غرفتها وتأذن للطارق بالدخول، دخلت ماريا عليها بابتسامه واسعة لتتقض عليها شهد، احتضنتها ورحبت بها لتجلسان معاً، فرحت شهد بقدم ماريا إليها كثيراً، علماً بأنها هي الوحيدة التي تستطيع أن تخرجها من حالة حزنها من بعد صديقتها أسيل، تحدثت ماريا بمرح:

"كيف حالكِ أيتها الحمقاء؟ ها مابكِ لماذا كنتي تبكين؟ يا إلهي ألم ننتهي من جو الكآبة بعد؟ ابتعدي"

أنهت جملتها وأبعدت شهد لتتمدد على سريرها بأريحية وكان المنزل منزلها وأكثر، ابتسمت شهد وتجاوبت معها لتقول:

"أيتها البلهاء ماذا تحبي أن تشربي"

تنهدت ماريا بقوة لتقول وهي مغمضة عيناها:  
"عصير فريش إذا سمحتي ولا تتأخري رجاء"

عبست شهد لتتحدث:

"لماذا؟ هل ستأتين مرور الكرام وتذهبين"

فتحت عيناها ماريا لتقول:

"لا! سأظل عندك إلى أن يحل المساء لا تقلقي لن أبتعد عنك، أعلم بأنك لا تستطيعين على بعدي حسناً"

تحدثت شهد بسخرية:

"كم أنت متواضعة"

همهمت ماريا لتعتدل بجلستها وتقول:

"إذا ما بك شهدي؟ لما كنتي تبكين؟ ألم تنسين بعد"

تنهدت شهد بقوة لتقول بحزن:

"لقد اشتقت إلى صديقتي أسيل، هي مختفية منذ شهر ولا نعلم عنها شيء"

عقدت ماريا حاجبيها باستغراب لتقول:

"لما لم تبلغون الشرطة"

سردت شهد عليها كل الأحداث التي حدثت مع أسيل، جحظت ماريا عيناها بقوة وشهقت لتقول من بعد ما انتهت  
شهد من حديثها:

"يا إلهي، كل ذلك حدث معها؟ مسكينة"

حركت شهد رأسها بحزن لتقول:

"أجل وأنا أكاد أجن أريد أن اطمئن عليها فقط"

نظرت لها ماريًا بحزن لتقول مطمئنة:

"حسنًا شهدي لا تقلقي بإذن الله ستكون بخير أنا متأكدة بما أنها بطيبتك وأخلاقك فإن الله سيقف بجانبها صدقيني"

ابتسمت لها شهد ابتسامه واسعة لتحدثها بمرح:

"أين المخدرات إذًا"

شهقت ماريًا وصفقت بمرح لتقول:

"أجل أجل لقد جلبت الكثير معي سأخرجهم من حقيتي انتظري"

أخرجت ماريًا من حقيبتها كيس مليء بأنواع الشوكولا والتسالي، وسعت شهد عيناها من كثرة ما تراه لتقول بصدمة:

"أيتها الحمقاء ما كل هذا؟ إنهم كثيرون يطعمون قبيلة"

حركت ماريًا رأسها لتقول بمرح:

"أجل أجل أنا وأنتِ القبيلة"

ضحكت شهد عليها لتهز رأسها ببيأس على تصرفاتها، بدأت الفتاتان بتبادل الشوكولا وأكلها، صدح صوت رنين هاتف ماريًا لترى المتصل ويكون أخاها، أجابت على هاتفها وهي تمضغ ما في فمها لتقول:

"ماذا تريد"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"أيتها الغبية ماذا تأكلين؟ وماذا تفعلين؟ وأين أنتِ ها"

ضحكت ماريًا لتقول:

"اهدأ يا رجل مابك كل هذه أسئلة؟ حسنًا أنا عند شهدي وأنا وهي جالستان ونأكل الشوكولا الآن"

ابتسم يوسف ابتسامه بلهاء ليقول:

"هل يمكنني المشاركة"

ابتسمت ماريًا ونظرت لشهد التي كانت مشغولة بالأكل لتقول:

"أجل لا مانع ولكن انتظر لأخذ رأي شهد أولاً"

تحدث يوسف بسرعة:

"انتظري أيتها الحمقاء كنت أمزح، بالمناسبة كيف حالها"

هممت ماريًا لتقول:

"مم بخير وبأحسن حال هيا انصرف يافتى"

تحدث يوسف بغيظ:

"انتظري قليلاً ما بكِ على عجلةٍ من أمركِ"

زفرت ماريًا لتقول بحنق:

"أجل ليس لدي وقت لأنني جالسة مع شهدي، وغير ذلك سيجوز الغداء بعد قليل، أليس كذلك شهدي أريد الطعام هيا"

نظرت لها شهد بصدمة لتقول بصوت مسموع ليوسف نوعاً ما:

"ولكنني لم أدعوكِ على الغداء، هيا انصرفي إلى منزلكِ، دعي أخاكِ يطعمكِ"

شهقت ماريًا بعيون جاحظة، بينما يوسف ضحك عليها بشدة، تحدثت ماريًا بغيظ:

"يا لكِ من بخيلة يا فتاة، كنت أريد أن أزوجكِ لأخي ولكنني غيرت رأبي"

عضت شهد على شفتها السفلى بخجل وتجاهلت كلامها لتردف ماريًا بضحك:

"طماطم، طماطم"

ضحكت الفتاتان بينما يوسف كان يسمع كل شيء وعض على شفته السفلى بابتسامة، تحدثت ماريًا مع يوسف من بين ضحكاتهما:

"حسناً هيا انقلع، أريد أن أجلس مع شهدي، لا تسبب لي الصداع"

تحدث يوسف بغیظ:

"أصبحت الآن أسبب لك الصداع؟ حسناً كما تريدين ولكن لا تطلبي مني قرشاً واحداً بعد اليوم"

تحدثت ماريا باندفاع:

"حسناً كما تريد ولكن لن أزوجك بها أبداً وسأقول لها عن كل مصائبك"

شهق يوسف بقوة وخوف ليقول بسرعة:

"ماريا عزيزتي لا لا أرجوك أتوسل إليك اصمتي، حسناً سأفعل ما تشائين وأعطيك نقوداً كثيرة حبيبتني فقط اصمتي حبيبتني أنت"

هممت ماريا وتحدثت بتعالی:

"مم حسناً لا تنسى أن تأتي لتجلبني من عندها في المساء والآن هيا انصرف"

اغلقت الهاتف بوجهه وابتسمت ابتسامة مكر، بينما شهد تآكل الشوكولا وتنتظر لها ببلاهة، نظرت لها ماريا لتعتقد حاجبها باستغراب من منظر شهد لتقول:

"هياي ما بك يا حمةاء"

تحدثت شهد ببلاهة:

"ها"

ضحكت ماريا بقوة لتقول:

"واضح بأنه ليس بمفرده واقع في الحب"

عقدت حاجبها باستغراب:

"من هو؟ وماذا تقصدين؟ أنا لا أفهم"

تحدثت ماريا بيأس:

"حسناً حسناً ستفهمين فيما بعد، والآن هيا انهضي لنجهز الغداء أنا جائعة جداً هياااا"

حركت شهد رأسها موافقة لتنهض بناء على طلب ماريا لتتجهأ إلى المطبخ.

-----

بينما يوسف عندما أغلقت ماريا الهاتف بوجهه نظر للهاتف بعيون جاحظة وحدث نفسه:

"يا إلهي ماذا سيحدث إذا قالت لها شيء؟ أعني يارب"

تنهد بقوة وأرعى بجسده على الأريكة ليرسم صوت هاتفه يرن، ظن بأن ماريا من تتصل ولكن خاب ظنه ليكون آسر، أجابه يوسف فوراً:

"أهلاً أيها البارد اللعين"

تنهد آسر بحنق ليقول:

"لما لم تأتي إلى الفرع"

حك مؤخرة رأسه ليقول:

"مم لا شيء فقط ليس لدي مزاج، ما رأيك أن نسهر اليوم"

أجاب:

"حسناً ولكن في بيتي، لا أريد الذهاب إلى الملهى"

تحدث يوسف:

"حسناً لا مانع، أراك في المساء"

أنهى مكالمته وتنهى بعمق، لا يعلم ما الذي أصابه في الفترة الأخيرة، هو حتى أنه لا يعلم بمكوث أسيل عند أسر في السابق، ولكنه يريد أن ينفذ اليوم ويقوم باستجواب أسر ليعلم بكل شيء، كونه لم يقبل أن يتفوه بحرف ولا أن يشكي همه ليوسف لذلك سيتصرف يوسف بطريقته الخاصة.

-----

حل المساء ليذهب يوسف إلى أخته ويجلبها من عند شهد، وقلبه يكاد ينفجر من شدة شوقه لها، دعى بسره أن يراها، مر على موضوع انتحار سهيل وخروج شهد من المستشفى أسبوعين تقريباً، ولم يرى ظلها بهذه الفترة، لذا هو مشتاق لها كثيراً، وصل يوسف إلى جانب المنزل ليقوم بمهاتفة أخته لتقوم بتوديع شهد وتهبط فوراً إلى أخيها الذي ينتظرها وكله أمل بأن يلتقي بشهد أيضاً، ما إن رأى يوسف ماريا تتجه نحوه بمفردها حتى أحبطت جميع آماله وتنهى بغيظ، وقفت أمامه ماريا لتقول بابتسامة:

"أيها الأحمق لما تقف عندك؟ هيا اركب"

تحدث يوسف بغيظ:

"لما لم تنزل معك شهد"

عقدت ماريا حاجبها لتقول:

"ولماذا تنزل ها"

تنهد بقوة ليقول:

"لا شيء هيا اركبي"

ركبا بالسيارة لينطلق يوسف متوجهاً إلى المنزل، تحدث يوسف بتلقائية:

"مم ماذا فعلتما ها كيف قضيتما يومكما"

ابتسمت ماريا وتحدثت بحماس:

"استمتعنا كثيراً، لقد تناولنا كل أنواع التسالي وأيضاً تناولنا الغداء يا إلهي طبخ والدتها لذيذ جداً، وأيضاً جلسنا نشاهد الممثلين الوسيمين وضحكنا كثيراً، استمتعنا اليوم كثيراً"

همهم يوسف بغیظ ليقول:

"ولما لم تدعوني ها"

تحدثت ماريا بغرور:

"لإننا لا نريدك بيننا، أنت شاب ونحن فتيات لا يجب عليك أن تجلس معنا"

نظر لها يوسف بحنق ليقول:

"غبية"

تحدثت ماريا بغیظ:

"بقرة"

تحدث يوسف ببرود:

"قردة"

تحدثت ماريا:

"ديناصور"

جحظت عينان يوسف ليقول:

"ألم تجدي سوى الديناصور لتشبهيني به مختلة عقلياً يا فتاة"

تنهدت ماريا بقوة لتقول:

"أتمنى أن تنقرض مثلهم"

تحدثت بغیظ:

"اصمتي فقط"

ضحكت ماريا لتزيد من غيظه بينما يوسف أردف لها قائلاً:

"بالمناسبة ليث وباسل ورنيم سيعودون إلى البلاد بعد فترة قصيرة لقد حدثوني البارحة"

نظرت له ماريا بقوة لتقول:

"أها جيداً"

نظر لها يوسف ليقول:

"أجل وسيعودون ليستقرون هنا لن يعودوا ويغتربوا"

ماريا:

"واووو"

تحدث يوسف:

"ألم تفرحي بهذا الخبر؟ رنيم صديقتك ستعود يا حمقاء"

تحدثت ماريا بحماس:

"أجل أجل وسأعرفها على شهد ونصبح أصدقاء يهووو"

ضحك يوسف عليها ليقول:

"أجل هذا جيد"

تحدثت ماريا بتوتر:

"مم ألم يتزوجا بعد؟ أقصد ليث وباسل"

نظر لها يوسف نظرة شك ليقول:

"لا ليس بعد"

همهمت ماريا بتفهم ليعقد يوسف حاجبيه ويردف لها:

"ألا نتحدثين مع رنيم"

تحدثت ماريًا:

"لا لم نتواصل منذ مدة"

تنهد يوسف ليقول:

"أجل عندما تعود ستقرفاني حياتي، أنا واثق"

ضحكت ماريًا وتحدثت من بين ضحكاتهما:

"بالمناسبة شهد تبعث لك بسلام كبير"

تحدث يوسف بسرعة وحماس:

"حقاً؟ إذا ماذا قالت لك عني؟ هيا قولي لي حبييتي"

عقدت حاجبيها لتقول:

"لم تقل شيء فقط بعثت لك سلام"

نظر لها بطرف عينه وتنهد بقوة ولم يتحدث بينما هي نظرت له بشك لتقول:

"يارجل لما تتعب نفسك؟ هيا اعترف وقل بأنك تحبها هيا هيا"

تحدث ببرود:

"أجل وهل لديك مانع"

تحدثت بحماس وابتسامة:

"على العكس أنما تليقان لبعضكما، ولكن انتبه جيداً إذا بقيت تعذبني وتشتمني سأحدثها بكل شيء عنك وعن علاقاتك يا زير النساء أما إذا كنت جيداً معي سأساندك وأقنعها بك"

جحظت عيناه ليتحدث بغيط كبير:

"أيتها الحمقاء لا تهدديني هل فهمتي؟ حبييتي ماريًا لا تفشلي مخططاتي أنا ظريف ووسيم واستحق كل خير أليس كذلك"

نظرت له ماريًا بطرف عينا لتتحدث ببرود:

"أجل أجل أعلم"

تحدث يوسف:

"حسنًا إذا ستساعديني أليس كذلك"

تحدثت ماريًا بابتسامة مغرورة لتقول:

"ستنفذ لي جميع طلباتي أولاً"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"وماهي طلباتك إذا"

تحدثت ماريًا بحماس:

"أريد أن أذهب إلى الولايات المتحدة وأتجول بها وأقوم بزيارة عمك وزوجته أرجووك"

تحدث يوسف بحماس:

"اسمعي إذا وافقت شهد على خطبتي لها سأخذك أنتِ وهي وهذا وعد"

قفزت ماريًا بحماس لتقول:

"حقاً؟ سأجعلها توافق بالغضب، هيببي سأسافر سأسافر"

تحدث يوسف بنفس نبرتها الحماسية ليقول:

"هيببي سأخطب سأخطب"

انفجرا الأخوين ضاحكين وظلا على حالهما إلى أن وصلا إلى المنزل، كانت ماريًا تشعر بالتعب والنعاس ألقت على أخيها التحية وتوجهت إلى غرفتها لتأخذ حماماً ساخناً وتنقض على سريرها بتعب بالغ، بينما يوسف جلس قليلاً سارح الذهن، كله أمل بأن توافق شهد بأمره، ولكن ماذا إن لم توافق؟ ماذا سيكون موقفه عندها؟ وكيف سيواجه الأمر؟ تنهد بقوة ودعى لربه بأن توافق وتصدق مشاعره تجاهها ولا تصده أبداً.

-----  
التفت للساعة ليجدها قاربت على الحادية عشر ليلاً، نهض وغير ملبسه وتوجه إلى منزل أسر ليسهران سوياً  
كما اتفقا، هبط يوسف من سيارته ودخل إلى المنزل ليرى أسر يجلس بغرفة المعيشة وبيده كأس الخمر وهو  
شارد الذهن، توجه له يوسف ليلقي عليه التحية ويجلس ويتحدث:

"ما بك يارجل؟ لما تجلس هكذا كئيب وشارد الذهن"

ابتسم أسر ليتحدث بجمود:

"لا شيء، كيف حالك أنت وحبيبة القلب"

عقد يوسف حاجبيه ليقول بحنق:

"هل تقصد شهد"

ابتسم أسر ابتسامة جانبية ليقول:

"ومن غيرها"

تحدث يوسف بتهيدة:

"لا أعلم ما بك ولا أعلم إذا كنت في وعيك ولكن لن أدخلك بهذا الموضوع أو أحدثك عنه"

ضحك أسر بقوة ليقول من بين ضحكاته:

"يارجل يبدو بأنك أخذت القصة جدياً، حسناً أهنئك ولكن ليس من قلبي"

عقد يوسف حاجبيه وقد علم بأن أسر ليس بوعيه وهذه نقطة لصالحه لكي يعلم مابه، تحدث يوسف بتلقائية:

"أسر هل أنت ثمل"

ابتسم أسر ليقول:

"لا بل أنا في كامل وعيي"

تحدث يوسف بترقب:

"لا يتهياً لي ذلك"

تحدث أسر بقليل من الثمالة:

"اصمت واهتم بأمر تلك الفتاة، إنها جيدة أجل، كونها صديقة أسيل فهي جيدة أنا واثق، لا يجب عليك التفريط بها"

رفع يوسف حاجبه ليقول بترقب:

"هل أنت واقع بالحب أسر؟ ومن أين لك أن تعرف صديقتها أسيل"

نظر أسر له بعدم وعي ليتحدث بثمل وهو يرتشف من كأسه:

"أجل أعرفها ولكن أنا أحقد عليك"

تعجب يوسف من حاله ليقول:

"ولماذا؟ ماذا فعلت لك"

تحدث أسر بضياح:

"لإنك أنت ترى محبوبتك بينما أنا لا أرى محبوبتي، أنا أحقد على كل شخص يحب ويرى محبوبته، وأحسد كل شخص سعيد مع حبيبته، أكرههم جميعاً"

نظر يوسف له بصدمة ليقول:

"هل أنت واقع لتلك الفتاة التي تدعى أسيل"

حرك أسر رأسه بإيجاب وابتسامة بلهاء ليقول:

"أجل واقع لها، أنا لا أحبها بل أعشقها"

مازالت الصدمة مسيطرة على يوسف ليتحدث بترقب:

"قل لي أين رأيتها ها؟ وكيف عرفتها؟ أنت لم تلتقي بها سوى مرة واحدة وهي في الفرع، إذاً من أين لك أن تقع لها"

ضحك أسر بشدة على حاله وحال صديقه، كونه لا يعلم شيء عن ما حدث، وعن ما كان يخفيه أسر عنه، كان ثمل بكل معنى الكلمة، لا يعي شيء من ما يقوله، ولكن كل كلمة خرجت منه كانت من داخل أعماق قلبه بحق أسيل وعشقه لها، كان يتحدث بثمالة بكل شيء حدث، حتى عن قبلته الأولى مع أسيل حدثه بها، بينما يوسف كان يسمعه بتربق واهتمام، تملكته الصدمة بحق، كونه أسر لم يقل له شيء والآن يوسف يسمع كل هذا، فهذه صدمة بحد ذاتها، كان يستدرجه بالكلام ويسحب منه الكلام بما أنه ثمل، وكلنا نعلم عندما يثمل الشخص يتحدث بكل شيء داخل قلبه بصدق ومن دون وعي، شعر يوسف بالضياح والحزن على صديقه لأنه علم من نبرة أسر بأنه تملكه الحزن ببعده عنها، تنهد يوسف بقوة وتحدث:

"حسناً أسر، لما تركتها تسافر إذا كنت تحبها"

تحدث أسر بثمالة:

"لأنني أحبها"

ابتسم يوسف بسخرية ليقول:

"ألم تقل لي بأنك لا تؤمن بالحب وليس لديك أية مشاعر"

همهم أسر وتحدث:

"أجل ولكنها هي جعلته ينبض بأسمها، هي عادت وزرعت من جديد بحبها"

ارتشف يوسف رشفة من كأسه وتحدث:

"حسناً إذاً قل لي بماذا تشعر الآن؟ وماذا تريد منها"

تحدث أسر بضياح وثمالة:

"لا أعلم أريدها هي فقط يوسف، أنا أحبها وأريد كل شيء منها، أريد أن أتزوجها وتصبح لي وحدي، لا أعلم لما تصرفت بغباء وتركتها تسافر ولكن أنا حقاً أحبها، لا أكذب عليك أقسم أنني أحبها، حتى قبلتها كانت كالدواء لكل الآمي، جعلتني أحلق بالسماء وأطير من الفرحة، يوسف أنا أريدها أنا لم أعد أحتمل بعدها عني"

أنهى جملته لتتجمع الدموع في عيناه، نظر له يوسف بتعجب وصدمة ورمش عدة مرات، ابتلع يوسف ريقه عندما رأى بأن أسر قد زاد بتصرفاته عن حده، فقد كان أسر يحطم ويكسر كل شيء أمامه، حاول يوسف تهدأته ومنعه عن فعل هذه الفوضى العارمة ولكن أبداً، لم يستطع على الإطلاق، فقد كان أسر كالثور الهائج لا يستطيع أحد أن يهدأه، أُجبر يوسف على لكم أسر لعل وعسى يهدأ من موجة غضبه وهذا ما حدث، ما إن لكمه حتى ترنح ووقع أرضاً، جلس يوسف أمامه وبدأ يهدأه قليلاً، زفو بقوة ليقول:

"حسناً فقط اهدأ، ستأتي إليك صدقتي، ولكن يجب عليك أن تقول لوالديها كل شيء، هكذا ستحصل عليها وتزوجها أيضاً"

أنهى جملته بابتسامة ليحدثه أسر ببرود:

"ولكنها اليوم طلبت مني التحدث إليها ولم أحدثها، هي ستكرهني ولن تقبل العودة لي، أنا متأكد هي لا تحبني"

أجابته يوسف:

"حسناً ولكن يجب عليك أن تحدث والديها بكل شيء وتعلمهما بأن ابنتهما موجودة بتركيا وتدخل بينهم واسطة خير إذا كانا لا يريدانها فستقتنعهما أنت بطريقتك، ومن بعدها ستعود إلى هنا وأساعدك باسترجاعها وهذا وعد مني"

حرك رأسه بإيجاب ولم يتحدث بشيء، بينما يوسف ظل ينظر له بحزن، ابتسم بسخرية على نفسه لأن حاله كحال أسر تقريباً، كونه يعاني هو أيضاً من أجل شهد، لا يعلم أيواسي نفسه أم يواسيه، ولكنه لن يتركه وسيقف بجانبه.

ساعد أسر على النهوض لأنه مازال ثمل نوعاً ما، توجه به إلى غرفته ليمدده على سريريه ويقوم بتغطيته ويخرج من غرفته تاركاً إياه ينعم بالنوم، بينما أسر ظل يحرق بالفراغ وهو يراجع ذكرياته معها، تذكر عندما حدثها ببرود بموضوع السفر وجعلها ترحل ولم يأبه لحالتها وتركها بمفردها.

يشعر بروحه تسلب منه، ندم أشد الندم عندما تركها تبتعد عنه، أجل ندم وسيندم إلى آخر عمره إذا لم يستطع إرجاعها، ولكن هل ينفع الندم عندما يجف القلم؟ رفعت الأقلام وجفت الصحف.

-----

تململ أسر بفراشه لتقابل عيناه ضوء الشمس، انزعج من الضوء القوي الذي يضرب على عينيه، حاول فتح عينيه مجدداً ونهض من على سريريه، أحس بدوار شديد وصداع قوي فور وقوفه، عاد للجلوس مرة أخرى وهو يدعك جبينه بأصابع يديه وهو عاقد الحاجبين، كان يحاول أن يتذكر أحداث أمس، ولكنه لم يتذكر سوى وجود يوسف بجواره، تنهد بقلّة حيلة وتحامل على نفسه ليعاود النهوض ويتجه إلى الحمام ليأخذ حماماً بارداً يريح أعصابه فيه، خرج من الحمام بعد قليل ليرتدي ثيابه وهو زيه العسكري، بينما كان يرتدي البذلة حتى عاد ليراجع أحداث أمس وقد تذكر بأنه تحدث عن أسيل أمام يوسف، عقد حاجبيه بانزعاج وجلس على سريريه

يحاول أن يتذكر أكثر، أخرج هاتفه ليهاتف يوسف ولكنه تراجع على الفور ولم يرد أن يفتح معه قصة البارحة من جديد، تنهد بانزعاج وأكمل ارتداء بذلته ليتجه إلى الأسفل بسرعة، قابله منظر البيت المليء بالفوضى والزجاج المكسور والمتناثر على الأرض، عقد حاجبيه باستغراب وحدث نفسه بأن يوسف مؤكد لن يفعل هذه الأفعال، مسح وجهه بيده وبدأت أنفاسه تتسارع وكرر قبضته بغضب وتنهد بقوة ليخرج إلى الحديقة، تحدث مع أحد الحراس بصوت حاد:

"لما كل تلك الفوضى في الداخل؟ من افعل ذلك"

ابتلع الحارس ريقه بخوف من حديثه ليقول بتقطع:

"سيدي أنت من افعل كل تلك الفوضى البارحة لأنك كنت ثمل"

رفع أسر حاجبه ليحدثه بغضب:

"وماذا حدث"

تحدث الحارس بتوتر:

"أنا لا أعرف شيء بإمكانك أن تسأل السيد يوسف هو من كان معك طوال السهرة"

حرك أسر رأسه بإيجاب و حدة، تنهد بحنق وقرر بأن يتحدث مع يوسف عندما يصل إلى الفرع، كان يعتصر عقله فقط من أجل أن يتذكر الأحداث كاملة ولكن دون جدوى، فهو لم يتذكر سوى وجود يوسف معه، انتشله من شروده حركة من أحد صغير، وجه نظره للأرض نوعاً ما ليرى طفل صغير يشد بنطاله ليطلب منه شيئاً ما، نزل لمستوى رامز الذي كان ينظر له نظرة بريئة، ذلك الصغير الذي تحبه أسيل، حدثه أسر بحاجبين معقودين:

"ماذا تريد رامز"

تحدث رامز ببراعة:

"أريد أسيل"

نظر له أسر بحزن وتنهد بقوة ليقول:

"أسيل ذهبت ولكن أعذك بأنني سأرجعها إلى هنا لكي تلعب معها اتفقنا"

انهى جملته بابتسامه لم تصل لعيناه ليبادلها هذا الصغير الابتسامه ويتحدث بطفولية:  
"اتفقنا ولكن لا تتأخر بجلبها لإنها زوجتي"

عقد أسر حاجبيه ليقول:

"ومتى تزوجتها"

حرك الطفل رأسه نافياً ليقول:

"لا لم أتزوجها ولكنها قالت لي عندما أكبر وأصبح شاب وسيم مثلك سأتزوجها"

نظر له أسر بقوة ليقول:

"هل قالت لك عني أنني وسيم"

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"أجل كانت تقول لي بأنك وسيم ومغرور وبارد وهي لا تحب ذلك"

نظر له بقوة ومن بعدها ابتسم له ليقول:

"أها حسناً أعدك عندما تأتي لن أعد مغرور وبارد"

ابتسم له الطفل ليقول:

"أجل وأنا سأتزوجها لن أنتظر إلى أن أصبح شاب"

عقد أسر حاجبيه وتنهى بحنق ليقول:

"مازلت صغيراً أيها الطفل هيا اذهب إلى والدتك"

عبس الصغير بوجهه ليقول بنبرة طفولية غاضبة:

"سأذهب ولكن عندما تأتي سأتزوجها وستكون أنت السائق الخاص بنا لتوصلنا إلى منزلنا"

أنهى الطفل جملته ومد لسانه ليغيظه ومن بعدها ركض بسرعة إلى والدته، بينما أسر جحظت عيناه وتملكه الغيظ من ذلك الطفل، تمتم أسر بخفوت:

"طفل جني"

تنهد أسر بحنق واتجه إلى سيارته ليتوجه فوراً إلى الفرع لينهي تلك القضية التي بين يديه ويحدث يوسف بشأن البارحة، فضوله وحنقه سيجعلانه مضطر لإن يتحدث مع يوسف بما حدث ليلة أمس.

-----

بينما عند ماريّا في المنزل، تجلس تلك الفتاة تتأفّف بضجر وملل، تقدم يوسف إليها وهو يحضر نفسه للذهاب إلى دوامه، ألقى عليها تحية الصباح وجلس معها قليلاً، شعر بأنها على غير عاداتها، تحدث بتلقائية:

"ما بك؟ كأنك تشعرين بالملل أليس كذلك"

نفخت خديها بغضب لتقول:

"أجل"

همهم يوسف ليقول:

"حسناً اذهبي إلى شهد ستشعرين بتحسّن المزاج أنا واثق"

نظرت له ماريّا بحاجب مرفوع لتقول:

"يا لك من واثق، تريدني أن أذهب إليها كي توصلني أنت لعل وعسى ترى طيفها أليس كذلك"

جال يوسف بنظره بأرجاء الغرفة ولم يتحدث، ابتسم لها ابتسامة بلهاء، نظرت له ماريّا وضيقّت عينها لتقول:

"لقد هاتفتها ولكنها لا تجيب على الهاتف أنا قلقة عليها"

تملكه يوسف الخوف ليتحدث بقلق:

"لماذا؟ ما بها ها"

تحدثت ماريّا بتنهيذة قوية:

"كانت حزينة البارحة، لقد فقدت صديقتها، هي لا تعرف عنها شيئاً منذ شهر، مسكينة لقد تعذبت كثيراً هذه الفتاة وتدعى أسيل"

نظر لها يوسف باهتمام ليقول:

"لماذا؟ حدثيني ماذا حدث لها"

سردت عليه أحداث القصة كاملة بينما يوسف كان يحاول ربط جميع الأحداث، كان يستمع لها بتركيز واهتمام، لم يختلف حديثها عن حديث أسر في ليلة أمس، انتهت ماريما من سرد القصة ليهمهم لها ويقول:

"حسناً هل تريدان أن تساعدني شهد"

نظرت له ماريما بحاجبين معقودين لتقول:

"أجل بالتأكيد"

تحدث يوسف بإيجاب:

"حسناً هاتفيها ودعيها تأتي إلى هنا، أريد أن أتحدث معها بموضوع مهم جداً"

صدمت ماريما مما يقوله لتقول باستغراب:

"ولكن أنت كيف ستحدثها؟ وماذا تريد منها"

تحدث يوسف:

"أيتها الحمقاء ستعلمين في وقت لاحق فقط قولي لها بأن يوسف يريد أن يحدثكِ بشأن أسيل وأنا واثق بأنها ستأتي"

هممت ماريما لتقول:

"ولكن هل أنت حقاً تعرف أسيل وستحدثها بشأنها"

تحدث يوسف بضجر وقد نفذ صبره من مجادلة شقيقته ليقول وهو متوجه إلى الباب:

"أجل هذا صحيح، سأذهب إلى الفرع لأرى أسر، عندما تأتي هاتفيني"

-----

خرج يوسف من المنزل ليتجه إلى الفرع فوراً، صدح صوت هاتفه ليرى اسم أسر على الشاشة ويجيبه:  
"صباح الخير"

تحدث أسر ببرود:

"صباح الخير، أين أنت؟ أريدك في موضوع مهم"

ضحك يوسف ليقول:

"بل أنا الذي يريديك في موضوع مهم، أنا في طريقي للفرع انتظرنى سآتي إليك"

أنهى مكالمته وتوجه إلى الفرع بأقصى سرعة، هبط من سيارته ليتوجه إلى مكتب أسر فوراً، دخل يوسف على أسر الذي كان يريح بجسده على الكرسي وشارد الذهن، تنهد يوسف وجلس أمامه ليتحدث:

"ما بك"

تنهد أسر بقوة ليقول:

"ماذا حدث في أمس"

ابتسم يوسف ابتسامة جانبية ليقول:

"لا شيء فقط ثملت جداً وبدأت تتحدث عن أسيل محبوبتك وحطمت كل شيء بالمنزل فقط هذا"

نهض أسر من مكانه ليجلس بمقابلة يوسف ويتحدث باهتمام:

"ماذا قلت عن أسيل؟ حدثني بكل شيء هيا"

تنهد يوسف بقوة ليسرد له كل أحداث ليلة أمس، بينما أسر تسمر بمكانه من هول ما سمعه، لم ينقص يوسف حرفاً واحداً عليه، بل فضل أن يحدثه بكل شيء ليضع حداً لهوسه بهذه الفتاة ويحرك نفسه قليلاً ليحل هذه

المشكلة ويريح قلبه، ظل أسر يستمع إلى أن انتهى يوسف من حديثه، تعجب يوسف من بروده ونظرته الباردة ولكنها لا تنم على الخير أبداً، أردف يوسف:

"أسر يجب أن ترجع الفتاة إلى والديها، لا يجب عليك أن تبقىها بعيدة عنهما، بإمكانك الذهاب لوالديها أو اجلبهما إلى هنا وحدثهما بشأنها هما أحق بها، يجب أن يطمئننا عليها"

تنهد أسر بحنق ليتحدث:

"أجل أعلم ولكن إذا حدثتھما عنها سيأخذانها"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"وما المانع؟ هما والديها ولقد سمعت من ماريا بأن شهد ووالدا أسيل قلقان عليها جداً ولا يعلمان عنها شيء، وغير ذلك لقد علما بكل شيء من زوجها السابق، هو الذي قال لهم الحقيقة"

صدم أسر من ما سمعه ليقول:

"ماذا قال لهم؟ وأية حقيقة قالها"

تنهد يوسف ليتحدث:

"يارجل لقد حرق الرجل الذي دخل لغرفتها من أجلها هي فقط، غير ذلك لقد فضح زوجة أبيها لـ أسيل وقام بإعطاء شريط لوالدها وهي بأحضان خال أسيل"

رمش أسر عدة مرات ليقول بعدم استيعاب:

"لقد وضعت، لم أعد اركز بشيء، حسناً والآن أين هو زوجها"

حرك يوسف رأسه نافياً ليقول:

"لا أعلم عنه شيء، ولكنه قال بأنه سيسلم نفسه للشرطة وغير ذلك لقد كشف أمر مالك الذي يهرب المخدرات وسلمه للشرطة وحكم عليه مدة عشر سنوات"

عقد أسر حاجبيه ليقول:

"ومن هو مالك"

أجاب يوسف:

"خال أسيل"

همهم أسر ليقول:

"حسناً وماذا عن الجثة التي احترقت؟ كيف سنعلم مكانها؟ وكيف سنعلم بمكانه هذا"

تحدث يوسف بنبرة ذات مغزى:

"لا أعلم ولكن يجب أن نجده فوراً وإلا من الممكن أن يجد أسيل ويأخذها"

نهض أسر وانتفض بغضب ليقول:

"سيكون هذا آخر شيء يفعله في حياته إذا تجرأ على لمسها حتى"

ابتسم يوسف ابتسامة جانبية ليقول:

"حسناً ما بك ولما غضبت هكذا؟ أسر الموضوع خطير جداً يجب عليك أن تقول لوالديها كل شيء وتأخذهما إليها أو تبعثها إليهما"

شعر أسر بالضياع لا يعلم كيف سيقابلها وبأي وجه، وتملكه الخوف من فكرة أن تعود لوالديها ولكن يجب أن يفعل ذلك الشيء لمصلحتها ولأجلها أيضاً.

---

بينما في منزل يوسف، تجلس شهد وهي مشغولة البال، قلقة، حائرة، كلها شوق لمعرفة الأخبار عن صديقتها الوحيدة، نظرت لها ماريا لتقول:

"شهدي ما بك"

تنهدت شهد لتقول:

"لا شيء، أين اخاك؟ لما لم يأتي"

ضحكت ماريا لتقول:

"هل اشتقتي له"

احتقن وجه شهد لتقول بغضب:

"أيتها الغبية أريد أن أراه من أجل صديقتي"

تحدثت ماريا بغباء لتقول:

"اهااا إذا صديقتك اشتاقت له"

صرخت شهد بها ورمتها بالوسادة لتضحك عليها ماريا بقوة، تحدثت ماريا:

"اهديني شهدي سيأتي هو مشتاق لك بصراحة"

تأففت شهد بضجر لتقول:

"ألن تكفين عن المزاح بعد"

تحدثت ماريا ببراءة:

"لا أنا لا أمزح أبداً، هو مشتاق لك ويريد أن يتزوجك أيضاً لأنه يحبك"

صدمت شهد من ماسمعه لتقول:

"اصمتي وكفالك مزاح، لست أنقصك"

تحدثت ماريا بحنق:

"لما لا تصدقيني؟ هو حقاً يحبك ويريدك أيتها الحمقاء، أخي وسيم جداً ومحبوب وظريف ولن تلتقين بأحسن منه، وسيصبح لديك أخت زوج مجنونة جميلة وطيبة، ها ما رأيك"

نظرت لها شهد وابتسمت ابتسامة مصطنعة ولم تجب، لاحظت ماريا نفورها وهدوئها لتقول:

"شهدي هل انزعجتني مني"

نظرت لها شهد لتقول:

"لا أبدأ ولكن بالي مشغول على آسيل"

هممت ماريا وفهمت منها بأنها تتهرب من القصة وقد علمت لماذا، ولكنها لم ترد أن تضغط عليها، ستحاول إقناعها عندما يحين الوقت، بينما شهد كانت كلمات ماريا كافية لكي توقظ بها المشاعر المختبئة بداخلها تجاه يوسف، ابتسمت بسرها ابتسامة سخرية على نفسها، وعلى من تكذب فهي الآن مغتصبة وتشعر بنفسها ناقصة ذلك لا للحب، ولا للمشاعر، ولا للزواج بالنسبة لها، انتشلها من شرودها صوت يوسف ليحدثها بابتسامة:

"كيف حالك شهد؟ مابك لما شاردة الذهن"

ابتسمت له وتحدثت بارتباك:

"مم لا شيء أنا بخير"

حرك رأسه موافقاً ولم يتحدث بل ظل يتفرس ملامح وجهها بقوة، والآن تطيب كل أوجاعه، مجرد رؤيته لها جعلته يخلق في سابع سماء، بينما هي كانت تتجاهل نظراته لها، وماريا كانت تجلس بينهما كالإلهاء تنظر لهما اثناهما وكلاهما صامت، حاولت شهد أن تكسر الصمت وتجعل يوسف يكف عن التحديق بها لتقول:

"مم حضرة الضابط لقد قالت لي ماريا بأنك تريد أن تحدثني بشأن صديقتي، مم أين هي؟ هل تعلم عنها شيء"

تحدث يوسف بابتسامة صغيرة:

"لا داعي لإن تقولي حضرة الضابط، قلت لك من قبل أليس كذلك يا شهد"

نظرت له وابتسمت ابتسامة مصطنعة وحركت رأسها بإيجاب، ظل ينظر لها ولم يكف عن التحديق بها، انتبه لنفسه لينظر لماريا التي كانت تنظر لهما ببلاهة، حرك رأسه بمعنى اذهبي لتتنظر له بغیظ وتدعي البراءة وتقول:

"شهدي سأذهب لأحضر الغداء لن أتأخر"

حركت رأسها بتوتر ولم تتحدث، ظلت تحديق بالأرض لتنتبه إلى يوسف الذي اقترب وجلس بقربها ليتحدث باهتمام:

"شهد من أجل موضوع صديقتك هي الآن موجودة بتركيا"

عقدت شهد حاجبها لتقول:

"تركيا! وما الذي أخذها إلى هناك؟ وهي الآن مع من"

تنهد يوسف وسرد عليها كل الأحداث التي مرت بها صديقتها وحدثها بمكوئها عند أسر في السابق، توسعت عيناها وبدأت دموعها تتساقط على وجنتها، نظر لها يوسف وقد انظر قلبه من رؤيتها بهذا الحال، حاول تهدأتها ليقول:

"شهد لا تقلقي، أسر سيذهب ليخبر والديها بكل شيء وسيجلبها لتعود إلى هنا، صدقيني هي بخير الآن"

نظرت له شهد وحركت رأسها بإيجاب ولم تتحدث، ظل يوسف يتحدث معها بمواضيع غير مهمة فقط ليكسر حاجز التوتر ويقوم بتهدأتها قليلاً، تنهد يوسف بحنق لا يعلم أيخبرها أم لا؟ ولكنه ليس الوقت المناسب لهذا الحديث أبداً، ولكنه سينفجر إذا لم يحدثها، سيتقرب منها شيئاً فشيئاً، حك مؤخرة رأسه ليقول:

"م شهد هل أحببتي أحداً من قبل"

عقدت حاجبها بعدم فهم وما لبثت أن فهمت قصده لتتحدث بتوتر:

"م لا لم أحب أحداً"

همهم يوسف لها وتحدث:

"م جيد"

تحدثت شهد ببراءة:

"ولما جيد"

وسع عيناها ليقول ببلاهة:

"ها لا لا شيء لا تهتمي"

حركت رأسها بإيجاب ولم تتحدث، كان يوسف لا يبدو عليه الارتياح فهو يريد أن يسألها أكثر من ذلك ولكنه خائف على مشاعرها، لا يريد أن يشعرها بنقصها أو يذكرها بأحداث تلك الحادثة التي مرت بها والتي خرجت منها بصعوبة بالغة، نظر لها لتبادلته النظرة وبيتسم لها وتبادلته الابتسامة أيضاً، تحدثت شهد بفضول:

"مم وأنت هل وقعت بالحب يوماً"

نظر لها بصدمة وابتسم ابتسامة بلهاء بعدها ليحرك رأسه موافقاً ويتحدث:

"أجل أنا أحب فتاة جميلة جداً، وأريد أن أتزوجها أيضاً"

همهمت له وشعرت بالضيق قليلاً، تحدثت بتلقائية:

"وأين هي؟ لما لا تتزوجها الآن"

تحدث يوسف بتوتر:

"مم لا أنا أصلاً لم أعترف لها بحبي إلى الآن"

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

"إذا حدثها إذا كنت صادق بمشاعرك وتريدها زوجة لك، صارحها بكل شيء"

ابتسم لها بتوتر ليقول:

"أجل ولكنني خائف أن ترفضني"

نظرت له شهد وتحدثت:

"ولما ترفضك؟ أنت لا تفعل العيب تريدها زوجة لك وتحبها ليس بها أي شيء خطأ"

توسعت ابتسامته ليقول:

"أجل معك حق"

اختفت ابتسامته بالتدريج ليرد لها:

"ولكن لا أعلم أنا خائف لأنها هي مرت بموقف صعب جداً وتخطته بصعوبة، لذلك لا أعلم إذا كانت ستوافق على الارتباط من بعد ذلك الموقف"

همهمت له لتقول:

"وما هو الموقف الذي مرت به"

جال بنظره أرجاء المكان ليتحدث بسرعة:

"مم حسناً اسمعي، اعتبري نفسك مكانها، افترضني بأنني جئت إليك واعترفت لك بحبي كيف ستكون ردة فعلك؟ وكيف ستتصرفين"

نظرت له بتوتر وشيء من الحزن وابتلعت ريقها، شعرت بالغصة من سؤاله وظلت صامتة ولم تجبه، شعر يوسف بحزنها ولعن نفسه بسره مئات المرات، حاول أن يصلح الموقف ليقول:

"مم حسناً شهد اعتبري نفسك لم تسمعي شيء أنا أسف، يبدو أن ماريا قد انتهت من تجهيز الغداء هيا انهضي لنتناول الغداء"

ابتلعت ريقها ونهضت ياستحياء لتجلس وتشاركهما الغداء ويتناولون طعامهم بصمت وهدوء، كان يوسف يلقي نظرة على شهد بين الحين والآخر ولكنها هي لم تعره اهتمام ولم تنظر له، حتى وإن كانت تحبه ستخفي ذلك الشيء، لقد علمت بأنه يلح لها بحبه ولكنها تجاهلت ذلك الشيء، هي لا تريد أن تظلمه معها لأنه يستحق الأحسن منها هكذا كانت تفكر، لا تعلم بأنه يقبلها كيفما كانت وكم هو متيم بها وعاشق لها حد النخاع.

---

يجلس في الطائرة المحلقة بالسماء، يكاد قلبه ينفجر من شدة سعادته كونه علم أين ابنته، ولكنه خائف نوعاً ما، بأي وجه سيقابلها وكيف سيبرر لها عن عدم حفاظه عليها؟ كان يدعي بسره بأن لا تكون تحمل بقلبها تجاه أبيها الذي كاد أن يموت لفقدانها، وأخيراً سيرها ويعيدها لحضنه، بينما نجد ذلك الشاب جالس بحيرة من أمره، كيف سيواجهها وبأي عين؟ كلاهما كانا خائفين من مواجهتها ولكن بطريقة مختلفة، تنهد أسر بقوة عندما تذكر لقائه بوالد أسيل وكيف حدثه بكل شيء يخصها وكيف كانت ردة فعل هشام المتلهفة لرؤية ابنته.

انتشله من شروده صوت هشام ليقول:

"هل يبعد المنزل كثيراً عن المطار ياترى"

ابتسم أسر ليقول:

"لا، فقط قليلاً، ستهبط الطائرة قريباً جداً وسنصل إليها لا تقلق ياعم"

حرك هشام رأسه بإيجاب ولم يتحدث، بعد وقت قصير هبطت الطائرة معلنة وصولها إلى مطار تركيا، نزل هشام وأسر من الطائرة ليركبان بالسيارة ويتجهان فوراً إلى المنزل الذي تسكن به أسيل وبرفقتهم فريق الحراسة.

-----

كانت تجلس بصالة البيت، تقلب بالقنوات بملل، زفرت بضيق لأنها لم تثبت أو تجد محطة مسلية، تنهدت بحنق ورمت الجهاز على الأريكة، تمددت بجسدها الصغير على الأريكة تلعب بخصلات شعرها تفكر بمستقبلها وبحياتها التي تعيشها حالياً، سمعت صوت رنين جرس المنزل، عقدت حاجبها باستغراب شديد، لأنه لا أحد يأتيها أبداً، حتى الحراس لا يطرقون الباب عليها، فمن يا ترى؟ نهضت بسرعة ومازالت متعجبة جداً من رنين الجرس، فتحت الباب لتقابل وجه ذلك الرجل الذي نظر لها بأعين دامعة، تمتمت بخفوت وصدمة:

"أبي"

" إقترب إليَّ جهراً "

دعني أشعرُ بأنني مازلتُ ملكاً لـ يسارِ صدرك

دعني أتأمل عينك علناً

دون أن ينتابني ذلك الكبرياء الطاغي "

\_\_\_\_\_

" بكينا اليوم ! غداً سنضحك "

تعَبنا اليوم ! غداً سنرتاح

تألَمنا اليوم ! غداً سننسى

أصابنا اليوم حزنٌ ! غداً سيعانقنا الفرح

لا شيء يظلُ ويستمر "

\_\_\_\_\_

نطقت باسم أبيها ملجمة الصدمة عليها وقد شلت حركتها، لمعت عيناها بالدموع، بينما هو كان ينظر لها بفرح واشتياق، نظر لها من رأسها إلى أخمص قدميها، كم تغيرت وكم هزلت، تقطع قلبه على ابنته الصغيرة، تقدم خطوة منها ليأخذها بأحضانه ليبيتها كل مشاعر الأبوة والحنان والمحبة، بينما هي كانت تبادلته الحزن بحب واشتياق وفرحة عارمة، ظلا على حالهما فترة من الوقت، ولم ينتبها لذلك الذي يقف ورائهما بلامحه الباردة المصطنعة، فصلت أسيل العناق عن أبيها لتتظر لذلك الذي يقف بجمود وبيتسم ابتسامة لم تصل لوجهه، نظرت له مطولاً وعيناها تحدثه بالكثير من الأوجاع والآلام التي سببها لها، لا تعلم أنه تعذب وتآلم أضعاف وأضعاف، فقط ظلا ينظران لبعضهما مدة ليست بقصيرة، ظل حديث العيون مستمراً تحت نظرات هشام المتعجبة، تحدث أسر وعيناها كلها اشتياق لها ليقول:

"كيف حالكِ أسيل"

ابتسمت ابتسامة سخرية ونظرت له نظرة بمعنى حقاً لبيتلع ريقه بتوتر، هو يعلم بأنها غاضبة منه بشدة، يعلم بأنها اشتاقت له وتحن إليه، ولكنه كان غبي عندما أبعدا عنه، يريد أن يصلح كل شيء، يريد أن يعترف بحبه الجنوني لها، لن يتخلى عنها، سيتزوجها ويجعلها ملكه، لن يتركها أو يسمح لها بتركه، حمم هشام لينتبهها اثناهما له، دخلوا ثلاثتهم إلى الصالة وجلسوا لياتفت هشام إلى ابنته ويحدثها بابتسامة:

"اشتقت لكِ كثيراً بنيتي"

ابتسمت ابتسامة واسعة لتقول:

"وأنا أيضاً أبي، لقد اشتقت لك كثيراً واشتقت لأمي ولشهد وللجميع"

تنهد هشام ليقول:

"لا تقلقي عزيزتي، سنعود إليهم وستريهم جميعاً"

ابتسمت باتساع لتقترب منه وتحضنه بشدة، بينما أسر ينظر لهما ويراقبهما بغيرة واضحة وغيظ، تمنى لو أن هذا العناق كان له، هو أحق من أبيها بهذا العناق، ولكن ليس وقت الغيرة الآن، فهو موقفه ضعيف جداً الآن ولا يعلم كيف سيرضي أسيل، نظرت أسيل له نظرة خاطفة، قررت تجاهله كلياً وصبت كل تركيزها على أبيها، تنهد أسر بحدة عندما رأى تجاهلها له، بينما هشام كان يحدثها كيف علم بكل شيء وكيف علم بوجودها هنا، حدثها بكل شيء وحدثها عن طلاق والدتها وقد صدمت كثيراً ولكنه لم يخبرها عن سبب طلاقها لأنه بالأصل لا يعرف السبب، فقط لم يحدثها بقصة شهد واغتصابها، لا يريد أن يعكر صفو مزاجها الآن، تريث قليلاً لعودتها إلى البلاد وقرر من بعدها أن يحدثها بالقصة، كان يتابع حركاتها وحديثها وابتسامتها، كما أن هشام نسي وجوده كلياً وصب تركيزه على ابنته، كان أسر يكاد يموت من غيظه، لقد تم تجاهله كلياً من قبلهما، كان يجلس بينهما كالحائط، حمم هشام بحياء وقد تذكر أمر أسر ليقول:

"أعتذر منك جداً، اعذرني فابنتي قد سلبتني عقلي وفرحت جداً برؤيتها، أنا أشكرك كثيراً ياسيد أسر"

ابتسم له أسر ابتسامة مصطنعة ليحدث نفسه ( ليس أنت وحدك من سلبتك عقلك)

تحدث أسر ببرود:

"بالمناسبة تستطيع أن تأخذها متى شئت يا عم"

ابتسم هشام ابتسامة واسعة ليقول:

"أجل سأخذها بالتأكيد، هيا حبيبتي اذهبي واجمعي أغراضك كي نعود"

حركت رأسها بإيجاب وهمت بالذهاب ولكن صوت أسر أوقفها ليقول:

"إذا أحببتي بإمكانك المكوث أنتِ ووالدك إلى حين تريدان"

استدارت له بكامل جسدها لتحدثه بجفاء ونبرة لوم:

"شكراً لك، لا أريد البقاء هنا بعد الآن بمفردي، أكاد لا أصدق العودة مع أبي"

نظر لها وكز على أسنانه من شدة غيظه، ألمه قلبه من نيرتها وبرودها معه، شعرت أسيل بأن هذه الجملة لم تفي بالغرض بعد لاستفزازه لتردف له:

"أنا شاكرة أفضالك، أنت حقاً إنسان رائع، لقد مددت لي يد العون، حقاً أشكرك يا سيد! ماذا كان اسمك؟ ذكرني لقد نسيت"

اشتد فكه واحتدت ملامحه عندما نكرت اسمه ونسيته، ألهمه الدرجة قلبها ممثلي منه؟ هو يعلم بأن قلبها ممثلي منه ولكن لم يكن يتوقع إلى درجة أن تنسى اسمه وتستفزه بهذا الشكل، زفر بضيق ليقول:

"أسر، أنسيتي اسمي أيضاً"

تحدثت بلا مبالاة:

"أجل، ربما البعد يُنسي"

همهم بحدة ليقول:

"ولما لم تنسين اسم والدك مثلاً؟ إذا كان البعد يُنسي"

تحدثت ببرود:

"لإنه والدي بينما أنت غريب لا أعرفك، عن إذنكما"

أنهت جملتها وتوجهت للأعلى كي تقوم بجمع أغراضها للعودة مع والدها، بينما أسر كانت الشياطين تتراقص حوله، هشام كان يشعر بأنه كالأبله لم يفهم شيئاً ولم يعرف شيئاً، نظر لأسر ليراه مكور قبضة يده ووجهه غاضب، تملكه الشك بشأنهما ولكنه قرر عدم التحدث إلى أن يعودان للبلاد، لم يستطع أسر كبح غضبه أكثر من ذلك، استأذن هشام ليجيب على هاتفه ليستغل أسر الفرصة ويصعد خلف أسيل ويفتح باب غرفتها ويدخل ويقفل الباب تحت نظرات أسيل المتعجبة والخائفة بعض الشيء، توجه لها بملامح حادة وغاضبة ليمسك بمعصمها ويتحدث بغضب:

"أنسي تي اسمي؟ لم تتذكريني يا أسيل"

كانت تتألم من مسكه ليدها بقوة، ارتسمت على ملامح وجهها معالم الألم لتقول بتحدي:

"وما شأنني بك ها؟ هل علي أن أتذكر اسمك وأصلك وفصلك وكل شيء يتعلق بك؟ أليس أنت من اختار رحيلي؟ أليس أنت من لم يقبل بمحادثتي عندما طلبت منك ذلك؟ إذاً لا تلومني على تصرفاتي، اسمعني جيداً يا سيد أنا أشكرك حقاً على وقوفك بجاني ولكن أنا سأعود مع والدي وسيكون هذا آخر يوم لك تراني به لذلك لا داعي للدراما هذه واتركني رجاءً لأنك تؤلمني"

كان يستمع إلى كل كلمة تقولها، يراقب حركة شفثيها وانفعالاتها، صب كل تركيزه على شفثيها المتنكرزة لتوقظ غريزته، لم يعجبه حديثها، ولم يعجبه عدم اعترافها عليه، ألصقها بالحائط وكور وجهها بيديه ليتحدث بصوت أشبه للهمس:

"بعدك عني سيكون آخر شيء ممكن أن تفعلينه يا أسيل"

أنهى جملته تحت نظراتها المصدومة ليقترب ويلتقط شفثيها، لم تكن قبلة عادية كانت قبلة تنم على كل أنواع الألم والعذاب الذي قاساه ببعدها، كان يقبلها بوحشية عقاباً على جملتها تلك، لقد لقنها درساً قاسياً بفعلته هذه، بينما هي كانت تتألم بشدة وتأن وتحاول إبعاده ولكن دون جدوى، نزفت شفثيها واستقبل دماء شفثيها برحابة

صدر ليلعقها ويعاود تقبيلها بجنون مرة أخرى، ظل بقلته مدة قصيرة تقريباً لبيتعد عنها وهو يلهث بأنفاس حادة، بينما هي كانت تبكي لأنه ألمها بحق، وضع جبينه على جبينها ليقول بأنفاس لاهثة:

"ستكونين لي يا أسيل، وهذا وعدٌ مني لك"

قبل جبينها وخرج من الغرفة بالكامل بينما هي ظلت تبكي وتلعنه تحت أنفاسها، هو من أخطأ بحقها، ظنت بأنه سيأتي ليحدثها بروية وهدوء، لا تعلم بأنها قد استفزته وزادت من حدته كثيراً بيرودها هذا، في الواقع هي لن تصمت، هو عذبها كثيراً لذلك ستريه من هي أسيل وستريه العذاب ألوان، تنهدت بحدة وأكملت جمع أغراضها وارتدت ثيابها لتخرج إليهما وتتحدث بجمود:

"أبي لقد انتهيت"

ابتسم لها هشام ونهض متوجهاً إليها ليلحق بهما أسر متوجهين للمطار ومن ثم للبلاد.

هبطت تلك الطائرة معلنة عن وصولها للمطار، هبط جميع الركاب منها، كانوا يقفون بالمطار محمليين بأمتعتهم وكلهم اشتياق لبلادهم، توجهوا أربعتهم للسيارة التي ستقلهم إلى المنزل، وصلوا بعد وقت ليس بطويل ليهبطوا ويدخلون المنزل، دخلت الأم إلى منزلها القديم وكلها شوق وحنين إليه، استرجعت ذكرياتها كلها التي قضتها بهذا المنزل وقد تذكرت زوجها لتنزّل دموعها من دون سابق إنذار، بينما ليث ورنيم وباسل دخلوا للصالة وجلسوا وهم فرحين جداً بعودتهم، مسحت الأم دموعها وتوجهت لتنضم إليهم، جلسوا سوياً وهم متعبين من طريق السفر، كان ليث ينظر لرنيم بينما هي لا تعيره أي اهتمام، شعرت بنظراته لها تنتظر له نظرة خاطفة وتشيح بوجهها عنه، بينما باسل كان شيئاً واحداً يشغل باله وهو محبوبته، اشتاق لها ولرؤيتها، يريد أن يراها فوراً كما أنه اشتاق ليوسف وأسر، حمحم باسل ليقول:

"ما رأيكما أن نذهب إلى منزل يوسف"

نظرت له رنيم لتتحدث بمكر:

"ولما منزل يوسف مثلاً؟ لما لا يكون منزل أسر"

تنهد بحنق وزفر بقوة ليقول بغیظ:

"اصمتي أيتها الحمقاء، هل تريدان الذهاب أم لا"

تحدث ليث بملل:

"أذهب لوحديك يا رجل، لم نرتاح بعد"

تحدثت رنيم بتحدي:

"هيا باسل أريد أن أذهب لأرى ماريما، وأنت يا ليث إذا كنت لا تود الذهاب فإمكانك المكوث هنا"

نظر لها بحدة وتحدث:

"هل تتعمدين إغاظتي مثلاً"

تحدثت رنيم باستنكار:

"هه ولما أضيع وقتي بإغاظتك يا فتى؟ لا شأن لي بك"

نظر لها بغیظ وبدأ بقضم أطافره بينما باسل كان يحاول كتم ضحكته، وجه ليث نظره لباسل لينظر له بحدة، لم يتمالك باسل نفسه لينفجر بالضحك وتشاركه والدته، بينما ليث يكاد يفقد عقله منهما، تنهد ليث بحنق ليقول بغیظ مكثوم:

"حسناً يا برنسس رنيم تفضلي سنذهب جميعاً هيا"

تحدثت رنيم ببرود:

"باسل ليس لي مزاج للذهاب، خذ صديقك واذهبا بمفردكما"

عاد باسل للضحك وقد انفجر ضاحكاً أكثر من السابق، بينما ليث يكاد يجن جنونه من هذه المعنوية ليحدثها بعصبية:

"أنتِ أيتها الحمقاء، اصمتي وهيا انهضي يا لكِ من خرقاء"

احتدت ملامح رنيم وأخذت وضعية الهجوم لتنهض وتنقض على ليث وتنهال عليه بالضرب المبرح، بينما هو كان يزعم بأنه يتألم ولكن هو كان يموت من شدة سعادته فقط لأنها تلمسه ولو كان بالضرب المبرح، بينما باسل ووالدته كانا يضحكان عليهما بشدة، لهتت رنيم ونظرت له بحدة لتقول بغضب:

"اسمع أيها الغبي لا تقل لي خرقاء وحمقاء، لست صديقك وألعب معك في الشارع لكي ترفع الكلفة هل فهمت"

كان ليث يتابع انفعالاتها بابتسامة، ليتحدث باستفزاز:

"أتعلمين شيئاً أنتِ خرقاء وحمقاء وساذجة وبقرة أيضاً، وبالمناسبة هذا لا يسمى ضرباً لإنني شعرت بأن ذبابة تضربني وليست فتاة"

جن جنونها لتصرخ بانفعال وتنقض عليه وتلكمه وتضربه بشدة بينما هو كان يضحك عليها وهي تكاد تجن منه، نهض باسل وفصل بينهما ليووقف هذه الحرب ويقول بضحك:

"أيتها الحمقاء اهدئي ما بك"

ظلت صامته ولم تتحدث، فقط تنظر لـ ليث بحدة وأنفاسها تلعو وتهبط، بينما ليث كان ينظر لها ويضحك على شكلها، تحدث باسل بابتسامة:

"هيا هيا فلنذهب قم أيها الأحمق"

نهض ليث وهو يحاول كتم ضحكته تحت نظرات رنيم المشتعلة، استأذنوا ثلاثتهم من والدة باسل وخرجوا متوجهين إلى منزل يوسف وذاك العاشق كله شوق وحنين لرؤية تلك التي سلبت عقله وعذبت فؤاده.

-----

كان يوسف وماريا يتعاركان ويبرحان بعضهما بالضرب وهما يضحكان، ظلا يلکمان بعضهما ويلحقان ببعضهما وأصواتهما تعم أرجاء المنزل، بينما باسل وليث ورنيم حالما وصلوا إلى منزل يوسف حتى سمعوا صوت صراخ وضحك من الداخل، تعجبوا ثلاثتهم من تلك الأصوات ولكن باسل تنهد ورن جرس الباب وقلبه يطرق بعنف، سمع يوسف وماريا صوت قرع الجرس وقد تعجبا من الزائر الذي سيأتي بهذا الوقت، توجهت ماريا لتفتح الباب وسبقت أباها ليلحق بها يوسف بسرعة ويفتح الباب مع بعضهما، ما إن فتحا الباب حتى تقابلا ببعضهم، ألجمت الصدمة عليهما وقد تفاجئا كثيراً، ولكن ما لبثا حتى استقبلاهم استقبالاً حاراً، انقضت رنيم على ماريا وأخذتها بالأحضان، بينما باسل كان ينظر لها بابتسامة واسعة وقام بمصافحتها وعيناه كلها اشتياق، دخلوا جميعاً للداخل وكان المنزل بحالة فوضى، تحدث ليث موجهاً حديثه ليوسف:

"أيها الأحمق ما كل هذه الفوضى؟ وما هذه الاصوات التي سمعناها من الخارج قبل قليل"

ضحك يوسف ونظر لماريا التي بادلتها النظرة ليقول:

"لا شيء فقط كنت أمازح شقيقتي قليلاً، لم أشبعها من مزاحي الثقيل اليوم لذلك كنت أعوضها"

كتم ليث ضحكته بينما باسل ابتسم ليقول:

"وهل مزاحك يجعل ماريا تصرخ هكذا؟ يا رجل ظننا بأن أحداً يبرحها ضرباً"

حك يوسف مؤخرة رأسه ليقول بضحكة:

"أنا أصلاً كنت أبرحها ضرباً وكذلك هي، كنا نتشاجر لا شأن لكم"

أنهى جملته ووجه نظره لشقيقتة التي كانت تحرقه بنظراتها لتتحدث بغضب:

"يا لك من أحمق، أكرهك"

تحدث يوسف باستفزاز:

"نفس الشعور عزيزتي"

تنهدت بغضب لتستدير لرنيمة وتتحدثان بأمر عادية وكلهما اشتياق لبعضهما بينما باسل كان ينظر لها بأعين مشتاقة ومثلهفة ولكنها لم تعره اهتمام، شعرت ماريا بنظراته ولكنها لم تلتفت له، لأنها تعلم إذا التفتت إليه سيصطبغ وجهها باللون الأحمر وتخجل لذلك ظل تركيزها مع رنيمة، بينما يوسف كان يتحدث مع الشبان بأمر عدة ليقول باسل:

"أين أسر"

أجاب يوسف:

"لديه مهمة ولا أعلم إذا عاد أم لا، سأهاتفه"

طلب رقم أسر ولكن كان مغلق، حاول يوسف عدة مرات ولكن دون جدوى، تنهد يوسف بحزن ليقول:

"هاتفه مغلق"

همهم باسل ولم يتحدث، بينما ماريا كانت تتحدث مع رنيم لتتظر لباسل نظرة خاطفة وقد كان ينظر لها لتشجيع بنظرها عنه وتخفيض رأسها وقد توردت وجنتيها، ابتسم باتساع عندما رأى احمرار وجنتيها وخجلها منه، تمنى لو أن يأخذها بأحضانه ويشم رائحتها ويقبلها، تنهد بقوة وقد انتبه له يوسف ليقول:

"ما بك يا حثالة الأطباء لما يبدو عليك الكآبة"

ما إن سمع ليث هذه الجملة حتى انفجر ضاحكاً بينما باسل وجه ليوسف نظرات حارقة وتحدث بغضب:

"اصمت أيها الضابط اللعين، أحمق سافل"

ضحك يوسف ليقول:

"ولما أنت منغاضها؟ ألسنت حثالة الأطباء"

تنهد باسل بحنق ليقول:

"أتمنى أن تكون تحت يدي في عملية ما لأريك الحثالة أيها التافه"

ضحك يوسف وقد شاركه ليث ولكن ماريا لم تعجبها جملة باسل لتقول بوجه عابس:

"لا تتحدث عن أخي هكذا يا باسل وإلا أوسعتك ضرباً هل فهمت"

ابتسم يوسف ابتسامة استنقاز بينما باسل ظل متصنم بمكانه وينظر لها ببلاهة ليقول:

"ها"

نظرت له بغباء وهو مازال على بلاهته، بينما يوسف ورنيم وليث انفجروا ضاحكين عليهما، خجلت ماريا وأخفضت رأسها للأسفل، بينما باسل حمم على انجرافه بمشاعره، هي لم تقل شيئاً فقد تحدثت بشكلٍ عادي ولكن هو يقدها ويقدم كل شيء تبديه لذلك سرح بها، حاولت رنيم أن تغير الموضوع لتقول:

"أين المخدرات أيتها الحمقاء"

اتسعت ابتسامة ماريا لتتحدث بحماس وهي تصفق بيديها:

"لدي الكثير منها سأجلبها لك"

قفزت ماريًا متوجهة لغرفتها كي تجلب التسالي، بينما باسل يكاد يفقد عقله منها، فهو يدقق على أبسط حركاتها ويكاد يطير ويحلق في السماء من سعادته عندما تبدي أي ردة فعل أو تتحدث حتى، نظر له ليث ليجده شارد ينظر لمكان ماريًا التي كانت تجلس به، كتم ضحكته ولم يتحدث بينما يوسف كان يتابع نظراته وحركاته وفهم عليه، هو يعلم بحب باسل لأخته ولا يجد به أي عيب كما أنه صديق طفولته ويعرفه عز المعرفة فلن يجد أحسن وأفضل منه، ولكن لا يستطيع التحدث أو إبداء رأيه إلا عندما تقرر أخته، فهو لن يجبرها على شيء لا تريده، غير ذلك باسل لم يتحدث بهذا الموضوع أبداً لذلك لن يتحدث هو الآخر، عادت ماريًا وهي تقفز من حماسها ومازال باسل ينظر لمكانها بشرود، كانت ماريًا تتبادل التسالي مع رنيم، تدخل يوسف بينهما ليقول:

"انظري يارنيم كم سمنت ماريًا، ألا ترينها أصبحت كالبقرة من كثرة الشوكولا"

شهقت ماريًا وتحدثت بغیظ:

"اصمت يا ذيل المعزة أكرهك سأذهب وأتركك سأعيش عند أسر يا أحمق لا أريدك"

ضحك يوسف عليها وشاركه الجميع بالضحك ليقول:

"كل هذه الانفعالات لإنني قلت عنك بقرة أيتها الحمقاء؟ سأوسعك ضرباً سترين"

تحدثت ماريًا بغرور:

"لا تستطيع، باسل وليث سيدافعان عني أليس كذلك"

ابتسم باسل ليقول:

"أجل بالتأكيد"

بينما ليث تحدث ببرود:

"لا أنا لن أذافع عنك سأتركه يضربك، أنا أكرهك"

كزت ماريًا على أسنانها وتحدثت بغضب مكتوم:

"سأضربك أيها الغبي"

تحدث ليث بعيون جاحظة:

"لا أرجوك، يكفي أن رنيم أوسعتني ضرباً قبل أن تأتي إلى هنا، أرجوك لقد اكتفيت"

شهمت ماريا وابتسمت ابتسامة مكر لرنيم، بينما رنيم جالت بنظرها بأرجاء المكان ولم تتحدث، صدح صوت رنين جرس المنزل لينهض يوسف ويفتح الباب وقد كان أسر، دخل أسر بغضب و حدة ولم يلقي السلام على يوسف حتى، تفاجأ أسر بوجود الرفاق ليبتسم لهم ويبادلونه الابتسامة وقد قام باحتضانهما بشوق ظاهر عليه بينما اكتفى بمصافحة رنيم، جلس بينهم وقد نسي همه من معذبة قليلاً، وجه باسل حديثه لآسر ليقول:

"أين كنت أيها الغبي"

نظر له آسر نظرة حارقة جعلت باسل ينظر له بخوف مصطنع، ضحك ليث عليه ليقول:

"أيها الأحمق ما زلت بارد و غاضب كما أنت لم تتغير"

تحدث آسر ببرود:

"أخرس"

تمتم ليث:

"حسناً"

ضحك باسل عليه بينما يوسف كان عابس الوجه، انتبه له آسر ليقول:

"ما بك أيها الأحمق"

تحدث يوسف بانفعال:

"جيد بأنك تذكرت أن تسألني ما بي، دخلت علينا وألقيت السلام على الجميع بينما أنا لا، لماذا ها"

انفجر الجميع ضاحكاً على يوسف، بينما آسر وجه حديثه لماريا التي كانت مشغولة بأكل الشوكولا ليقول:

"ألم تكفي عن أكل الشوكولا بعد أيتها الحمقاء"

عبست ماريًا لتقول بطفولية:

"وما شأنك أنت؟ لن أكتفي عاااا"

ضحك أسر على جملتها لتردف له ماريًا باهتمام:

"بالمناسبة ماذا فعلتم بقصة تلك الفتاة التي تدعى أسيل؟ هل وجدتموها"

نظر لها أسر ويوسف بقوة بينما هي كانت تنتظر لهما بعدم فهم، وجه أسر نظره ليوسف ونظر له بحدة لينظر له يوسف نظرة بريئة ويرفع يديه وكأنه يستسلم، أعادت سؤالها ماريًا ليحتمم يوسف ويتحدث:

"ماريًا ما رأيك أن تحركي الخلايا النائمة لديك وتتحركين وتقدمين الضيافة أنتِ ورنيم؟ هيا عزيزتي و دعي ليلتنا تمضي على خير"

نظرت له ماريًا بعدم فهم ووجه عابس لتتحدث:

"لا أريد، أريد أن أعلم ماذا حدث بتلك الفتاة لأن شهدي خائفة عليها كثيراً"

"ماريًااا"

صاح صوت أسر تعبيراً عن صراخه بوجهها، جفلت من صوته ونظرت له بخوف بينما هو كان ينظر لها بحدة، نهضت مسرعة من أمامه للمطبخ لتلحق بها رنيم تحت نظرات باسل وليث اللذان كانا جالسان بينهم ولا يعلمان بشيء، تنهد أسر بحدة ليقول يوسف:

"ما بك"

تحدث أسر ببرود:

"لا شيء"

تحدث يوسف:

"هل كل شيء على مايرام"

تنهد أسر ليقول:

"أجل"

تدخل باسل بالحديث ليقول:

"ما بكما هل حدث شيء"

حرك يوسف رأسه تعبيراً عن رفضه ليحمم ليث ويقول:

"حبيبي أسر ما رأيك أن نسهر اليوم سوياً ونشرب"

نظر له أسر وتحدث:

"لا مانع لدي"

تحدث يوسف باستنكار:

"ذكي جداً، وهل سنشرب أمام رنيم وماريا أيها المعتوه"

نفخ ليث خديه ليقول:

"لا سنذهب إلى منزل أسر وستظل رنيم عند ماريا"

همهم يوسف وحرك رأسه موافقاً، بينما أسر كان صامت طوال جلسته، يفكر بها ويكاد يفقد عقله، لا يعلم كيف سيتعامل معها، هو خائف من أن يعود زوجها ويأخذها، عندها سيخسرهما للأبد، تنهد بقوة وانتهت جلسة الشبان مع الفتيات ليتوجه الشبان إلى منزل أسر ليفعلوا ما يحلو لهم، بينما أسر أوصى يوسف بأن ينتبه جيداً على حديثه إذا حدث وتامل، كونها تعاملت معه ببرود وعذبت فؤاده، سيضطر للشرب لكي ينسى ولو قليلاً.

" اشتقتُ إلى نوركِ الذي هو كَنورِ الشمسِ دائم

اشتقتُ إلى كلامكِ الذي يجعلني مستيقظاً نائم

أريدُ أن ألمسَ شفتيكِ بيدي

أريدُ منكِ أن تمشينَ في سبيلي

أريدكِ أن تشربينَ من كأسِي

الذي وضعتُ فيه كُلَ دمائي

أحبك أتسمعيني ؟

هل تفقديني ؟

هل علمت بوجعي ؟

إنه يقطع قلبي

هل نسيت من أنا

أنا الكون بأسره

أنا الموت وعذابه

أنا الحياة ومشقاته

أنا، من أنا ؟ أنا الذي في حبك قتل نفسه "

---

وصلت تلك الفتاة برفقة أبيها إلى جانب منزل والدتها، تبتسم بحماس واشتياق، تريد رؤية والدتها بأسرع وقت، هي مشتاقة لها، مشتاقة لحضنها وحنانها، تكاد لا تصدق نفسها، وأخيراً عادت لحياتها الطبيعية، والأهم من ذلك بأن والديها لم يشككا بها وبأخلاقها أبداً وهذا ما أسعد أسيل، تقف لتدق على الباب وكلها حماس بينما والدها يتابعها ويتابع حماسها بابتسامة.

كانت سمية تجلس في الصالة حزينة وكلها شوق لابنتها، سمعت صوت طرقات على بابها لتنهض بتكاسل وتفتح الباب لترى ابنتها أمامها بابتسامتها العذبة وعيناها كلها شوق لوالدتها، تصنمت سمية بمكانها حالما رأت ابنتها، جحظت عيناها بقوة وبدأت دقات قلبها بالتسارع، لم تصدق أن التي أمامها ابنتها، وأيضاً لم تفق من صدمتها بعد، رجفت أوصالها وهبطت دموعها دون سابق إنذار، لم تبدي أي ردة فعل سوى الصدمة، بينما أسيل علمت بصدمة والدتها وتفاجئها، لذلك لم تناقش الأمر فقد ظلت على ابتسامتها لتتقدم من والدتها وتحتضنها بقوة، ما إن قامت أسيل باحتضانها حتى علمت بأنها ليست بحلم، بادلتها الحزن وهي تبكي بشوق وسعادة بالغة، وأخيراً عادت لها ابنتها الوحيدة، وأخيراً رأتها سالمة أمام عيناها، ظلت تبكي وتتنحب وقد شاركتها أسيل البكاء، إلى أن فصلتا العناق وابتستا لبعضهما، التقت سمية إلى ذاك الواقف أمام الباب لترى هشام، ابتسم لها وبادلتها الابتسامة بسعادة ليرقص قلب هشام فرحاً فقط لأنه أسعدها ورأى ابتسامتها التي يعشقها، رحبت بهما ودخلوا سوياً إلى الصالة ليجلسوا ومازالت سمية محتضنة ابنتها بسعادة، فرح هشام كثيراً لأنه أعاد ابنته إليهما، بينما سمية شغلت كل حواسها مع ابنتها، تحدثت أسيل بابتسامة وتذمر:

"أمي سأخنتق"

ضحك هشام على كلمتها وكذلك سمية، ولكنها لم تنفك عن ابنتها أبداً بل ظلت محتضنة إياها بشوق بالغ، بينما أسيل كانت سعيدة جداً بحضن والدتها وكم كانت تحتاج لهذا الحضن الدافئ لتريح نفسها وتشعر بالراحة والأمان، تنهد هشام ليتحدث:

"ها هي آسيل ياسمية، لقد وفيت بوعدى لك"

نسيت ألمها ووجع قلبها منه، نسيت كل شيء فعله بها وابتسمت له ابتسامه واسعه لتتحدث بسعادة:

"شكراً لك، أكاد لا أصدق نفسى أشكرك جداً يا هشام"

ابتسم هشام بسعادة لأنه فعل شيئاً أسعدها بينما آسيل كانت تحتضن والدتها وتراقب نظراتهما لبعض، ابتسمت بسعادة كونها تجد الأمل ظاهر على وجهيهما من فكرة رجوعهما إلى بعضهما، تحدثت آسيل بتوتر:

"أمى لما تطلقتى من عمى وسيم؟ هل أزعجك أو أهانك"

عبست بوجهها وتهدت بحدة لتقول:

"لا أريد أن أتحدث بهذا الموضوع، انسى أمره، نحن لسنا بحاجة له، لقد خرج من حياتى وانتهى"

لم تكن ترغب آسيل بأن تسأل هذا السؤال ولكن فضولها قادها للتحدث، بينما هشام انزعج عندما سألت هذا السؤال ولكن جواب سمية أعجبه لذلك ابتسم برضى، حاولت آسيل أن تغير الموضوع لتقول:

"حسناً إذا ألم تشتاقى لى ياسمية هانم"

ضحكت سمية على جملة ابنتها وقد شاركها هشام لتتحدث بحنان:

"اشتقت إلى جميلتى بحجم السماء، متى سأفرح بك"

تذكرت آسيل كلام أسر عندما حدثتها والدتها بهذه الجملة، لتسرح بملامحه وعلى محياها ابتسامه بلهاء، بينما هشام وسمية نظرا لها بتعجب على حالها ومن ثم نظرا لبعضهما بعدم فهم، تحدثت سمية وهي تلوح بيدها أمام وجه آسيل لتقول:

"هيببى أين سرحتى يا فتاة؟ هل وقعتى بالحب أم ماذا"

التفت أسيل لوالدتها لتتحدث ببلاهة:

"ها حب ماذا أمي؟ لا لست واقعة لأحد اطمئني"

صمتت سمية واكتفت بابتسامة بسيطة بينما أسيل عبست ملامحها وقد تذكرت شيء لتردف:

"هل تريدين التخلص مني وتزويجي بسرعة ها"

تحدثت سمية بسرعة:

"لا لا أنا لم أصدق متى عدتي إلي، لا أريد التخلص منك، هيا انهضي وبدلي ثيابك من أجل أن أطعمك بيدي"

ابتسمت أسيل بحماس لتقول:

"أجل أجل أريدك أن تطعميني بيدك حسناً سأنهض"

نهضت أسيل بسرعة بالغة متوجهة لغرفتها وكلها اشتياق لأيامها الماضية بهذا المنزل، بينما سمية ارتاح قلبها عندما رأت ابنتها أمام عيناها، أما هشام فقد كان يتنهد بقوة ويتصارع بأفكاره، أبحثها بالرجوع أم ينتظر قليلاً بعد؟ ولكنه لم يعد يطيق الانتظار، اشتاق لها ويريدها له، انتشله من أفكاره صوت سمية لتقول له:

"أين وجدت أسيل يا هشام"

أجاب بهدوء:

"لقد جئني اتصال اليوم من قبل ضابط ويدعى أسر وقال لي بأنه يعرف أسيل، وهو من استقبلها في بيته وحماها وبعدها سفرها إلى تركيا خوفاً عليها من زوجها لأنه علم بكل شيء عنها، وذهبت اليوم أنا وهو وجلبناها"

ابتسمت سمية لتقول:

"أريد أن أشكر ذلك الضابط على معرفته"

تنهد هشام ليقول:

"حسناً أتوقع بأنك تعرفينه هو يكون صديق الضابط يوسف ذلك الشاب الذي كان مسؤول عن قضية شهد"

تمعنت به لتتحدث باهتمام:

"أها أظن بأنني رأيتك فقط لحظة صغيرة، حسناً لا بأس"

حرك هشام رأسه موافقاً ولم يتحدث بشيء، فقط ظل يحرق بها مطولاً وقد انتبهت هي إلى نظراته ولكنها أشاحت بنظرها عنه بتوتر ظاهر عليها، تنهد هشام بقوة ونهض ليجلس بجانبها، تجرأ ومد يده على وجنتها ليمررها بهدوء وهو ينظر لها بهيام، بينما هي كانت متوترة جداً، لا تعلم أتبعده أم تظل ساكنة لكنها ظلت صامتة ولم تبدي أي ردة فعل سوى التوتر، ابتسم لتأثيره عليها وظل ينظر لها ويمرر يده على وجنتها، ابتلعت سمية ريقها لتتحدث بتوتر:

"أأ هشام هذا لا ينفع"

تحدث هشام بهدوء:

"إذا بعدك عني ينفع مثلاً"

التفتت له ونظرت لعيناه لتتحدث بتوتر:

"لا أريد أن أتحدث بهذا الموضوع"

ظل على حاله ليقول:

"لماذا تهوين تعذيبي سمية"

نظرت له نظرة حزن لتقول:

"أنت من عذبتني وليس أنا"

تحدث بنبرة حزن:

"كنت مجبور على ذلك"

أشاحت بوجهها عنه وصممت بينما هو أردف لها:

"عودي إلي سمية أرجوك أنا أحبك كثيراً صدقيني"

نظرت له بصدمة ولم تستوعب ماقاله، رمشت بعيناها عدة مرات ونهضت واقفة لتقول وهي تنهرب منه:

"لكن أنا لا أحبك"

أمسكها من معصمها ليقول بتحدي:

"كاذبة فعيناك تقول غير ذلك"

أشاحت بوجهها عنه ولم تتحدث بينما هو اقترب منها واشتم رائحة عطرها التي تسكره، زفر براحة وكأنه استنشق عطر الجنة، بينما هي كادت تفقد حصونها أمام لمسته وقربه منها، حاولت التملص منه ولكنه كان محكم قبضته عليها، أدار وجهها إليه ليتقابلا عيناها وينظران لبعضهما بحب ظاهر عليهما، لم تشأ سمية أن يتركها ولكنها كانت تفكر بعقل، هي تريد تعذيبه قليلاً ولكنها دائماً ما تضعف أمامه، ظلت تنظر له ولملامحه التي تعطيه جاذبية خاصة وقدر حقيقي من الوسامة، فبرغم كبر سنه وعمره الذي تجاوز الثالث والأربعين إلا أنه مازال وسيماً ولا يبدو عليه الكبر، بينما هو كان ينظر لها بحب وهيام، شعر بنفسه بأنه سينجرف بمشاعره، يريد أن يبتعد عنها ولكن قلبه يأبى ذلك كحالها هي، لم يعلم كيف تجرأ واقترب ليلتقط شفيتها ويقبلها بهدوء وحب بالغ، بينما سمية كانت مغيبة عن الوعي من قبل أن يقبلها، لذلك استسلمت لقبته وبادلته فوراً، كان هائماً بها، يكاد لا يصدق بأنها بين يديه، يزداد تعلقه بها يوماً بعد يوم، لم يتذوق شفاه كشافها، بينما هي كانت مغيبة عن عالمها تماماً وهي تقبله، ابتعدا قليلاً عن بعضهما وألصق جبينه بجبينها لينظر لها بعشق، ولكن هي لم تنجرأ على فتح عيناها من شدة خجلها منه، ابتسم لجلها وتحدث بأنفاس لاهثة:

"هل تنزوجيني"

فتحت عيناها على وسعها عندما نطق بكلمته ولم تعرف بماذا تجيب ليرد لها:

"ماذا قلتي هل تنزوجيني"

نظرت له مطولاً وهي غير مصدقة، لا تعلم كيف تضعف أمامه بهذا الشكل الكبير، تتسائل لما ظلت على حبها وعشقها له، ظنت بأنها بزواجها من وسيم ستنتسأه وستتعلق بوسيم، ولكن لم يحصل أبداً، كانت تقنع نفسها فقط بأنها تحبه ولكن هي تحب زوجها السابق، كحال وسيم الذي كان يقنع نفسه بأنه يحب سمية ولكنه كان يحب ابنتها، هي تريده وتريد العودة إليه، ولكنها خائفة أن يتكرر نفس الموقف، ولكن لحظة! لما سيتكرر؟ ولما تخاف؟ الذي كان السبب ببعدهما عن بعضهما قد سجن فلماذا تخاف ولماذا تقلق؟ ابتلع هشام ريقه وظن بأن بصمتها هذا هي غير موافقة، نظر لها نظرة ترجي لتبتسم له وتحرك رأسها موافقة، اتسعت ابتسامته وكاد يطير من فرحته، حملها ودار بها وسط ضحكاتها وكأنهما مراهقان يجددان شبابهما، انزلها على الأرض ليحتضنها بقوة ويدفن وجهه برقبتها ليشتم عبيرها الذي يعشقه حد النخاع، فصلا العناق ليتحدث هشام بابتسامة واسعة:

"غداً سنقيم الزفاف ما رأيك"

نظرت له بحاجبين معقودين لتقول:

"لا، لا أريد زفاف فقط سنكتفي بعقد قراننا"

امتعض ليتحدث:

"ولماذا ها؟ سنقيم حفل زفاف وأنا من سيقدر"

همهمت سمية وأمسكت بياقة قميصه لتتحدث بدلع:

"حسناً لا مانع لدي ولكن يجب عليك أن تنتظر شهران أو أكثر وستكون هدأت الأحوال، أنت تعلم ما الذي حدث بأخر فترة لذلك انتظر قليلاً"

نظر لها وكاد أن يبكي ليقول باستنكار:

"سمية حبيبي لا أريد حفل زفاف فليذهب للجحيم الزفاف، حسناً سننزوج غداً ونعقد القران ها اتفقنا"

ضحكت ضحكة رنانة لتقول:

"حسناً كما تشاء"

ابتسم لها بحب ليتحدث:

"تعالى لنخبر أسيل، ستفرح كثيراً بهذا الخبر"

حركت رأسها ليهمان بالخروج من الصالة ولكن أسيل قد سبقتهما ودخلت قبلهما لتعقد حاجبها باستغراب وتقول:

"ماذا يحدث؟ هل وافقت سمية هانم عليك يا سيد هشام أم أنها مازالت تكابر"

أنهت جملتها بابتسامة مكر لتجذب عينان سمية ويضحك هشام بشدة على جملتها ويحدثها من بين ضحكاته:

"حسناً بنيتي باركي لنا سنعقد قراننا غداً أنا ووالدتك، ما رأيك"

قفزت أسيل من سعادتها لتقول:

"حقاً؟ يبدو أن وجهي خير عليكم، لقد أتت السعادة منذ عودتي إليكما، كم أنا جميلة وكيوت"

أنهت جملتها بغرور وبساطة لينفجرا والديها بالضحك عليها، اتسعت ابتسامتها لتقفز عليهما وتقوم باحتضانهما بسعادة بالغة ليبادلاناها الحزن بفرحة كبيرة.

ها قد عاد شمل العائلة ولكن هل ستكون أسيل سعيدة معهما أم ستشعر بنقص من بعدها عن ذلك المغرور؟ لا أحد يعلم.

---

استيقظ أسر متأخراً على غير عادته، فقد قضى في الأمس ليلة طويلة مع الرفاق بالشرب والسجائر وغيرها، التفت للساعة ليراها قاربت على الثانية عشر ظهراً، زفر بضيق واتجه إلى الحمام لفعل روتينه اليومي وخرج بعد دقائق ليرتدي ثيابه متجهاً لعمله، تنهد بضيق عندما مرت بباله تلك الفتاة التي تعذب فؤاده، مازال يفكر بها والأصح مازال يفكر بطريقة ما لكي يعيدها إليه ويقنعها به، غير ذلك بأنه قد وضع حارس أمام منزلها لكي يراقب تحركاتها ويأتيه بأخبارها كلها، توجه للأسفل بعد أن ارتدى بذلته ليرى الشبان الثلاثة مجتمعين بالصالة، عقد حاجبيه باستغراب فقد ظن أنهم رحلوا منذ زمن ولكن أخطأ ظنه، ألقى عليهم تحية الصباح وجلس معهم، تحدث بأسل موجهاً حديثه لأسر:

"هل ستذهب للعمل"

حرك أسر رأسه بإيجاب ولم يتحدث ليردف بأسل:

"إذا لم يكن لديك عمل فلتبقى اليوم لا داعي للذهاب لإن يوسف لن يذهب اليوم"

تنهد أسر بقوة ليقول:

"ليس لدي عمل ولكنني سأشعر بالملل إذا بقيت في المنزل"

تحدث ليث بسخرية:

"يارجل وماذا نعمل عندك نحن"

أجاب أسر:

"ظننتكم رحلتوا، لما لم ترحلوا"

امتعضت وجوههم ليتحدث يوسف بغیظ:

"أيها اللعين هل تطردنا مثلاً"

حرك أسر رأسه موافقاً بابتسامة مستفزة ليزفر باسل بقوة ويقول:

"بالمناسبة ليلة أمس كنت تهذي باسم أسيل، من تكون تلك الفتاة"

امتعض وجه أسر واحتدت ملامحه عندما ذكر اسمها ليجيب بغضب مكتوم:

"لا شأن لك"

تحدث ليث بابتسامة مكر:

"هل البارד اللعين واقع في الحب"

نظر أسر له بحدة وزفر بضيق ولم يتحدث ليصدح صوت رنين هاتفه ويجيب ببرود:

"ماذا تريد"

تحدث العسكري برسمية عبر الهاتف:

"سيدي هناك شاب قد سلم نفسه، هو متورط بجريمة حرق رجل منذ عدة أيام والآن جاء ليسلم نفسه وقد قمنا بسجنه ريثما تأتي"

تحدث باهتمام:

"ما اسمه"

أجاب العسكري:

"وائل عبد الرحمن"

جحظت عينان أسر وقد تذكر أمر زوج أسيل، انتفض من مكانه ليحدث العسكري:

"حسناً أنا قادم"

أغلق هاتفه وتوجه مسرعاً لسيارته متوجهاً إلى القسم بينما الشبان تعجبوا من حاله ومزاجه المتقلب ولم يعلموا ما الذي حدث معه، زفر يوسف بقوة ليقول:

"ماذا عن الفتيات؟ لقد ظلتا بمفردهما في المنزل ولم نطمئن عليهما"

تحدث باسل بعفوية:

"مم حسناً فلنذهب إليهما بما أن أسر قد ذهب"

همهم يوسف وحرك رأسه بإيجاب موجهاً نظره لباسل الذي كان يحاول أن يبدو طبيعياً وليس له أي غاية من ذهابه إلى هناك، تحدث يوسف بإيجاب:

"حسناً هيا بنا وستتناول الفطور معهما، ولكن ماذا عن والدتك يا باسل"

تحدث باسل بسرعة:

"لا تقلق بشأن والدتي فخالتي عندها الآن، لقد حدثتها منذ قليل وقالت لي هكذا"

حرك يوسف رأسه بإيجاب وتوجهوا ثلاثتهم لمنزل يوسف.

بينما أسر كان يقود بأقصى سرعة ليصل إلى الفرع، لم يمر بضع دقائق حتى وصل حالاً، هبط من سيارته متوجهاً بسرعة إلى مكتبه ليدخل إليه العسكري، وجه أسر نظره له ليقول:

"هل جلبتم الجثة"

تحدث العسكري بإيجاب:

"أجل سيدي وقد عرضناها على الطبيب الشرعي وفحصها وتبين لنا بأن الجثة قد مضى على حرقها مدة عشرة أيام تقريباً"

همهم أسر ليقول:

"وهل تأكدتم من هويته"

تحدث العسكري:

"أجل سيدي جثة رجل يدعى عماد"

حرك أسر رأسه بإيجاب ليقول:

"وأين الجثة الآن"

تحدث العسكري:

"في المستشفى سيدي، لم نستطع تغسيل جثته لأن نصفها تحولت لرماد"

حرك أسر رأسه بإيجاب ليأمر العسكري بالانصراف وجلب وائل إليه، لم يمر دقائق حتى دخل العسكري وبرفته وائل الذي كان مكبل الأيدي، خرج العسكري وبقي وائل، ظل أسر ينظر إليه مطولاً، لا يعلم لما تملكه الغضب عندما تذكر حبه الأعمى لأسيل، لا يريد أن يشاركه أحداً بحبه لها، أقسم في نفسه بأنه سيأخذ لها حقها، كونه هو من أخذها وظلمها وأوسعها ضرباً، فلن يتهاون معه أبداً، تحدث أسر بجمود موجهاً حديثه لوائل الذي كان يقف ببرود ليقول:

"تعال واجلس"

لم يعترض ولم يغير من ملامحه فقد توجه للكرسي وجلس بصمت، أردف أسر له:

"كيف حرقت ذلك الرجل"

تحدث وائل ببرود:

"لقد سكبت عليه البنزين وأشعلت الكبريت وحرقته"

همهم أسر ليتحدث:

"مم ولماذا"

تنهد وائل ليقول بجمود:

"انتقاماً لزوجتي"

ظل أسر على بروده ليقول:

"وماذا حدث لزوجتك"

تحدث وائل:

"جعلوني أشكك بها وبأخلاقها وكانوا يريدون تهريبها ليسفروها بعيداً عني وغير ذلك والدتي جعلتها توقع على ورقة طلاقها"

همهم أسر ليقول:

"إذا خسرت زوجتك تحرق رجل مثلاً"

تحدث وائل بلا مبالاة:

"أحرق الجميع أيضاً من أجلها"

ابتسم أسر بسخرية ليقول:

"ولما لم تحرق الطرف الثالث الذي هو أحلام إذاً"

نظر وائل له بصدمة، كيف له أن يعلم بأمر أحلام؟ ومن أين علم؟ وما شأنه بالموضوع أساساً؟ صدم من حديثه ولم يعرف بماذا يتحدث ليردف أسر ببرود:

"لا داعي للصدمة يا سيد وائل، فأنا أعلم بالقصة كاملة، وأعلم من تكون زوجتك وأعلم بكل شيء، لا داعي لاستجوابك إذاً، ستوفر علي مجهود كبير"

مازالت الصدمة ملجمة على وائل، لم يستوعب شيء، تحدث بعدم فهم:

"كيف لك أن تعرف كل شيء؟ ومن أين تعرف زوجتي"

تحدث أسر باستفزاز:

"كانت زوجتك، الآن لم يعد يوجد بينكما أية صلة تذكر"

احتقن وجه وائل ليقول بغضب مكتوم:

"لا شأن لك فقط قل لي من أين تعرف أسيل"

ابتسم أسر بسخرية ليقول:

"عندما هربت منك وجدتها أنا ومكثت عندي قرابة الشهر ومن بعدها سافرت والآن عادت لوالديها سالمة غانمة"

كان يستمع بعدم استيعاب، صدم من كلامه، لو كان يعلم بأن أسيل قد عادت ماكان سيسلم نفسه، بل كان سيعود لاختطافها ويسافر بها بعيداً عن كل شيء، أدمعت عيناه ولم يتحدث بشيء، بينما أسر كان يتابعه ويتابع نظراته وحركاته ليرد له:

"هل تحبها"

هبطت دموع وائل ليبتسم ابتسامة سخرية وسط دموعه ويقول:

"أكثر من أي شيء"

تحدث أسر بجمود:

"لقد سألتها نفس السؤال وقد قالت لي في وقتها بأنها لم تحبك بل أحببت معاملتك معها، ولكنك ظلمتها واتهمتها بالباطل لذلك بعدها عنك كان عقابك"

نظر له وائل ولم تنتضح الرؤية عنده بسبب دموعه ليقول بضعف:

"ولكنني رأيت كل شيء بعيني، لم أكن أعلم بأن والدتي ستكون لعينة وتتهم أسيل بالباطل"

تنهد أسر ليقول:

"لا أعلم إنه القدر"

ابتسم وائل بسخرية ليقول:

"و يا لسخرية القدر"

كان أسر وجهه خالي من التعابير، جامد، بارد، لم يتعاطف معه رغم أنه يعلم بأنه يحتاج الآن للشفقة لأنه خسر كل شيء وسيقضي عمره كله في السجن، ولكن أسر كان حاقداً عليه كونه تسبب بكل هذه المأساة لأسيل، وعلى من نكذب فهو أيضاً سبب لها الوجع وقد عانت الفتاة من الجميع، قرر أسر بأنه لن يؤدي وائل ولن يعذبه، سيكتفي بنحويله إلى المحكمة ومن بعدها سيتولون أمره بأنفسهم، وعندها ستكون أسيل له هو فقط.

---

تمشي في طريقها وهي شاردة الذهن، مصدومة من الذي حدث في غيابها، لا تعلم كم الألم الذي عانتها صديقتها في غيابها، لم تصدق عندما علمت من والدتها بأن شهد قد تعرضت للأغتصاب من قبل سهيل، بكيت بحرقة عليها، كانت تريد أن تذهب لها منذ ليلة أمس ولكن والدتها منعتها وأمرتها بأن تتريث للصباح الباكر فقط، لم تتم طوال الليل وهي تفكر بوجع صديقتها، أحست بنفسها كم هي سيئة لأنها تركتها وحيدة، ولكن قدر وحكم عليها لذلك لا داعي لأن تلوم نفسها، كلتاها تعرضتا للأوجاع والآلام.

وصلت إلى منزل صديقتها لتقرع الجرس وكلها شوق لها، لم تمضي ثواني حتى فتحت لها تلك الفتاة البريئة بوجهها الملائكي وملامحها الجذابة، تلاققت عيونهما ببعضهما، ابتسمت شهد بسعادة عندما رأت صديقة عمرها واقفة أمامها، احتضنتها بشدة وبادلتها أسيل العناق بشوق بالغ، ظلنا مدة قصيرة ومن بعدها دخلنا للداخل، كانت شهد بمفردها بالمنزل، جلست أسيل أمامها وبدأت بالبكاء من دون سابق إنذار، تعجبت شهد من بكائها وهي تحاول تهدأتها، تحدثت أسيل من بين دموعها:

"سامحيني شهدي، أنا السبب بكل شيء، أنا من تركتك بمفردك"

نظرت لها شهد وقد فهمت ماتقصده صديقتها، ابتسمت بسخرية وتحدثت:

"لا حبيبتني أنت لا شأن لك، بل هذا ما كتب علي"

نظرت لها أسيل بضعف لتتظر لها شهد بانكسار، كلتاها تتألمان من وجع ما، ولكنهما الآن قد أصبحتا سوياً لذلك لن يوجد للحزن مكان بينهما، ابتسمت شهد بسعادة كي تغير مجرى الحديث وتقول محتضنة أسيل:

"لقد اشتقت لك كثيراً جميلتي"

ضحكت أسيل ضحكة صغيرة لتبادلها العناق وتقول:

"وأنا أيضاً شهدي"

ظلنا على عناقهما مدة ليست بطويلة، ابتعدتا عن بعضهما لتقول شهد:

"ها أسيل، حدثيني ما الذي حدث معك؟ وهذه اللعينة زوجة أبيك ماذا فعلت لك"

تنهدت أسيل بقوة ومن بعدها بدأت تسرد عليها جميع الأحداث التي سبق وحدثت معها، حتى أنها حدثتها عن أسر لتتوسع شهد عيناها وتقول:

"يا إلهي لقد رأيت هذا الذي يدعى أسر برفقة يوسف في المستشفى، اها وماذا حدث بينكما قولي لي أسيل هيا قولي"

أنهت جملتها بابتسامة حماسية لتضحك عليها أسيل وتحدثها بكل شيء عن أسر، شهقت شهد عندما أخبرتها بأنه قبلها، ولكنها عادت وضحكت لتقول بشغب:

"وبماذا شعرتي ها ها"

عبست ملامح أسيل وضربتها ضربة خفيفة على كتفها لتقول:

"أيتها الحمقاء اصمتي لا أريد سماع صوتك"

ضحكت شهد لتقول:

"هل وقعتي بالحب يافتاة"

هممت أسيل وتحدثت:

"لا، أقصد أجل، لا لا أقصد أجل أنا أحبه كثيراً شهدي"

ضحكت شهد عليها ضحكة قوية، لم تكن تعلم بأن صديقتها عندما خاضت مغامرتها قد خاضت تجربة الحب أيضاً، تحدثت من بين ضحكاتهما:

"أيتها الحمقاء الحب ظاهر في عينيك، لا داعي للكذب"

نظرت لها أسيل وابتسمت ابتسامة واسعة، ولكن ما لبثت إلى أن تحولت هذه الابتسامة إلى ابتسامة شر لتقول بتشفي:

"ولكن لم أريه شيئاً بعد، سأجعله يندم على تركي وحيدة، سأريه"

نظرت لها شهد بعيون جاحظة وقد تحدثت بخوف مصطنع:

"أعانه الله عليك"

عبست أسيل لتقول:

"اصمني"

ضحكت شهد لتقول بحماس:

"بالمناسبة لقد أصبح لدي صديقة جديدة، سأعرفك عليها تدعى ماريّا وتكون شقيقة يوسف ذلك الضابط الذي يكون قريب أسر"

تحدثت أسيل بحزن مصطنع:

"هل استبدلتني فوراً؟ أكرهك بشدة وبهمزة وبكسرة"

ضحكت شهد على جملتها لتقول بوجه بريئ:

"لا حبيبتى أنا لا أستبدلك أبداً، أنت الأساس ومن بعدك يأتي الطوفان"

ضحكت الفتاتان وقد عادت السعادة إليهما من جديد، ستخوضان الحياة بتجارب مختلفة ومواقف مختلفة لتريان ما الذي سيكون بانتظارهما من مزيد إن كان السيء أم الجيد.

---

جالسين في صالة المنزل، كل منهم صامت لا يتقوه بحرف، يجلسون بملل واضح عليهم ولكن ليس باسل الذي يمل من حبيبة قلبه، كان ينظر لها وهو سارح بلامحها الطفولية، يتابع حركاتها البريئة والعفوية، ابتسامتها الشغوفة وضحكتها الرنانة، يتابع أدق تفاصيلها، بينما ليث كان يتابع رنيم ولكن رنيم لم تعره أي اهتمام، كان يفكر كيف سيرضيها وسيملك قلبها، كحال باسل الذي يفكر بطريقة ما كي يقتنع ماريّا بفكرة زواجه منها، بينما يوسف كان شارد الذهن يفكر بشهد، كيف سيعترف بحبه لها وكيف سيقنعها به؟ ثلاثتهم يفكرون بملكات قلوبهم، وجه باسل حديثه لماريا:

"كيف حال جامعتك ماريّا؟ هل تدرسين"

لم تنظر له فقط أخفضت رأسها خجلاً منه، لا تعلم لما يملكها الخجل عندما يحدثها هو بالذات، تحدثت بصوت خافت:

"بخير مم أجل أدرس"

همهم لها ليقول:

"جيد بالتوفيق"

نظرت له نظرة خاطفة وابتسمت ابتسامة صغيرة ليبادلها الابتسامة وتشيح بنظرها عنه فوراً، بينما رنيم كانت تتأفف بملل لتقول بضجر:

"ماريا لقد مللت أوف"

نظرت لها ماريا ببرائة لتقول:

"وأنا أيضاً"

تدخل يوسف بالحديث:

"

مم تشعران بالملل؟ حسناً ماريا هاتفي شهد لتأتي إلى هنا كي تعرفيها على رنيم وتجلسن سوياً، ها ما رأيك"

تحدثت ماريا بغرور:

"مم لا لقد حدثتها منذ قليل وقالت لي بأن صديقتها قد عادت وهي جالسة برفقتها الآن"

همهم يوسف ليقول:

"حسناً فلتأتي هي وصديقتها"

تأففت ماريا لتقول:

"لا لا أنتم شبان ولا يجب أن تجلسوا مع الفتيات، لن أدعها تأتي إلى أن ترحلوا"

امتعض يوسف ليقول:

"أيتها الحمقاء ها هي رنيم تجلس بيننا، لما شهد بالذات لا تريدين أن تجلس معنا"



تحدث يوسف باستفزاز:

"لا شأن لك"

ابتلع باسل ريقه بتوتر وظن بأن يوسف يتحدث بمحمل الجد، بينما رنيم وليث كانا يكتمان ضحكتيهما وماريا تجلس كالبلهاء لاتفهم شيء، محم باسل ليقول:

"أنا برأيي ماريا مازالت صغيرة على الزواج، أليس كذلك ماريا"

نظرت له ماريا وحركت رأسها بابتسامة حماس ليبادلها الابتسامة، بينما يوسف قرر أن يلعب بأعصاب باسل ليقول له باستفزاز:

"مم حسناً وأنا الذي كنت أريدك أن تخلصني منها وتأخذها وتتزوجها كي أرتاح منها، حسناً حسناً سأدبر لها عريس آخر، ما رأيك أنت يا ليث"

كاد باسل يشق نفسه من شدة غبائه ورنيم نظرت ليوسف بحدة بينما ليث انفجر ضاحكاً على منظر باسل ورنيم، تحدث باسل بتوتر:

"حسناً لا مانع سأخلصك منها سأخذها لا بأس"

أنهى جملته ووضع يده خلف رقبته بعفوية بينما يوسف همهم له بابتسامة مكر، أما عن ماريا فكادت تنفجر من شدة خجلها، عضت على شفتها السفلى من شدة خجلها وقد انتبه باسل على هذه الحركة، شعر بأنه سينفجر وشعر بالحرارة تسري في جسده، تنهد بعدم راحة ونهض بسرعة البرق متوجهاً للخارج تحت نظرات التعجب من الجميع، تنهد باسل عندما خرج من المنزل بأكمله، لفح الهواء وجهه وأخذ نفس عميق ليزفر بقوة، لم يعلم لما تصرف هكذا، فقط شعر أنه بحاجة للهواء، للعزلة، للوحدة، يريد أن يتألم من حبها ولكن بعيداً عن أنظار الجميع، لا يريد الشفقة من أحد، فقط يريد شفقتها وإحساسها بقلبه، ولكن هيهات فهي بعيدة كل البعد عنه، لا تشعر به، لا يعلم أيخبرها أم لا، يخاف أن ترفضه، هو ليس مستعد لصدمة أخرى منها، سيحاول أن يمهد لها، ومن بعدها سيشرح نفسه ويعترف لها بحبه، شعر بأن هناك أحداً خلفه ليستدير ويراها هي أمامه، قلبه يكاد ينفجر، سيخرج من مكانه، نظر لها مطولاً وهي كانت تنظر للأرض لتقول بصوتٍ ناعم:

"|| ما بك؟ لما خرجت فجأة؟ هل حدث معك شيء"

صوتها تغلغل لمسامعه، يشعر بأن صوتها سمفونية عذبة الألحان، لا يستطيع تمالك نفسه، سينقض عليها لا محالة، حمحم بتوتر ليقول:

"يحدث معي كل شيء"

نظرت له بتعجب ولم تفهم مقصده لبيتسم ابتسامة سخرية ويقول:

"أعلم بأنك لم تفهمي قصدي"

تحدثت بتوتر:

"لا أعلم ما الذي تقصده ولكن الجميع يسأل عنك في الداخل هيا تعال"

نظر لها بحزن، يكاد يبكي من غيابها، كيف لها أن لا تفهم عليه؟ كيف لها أن تعذبه هكذا؟ ولكن مهلاً! هو لم يعترف لها بشيء، ولم يحدثها بشيء، فكيف لها أن تنتبه لحبه لها، زفر بقوة وتوجه خلفها للداخل ليدخلان اثناهما ويجلسان في مكانهما، ما إن رأى ليث ماريا وهي تدخل حتى وجه حديثه ليوسف:

"يا يوسف هل بإمكانني أن أتحدث مع ماريا قليلاً"

نظر له يوسف بحاجبين معقودين ليقول:

"ولما"

تحدث ليث بتلعثم:

"يا فقط هناك موضوع أريد أن أحدثها به"

همهم يوسف وأشار لهما بالانسحاب دليلاً على موافقته، توجه الاثنان تحت نظرات رنيح المشتعلة ونظرات باسل الحزينة، لم يتفوه أحدهما بحرف فقط اكتفيا بالصمت، بينما ليث وماريا كانا يجلسان في حديقة المنزل، كان ليث يحاول جمع الكلام ليتحدث ولكن ظل يزفر بقوة، تعجبت ماريا من حاله لتقول:

"ما بك يا أخرق؟ هيا تحدث ما هو الموضوع الذي تريد أن تحدثني به"

تنهد بقوة وتحدث:

"الموضوع من أجل رنيم"

هممت ماريا لتقول:

"حسناً ما بها"

تحدث ليث:

"أريد أن أتزوجها"

تعجبت ماريا لتقول:

"حسناً وما شأنى أنا؟ إذهب وحدثها بذلك الشيء"

تحدث ليث بغيظ:

"أيتها الحمقاء اسمعيني جيداً، أنتِ تعلمين بكل شيء حدثت معي في السابق من أجل رنيم، وعندما عدت إلى باريس ورأيتها وجدتها مازالت تتبارد علي وتغيظني بتجاهلها، لذلك أحببت ان أشعرها بالغيرة قليلاً وقلت لها بأنني سأخطب ولكن هي لم تبدي أي ردة فعل، أجل أعلم بأن هذا التصرف خاطئ ولكن صدقيني أنا فعلت كل هذا من أجل أن تشعر بي، أرجوكِ ساعديني"

كانت تستمع له بتركيز واهتمام، هممت ووضعته إصبعها أسفل ذقنها دلالة على أنها تفكر بشيء ما لتقول:

"الذي فعلته خطأ"

نظر لها بغيظ ليقول:

"أجل أعلم لذلك أريدك أن تساعديني، أريد أن أتزوجها"

صفقت ماريا بمرح لتقول:

"هياي سنحضر حفل زفافكما أليس كذلك"

تنهد ليث بحنق ليقول بنفاذ صبر:

"أيتها اللعنة اللعينة الملعونة أفهمي، أقنعها بي أولاً ومن بعدها تحضرين حفل زفافنا"

عبست بوجهها لتقول:

"لا تتحدث معي هكذا وإلا لن أقنعها أبداً"

كاد ليث أن ينفجر ولكنه حاول تهدئة اعصابه وتمالك نفسه ليقول:

"حسناً لن أزعجك ولن أضايقك وسأجلب لك التسالي فقط ساعديني"

صفقت بمرح لتقول:

"يهووو حسناً لا تقلق سأتولى أمرها وأقنعها بك ولكنني أريد أن أرسم خطة وستتبعها معي ومن بعدها سنكون رنيم لك"

تحدث ليث باهتمام:

"ما هي الخطة"

تنهدت ماريا لتقول:

"دعني أفكر بخطة محكمة وسأخبرك لاحقاً"

ابتسم ليث ابتسامة واسعة لتبادله ماريا ويضربان بكفان بعضهما دلالة على اتفاقهما، نهضا سوياً متجهان للداخل وليث كله أمل أن تنجح خطة ماريا ليتزوج رنيم ويجعلها ملكة للأبد.

---

في المساء في منزل هشام يجلس بجانب المازون من أجل عقد قرانه على سمية، لم يكن يوجد أحد فقط أسيل وسمية وشهد ووالديها، كان هشام يكاد يطير من السعادة لأنه استطاع إرجاع سمية له كحال سمية التي لم تختلف عن هشام بشيء من سعادتها وطمئينة قلبها، بينما أسيل شعرت بالراحة والأمان، بما أن والدها سيكون بجانبها ووالدتها أيضاً فلن يعد يصعب عليها شيء، ستعيش بسعادة وهناء مع أسرتهما الكاملة، وأيضاً لن ننسى وجود أولاد هشام اللذان عندما علما بأفعال والديتهما بحق أختهما لم يستطيعان العيش معها وقد عادا ليعيشان مع والدهما وقد رحبت بهما سمية وقررت بأنها ستكون الحضانة الدافئة لهما وستعاملهما كما تعامل أسيل بالضبط، بينما أحلام لم تعد مثلما كانت، بعد هشام عنها جعلها تدخل بنوبات غضب، لم يعد أحد يقترب منها خصوصاً بعد أن أرسل هشام بشرط الفيديو لوالدها، وقد صدم والدها من ابنته أشد الصدمة وتبرأ منها ولم يستطع استقبالها في منزله، لذلك ذهبت وأخذت شقة بمفردها ولكن أولادها لم يتحملوها أبداً لذلك عادا لحضانة والدهما، وهذا ما أثر على أحلام بشكل سلبي فأصبحت كالمجنونة وغاضبة طوال وقتها، وآخر التطورات بعث بها والدها إلى المصححة كي تتعالج من مرضها وهي الآن بالمصححة تعاني أشد المعاناة.

تمت فرحتهما وعقد قرانهما وأصبحا الآن زوجان أمام الناس أجمع، استقبلا المباركات من الجميع وهنؤوهما وتمنو لهما الحياة الأبدية سوياً، رحل الجميع ولم يتبقى سوى هشام وسمية، وقد رحلت أسيل وأختها مع شهد والديها فقط هذه الليلة، اقترب هشام من سمية وجلس بجانبها ومرر يده على وجنتها بحنان بالغ وهو يهيم بها بنظراته، بينما سمية كادت تنفجر من خجلها، ابتسم لها وبادلته ليحملها ويصعد بها إلى غرفتهما، وضعها على السرير وجلس بجانبها، اقترب منها ليطبّع قبلة صغيرة على وجنتها، تحدث هشام بحب:

"وأخيراً أصبحتي لي ولم يعد هناك شيئاً يفرقنا"

ابتسمت بخجل وتحدثت:

"أسأل الله أن نظل سوياً وجمعنا مع بعضنا إلى آخر العمر"

اتسعت ابتسامته ليقول:

"وهذا ما سيحدث بإذن الله"

لم يعد يستطيع التحمل أكثر من ذلك، أصبحت زوجته أمام الله وأمام الناس فلما الانتظار؟ اقترب منها لينتقط شفيتها ويندمجان سوياً بحب بالغ ويهيمن ببعضهما في هذه الليلة الجامحة من بعد فراق دام سنين وها هما الآن مندمجان سوياً في عالمهما الخاص.

---

عند أسر في مكتبه، لم يستطع أن يذهب للبيت، من بعد قصة وائل يفكر ويفكر، يشعر به ويؤنبه ضميره لأجله، لقد ذاق العذاب مثلما ذاق أسر العذاب بألوانه، وكلاهما ذاقا العذاب من نفس الفتاة، سيحاول جاهداً أن يخفف حكمه، سيجعله يعيش، ليس مع أسيل لأن أسيل له وحده، هو أناني ولن يفرط بها أو يتركها له، ولكن سيحاول جاهداً أن يخفف عنه كونه لمس له العذر، وذاق العذاب في حياته كحاله هو، سيأخذ عقابه لأن كل من أخطئ لا بد أن يأخذ جزائه ولكن سيحاول التخفيف عنه، تنهد بقوة لسمع صوت رنين هاتفه، أجاب مسرعاً لأنه كان ذاك الحارس الذي وضعه من أجل مراقبة أسيل، ليحييه الحارس ويأتيه بالأخبار وآخر التطورات، همهم أسر وأغلق الهاتف، والآن نقطة لصالحه، كون والد أسيل عاد لزوجته فهذا من صالحه، فرح بهذا الخبر وأقسم على أنه لن يتنازل عنها مهما حدث، زفر بقوة وأخرج هاتفه وفتح على صورتها الوحيدة التي لديه في الهاتف، نظر لها بحب وابتسم ليقول بينه وبين نفسه:

"لنرى كم من الصعب ترويضك يا صغيرتي الجميلة"

"غاب عني الحزنُ ولبستُ فيه لباسَ المرح"

إليك أنتِ يا من سرقتِ بيسمَتِكِ قلباً لم يرى إلا الحُزن  
فحولتِ حُزني بلمعةِ عينكِ إلى لحظةِ فرحٍ صورتُها  
بعقلي ..

أحببتُ عيناكِ وعشقتُ روحكِ ... ياملاكي "

---

" خُذيني لأنني أنا لا أريدُ الحياة بدونك "

لأنني أنا لا أرى النور بعدك

لأنني أنا لا أعرفُ الحب لغيرك

لأنني أنا أعيشُ في الظلام في غيابك

لأنني أنا دائماً أدعو الرب لكِ

لأنني أنا أريدُ الجمال لابنتي

لأنني أنا أراكِ أجملُ من القمرِ

لأنني أنا سأعيشُ من أجلكِ أنتِ "

---

صباح اليوم التالي

كان أسر يجلس في مكتبه برفقة يوسف يتحدثان بأمر ذلك الشاب الذي ذاق المر حتى شبع، تنهد يوسف بقوة ليتحدث بضيق:

"ما الذي ستفعله الآن"

تحدث أسر ببرود:

"سأساعده حتى يخفف الحكم عنه"

امتعض يوسف ليقول:

"كيف لك أن تساعده وقد حرق إنسان بدم بارد يارجل"

تنهد أسر ليقول:

"أجل أعلم ولكن يجب علي مساعدته"

تحدث يوسف بسخرية:

"وما الذي يجبرك على فعل هذا"

آسر بجمود:

"كل شيء"

عقد يوسف حاجبيه ليقول:

"أنا لا أفهمك"

آسر ببرود:

"ليس ضرورياً"

امتعض يوسف وبقي صامت، لا يعلم ما الذي يفكر به آسر، وكيف له أن يعلم وهو لم يذوق الذي ذاقه آسر في آخر فترة، أجل يوسف تعذب بسبب شهد، ولكن ليس بمقدار عذاب آسر، طبعاً لن يستطيع أحداً أن يفهم آسر، هو أصلاً لا يفهم نفسه ولا يعلم لماذا سيساعده، ولكنه يعلم بأنه ظلم في حياته كثيراً لذلك سيحاول مساعدته، غير ذلك آسر لن يظل صامت سيسترد ملكه ويأخذ أسيل، لن يتركها أبداً ولن يقف مكتوف الأيدي، سيفعل ما بوسعه لكي يسترجعها، فهي من حقه وملكه له هو فقط، هو يعلم جيداً بأنه تعدى على أملاك غيره وسيأخذ أسيل من وائل، فهو يظن بأنها ملكه لأنه يعشقها، ووائل أيضاً يظنها ملكه وسيظل على أمل اللقاء بها يوماً ما، ولكن أسيل تحب آسر، تحبه بمساوئه ومحاسنه، ولكنها بالتأكيد لن تقبل بأن تكون كعبة بيد أحد، خرج يوسف من مكتب

آسر ليزهب إلى منزله، بينما آسر ظل في مكتبه يفكر بمحبوبته، اشتاق لها ويريد رؤيتها ولكن كيف سيراه؟ وكيف سيحدثها؟ كبرياءه يمنعه من الذهاب إليها، بينما قلبه يطلب صارخاً لرؤيتها، يصارع نفسه كل يوم فقط من أجل أن لا ينزل من كرامته ويحدثها، فهو يمشي على هذا المبدأ، يريد أن تأتي هي إليه، تنهد آسر بضيق وخرج من مكتبه متجهاً إلى وجهته.

---

في الجامعة عند أسيل وشهد

تمشي الفئتان بأرجاء الجامعة تتحدثان بأمر عدة، تحدثت أسيل بضيق:

"يا إلهي كم فاتني من الدروس والتصاميم"

همهمت شهد لتقول:

"أجل وأنا كذلك"

تنهدت أسيل لتقول:

"حسناً سنضغط على أنفسنا في هذه الفترة كي نعوض ما فاتنا"

خرجت أسيل وشهد إلى خارج الجامعة لتقف أسيل مصدومة مما رأت، تجمدت أطرافها عندما رآته يقف بشموخ وبإطلالته المحببة إلى قلبها، توقفت الدنيا من حولها في هذه اللحظة، لا تصدق أنه أتى إلى هنا من أجلها، كيف تنازل بهذه السهولة؟ فهي كما تعلم بأنه لا يتنازل أبداً حتى وإن كان يجيبها، شعرت بأنها في حلم، ظلت متجمدة في مكانها ترمش بصدمة، شعرت بأنها ستركض إليه وتحترضه بقوة ولكن لا، لن تتهاون ولن تستسلم ولن تضعف، ظلت تردد هذه الكلمات في عقلها، لأن قلبها الأحمق سيدمرها ذات مرة، وقفت شهد باستغراب عندما رأت صديققتها متجمدة بمكانها، ظلت تنادي عليها حتى صرخت بها لتفريق أسيل من شرودها وتنتبه لها، تحدثت شهد باستغراب:

"ما الذي يحدث لك يا حياء"

تحدثت أسيل ولكن عيناها ظلت موجهة على آسر:

"إنه هنا"

تعجبت شهد لتقول:

"من هو"

تحدثت أسيل:

"أسر"

جحظت عينان شهد لتقول:

"أين هو"

ظلت أسيل تحديق به ولم تزحزح نظرها عنه كحالها هو لتوجه شهد نظرها مكان نظر أسيل وتراه، شهقت شهد بقوة لتقول:

"أيتها الحمقاء لا تنظري إليه، لا تقولي لي بأنك ستذهبين وتحديثينه"

رمشت أسيل عدة مرات لتقول:

"لا لا لن أذهب، هيا بنا"

مشت الفتاتان في طريقهما بينما أسر يتابعهما بنظرة، مشى خلفها بسرعة ليلحق بها ويمسكها من معصمها، بينما أسيل عندما شعرت بيد أحدهم تجمدت بمكانها، استدرات لتراه هو، تحدثت بأسر بجمود:

"ألم تتعلمي بأن تلقي السلام عندما ترين أحد تعرفينه"

انتشل أسيل من صدمتها وقد استفزها ببروده لتتحدث ببرود مماثل وتقول:

"عفواً ومن تكون حتى ألقى السلام عليك يا سيد"

أحبت شهد أن تتدخل بالأمر لتقول مساندة لصديقتها:

"معذرة سيدي، ولكن يتهياً بأنك تشبه على صديقتي لذلك دعنا نسير في طريقنا"

ابتسم بسخرية ليقول بتحدي:

"لا يا أنسة شهد، فصدقتك آسيل تعرفني جيداً لذلك لن أذهب"

همهمت آسيل لتقول:

"حسناً يا سيد، يا إلهي كم أنسى اسمك لا أعلم لما، المهم ما الذي تريده مني"

غضب آسر منها أشد الغضب ولكن حاول أن يتماسك قليلاً، فأولاً وآخرأً يظل موقفه صعب جداً، تحدث بهدوء مصطنع:

"أريد أن أتحدث معك"

تحدثت آسيل ببرود:

"ماذا تريد"

تحدث آسر بحدة:

"واللعنة لا تتباردي علي هكذا أتفهمين"

عقدت حاجبيها لتقول:

"حقاً لا أفهمك، تأتي إلي وتوقفني بمنتصف الطريق وتقول بأن لا أحدثك ببرود، لماذا؟ هل بيننا شيء لكي تأمرني أو ما شابه"

هنا ولم يعد يحتمل برودها هذا، نسي الأخلاق ونسي الرقي ليمسكها من خصرها المنحوت ويشدها إليه، أمسك يداها الاثنتين بيد واحدة وثبتهما خلف ظهرها تحت صدمتها ليتحدث ببرود:

"هل ستتوقفين عن برودك؟ أم أفعل شيئاً بالشارع يجعل وجهك الجميل يتحول إلى مزرعة طماطم"

ظلت متجمدة تنظر إليه بفاه مفتوح، كحال شهد التي شلت حركتها من فعلته، حاول أن يخفي ابتسامته بصعوبة فقط على منظرها، أردف لها آسر:

"هيا تفضلي معي"

استعادت و عيها لتتحدث بحدة:

"من تكون لتفعل معي هكذا؟ اتركني يا سيد، إذا كنت أنت عديم الأخلاق فأنا لذي أخلاق هيا ابتعد"

بقي على بروده فقط يتابع حركة شفيتها ليتحدث بجمود:

"هل تريد أن أريك أخلاقي هنا"

ابتلعت ريقها لتقول:

"ابتعد عني يا فتى"

صدم من كلمتها ليردد باستنكار وصدمة:

"فتى"

ظلت صامته ليرد لها بغضب:

"هل كنا نلعب بالكرة سوياً لتقولي لي فتى"

ابتسمت باستفزاز لتقول:

"لا ألعب مع الفتيان الصغار"

بلغت ذروة غضبه واحتدت ملامحه ليمسك شفيتها بيده ويكز عليها، هبطت دموعها لأنها بموقف لا تحسد عليه  
أبدأ كما أنها تقف بالشارع، بينما شهد شهقت بقوة وصدمت مما رآته، ظلت أسيل تقاومه حتى ابتعد عنها وتركها  
وهو ينظر لها بحدة بينما هي تبكي، وقف بجمود ولم يتحدث لتقول له أسيل ببكاء:

"اللعة عليك أيها الأحمق اللعين، ليتني لم أراك يوماً، ابتعد عني هل تفهم، أنت وغد حقير"

استفزته كلماتها ليتحدث بحدة:

"لا تتحدثي معي هكذا وإلا سأريك جحيمي يا أسيل"

دفعته للخلف ونظرت له بسخط وتقول:

"لن أتحدث لإنني لن أتنازل وأقف معك في المرة القادمة"

تحدث أسر بغضب:

"أنت من أجبرتني على فعل ذلك"

همهمت أسيل لتقول:

"حسناً ابتعد عني ولا تريني وجهك بعد الآن، لا أريد رؤيتك ولن أقف معك أبداً بعد الآن"

ابتسم بسخرية ليقول بتحدي:

"سنرى"

نظرت له بقوة لتشيح بوجهها عنه وتأخذ صديقتها وتمشي متجهة إلى بيتها، بينما أسر ظل واقفاً بجمود، يلعن نفسه مئات المرات على انجراف مشاعره وهذا التصرف الغيبي، اعتبرها إهانة له أيضاً عندما وضع نفسه في هذا الموقف، غير ذلك شعر بالإهانة عندما شتمته أسيل، أحس بنيران تأكل صدره، ولكن لن يلومها فهو من وضع نفسه بهذا الموقف، تنهد بغضب وزفر بقوة، الآن قد ساء الوضع أكثر من قبل، كان يريد أن يحدثها بلطف ويطلب منها الذهاب معه للتحدث بكل احترام، ولكن هي من جعلته يغضب واستفزته بكلامها، والآن ما الذي سيفعله؟ وكيف سيبرر موقفه؟ لا يعلم! توجه إلى سيارته والشياطين تتراقص حوله لكي يعود إلى الفرع ويفرغ طاقته السلبية بأي شيء كان.

---

بينما أسيل وهي بطريق عودتها ظلت تبكي طوال طريقها، وكانت شهد تحاول تهدأتها، لم يعجبها تصرفه وحققت عليه بشدة، أقسمت أن تذيقه الويل لأنها تعلم جيداً بأنه لن يكف عن ملاحقتها إلى أن ترضخ له، ولكن ليست أسيل من ترضخ وتتنازل، ستقلب له موازينه وتغير تفكيره بالكامل وسيرى منها ما لا يعجبه.

---

في الجامعة الأخرى ومن الجهة الأخرى

خرجت ماريما من محاضرتها الأخيرة وقد حان وقت عودتها للبيت، كانت تشعر بالملل ولم تحبذ فكرة رجوعها للبيت، تأفقت بملل وجلست على إحدى المقاعد الموجودة بحديقة الجامعة، تنهدت بضيق وجلست تراقب الطلاب بصمت، لم تعلم كيف مرت بعقلها صورة باسل، لا تعلم لما يرتبك ويتوتر عندما يتحدث معها، كيف ستفسر اهتمامه اللامقصود لها؟ وكيف ستفسر توتره وارتبائه عند حديثه معها؟ هل يعقل بأنه ينجذب لها؟ أم أنه يحبها؟ أم أنه معجب بها؟ هذا ما كان يجول في خاطرها، سألت نفسها هل هي تحبه أم معجبة به؟ أبعدت فكرة

الحب من ذهنها نهائياً، هي معجبة به وبشخصيته فقط، فمن هي التي ستري باسل ولا تقع له فوراً؟ امتعضت ماريًا بوجهها لتحدث نفسها بصوت مسموع:

( إلهي كم هو جميل وجذاب، ولكنه يكبرني سنًا بكثير، هو بعمر أخي، حسناً لا مشكلة فأخي يحب شهد وشهد من عمري لا بأس، ولكن لماذا أتوتر وأخجل عندما يحدثني؟ هل أنا أحبه ياترى؟ لا لا أيتها الحمقاء وهل الحب يأتي في يومان؟ هو هنا منذ ثلاثة أيام فقط، ولكن كيف يحدث معي هكذا؟ سأحدث شهدي وأسألها، ولكن هي حمقاء أكثر مني بالحب، هل أسأل رنيم؟ لا لا رنيم ستشك بي وتقول لأخيها لا أريد، إذًا من؟ يا إلهي رأسي سينفجر، حسناً سأذهب إلى بيت شهد وأسألها، لعلها تفهم قليلاً في هذه الأمور)

تنهدت ماريًا وانتبهت إلى نفسها بأنها كانت تحدث نفسها كالحمقاء، تحدثت بصوت مسموع:

(إلهي كم أنا حمقاء، حسناً ماريًا لا بأس عزيزتي أنت مجنونة وتفكرين بنفسك لا بأس، من لم يعجبه ف للجحيم السابع)

نهضت ماريًا متوجهة إلى بيت شهد وبينما كانت تمشي في طريقها كانت تفكر كيف ستفتح مع شهد الموضوع وتحدثها به ومن أين ستبدأ، بدأ عقلها يتشوش وكانت تسير شاردة الذهن تماماً لتقطع الشارع وإذ بسيارة مسرعة تأتي من بعيد وتصطدم بماريًا لتقع أرضاً ودماؤها تسيل على الأرض، بينما ذاك الشاب الذي كان يخرج من المستشفى ليتوجه إلى سيارته سمع صوت الضجة ورأى الحادث بعينه ولكنه لم يرى من تكون تلك الفتاة، جحظت عيناه على ذلك المشهد الذي رآه فالحادث كان كبير جداً، لأن السيارة اصطدمت بماريًا ومن بعدها أخذت جهة اليمين لتسير وتصطدم بسيارة أخرى والسائق يتضرر أيضاً، ومن الجهة الأخرى الشاب الذي صدمت سيارته تضرر كذلك، أسرع باسل إلى مكان الحادث والناس متجمعة حولهم لتقع عيناه على محبوبته والدماء تغطي وجهها، لم يصدق بأنها هي، اقترب منها مسرعاً ودموعه تغطي وجهه وهو يصرخ بها بأن تستيقظ، حملها وركض مسرعاً بها إلى المستشفى لكي يعالجها، بينما أنت سياراة الإسعاف التي كانت قريبة من مكات الحادث، لتأخذ الشبان اللذان تضررا، تاركين دماء ماريًا في الأرض تغطي المكان وتشهد عليه.

---

في منزل هشام يجلس على الأريكة بكل أريحية، يبتسم ببلاهة فقط لأنه حصل على سمية، جاءت إليه محبوبته بابتسامتها الجميلة لتجلس بقربه وتحدثه:

"عزيزي مابك"

أمسك يدها وقبلها ليتحدث بابتسامه:

"لا شيء حبيبتي"

هممت سمية بابتسامه لتقول:

"أين الأولاد؟ لما لم تبعث بالسائق لكي يجلبهم"

ابتسم هشام بخفة ليقول:

"دعك منهم سيأتون فيما بعد، لنأخذ راحتنا ونكون بمفردنا"

ابتسمت بخجل وأخفضت رأسها ليمسك وجهها ويرفعه ويقبلها قبلة سطحية على فمها الصغير، ابتسمت باتساع وبادلها لتقول:

"بالمناسبة ماذا حدث لأحلام"

امتعض وجهه وعقد حاجبيه ليتحدث بغضب:

"لا أريد سماع اسمها حسناً"

توترت سمية وحاولت أن تخفف عنه لتقول:

"حسناً عزيزي لا تغضب كما تشاء، هيا تعال معي"

نظر لها باستغراب ليقول:

"إلى أين"

ابتسمت بخجل لتقول:

"فقط تعال معي هيا"

ابتسم باتساع ونهض معها ليتوجهان للأعلى ومن بعدها يهيمن بعالمهما الخاص.

---

في منزل يوسف

يجلس بتوتر بالغ، يقضم أظفاره ويحرك قدمه بتوتر، بينما أسر وليث ورنيم كانوا يجلسون معه وحالهم كحال يوسف، جو مليء بالتوتر وبعض الخوف، يكاد يجن يريد أن يعلم أين شقيقته، حاول مهايتها كثيراً ولكن هاتفها

مغلق، سأل عنها في الجامعة وقالوا له صديقاتها بأنها خرجت منذ مدة، كما أنه بعث بعدة دوريات لكي يقومون بالبحث عنها ولكن إلى حد الآن لم يأتيه أحد بالخبر المريح، قلق، خائف، حالة رعب يعيشها من خوفه على شقيقته التي لا يملك غيرها في هذه الدنيا، يكاد يبكي لأنها مفقودة، هاتف شهد وسأل عنها وأجابته بأنها لم تراها، كما أنها أوصته حالما تأتي يطمئنها عنها، تنهد بضيق وخوف ونهض ليأخذ الصالة ذهاباً وإياباً، كحال أسر الذي كان واقفاً والرعب يدب في قلبه، صدح صوت رنين هاتف يوسف ليجيب فوراً:

"ماذا حدث"

تحدث العسكري:

"سيدي لقد بحثنا عنها كثيراً ولم نجدها، ولكن علمنا الآن بأنه حدث حادث سير في الشارع العام ولقد تضررت فتاة وشابان ولكن لم نعلم من يكونوا"

دب الرعب في أوصال يوسف ليتحدث بحدة:

"أيها اللعين ابحث عنها في جميع المستشفيات هل تفهم؟ واسأل عن أصحاب هذه الحادثة ومن تكون تلك الفتاة"

تحدث العسكري بإيجاب:

"حاضر"

أغلق يوسف هاتفه، عقد حاجبيه بحزن وأوشك على البكاء، لم يعد يستطيع التحمل، هو يبحث عنها منذ أكثر من ثلاث ساعات ولكن لا وجود لها، لا يعلم بأن شقيقته هي من صدمتها السيارة، ولكن لماذا باسل لم يحدثهم عنها ويطمئنهم؟ هه وكيف له أن يحدثه وهو الذي يحاول معالجة محبوبته الآن من أجل إنقاذها لتعيش ويعيش هو لأجلها، تنهد يوسف بضيق بعد أن حدث الجميع بالذي قاله له العسكري ليصدح صوت رنين هاتفه مرة أخرى ليرى المتصل ويكون باسل، أجاب بسرعة:

"ماذا هناك"

زفر بتعب ليقول:

"أريدك أن تأتي إلى المستشفى"

هبط قلب يوسف ليقول:

"ماذا حدث؟ هل ماريا بخير؟ أرجوك أخبرني"

تحدث باسل بتوتر:

"لا تقلق هي بخير فقط رضوض بسيطة، تعال للمستشفى هيا"

تملكه الخوف، هبطت دموعه دون سابق إنذار عندما علم بأن شقيقته بالمستشفى، كحال أسر الذي تملكه الخوف عندما رأى دموع يوسف، وحال ليث ورنيم لا يختلف عنهما، ابتلع أسر ريقه ليقول:

"ماذا حدث"

شهق يوسف ليقول:

"ماريا في المستشفى"

صدم أسر بينما رنيم بدأت بالبكاء، أما ليث فقد ضرب الحائط بيده، تحدث أسر بسرعة:

"حسناً هيا بنا للمستشفى"

خرجوا أربعتهم متوجهين للمستشفى، بينما يوسف طوال طريقه لا يكف عن البكاء كحال رنيم، أما أسر قاد سيارته بأقصى سرعة لكي يصل، لم يمر دقائق حتى وصلوا للمستشفى وصعدوا للطابق الذي متخصص به باسل، التقوا به ورأوه يجلس على إحدى المقاعد في المستشفى، هم يوسف راكضاً إليه ليتحدث بخوف:

"أين هي ها؟ أين أختي باسل تحدث"

زفر باسل بقوة ليقول:

"يوسف اهدأ هي بخير لا تقلق"

تحدث يوسف بخوف:

"ولما أنت هنا؟ أليس عليك أن تعالجها، ألم تعالجها باسل؟ ماذا حدث لها"

تحدث باسل بتعب:

"أجل أجل لقد عالجتها، صدقتي هي بخير، مجرد رضوض بسيطة، لقد كسرت يدها اليسرى كما أنها تعرضت لجرح طفيف في رأسها ولكننا قمنا بخياطته، لقد عرضناها للأشعة وكنا خائفين بأن يكون قد حدث لها نزيف داخلي في رأسها ولكن الحمد لله هي سليمة، فقط رضوض بسيطة وجرح في رأسها، كما أن قدمها اليسرى قد جرحت جرح خفيف وقد عمقنا الجرح وهي الآن بخير، ولكن مازالت مغيبة عن الوعي تحتاج إلى الغد لتستيقظ على الأقل"

ابتلع يوسف ريقه بخوف، كل هذا تعرضت له شقيقته؟ تمنى لو أنه يأخذ أوجاعها ويضعها فيه هو، ضرب الحائط بيده وتهاوى بجسده على الأرض، بينما أسر تحدث:

"حسناً ولما أنت جالس هنا"

تنهد باسل ليقول:

"يجب أن ترتاح قليلاً، لقد انتظرتكم هنا حتى تأتون واطمئنكم عليها"

ابتلع أسر ريقه ليتحدث بتوتر:

"هل ستعرض لغيوبه أو ما شابه"

تحدث باسل بنفي:

"لا أعتقد، فالجرح الذي برأسها لا يدل على أنها ستغيب عن الوعي لمدة طويلة أنا واثق"

همهم أسر وتنهد بارتياح، كحال ليث ورنيم اللذان ما إن سمعا هذا الخبر حتى اطمئنن قلوبهم، طلب يوسف أن يراها ولو لخمسة دقائق وقد سمح له بأن يدخل إليها هو فقط، دخل إليها ليراه نائمة على سريرها بسلام، رأسها لف بالشاش، ويدها اليسرى مجبرة، وقدمها اليسرى أيضاً ملفوفة بالشاش، هبطت دموع يوسف ما إن رآها بهذه الحالة، اقترب منها وأمسك بيدها السليمة ونظر لها بأعين دامعة، شهق بقوة وهو يراها بهذه الحالة، شعر بسكاكين تخترق صدره كونها بهذا الموقف، قبل يدها واقترب ليقبل رأسها مطولاً ويوزع قبلاته على جميع أنحاء وجهها، بينما هي لا تشعر بشيء نائمة أو بالأصح مغيبة عن الوعي، مسح يوسف دموعه وحدثها بضعف:

"ماريا حبيبتي هيا انهضي، هيا استيقظي سأجلب لك مخدراتك والكثير منها، لن أضربك مرة أخرى ولن أغيبك وسأكون مطيعاً لك وسأجلب لك ماتتمنين فقط انهضي، هيا ماريا أريد أن أرى مشاغباتك أريدك أن تشاكسيني قليلاً وتنقضي علي لتضربيني هيا حبيبتي، اسمعي سأجلب لك شهد، ألم تقولي لي بأنك تعلقتي بها كثيراً وأحبيتها؟ حسناً سأجلبها لك من أجل أن تجلسين معها وتأكلان الشوكولا، ماريا لاتدعيني أحدث نفسي هيا انهضي ودعيني اطمئن عليك"

لم يرى منها أي ردة فعل ولا أي حركة، شهق بقوة وعاد للبكاء عندما رآها ساكنة لا تستجيب، دخل عليه باسل ليخرجه من عندها لكي ترتاح ليخرج معه وهو يمسح دموعه بظهر كفه، بينما باسل استاذن منهم وذهب إلى مكتبه لكي يفرغ طاقته السلبية التي لم يرد أن يفرغها أمامهم ويفضح حبه لها، ما إن دخل للمكتب حتى بدأ بالبكاء، لقد افتعل الضجة بكل معنى الكلمة، فمكتبه قد أصبح رأساً على عقب من الفوضى والأغراض المتناثرة على الأرض، هبط بجسده على الأرض ليبيكي بمرارة، هو خائف عليها كثيراً، يريد فقط أن ينسى منظر وجهها المغطى بالدماء، ألمه قلبه بشكل كبير، لا يمكن وصف شعوره بهذا الموقف، ظل يبكي ويشهق لدرجة أنه أحس بغصة واختناق، احمر وجهه وبلغ غصته بصعوبة بالغة ليعاود الشهيق والزفير بحدة وسرعة مماثلة، شعر بالوهن والتعب، لم يحدث معه ذلك الأمر من قبل ولكن من أجلها سيحدث معه الكثير والكثير، بدأت الدنيا تلف به وأصبحت الرؤية عنده غير واضحة، وآخر ما رآه هو دخول أسر وليث عليه ومن بعدها أراح بجسده على الأرض فاقدماً للوعي مستسلماً للواقع ليذهب لأحلامه الوردية ويساند محبوبته عل وعس بأن يلتقي بها بأحلامه وهي بأحضانه.

" وَأَحْسَنْتُ أَنْكَ حِينَ دَهَبْتَ

أَخَذْتَ مِنَ الْعُمْرِ كُلَّ الْبَرِيقِ

فَلَمْ يَبْقَ فِي الْعُمْرِ غَيْرُ الصَّدَا

وَأَنْ دَمِي تَاهَ بَيْنَ الْعُرُوقِ وَخَاصِمَ نَبْضِي

وَمَاذَا سَيَفْعَلُ نَبْضٌ غَرِيبٌ

فَدَأْجُوكِ رُدَيْنِي إِلَيْكَ

أَوْ رُدَيْنِي إِلَيَّ

لَا تَتْرُكِينِي أَقْفُ فِي الْمُنْتَصَفِ "

---

" خُذني إليك "

قَد حَارَ نَبْضِي فِي الْهُوَى بَيْنَ يَدَيْكَ

قَد سَالَ الْوَرْدُ دَمْعاً مُرّاً شَوْقاً إِلَيْكَ

مَوْتاً حَيَاةً لَا أَبَالِي فَقَلْبِي لَدَيْكَ

" خُذني إليك "

في اليوم التالي

مكان يعم بالهدوء، لا يسمع به سوى صوت دقات القلب المنتظمة والتنفس المنتظم من فتحة الأوكسجين، في تلك الغرفة البيضاء، تتمدد تلك الفتاة الصغيرة مغمضة العينين، شاحبة الوجه، ولكن مع كل هذا لا يمنع بأنها مازالت فاتنة، دخل عليها أسر وليث ورنيم ويوسف ليطمئنون عليها وإلى الآن مازالت فاقدة للوعي، ينظر لها يوسف بلامح حزينة ومتعبة، بينما أسر قد انفطر قلبه على رؤيتها بهذا الشكل، كحال ليث الذي حزن عليها أشد الحزن ورنيم التي لم تجف لها دمعة منذ البارحة، تنهد يوسف بقوة وجمود، التفت إليه أسر لينظر له ويراه متعب بكل معنى الكلمة، تحدث أسر بهدوء:

"يوسف أذهب وأرح نفسك قليلاً، سأظل أنا معها"

جلب الكرسي ليضعه بجانب سرير أخته ليجلس عليه ويتحدث بتعب:

"لا لن أذهب، محتمل أن تستيقظ في أي لحظة"

تنهد أسر ليقول:

"حسناً عندما تستيقظ سأهاتفك لتعود هيا اذهب"

رفع يوسف حاجبيه وعيناه نصف مفتوحة ليقول:

"لا لن أذهب، سأظل هنا"

تدخل ليث بالحديث ليقول:

"يارجل انظر لوجهك كيف هو متعب، اذهب وأرح نفسك قليلاً ومن ثم عد إلى هنا"

تحدث يوسف بهدوء:

"لا، لا أريد ولا تتدخلوا بي أنا جيد هكذا"

لم يستطيعوا أن يتحدثوا، علموا بأن الحديث سيكون معه عقيم لذلك فضلوا الصمت، تنهد يوسف بقوة ليقول:

"كيف حال باسل؟ ألم يستيقظ بعد"

أجابت رنيم:

"لا، لقد هبط ضغطه لذلك فقد الوعي وإلى الآن لم يستيقظ"

ما إن أنهت جملتها حتى دخل عليهم باسل ووجهه شاحب وينظر بجمود، تعجبوا منه ليقول ليث:

"لماذا نهضت من سريرك"

تجاهل باسل حديث ليث وظل جامداً في مكانه ينظر لها مطولاً دون أن يرف له رمش، بينما يوسف يتابع نظراته لشقيقته وقد علم سابقاً سبب تعبته وإغمائه، ابتلع يوسف ريقه وظل صامتاً، بينما أسر يكاد رأسه ينفجر من المصائب التي تنزل فوق رأسه، لا يعلم كيف سيحل أمره وأمور الذين يهيمه أمرهم، اقتربت رنيم من باسل ووضعت يدها على كتفه لتقول بحزن:

"أخي يجب عليك أن ترتاح قليلاً، مازلت متعب"

للمرة الثانية يتجاهل كلام أحدهم ليظل على حاله ينظر لها بجمود، ظل على حاله مدة ليست بطويلة، تقدم لجانب سريرها ليجلس كرسي ويجلس عليه وهو موجه نظره لها هي فقط متجاهل نظرات الجميع له، شعر يوسف بالغيرة على أخته، لم يعجبه موقف باسل ونظراته لها، أحس بسكاكين في صدره، نظر له مطولاً وهو يتخيل شقيقته أصبحت زوجته وأصبحت على اسمه، لا يعلم ما هذا الشعور الذي أتاه فجأة، شعور قاتل ومخيف، يخاف أن تنزوح ماريًا وتتركه وحيداً، لا يريد لها أن تبتعد عنه، ولكن ماهذه الأناثية؟ فهو قد أحب فتاة وبنوي الزواج بها، فلماذا شقيقته لا تفعل المثل؟

نفض تلك الأفكار من رأسه لينتبه لنفسه ويرى بأن باسل ينظر إليه بهدوء، بادلته النظرة ومن ثم أشاح بنظره عنه غير مبالياً له، أمسك يد أخته بتملك وهو ينظر لباسل ليقبل يدها مطولاً ويفرّكها بخفة، ظل على حاله ليشعر بيد ماريّا تتحرك، رفع رأسه فوراً ونظر بعينان جاحظتان، بدأت ماريّا تهتمهم ليعتدل الجميع ويقفون منتبهين لها، بينما باسل وقف فوراً ليقترّب قليلاً ويتحسس وجهها تحت نظرات يوسف القاتلة، لم يأبه له ولم يهتم لحاله فقط ظل ينظر لمحبوبته، فتحت ماريّا عيناها بوهن لتستقبل الضوء القوي، عقدت حاجبيها وأغلقت عينيها لتعاود فتحهما ببطء، نظر لها يوسف وابتسم باتساع عندما رآها قد استيقظت، كذلك الجميع لم تسعهم الدنيا من الفرحة كونها بخير، التفتت ماريّا بوجهها ليوسف لتقابل عيناها بعيناه، نظر لها بانتباه وقد تدخل باسل وأزال عن فمها الأوكسجين لتحاول التحدث، ظلت ماريّا ممسكة بيد أخيها بقوة وهو يبتسم لها ويقبل يدها بين الحين والآخر، تحدثت ماريّا بوهن:

"أريد الماء"

أسرع ليث وجلب لها الماء ليمسك باسل بالكوب ويقوم بسقايتها وهذا ما زاد من حنق يوسف، أردفت وهي تنظر لأخيها:

"ماذا حدث معي"

ابتسم بخفة وتحدث:

"لا تهتمي الآن، مجرد رضوض بسيطة حبيبتني لا تقلقي فقط استريحي"

تنفست بسرعة وهي تنظر للجميع بوهن، بينما وقعت عيناها على آسر ولكن تعجبت من عدم إقترابه إليها، لا يعلم بماذا شعر هو الآخر عندما رآها بهذا الشكل، فهم من نظرتها له بأنها تريده أن يقترّب، اقترب منها وهو مبتسم لها لينزل ويقبل جبينها ويقول:

"لقد أخفتنا أيتها القردة"

ابتسمت بوهن وتحدثت:

"لن تتخلصون مني أبداً"

ضحك الجميع عليها فا برغم أنها متعبة وتعرضت لحادث سير ولكنها مازالت تمرح وتضحك ولو كان هذا الشيء تفعله بصعوبة، وجهت نظرها لباسل الذي كان ينظر لها بحب وهيام، ابتسمت له وبادلها الابتسامة، لتقترّب رنيم وهي تمسح دموعها ونقول:

"أيتها الحمقاء، طوال عمركِ تفتعلين المصائب والآن لقد جلبتي لنا هذه المصيبة، يا لكِ من غبية"

ابتسمت ماريا لتقول:

"طبعاً أريد أن أخيفكم قليلاً، ولكنني مازلت قوية لم يحدث لي شيء"

ابتسم الجميع ليقترّب يوسف منها ويبدأ بتقبيلها على وجنتيها، لا يكل ولا يمل فقط يقبلها قبلاّت متتالية على وجنتيها، ابتسمت لتقول:

"أيها الأحمق كفى أنا أخجل"

ضحك عليها لتعقد حاجبيها باستغراب وتقول:

"أين الطبيب؟ ومتى سأخرج من هنا"

اعتدل باسل بوقفته ليقول:

"لا يمكنكِ الخروج الآن حتى تتعافين بالكامل، وبالنسبة للطبيب فأنا أمامك"

ابتسمت لتقول:

"حسناً وهل سأظل على حالتي هكذا؟ هيا عالجني أيها الطبيب"

ابتسم باتساع ليقول:

"لقد عالجتكِ طبعاً، ولكن يجب عليكِ أن تبقيين بالمستشفى لفترة محدودة"

عبست وظلت صامتة، بينما يوسف يتابع الحديث بغيظ تحت نظرات أسر المستمعة، صدح صوت رنين هاتف يوسف ليرى اسم المتصل وقد كانت شهد، ابتسم بخفة عندما رأى اسمها ليجيب فوراً:

"أهلاً شهد"

تحدثت شهد عبر الهاتف بتلعثم:

"أنا كنت أريد أن أطمئن على ماريا لقد قلقت عليها، منذ البارحة وأنا أتصل بك وبها ولكن هواتفكما مغلقة، هل حدث شيء"

ابتسم على اهتمامها ليقول:

"م لقد تعرضت ماريا لحادث بسيط وهي بالمستشفى الآن ولكنها استيقظت الحمد لله، وهي الآن بخير"

تحدثت شهد بخوف:

"حادث! حادث ماذا؟ وكيف حدث ذلك ها؟ أين أين المستشفى أعطني العنوان"

ضحك يوسف على خوفها ليعطيها العنوان وتغلق الهاتف فوراً دون حتى رد السلام، امتعض يوسف ونظر للهاتف بغیظ بينما ماريا كانت تتابع الحديث لتقول:

"ما بها شهد"

ابتسم ليقول:

"لا شيء حبيبتي ستأتي إليك"

فرحت ماريا كثيراً لنتهض وتقول بحماس:

"حقاً"

نهضت ونسيت بأنها بهذه الحالة، تأوهت بألم عندما نهضت ليقترب منها باسل ويوسف في نفس الوقت ولكن باسل قد سبقه وعدل لها نومتها، بينما يوسف يكاد ينفجر من غيظه وغيرته على أخته، تنهد بحدة وحاول تجاهل الأمر، والآن هو سعيد جداً لأن شهد ستأتي إليهم، بينما رنيم كانت تقضم أطرافها بغیظ، كتمت في نفسها ولكنها لم تعد تستطيع لتتحدث بغضب:

"أيتها الحمقاء هل أستبدلتنني بهذه التي اسمها شهد ها؟ أراك فرحتي وتحمستي عندما علمتي بأنها قادمة"

ضحكت ماريا عليها وكذلك الجميع لتقول ضاحكة:

"أنت الأساس يا حبي"

ابتسمت رنيم برضى وغرور ليضحكوا عليها جميعاً، ابتسم يوسف في سره كونه سيقابل شهد، بينما أسر كان خجلاً من أن تراه شهد بعد الذي حدث، ولكن طبعاً لن يريها بأنه خجلاً منها أبداً، سيظل على بروده لأنه أولاً

وأخراً رأي شهد به لا يهمله لذلك سيتجاهل الوضع، لم يمر وقتاً طويلاً حتى دخلت عليهم والجميع ينظر لها، وللمفاجأة الكبرى فقد كانت أسيل برفقتها، دخلت الفتاتان بابتسامتهما و تحملان الورود لماريا، كانت أسيل متوترة جداً فهي تعلم بأنها ستراه هناك ولكنها لن تبالي، بينما أسر عندما رآها بدأ قلبه يطرق بعنف وتهللت أساريره لرؤيتها، أما شهد فكانت متوترة جداً من نظرات الجميع الموجهة لها ولأسيل دخلنا وألقنا التحية على الجميع وقدمتا الورود لماريا بابتسامة كبيرة، تحدثت شهد بحزن:

"ماري أنا حزينة من أجلك"

ابتسمت ماريا باتساع لتقول:

"أعجبنى اسم مار، من الآن سينادوني جميعاً بـ ماري، ولكن لم تعرفينا شهدي من هذه الفتاة"

ابتسمت شهد وتحدثت:

"هذه صديقتي أسيل، لقد حدثتِك عنها من قبل"

تحدثت ماريا بحماس:

"أجل أجل أسيل التي كانت ..."

لم تكمل جملتها لأنه صدح صوت في الغرفة منعها من إكمال حديثها وقد كان صوت أسر ليقول:

"ماريا عزيزتي يجب أن تترتاحين وتكفين عن الحديث من أجل أن تتعافين بسرعة، أغلقي فمكِ ها"

عبست ماريا ليكنتم يوسف ضحكته وقد علم بأنه يسكت ماريا كي لا تتحدث عن قصة أسيل أمام أحد، تحدث

يوسف موجهاً حديثه لأسيل:

"أهلاً وسهلاً بك"

حركت أسيل رأسها بابتسامة صغيرة لتقول:

"أهلاً بك"

بينما رحب الجميع بها وبشهد لتقول ماريا:

"حسناً أسيل لقد أحببتكِ، من الآن أصبحتي صديقتي"

ضحكت أسيل على جملتها لتقول:

"وأنا أيضاً أحببتك كثيراً ويسعدني ذلك"

ابتسمت ماريًا باتساع بينما هناك عيناان مشتعلتان تكاد تموت من غيظها، وجهت شهد نظرها لرنيم لتقول:

"من هذه الفتاة ماريًا"

ابتسمت ماريًا لتقول:

"هذه رنيم أخت باسل وباسل صديق يوسف ويوسف شقيق ماريًا وماريًا هي أنا يهووو"

ضحك الجميع على جملتها لتتحدث شهد بضحك:

"حتى وأنت مريضة تضحكين وتمزحين يافتاة"

حركت ماريًا رأسها بإيجاب لتعبس وتقول:

"أين الشوكولا شهدي"

همهمت شهد لتقول:

"أجل انتظري لقد جلبت لك الكثير سأخرجهم من حقيبتني"

أخرجت شهد كيس مليء بالشوكولا والتسالي الكثير والكثير منها فهي تعلم جيداً بأن ماريًا لا تكف عن هذه الأكلات فهي مخدراتها الخاصة، ابتسمت ماريًا باتساع لتأخذهم منها وتبدأ تخرجهم واحدة تلو الأخرى، تقدمت رنيم لتتحدث:

"أعطني واحدة ماريًا"

تحدثت ماريًا بصوت عالي:

"لاااااا كلهم لي"

كادت رنيم أن تبكي فقط من أجل الشوكولا، لتتنظر لها شهد وتقول لها:

"انتظري رنيم لدي اثنتان في حقيبتني سأعطيك"

أخرجت شهد الشوكولا المتبقية معها وأعطتها لرنيم لتبتسم رنيم باتساع، بينما أسيل تراقب الوضع بابتسامة، أما أسر لا يفعل شيء سوى النظر لآسيل وهي تتجاهله، أما يوسف فكان يتابع شهد ببراءتها ولطافتها، طبعاً بأسل وليث يجلسان أيضاً ويراقبان الفتيات بصمت ويضحكان عليهن بين الحين والآخر، تحدثت ماريًا:

"أسيل هل لديك أخوة"

ابتسمت أسيل وتحدثت:

"أجل لدي أخ وأخت، مرام وغيث"

هممت ماريًا بابتسامة لتقول:

"هذا جيد، هل يضربك أخاك"

أنهت جملتها موجهة نظرها ليوسف الذي فتح فمه من الصدمة عندما سمعها، لتضحك أسيل وتقول:

"لا إنه أصغر مني هو ومرام، ولكنهما من غير امرأة أقصد أبي كان متزوج امرأة ثانية وأنجب منها أخوتي"

هممت ماريًا باهتمام لتقول:

"والدك يحب النساء"

ضحكت أسيل لتقول:

"لا ليس كذلك ولكن حدث عدة أمور أجبرته على الزواج من أخرى"

حركت ماريًا رأسها بابتسامة لتسمع أسيل صوت أسر وهو يقول:

"وأين تقيمين الآن يا أسيل عند والدك أم والدتك"

أراد أن يغيظها قليلاً ليعلم الجواب الذي يصعقه منها:

"ليس هنا ولا هنا، أقيم عند شهد الآن"

رمش بعيناه عدة مرات بينما يوسف كتم ضحكته بصعوبة بالغة، تحدثت أسر:

"أها وأين هي الآن زوجة والدك"

تحدثت أسيل بعبوس:

"لا شأن لك، يا لك من حشري"

احتدت ملامح أسر بينما الجميع يحاول كتم ضحكته على حديثهما، تحدثت رنيم:

"أسيل هل أنت متزوجة"

صدمت من سؤالها، بينما أسر يكاد يموت من غيظه، أحبت أسيل أن تستغل الوضع وتغيظ أسر لتقول:

"كنت متزوجة وتطلقت منذ فترة"

صدم أسر من جوابها كما أن شهد وماريا ويوسف الذين يعلمون بالقصة أيضاً صدموا من جوابها، همهمت رنيم لتقول:

"لماذا تطلقتي"

توترت أسيل لتجيب:

"|| لم تنفق كما أنني لم أكن أحبه فتطلقت فقط هذا"

همهمت رنيم بابتسامة ولم تتحدث، بينما باسل وليث لم يقتنعا بجوابها لأنهما يعرفان بأن أسر يحب أسيل لذا مؤكداً بأنها تخفي شيء ما، تحدث باسل:

"إذا أنت تعيشين عند شهد الآن"

تحدثت أسيل:

"|| في الواقع لا، أنا أعيش مع أبي وأمي ولكن قضيت الليلتين الماضيتين عند شهد"

همهم باسل وصمت ليتحدث ليث:

"وأين زوجة والدك"

تحدثت أسيل:

"لقد تطلقت وهي الآن بالمصحة لأنها جنت بالكامل"

حرك ليث رأسه بهدوء ليقول باسل:

"هل دخلت للمستشفى لإن والدك طلقها"

تحدثت أسيل:

"لا ليس لهذا الأمر ولكن حدثت مشاكل بينها وبين عائلتها والجميع تخلى عنها وهذا ماجعلها تدخل المصحة"

همهم باسل وصمت لتتحدث ماريا بملل:

"أوقف كفاكم أحاديث مملة، أريد الطعام هيا أطعموني اهتموا بي أنا مريضة"

تحدث يوسف بضحك:

"سيأتي الطعام بعد قليل يابقرة"

عبست ماريا لتقول بغیظ:

"اصمت يا أحمق"

ابتسموا جميعهم لتتحدث شهد:

"هل تشعرين بالوجع"

حركت ماريا رأسها بنفي لتبتسم شهد وتبادلها، بقي أسر على هدوءه وصمته وبروده، لم يبدي أي ردة فعل، بينما أسيل لكزت شهد وحدثتها بأن تذهبان، استأذنت شهد من ماريا ووعدها بأنها ستزورها في اليوم التالي وطبعاً لن ننسى أسيل التي أحببت ماريا ووعدها أيضاً بأنها ستأتي لزيارتها في وقت آخر، ذهبت الفتاتان تحت أنظار الجميع وأنظار أسر التي كانت موجهة لآسيل، وعندما خرجتا تنهد بقوة وكنف يديه وبقي جالس بصمت، أما يوسف فلم يعجبه رحيل شهد فوراً، تمنى لو أنها تظل وقت أكثر ولكنه سيعيد الساعات والدقائق لكي يلتقيها في اليوم التالي، بينما أسر استأذن وتركهم راحلاً إلى بيته، هو يعلم جيداً بأنه أخطأ في حقها ولكنه عاجز عن فعل أي شيء، وعاجز عن إرضائها، يريد أن يحصل عليها، لو كانت تعلم ما الذي مر به لما كانت فعلت كل هذا معه، فكر بأن يحدثها بكل شيء عنه ولكنها ستقول بأنه يخبرني حتى أشعر بالشفقة تجاهه، كلما حاول التقرب منها والاعتراف لها بحبه ترجعه مائة خطوة للوراء، كل شيء أصبح ضده، حتى الإنسانية التي

دق قلبه لها هي ضده الآن، يشعر بالضياح والعجز، لا يجد الراحة أبداً، يريد حزن دافئ يشد عليه بقوة ويشكي كل أمه، ولكن سيعاند ويصارع ويحارب فقط من أجلها وسيرجعها إليه مهما كلفه الثمن.

" أحياناً نختنق بـ كبريائنا وصمنا "

فنعجز عن قول ما يبتغيه القلب "

---

في صباح اليوم التالي

استيقظ أسر كعادته وفعل روتينه اليومي وارتدى ملابسه ليهبط للأسفل ويتناول فطوره ومن ثم يتوجه للمستشفى إلى مارياء، لم يمر وقت طويل ليصل للمستشفى ويتوجه لغرفة مارياء، دخل عليها ليراها جالسة برفقة باسل ويوسف، ألقى تحية الصباح عليهم واقترب منها ليطلع قبلة مطولة على جبينها، ابتسمت له وبادلها، نظر لها مطولاً وقد رأى بأنه قد طرأ تحسن على حالتها عن البارحة، تحدث بحماس:

"أين الشوكولا"

قلب أسر عيناه ليقول:

"ألم تجلب لكِ شهد الشوكولا البارحة؟ أنا لا أفهم أين تذهبين بهم"

ابتسم يوسف بسخرية وتحدث باستنكار:

"لقد أكلتهم كلهم وهذا ماجعلها تنقياً اليوم"

نظر لها أسر بغضب بينما هي خبأت وجهها بالشرشف الأبيض، تحدث أسر بقليل من الحدة:

"ماريا لما لا تفهمين؟ ولما تفعلين ذلك ها"

تمتمت بخفوت:

"أسفة"

امتعض أسر لأنه يكره كلمة أسف، بينما باسل لم يعجبه الأمر ليتحدث معاتباً:

"ما بك يارجل لما تصرخ عليها؟ لم يحدث شيء، ماريان لن تفعلها مرة أخرى أليس كذلك"

ابتسمت وحركت رأسها موافقةً لبيتسم لها، بينما يوسف نظر لهما بحدة، أما أسر ابتسم بسخرية وظل صامتاً، لم يعلم يوسف لما يشعر بالغيرة تجاه ماريان من قبل باسل، أحب أن يلعب بأعصابه قليلاً لبيتسم ابتساماً مأكراً ويتحدث:

"ماريان لقد تقدم لك شاب وحدثني بموضوعك منذ ثلاثة أيام ما رأيك"

عبست ماريان وامتعصت، بينما أسر ظل على بروده لأنه فهم ما الذي يجول بخاطر يوسف، أما باسل فما إن سمع هذا الحديث حتى بدأ قلبه يطرق بعنف ونظر لماريان بخوف منتظراً إجابتها، تحدثت ماريان بانزعاج:

"لا أريد"

همهم يوسف ليقول:

"ولكنك لم تعلمين من هو الشاب"

نظرت له لتقول:

"ومن هو"

تحدث يوسف مراقباً نظرات باسل الخائفة:

"إنه صديقي في العمل وهو شاب جيد جداً، ما رأيك"

نظرت ماريان لباسل الذي كان ينظر لها بخوف وترجي، لم تعلم لما أصبح يدق قلبها بسرعة، ابتلعت ريقها لتتحدث:

"لا أريد"

نظر يوسف لباسل ليقول:

"ما رأيك أنت"

حمم باسل ولم يستطع التحدث من الصدمة والخوف، ابتسم يوسف بمكر ليقول:

"أرى بأنني يجب أن أختار لأختي شاب مناسب أكثر من ذاك الشاب أليس كذلك يا أسر"

ابتسم أسر ابتسامة جانبية ليتحدث باسل بسرعة ومن دون وعي:

"أجل أجل يجب أن تختار شاب أفضل أجل"

ضحك يوسف وشاركه أسر الضحك بينما ماريًا تبتسم كالبلهاء ولا تعلم ما الذي يقصده أخاها، أما باسل فقد شعر بالإحباط والخجل بسبب تسرعه وقلبه الأحمق الذي يضعه بمواقف مخزية كهذه، ابتلع باسل ريقه بتوتر ليقول:

"م حسناً سأذهب لأكمل عملي، سأتي بعد ساعة كي أعطي الحقنة لماريا"

همهم يوسف وصمت، بينما باسل خرج من الغرفة هارباً منهم وقلبه ينبض بعنف، تحدثت ماريًا:

"أنا جائعة"

تحدث يوسف بقلة حيلة:

"الصبر يارب"

ضحك أسر عليهما ليتحدث:

"ما بك أنتِ هل تجوعين دائماً؟ سيفلس زوجك عندما يتزوجك من كثرة طلباتك المتكررة"

عبست ماريًا ولم تتحدث، بينما يوسف يبتسم باستمتاع كونها شعرت بالغیظ من الحديث، تنهد أسر تنهيدة قوية واستأذن منهما ليتوجه إلى عمله الذي أهمله منذ يومان واعداً إياهما بأنه سيعود في المساء وأيضاً سيقوم بإنهاء جميع أعمال يوسف المكدسة عليه.

---

في منزل هشام

عادت أسيل برفقة أخوتها إلى بيت أبيها، استقبلتهم والدتها بابتسامة واسعة واحتضنتهم بكل حب وحنان، لم تميز بين أسيل ومرام وغيث، كلاهما تعاملهما نفس المعاملة وتبثهم حنانها الذي أعجب مرام وغيث كثيراً، دخلوا إلى الصالة ليجدون والدهم جالس، ليتقدموا إليه ويلقوا التحية عليه ويحتضنوه، تحدثت أسيل بمرح:

"إِذَا يَا عَصَافِيرِ الْحَبِّ كَيْفَ حَالِكَمَا"

ضحك هشام على جملتها بينما سمية أطرقت برأسها خجلاً، أردفت أسيل:  
"مابك سمية هانم؟ حسناً أين الغداء أنا جائعة وغيث ومرام جائعان أليس كذلك يارفاق"

تحدثنا بصوتٍ واحد:

"أجل"

ضحك كلاً من هشام وسمية عليهم ليقول هشام:  
"حسناً هيا اصعدوا وغيثوا ثيابكم بينما يجهز الغداء"

حركت أسيل رأسها بالنفي لتقول:

"لا أنا سأبدل ثيابي ومن ثم أذهب أنا وشهد لكي نغير جو قليلاً"

عقدت سمية حاجبها لتقول:

"ألم تشبعي منها يا فتاة"

قفزت أسيل وقبلت والدتها على وجنتها لتقول بمرح:

"كلا"

ضحك الجميع على فعلتها ليتوجه الأخوة إلى غرفهم ويبدلون ثيابهم ريثما يجهز الغداء.

---

كان مشغول بالقضايا والأوراق التي بين يديه، لم يعلم كم مضى من الوقت وهو يعمل عنه وعن يوسف الذي ترك له كل المسؤولية على عاتقه، يعمل ولكن باله مشغول بأسيل، يكاد يجن لدرجة أنه سيبيكي فقط لأنها تتجاهله وتنكر معرفتها به، تأفأف بانز عاج وهو يأخذ مكتبه ذهاباً وإياباً، ركل الكرسي الذي أمامه تعبيراً عن

حنقه، قرر الاتصال بها ليمسك هاتفه ويطلب رقمها، بينما كان يرن ويرن ولكن دون رد، أعاد الاتصال مرة أخرى ولكن دون جدوى، زفر بضيق وعصبية ليطلب رقم آخر ويجيبه بـ:

"أمرك سيدي"

تحدث أسر بسرعة وجمود:

"ما الأخبار"

تحدث العسكري:

"سيدي لقد عادت لمنزل والدها فقط هذا"

همهم أسر ليرد له العسكري بسرعة:

"سيدي لقد خرجت الآن"

تحدث أسر باهتمام:

"حسناً راقبها واعلم أين وجهتها ومن ثم هاتفني"

تحدث العسكري:

"تحت أمرك سيدي"

أغلق الهاتف وزفر بضيق، قرر مهاافتها مرة أخرى ولكنها أيضاً لم تجيب، ازداد حنقه منها ونفذ صبره منها، لم يعد يستطيع التحمل أكثر من ذلك، اتصل بـ رقم العسكري الذي يراقبها ليجيبه فوراً ويأمره أسر:

"اعترض طريقها وخذها إلى منزلي"

تحدث العسكري:

"حاضر"

توجه أسر إلى منزله بسرعة البرق، وكان كعادته بارد، جامد، ونظرة الإصرار بادية عليه، لم يستغرق وقتاً طويلاً ليصل إلى منزله بسرعة، دخل إلى المنزل وجلس على الأريكة الذي اعتاد أن يجلس عليها دائماً، تمدد بكل أريحية منتظراً جلبها له بفارغ الصبر، مضى وقتاً ليس بطويل ليدخل عليه العسكري وهو يشد على أسيل لكي تدخل تحت صراخها وتذمرها، احتقن وجه أسر عندما رأى العسكري يمسك بها، نظر له بحدة واقترب منه ليقف أمامه ويلكمه على وجهه لكمة جعلته يرتد للخلف عدة خطوات، تحدث أسر ببرود:

"قلت لك اجلبها إلي، لم أقل بأن تمسكها بهذه الطريقة، اغرب عن وجهي"

خرج العسكري من أمامه بسرعة بينما أسيل نظرت لأسر بحدة وتحدثت:

"أنت أيها اللعين كيف تسمح لنفسك بأن تأمرهم بجلبني إليك ها؟ وكيف تضربه للرجل بهذه الطريقة العنيفة؟ يا لك من همجي"

احتدت ملامحه أكثر من ذي قبل ليقرب منها ويمسكها من معصمها ويتحدث بنبرة مخيفة:

"إياك يا أسيل بأن تدافعي عن رجل أمامي أو أن تتظري لأي شخص غيري عندما أكون معك هل تفهمين"

نترت يدها منه لتتحدث بنفس الحدة:

"لا شأن لك، ثم أن من أنت حتى تعطيني الأوامر يا هذا؟ أنت لست سوى شاب ملتوي، غير ذلك أنا لن أقبل بشاب قد ترك والداه وإلى حد الآن لم يقبل بالمسامحة، كيف لي أن ألتفت لك بالأساس، أنت فقط..."

لم تكمل جملتها لأنه قد صرخ بأعلى صوته:

"أسيبييل"

جفلت من صراخه وقد شعرت بالخوف فقط من صوته، ابتلعت ريقها بتوتر وظلت صامتة لتتظر له وهو يقترب منها، أمسكها من وجهها وتحدث بصوت أشبه للهمس:

"لقد تحملتك وتحملت تدمراتك كثيراً، أن الأوان بأن تطيعيني الآن"

نظرت له بأعين جاحظة ولم تتحدث ليرد لها:

"اسمعيني جيداً أسيل، قلت لك من قبل لا أحد يقول لأسر لا ولا أحد على وجه الأرض يحدثني بنبرتك هذه لذا الزمي حدودك معي وكفي عن تجاهلك لي"

تحدثت بغضب:

"قل لي من أنت حتى تأمرني، لقد مددت لي يد المساعدة وشعرت بالأمان معك عندما قمت بحمايتي وبعدها ماذا فعلت غير أنك تخليت عني ونفيتني عن العالم وأبعدتني عنك، لماذا قررت الآن بأن تسترجعني ها؟ هل هو حب أم تملك أم سيطرة أم ماذا؟ لقد شعرت بالأمان معك وأحببتك من قلبي وكنت أنت الرجل الوحيد الذي سكن قلبي ولكن أنت بماذا كافنتني سوى البعد، قل لي لماذا فعلت ذلك قل لي أسر هيا قل لي..."

قاطع حديثها ليصرخ بها بأعلى صوته:

"لإنني أحبك"

صمت عم بالمكان، لم يعد يسمع أي حركة سوى أنفاس أسر المتسارعة والغاضبة وصدمة أسيل، كانت تتحدث بقهر وهو كان يسمع لها بقهر أكبر، أخذ نفس عميق ليتحدث:

"أنا أحبك أسيل، أنت الفتاة الوحيدة الذي دق قلبي لها وآمنت بالحب لأجلها، أبعدتك عني لإنني كنت خائف على نفسي منك، خائف على قلبي من حبك، منذ أول لقاء لنا وأنا مغرم بك، عندما أتيتي إلي شعرت بالسعادة تغمرني، عندما قبلتك أول مرة كنت بعالم الأحلام، كنت بالجنة ذاتها، سئمت من بعدك عني، وسئمت من تدمرك وتجاهلك لي، ما الذي تريدينه أنت فقط قولي لي أرجوك؟ أنت أصلاً لا تعلمين ما الذي مررت به حتى تفعلي معي كل هذا، لا تعلمين كم من الألم والأوجاع تعرضت لها، أنا لا أقول لك كل هذا حتى تشعرين بالشفقة نحوي لا، ولكن أريدك أن تشعري بي فقط، ثم أن اللذان تتحدثين عنهما ولا أعلم من أين علمتي بأني قد هجرتكما هما من تركاني ولست أنا، هما من تخليا عني فقط لإنني أردت تحقيق حلمي وأدخل بالتخصص الذي أريده، لم يترك لي شيء حتى أملاك والذي قد حرمني منها ولم يعطيني شيء، هذا النعيم كله الذي أنا به أنا من صنعته وأنا من جلبته تحت إصراري للوصول جمعت كل هذا، وأنت الآن تجرحيني وتتحدثين بكل هذه القساوة، أجل لن أسامح لإنني رأيت العذاب ببعدهما عني، لذلك أبعدتك عني، لم أكن أريد التعلق بك ولكنني تعلقت بك وانتهى الأمر"

ألجمت الصدمة عليها، شعرت بقلبي يتمزق لأجله، كيف لها أن تفعل كل هذا به؟ هي لا تعلم كل أحداث قصته فقط علمت بالقليل من هبة خادمته الخاصة، هبطت دموعها على وجنتها دون سابق إنذار، تنظر إلى ملامحه الرجولية المتعبة والحزينة، انفطر قلبها لأجله، تمننت لو أنها تستطيع احتضانه ولكنها لن تبادر لإنها خائفة من فكرة الصد منه، بدأت شهقاتها تتعالى شيئاً فشيئاً، بينما هو كان ينظر للاشيء بحدة، ما إن سمع صوت شهقاتها حتى التفت لها ونظر لها بحزن، لا يعلم ما الذي يفعله معها، هي حتى لم تبدي أي ردة فعل سوى البكاء، لم تواسيه ولم تحدته، فقط بكاء، اقترب منها ومسح دموعها بأبهامه وهو ينظر لها بجمود، اقترب ليضع جبينه على جبينها، تحولت نظرته للحزن بسرعة ليتحدث بصوت خافت:

"حباً بالله قولي لي ما الذي تفعلينه بقلبي؟ وكيف لقلبي بأن لا ينسالك ولا يهيم بك؟ ما الذي أفعله حتى أرى منك نظرة الرضى"

لم تتحدث فقط اكتفت بالبكاء بصمت ليردف لها بحزن:

"لم أتوسل لفتاة بحياتي كلها، وها أنا أتوسل لك بأن تعطيني قلبك الذي سأجعله يخلق من السعادة يا أسيل، فقط  
أمني بي وأمني بحبي لك وكوني معي"

للمرة الثانية لا تتحدث ولا تجيب ليردف لها أيضاً:

"أسيل قولي أي شيء تحدثني مابك؟ أل هذه الدرجة لم أعد أعني لك شيئاً"

نظرت له بأعين دامعة وقد اصطبغ وجهها باللون الأحمر من شدة البكاء، تحدثت بصوتٍ خافت:

"أنت كاذب لا تحبني"

نظر لها بأعين دامعة ليقول بسخرية:

"هذا الذي توصلتي إليه؟ حسناً سأتركك وشأنك ولكن أعطني قلبي الذي يظل برفقتك دائماً"

كان يتحدث بصراخ، لم يترك شيئاً أمامه إلا وركله من شدة غضبه، بينما أسيل فهي بطبيعتها لا تحب الصراخ  
أو الضجة، وصراخ أسر وغضبه زاد من وتيرة بكائها وخوفها منه، اقترب منها بأعين حمراء متوعدة ليمسكها  
من معصمها ويقول:

"ماذا تريدن أسيل؟ إلى متى سأتحمل جفائك هذا؟ هل تريدنني أم لا فقط أجيبني"

كانت تتلوى بين يديه من شدة ألمها، لأنه كان يحكم قبضته على معصمها ويعتصره بقوة، ولكن ألم معصمها لا  
يساوي شيئاً أمام ألم روحها لأجله، تريد التحدث تريد أن تطمئننه بأنها ستظل بجانبه ولكن بكائها الهستيري  
منعها من التنفس حتى، ازدادت حدة أسر وغضبه، أعماه غضبه ولم يعد يرى أمامه، شد على معصمها ليتحدث  
بغضب:

"حسناً يا أسيل، سأخرج من حياتك للأبد، لن أعترض طريقك أبداً، سأتركك وشأنك كما تشائين، أعدك بأنك لن  
تريني بعد الآن، هيا اذهبي واقضي حياتك بالجانب الذي يحلو لك، ولكن تقي تماماً بأنك لن تلتقين بأحدٍ يحبك  
كما أحببتك أنا، هيا اذهبي هيا"

كان يتحدث بغضب و حدة وصراخ لينهي جملته بقهر، بينما هي حركت رأسها نافية عندما سمعت جملته،  
تحدثت بصعوبة بالغة لتقول:

"لا أريد الذهاب"

تحدث أسر بغضب:

"أذهبي، لا أريد رؤيتك بعد الآن أذهبي، أعدك بأنك لن ترينني بعد الآن"

انفجرت بالبكاء وهي تشهق وتنتحب، لينفطر قلب أسر عليها ولكن لن يتراجع عن كلمته، سيحاول الابتعاد حتى لو كان هذا الابتعاد على حساب ألم روحه وحرقة قلبه، انكشمت أسيل على نفسها ونهضت من على الأرض بعد أن كانت تنتحب بقوة، تقدمت وخطت خطواتها متوجهة للباب، تجر ورائها آمالها الخائبة بحرقة قلب ويأس.

مشت في طريقها وهي تبكي كثيراً، لقد فقدته، فقدت أعلى ماتملك على قلبها، علمت بأنها زادت من تجاهلها له، لم تصدق بأنه كان متعلق بها إلى هذه الدرجة، ولم تكن تعلم بمدى ألمه منها، لعنت نفسها ولعنت غرورها آلاف المرات، سمعت صوت سيارة آتية من خلفها، نظرت لها بأعين دامعة وهبط السائق من السيارة ليوقفها ويتحدث برسمية:

"أنستي لقد طلب مني السيد أسر بأن ألحق بك وأوصلك للمنزل خوفاً عليك لأن الليل قد حل"

ابتسمت وسط دموعها، حتى وهو غاضب منها ولا يريد لها خائف عليها، حركت رأسها بإيجاب واستقلت السيارة برفقة السائق ليوصلها إلى منزلها، هبطت من السيارة أمام منزلها بينما السائق قد عاد أدراجه، كانت حالتها مزرية بكل معنى الكلمة، وجهها كان بالمكفى لذلك، فقد كانت بوجه شاحب وعيون حمراء كالدم من شدة البكاء، تنهدت بقوة وحاولت بأن تعدل من هيئتها كي لا يراها والداها بهذا الشكل، أخذت نفس عميق وزفرت بقوة لتدخل إلى المنزل وترى والداها وأخوتها يتوجهون إليها بقلق ليقول هشام:

"أين كنتي أسيل لقد أخفنا، هاتفنا شهد وقالت بأنك لم تأتي إليها هي قلقة عليك"

تذكرت أمر شهد التي كانت ناسية أمرها بالكامل، تحدثت بصوت مبجوح:

"كنت أمشي في البلدة لوحدي لم أرد أن أذهب إليها فقط هذا"

تحدثت سمية بقلق:

"ما بك؟ ولما عينك حمراء؟ ما الأمر أسيل؟ هل تعرض لك أحد"

تحدثت بضيق:

"لا أُمي لا شيء فقط أريد أن أنام تصبحون على خير"

أنهت جملتها وتوجهت لغرفتها بصمت تحت نظرات والديها المتعجبة، دخلت لغرفتها وبدأت بالبكاء بحرقة، هي الآن نادمة أشد الندم على تجاهلها له وقسوة قلبها عليه، تريده وتريد أن تبقى بجواره ولكن ليس بعد الآن، لأنه هو من سئم منها وهو من طلب منها الرحيل هذه المرة، شهقت بقوة وأمسكت بهاتفها لترى عدة مكالمات من شهد وعدة رسائل، طلبت رقمها لتجيبها شهد بسرعة:

"أسيل أين كنتي؟ لقد قلقت عليك أين أنت الآن"

لم تتحدث بل ظلت تبكي وتشهق وهذا مازاد من خوف شهد لتقول بخوف وترقب:

"أسيل حبيبتي مابك قولي لي هيا"

تحدثت أسيل ببكاء:

"أنا متعبة شهد تعالي إلي أرجوك"

تحدثت شهد بقلق:

"مابك؟ تحدثي"

شهقت أسيل وتحدثت:

"عندما تأتئين أحدثك بكل شيء فقط تعالي أرجوك، سأبعث بالسائق ليجلبك إلي، إلى اللقاء"

تحدثت شهد:

"حسناً جميلتي إلى اللقاء"

أغلقت مكالمة شهد وطلبت رقم أسر ولكنه لم يجيبها، حاولت مهاافته عدة مرات ولكنه أيضاً لم يجيبها، وفي المرة الأخيرة أعطها خارج الخدمة ليشند بكانها أكثر.

لم يمضي وقتاً طويلاً حتى أتى السائق ليوصل شهد إلى بيت أسيل، وصلت شهد بعد وقت قصير جداً لتفتح لها أسيل ومن ثم تتوجهان إلى الغرفة، عقدت شهد حاجبها بحزن على صديقتها لتتحدث:

"أسيل مابك حبيبي تحدي"

شهقت أسيل بقوة وبدأت بالبكاء لتحتضن شهد ومن ثم تربت شهد على ظهرها مهدأة إياها، بدأت أسيل تهدأ شيئاً فشيئاً لتبتعد عن شهد وتنظر لها بحزن، تحدثت شهد بقلق:

"أسيل حبيبي هيا تحدي مابك"

أخذت أسيل نفساً عميقاً وزفرت بقوة لتحدث شهد بكل ما حدث معها، كانت شهد تستمع لها بتمعن واهتمام، وصدمت من ما حدث بحق، أنهت أسيل حديثها لتعود وتنفجر بالبكاء بينما شهد ظلت تربت على ظهرها وتقوم بتهدأتها وتواسيها، تنهدت شهد بقوة لتقول:

"أسيل جميلتي لا داعي للبكاء، حسناً كل شيء يحدث له عبرة وحكمة، انتظري قدرك عزيزتي ستفرج أنا متأكدة"

زادت وتيرة بكاء أسيل لتتحدث من بين شهقاتها:

"أنا لا ذنب لي لم أكن أعلم بأنه يحبني ويتعذب من أجلي، ظننته مجرد حب تملك، هو أبعدني عنه الآن"

تحدثت شهد بهدوء:

"أجل أعلم ولكن كل شيء من تدبير الله ولا تعلمين أين يكون الخير لذلك لا تحزني، لعل وعسى يعود وتكونين له، لا تفكري بشيء الآن فقط نامي هيا، وأنا سأظل عندك الليلة"

حركت رأسها موافقة وتمددت على سريرها وهي تحاول كتم شهقاتها، بينما شهد قامت بتغطيتها بشكل جيد وظلت تسمح على شعرها إلى أن شعرت بانتظام أنفاسها، تنهدت شهد بقوة وزفرت بضيق، هي الآن تقع في ورطة كونها لا تستطيع مساعدة أسيل ولكن خطر على بالها فكرة ستحاول أن تنفذها في الغد كي تساعد صديقتها، لعل وعسى تعود المياه لمجاريها بين أسيل وأسر، ظلت تفكر وتشغل بالها بشأن صديقتها إلى أن تعبت من التفكير لتدخل في نوم عميق.

-----

في صباح اليوم التالي استيقظت شهد وفعلت روتينها اليومي بمنزل أسيل لتتركها نائمة وتتوجه إلى وجهتها، لم يمضي وقتاً طويلاً حتى وصلت شهد إلى المستشفى، توجهت فوراً إلى غرفة ماريا وطرقت على الباب ليسمح لها بالدخول وتدخل عليهم، وجدت الجميع جالس برفقة ماريا ومن بينهم أسر، ابتسمت شهد بدورها وتقدمت من

ماريا التي اتسعت ابتسامتها عندما رأت شهد واحتضنتها بخفة وألقت التحية على الجميع، بينما يوسف كان يتابعها بنظراته ويهيم بها عشقاً، نظرت شهد بطرف عينها لأسر وجدت بأن وجهه شاحب وينظر بجمود وبرود إلى اللاشيء، تنهدت بقوة وابتسمت بوجه ماريا لتحدثها:

"كيف حالك اليوم يا جميلة"

تحدثت ماريا بدرامية:

"أوه أوه كم هذا جميل يا إلهي سيغمى علي"

ضحك الجميع على جملتها عدا أسر الذي كان يتابع كل شيء ببروده المعهود لتقول شهد:

"ألم تعقلي بعد"

ضحكت ماريا لتقول:

"لا وبالمناسبة أنا أصبحت جيدة جداً وسأخرج من المستشفى بعد ثلاثة أيام"

هممت شهد بابتسامة لتقول:

"مم هذا جيد"

حركت ماريا رأسها موافقة بابتسامة لتعقد حاجبها من بعدها لتقول بنبرة حزينة:

"أنا حزينة شهدي"

ضحكت شهد عليها وقد فهمت مايجول بخاطرها لتخرج من حقيبتها كيس مليء بأنواع الشوكولا وتقدمه لماريا لتقول:

"لم أنساك جميلتي، أعلم بأنك قد أكلتي جميع الشوكولا التي جلبتها لك منذ يومان، أليس كذلك يا بقرتي الصغيرة"

ضحكت ماريا بخجل ليضحك الجميع عليهما بينما أسر اكتفى بابتسامة حزينة، تحدثت ماريا:

"في الواقع كنت سأقول لك أين الشوكولا ولكن أريد أن أسألك عن أسيل أين هي؟ ألم تقل لي بأنها ستأتي مرة ثانية إلي"

مثلت شهد الحزن أمامهم وها قد حان دورها بأن تبدي لهم براعتها في التمثيل لتقول:  
"أجل ماري ولكن أسيل متعبة جداً ولم تستطع المجيء لا أعلم ما الذي حدث معها ولكن تبعث لك سلام كبير  
واعذار أيضاً كونها لم تستطع المجيء"

انتبه أسر إلى حديث شهد ورفع نظره لها وبدأ قلبه يطرق بعنف، بينما ماريأ عقدت حاجبيها بحزن لتقول:  
"مسكينة أسيل، ما بها؟ ما الذي حدث معها"

تنهدت شهد وتحدثت:

"لا أعلم ولكنني ذهبت إليها البارحة وقضيت الليلة عندها بناء على طلبها، كانت متعبة جداً وكانت تبكي من  
اللاشيء لم تقل لي شيئاً أبداً"

تحدثت رنيم بحزن:

"يا إلهي مسكينة هذه الفتاة يجب أن نقوم بزيارتها"

همهمت شهد وحركت ماريأ رأسها موافقة، بينما أسر كان يتابع الحديث ويكاد يموت من شدة قلقه على  
محبوبته، هو لا يريد أن يحدث لها شيئاً بسببه، ولكن هي من عانددت وهي من تجاهلته، شعر بأنه سيعود بكلامه  
ويرجعها إليه ولكنه حدث نفسه بأن هذا الشيء الصحيح ولن يريها وجهه بعد الآن، وهذا سيكون الأنسب لها  
وله، ستعاني بأول فترة ومن بعدها تنساه، بينما هو يعلم أنه لن يستطيع نسيانها وإخراجها من قلبه ولكنه يستطيع  
أن يتحمل ويكابح قليلاً، تنهد بحدة وهدوء، بينما يوسف نظر لأسر فوجده سارح بخياله وملامحه تدل على  
الحزن وهنا قد فهم بأنه حدث شيء بينه وبين أسيل لذلك هو بهذه الحالة، لم يرد أن يضغط عليه وقرر أن لا  
يفتح معه الموضوع أبداً، سيفعل كما يفعل بالعادة وينتظره حتى يأتي هو إليه ويحدثه بجميع أوجاعه كما يفعل  
هو.

---

مر شهران على الأحداث

أسيل تعيش حياتها بشكل طبيعي ولكن لا يمنع من أنها تفكر به كثيراً، حزينه ببعده عنها، تكاد تجن من هجره  
لها، كما أنها حاولت كثيراً مهاتفته ومراسلته ولكنه كان دوماً يتجاهلها، إلى أن طفح الكيل معها وملت من  
المحاولة وقررت تجاهله مثلما يفعل هو، لم تعلم عنه شيئاً أو تراه منذ ذلك اليوم وهذا ما جعلها تفقد الأمل منه  
نوفاً ما.

بينما أسر يصارع نفسه كل يوم من أجل أن يخرج ببروده وجموده المعتاد مخفي جميع آلامه وأوجاعه عن جميع العالم، أصبح بارد أكثر من ذي قبل، يهتم بعمله فقط ولا يجتمع مع أحد، حتى يوسف لا يجلس معه إلا قليلاً ولا يجلس مع الشبان فقط يكتفي بمهاتفتهم كل عدة أيام، لم يخرجها من عقله ومن قلبه أبداً، لم يمنع نفسه من التفكير بها، يشناق لها ويحن لها كل ليلة ولكن يرى بأن ذلك أنسب حل لهما هما الاثنان، يتابع أخبارها من ذلك الحارس الذي يقوم بمراقبتها دائماً، يشعر بأنه سيفقد حصونه ويذهب إليها طالباً العفو والغفران ولكن يعود للوراء فور تذكره آخر لقاء بينهما والوعد الذي قطعه على نفسه، كما أنه كان يتابع قضية وائل وحاول جاهداً بأن يخفف حكمه وقد أقيمت محاكمته وحكم عليه بالسجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة.

يوسف يعيش حياته أيضاً بشكل طبيعي برفقة ماريما التي خرجت من المستشفى وتحسنت حالتها الصحية كثيراً، مازالت تعاني من بعض الأوجاع برأسها ولكن تواظب على أخذ الدواء تحت اهتمام يوسف بها، كما أنها قد فكت التجبير من يدها، كما أن يوسف لا ينفك عن التفكير بشهد وهو يصارع نفسه من التهور وفعل أي شيء خاطئ قد يخفيها منه كلما رآها، يفكر بأن يفتحها بموضوع الخطوبة والاعتراف بحبه لها ولكن حالة أسر وبروده تجعله مكيل الأيدي، إضافة إلى أن يوسف مازال يشعر بالغيرة تجاه أخته من باسل الذي لا ينفك عن عشقه لها وهيامه بها.

بينما شهد تظل بجانب أسيل وتجلس بجانبها طوال الوقت ولا تتركها أبداً كي لا تترك لها مجال للحزن والبكاء، ثم أنهما قد بدأتا بتقديم الامتحانات لكي يترفعا للمرحلة الأخرى من السنة القادمة وهي سنتهما الثالثة، وها قد خرجت النتائج وترفعت كل من أسيل وشهد للسنة الثالثة بينما رنيم وماريما قد ترفعتا للسنة الرابعة ويفكرن الفتيات بأن يقيمن حفل بمناسبة نجاحهن.

بينما ليث ورنيم يعيشان حياة كوميدية، لا ينفكان عن المشاجرات والمشاكل فيما بينهما، يفكر ملياً بأن يطلبها للزواج ولكن ينتظر ماريما إلى أن تتفرغ له حالما تتعافى بشكل كامل.

هشام وسمية يعيشان حياتهما بحب وسعادة غامرة ولكن هناك شيء يقلقهما بشأن ابنتهما التي تسرح طوال الوقت وتظل شاردة، لا يعلمان ما الذي أصابها وكيف لهما بأن يرضونها، كما أن سمية تعنتي كثيراً بغيبث ومرام وقد كانت لهما بالفعل الحزن الدافئ والحنون وهذا مازاد من سعادة هشام وشعوره بأنه يملك الدنيا لأنه يملك امرأة كسمية.

---

في مكان عام

تجلس الفتيات الأربعة يتحدثن ويمرحن ويضحكن، بينما هن يتفقن على إقامة ذلك الحفل، تحدثت ماريما:

"حسناً يافتيات الحفل سيكون غدً اتفقنا"

همهمت كل من شهد وأسيل ورنيم لتتحدثن شهد بحماس:

"سنرقص ونرج ونمرح ونضحك يهووو"

ضحكت الفتيات لتقول ماريًا:

"أجل سنفعل كل شيء ولكن سندعوا الجميع للحفل إضافة إلى وجود الشبان"

بدأ قلب أسيل يطرق بعنف عندما سمعت جملتها وقد تأكدت بأنه سيحضر للحفل وستراه، حاولت أن تبدو طبيعية وابتلعت ريقها لتخرج الفتيات كل منها إلى وجهتها متفقن على كل شيء.

-----

في اليوم التالي

تجهزت الفتيات للحفل وقد كان حفل صاحب، كل من له معرفة بالفتيات قد أتى، وقد أقيم الحفل في منزل أسيل تحت إصرار والدها على هذا الشيء إضافة إلى أنه قد تكفل بجميع مصاريف الحفل بنفسه ولم يستطيع أحد أن يعارضه.

بينما أسيل تقف أمام مرآتها تبتسم ببلاهة لأنها ستراه ولكنها ليست متأكدة من قدومه، تنهدت بقوة ونظرت لنفسها في المرآة وابتسمت برضى على شكلها، فقد كانت ترتدي فستان باللون الوردي وعليه حزام فضي، كما أنها صفت شعرها وجعلته منسدل على ظهرها مع تمويجة محببة تخطف الأنظار، كذلك مساحيق التجميل لم يكن مبالغ فيه فقد كانت تضع القليل من أحمر الشفاه الوردي والقليل من الكحل لترسم عيناها باحترافية، كانت بكامل أناقتها ورفقتها، بسيطة لدرجة أنها تخطف الأنظار وتأخذ الأضواء من جميع الفتيات، أخذت نفس عميق لتهبط على الدرج وهي تصدر صوت بكعها العالي، توجهت لحديقة المنزل، لأن الحفلة أقيمت بحديقة المنزل الخارجية الواسعة، تمشي بثقة غير مبالية لأحد ولا لنظرات الإعجاب التي تصدر من المدعوين، اقتربت من شهد وماريا ورنيم اللاتي نظرن لها بإعجاب وابتسامة لتلقي التحية عليهن وتقف بجانبهن.

كانت الفتيات بكامل أناقتهن ولو تحدثنا عن جمالهن فلن نعطينهن حقهن بالكامل، فقد كانت ماريًا ترتدي فستان أحمر اللون يصل لركبتيها مع حزامها الأسود وحذاءها الكعب العالي الأسود.

بينما رنيم كانت ترتدي فستان فضي اللون مرصع بأحجار اللولو من فوق ومن تحت أسود اللون يصل لفخذيها، أما شهد فقد كانت رائعة بكل معنى الكلمة بفستانها الناعم ذو اللون الأسود الذي يصل إلى فوق ركبتيها بإنش صغير، لم يبالغ في اللبس أو المساحيق كان ببرانتهم المعهودة وجمالهن الطبيعي الذي يخطف الأنظار، وإلى حد الآن لم يظهر أحدًا من الشبان.

ظلت أسيل تجول بنظرها بالمكان عل وعسى تجده ولكنه لم يظهر بعد، تنهدت بقلة حيلة وقليل من الحزن عندما رأت يوسف وليث وباسل يدخلون بوسامتهم المعهودة ولكنهم كانوا من دونه، شعرت بوخز في قلبها عندما لم تراه، اقترب الشبان من الفتيات ليذهلون بجمال الفتيات وكل منهم يسرح بمحبوبته التي تظهر كل واحدة منهم بإطلال مميز، أدمعت عيناها عندما لم تجده قد أتى، تمالكت نفسها حتى لا تبكي وتخرب الحفل، أخذت نفس عميق وحاولت أن تهدأ من روعها، وقفت وحيدة تراقب الجميع بصمت، كانت تكسو ملامحها الحزن واليأس، التفتت بنظرها إلى بوابة المنزل لترى شاباً يتقدم للداخل بوسامته وملابسه الأنيقة، ينظر لكل من في الحفل ببرود وجمود عكس النيران التي تشتعل بفواده إذا حدث ولم يقابل محبوبته التي نازع لأجلها وحاول جاهداً بأن

لا يأتي للحفل كي يراها ولكنه لم يستطع المكابرة وجلبه قلبه إلى مكان محبوبته الصغيرة، توسعت عيناها عندما رأته يتقدم للداخل، ابتلعت ريقها بتوتر وبدأت ضربات قلبها تتعالى أكثر فأكثر، كان يمشي ويبحث عنها بناظريه لتقع عيناها عليها وهي تنظر له بأعين متوسعة، ازدادت ضربات قلبه العنيفة، تهللت أساريره عندما رآها، كان يحدث نفسه أيذهب لها أم لا؟ فلم يشعر إلا وهو يتقدم إليها دون وعي، نظرت له وهو يتقدم لها ومازالت على صدمتها ليتوقف الزمن من حولها عندما رأته يقف أمامها بلامح جامدة ومشاعر مختلطة، لم تشعر بنفسها إلا وهي تنطق اسمه بصدمة لتقول:

"أسر"

" في حضرة الغياب "

سيدري العابرونَ إلى قلوبنا

كيف هو الجفاء

وكيف سيفقد اللقاء رونقه

بعد كل هذا الانتظار "

---

لفظت اسمه من بين شفئتها وكم كان متلهف لسماع ذلك الصوت الرقيق، ظلت تنظر لرجولته وهيئته الطاغية، تحقد به بكل اشتياق ومزيج من الصدمة، توقفت الدنيا من حولها ولم تعد تشعر بشيء غيره، بينما هو ينظر لها بجمود يخفي عشقه وهيامه بها، نظر لها مطولاً لهيئتها ولفستانها ليشتم جميع من في الحفل فقط لأنهم رأوها جميلة، هو لا يريد أن يراها أحد جميلة غيره، تمنى لو أن يستطيع أن يأخذها ويذهب بها بعيداً لعالمها الخاص المغلف بعشقتها وجنونها، قرر أن يكسر الصمت ليتحدث بتوتر حاول جاهداً أن يخفيه كي لا يضعف أمامها ولكنه فشل:

"كيف حالك"

لم تتحدث فقط ظلت تنظر له وإلى أدق تفاصيله وحركة شفئته، أردف لها بسخرية:

"ماذا؟ ألم تتذكريني أم أنك ستتجاهليني أيضاً"

لم تشعر بنفسها إلا وهي تقول:

"اشتقت لك"

ابتسم ونظر لها بحب وهيام لتتسع ابتسامته عندما رآها تبتسم له وتنتظر له بحب بالغ، ولكن تلاشت ابتسامته شيئاً فشيئاً عندما تذكر وعده لها، نظر لفستانها بحاجبين معقودين ويقول بلهجة امرأة:

"غيري فستانك إنه فاضح"

قلبت عيناها بملل، هاقد بدأ بالأوامر وعاد لغروره، لم تتحدث فقط ظلت صامتة بملامح منزعة ليرد لها:

"اذهبي وغيري فستانك"

تحدثت بشيء من الغضب:

"لا لن أغيره، لم أقيم الحفل و أخرج بأبهي طلتي كي تأتي إلي وتأمري بكل برود بأن أغير الفستان"

تنهد بحدة ووجد بأنه لا فائدة من الحديث معها، حرك رأسه موافقاً ووضع يده على ذقنه وهو يجول بناظريه على جميع من في الحفل، اقترب منها وأمسكها من معصمها ليسحبها خلفه لداخل المنزل ويصعد بها إلى غرفتها بعد أن أجبرها أن تقوم بدله عليها، دخل بها للغرفة وأغلق الباب خلفه وقد أحكم إغلاقه ومن ثم استدار لها بعينان غاضبتان ليقترب منها ويحاصرهما بين يديه في زاوية الحائط، بينما هي كانت خائفة جداً من أنه قد رآهم أحداً وهو يتجه بها إلى الغرفة، شعرت به وهو يقترب منها ولم يفصل بينهما سوى بضع إنشات لدرجة أنها شعرت بأنفاسه الحارة تلمح وجهها، نظرت له لترى نظرة الرغبة بعينيها، فزعت منه وحاولت التملص منه ولكن إستحالة، تحدث أسر بهدوء:

"غيري اللعنة التي تردينها وإلا سأغيره لك بنفسي"

جحظت عيناها بقوة لتقول:

"أخرج من هنا أرجوك محتمل أن يأتي أحداً من والداي الآن"

ابتسم بسخرية ليقول بتحدي وبرود:

"وإن كان؟ لا يهم فليأتيان"

تحدثت بتوسل:

"أرجوك اذهب هيا"

تنهد بقوة ليقول:

"لا تغيري الموضوع وغيري فستانك هيا"

كزت على أسنانها لتتحدث بغیظ:

"وما شأنك أنت ها"

رفع يده ليتحسس وجنتها ومن ثم يقول:

"غيري الفستان أسيل وإلا ستصبحين من دونه بعد قليل"

ابتلعت ريقها بتوتر ولم تجبه، ليشرد هو بملامحها التي تجعله يجن، لا يعلم أين ومتى وكيف وقع بحبها، كل ما يعلمه هو أنه يعشقها حد الهوس، يريد لها ويريد قربها، لعن نفسه ولعن الوعد الذي قطعه عليها، لم يعد يريد ذلك الوعد، لن يكمله سيعيدها له ويهيم بها، كما أنه يرى الحب بعينها تجاهه، أسند جبينه على جبينها ليتحدث بغیر وعي ونبرة هادئة ومنهجة:

"حبا بالله ما الذي تفعلينه بي؟ لما لا أستطيع أن أبتعد عنك؟ قولي لي كيف أحظى بالرضى منك لأفعل المستحيل، لا أريد شيئاً سواك، قلبي لا يعلم غيرك، يحبك بجميع حالاتك، كنت أموت وأتعذب كل يوم ببعدك عني، لعنت نفسي ولعنت ذلك الوعد الذي وعدتك إياه، لم أعد قادر على هذا الجفاء يا أسيل، أرجوك لا تعذبيني حبيبتي، أنا أريدك أنت فقط، والآن ياروح أسر وقلبه غيري هذا الفستان قبل أن أقلب هذا الحفل لعزاء وأتصرف تصرف غير لائق"

كانت تستمع له مستمتعة بحديثه الذي يجعلها تطير من السعادة، ولكن كلمة الأخيرة جعلتها تبتسم ابتسامة صغيرة، حركت رأسها موافقة وتحدثت:

"حسناً سأغيره"

ابتسم من عيناه ليقول:

"اشتقت لك"

اتسعت ابتسامتها عندما سمعت هذه الكلمة ليقترب منها هو ويلتقط شفيتها برغبة وحب، بينما هي كانت تبادلته وتهيم به عشقاً، ظلا على حالهما مدة ليست بطويلة ليبعد عنها ويستند جبينه بجبينها ويحدثها بأنفاس لاهثة:

"أحبك"

ابتسمت بخجل ولم تنظر لعيناه لتقول:

"وأنا أيضاً"

ظل يحدق بها مطولاً وهو يسأل نفسه كيف له أن يضعف أمامها هكذا؟ هو أصلاً لا يفكر عندما يكون بجانبها، نظرت له نظرة ترجي لينزل إلى الأسفل تاركاً إياها بقلب ينبض بجنون من السعادة والفرح، بدلت فستانها لتلبس فستان باللون الاسود وقد كان له أكام يصل لتحت الركبة بقليل، هبطت للأسفل لتراه واقفاً مع الشبان والفتيات، بينما هو نظر لها وقد شتم ولعن تحت أنفاسه لأنها تخطف الأنظار كيفما بدت، اقتربت منهم وقد تعجب الجميع من تبديلها لفستانها ولكنهم لم يعلقوا، ظل أسر ينظر لها دون أن يتفوه بحرف بينما هي تجول بنظرها بأحاء المكان، كان الجو مليء بالرقص والمرح والسعادة، لم يتركوا شيئاً إلا وفعلوه، كانت أمسية جميلة وحفلة رائعة، وقد قضاوا أجمل الأوقات، كذلك أسر الذي تحسنت نفسيته من بعد ما رأى أسيل فقد شعر بالسعادة تغمره، وها هما الآن يرقصان مع بعضهما بجو مليء بالفرح، تغمرهما السعادة ولا يريان شيئاً غيرها.

انتهى الحفل على خير ليعود كل منه إلى منزله، بينما أسر ودع أسيل بقلبة صغيرة ورحل، لقد طرأ تحسن كبير بعلاقتهم وها قد حان الوقت كي يطلبها للزواج وكفى انتظاراً أيضاً.

-----

صباح اليوم التالي استيقظت أسيل بكل نشاط وحيوية، فعلت روتينها اليومي وهبطت للأسفل كي تتناول فطورها مع عائلتها، كانت في غاية السعادة، وقد لاحظ والديها بأنها سعيدة جداً وهذا ما أفرحهما لأجلها، لم يعلمان ما الذي حدث معها ولكنهما اطمئنا عندما رأوا تغير حالتها ومزاجها، استأذنت منهم لتصعد إلى غرفتها وتقوم بتبديل ثيابها لتتوجه إلى منزل شهد.

وبينما كانت تمشي في طريقها لصديقتها وقفت سيارة أمامها، نظرت باستغراب لترى أسر هبط من السيارة متوجه إليها بابتسامة واثقة، تفاجئت عندما رآته ولكنها فرحت جداً برؤيته ليقول إسر:

"أتريدين توصيلة أيتها الجميلة"

ضحكت بخجل لتقول:

"في الحقيقة لا يا سيد أسر فما أنا قد وصلت لمنزل صديقتي"

همهم أسر وحرك رأسه بإيجاب ليمسكها من رسغها ويشدها ويركبها السيارة تحت نظراتها المتعجبة منه، توجه بها إلى منزله وقد كان يحاول كسر الصمت بينهما ويسألها عدة أسئلة عادية وغير مهمة، وصلاً للمنزل وما زالت متعجبة أسيل منه، دخلاً للدخل وما إن دخلاً حتى أمسك أسر بأسيل وشدها إليه محتضناً إياها بكل حب واشتياق، بينما هي تعجبت كثيراً منه ولكنها ما إن أصبحت بأحضانه حتى نسيت العالم بأكمله، تحدث بصوت هادئ وما زال محتضنها:

"اشتقت لك"

فصلت العناق قليلاً لتتحدث بابتسامه:

"وأنا أيضاً"

ابتسم لها وتحسس وجنتها الطرية ليسرح بلامحها البريئة وابتسامتها الجميلة قائلاً بحب ومن دون أي مقدمات:

"هل تقبلين الزواج بي"

لم تصدق ما سمعته، فرحت جداً عندما سمعت هذه الجملة، ابتسمت بتوسع وحركت رأسها موافقة لتتسع ابتسامه أسر ويصرخ من سعادته، احتضنته بقوة وسعادة ولكنها تذكرت شيئاً مهماً لتتحدث بهدوء وشيء من التوتر:

"ماذا عن الداك أسر"

تلاشت ابتسامته تدريجياً عندما سمعها لتعود إليه ملامح الجمود، ابتعد عنها وخطى خطوات ليتنهد ويقول:

"أنسي أمرهما، لا أريدهما في حياتي أبداً، سنعيش وحدنا أنا وأنت فقط"

عقدت حاجبها بحزن لتقول:

"لماذا تقسو عليهما؟ أجل هما أخطأ في حقك ولكن يجب عليك المسامحة"

زفر يحنق ليتحدث بجمود:

"قلت لك أنسي أمرهما، لا شأن لك بهذا الموضوع"

حاولت أن تجعل الأجواء هادئة لتحدثه بابتسامة وهدوء:

"ألم تشتاق لهما؟ هما والداك يا أسر غير ذلك كيف تطلب مني أن لا أتدخل وأنا سأصبح جزءاً منك وزوجتك أيضاً"

تحدث أسر بنفاذ صبر:

"أسيل هذا الموضوع يجعلني أشعر بالضيق، لن أسامح ولن أراها أبداً، حتى أنني لا أريدهما في حياتي ولن أعرفهما على أولادي في المستقبل"

عقدت حاجبها بقليل من الانزعاج لتقول:

"ولكن هذا الشيء خاطئ، أنت تظلمهما هكذا"

تحدث أسر بشيء من الصراخ والغضب:

"أجل أظلمهما وهما لم يظلماني أليس كذلك؟ أسيل انسي عن هذا الموضوع نهائياً وهذا سيكون جيد لك"

احتدت ملامحها قليلاً لتقول:

"لا لن أنسى هذا الموضوع ويجب عليك أن تسامحهما وكل هذا لأجل مصلحتك أيضاً"

صرخ بها ليقول:

"أسيل اصمتي ولا تتحدثي معي هكذا، لست أنا الذي يطيع أوامر أحد هل تفهمين"

زفرت بحنق وامتعضت على طريقة تفكيره لتقول:

"أنا لا أفهمك ولا أعلم لما أنت بهذا التفكير، حتى وإن أخطأنا بحقك يجب عليك أن تسامحهما"

نقد صبره ولم يعد يحتمل حديثها بهذا الموضوع ليقترّب منها ويمسكها من معصمها ويقول:

"أسمعيني جيداً، أنا أمشي على الجانب الذي يعجبني هل تفهمين؟ أنت لا شأن لك بهذا الموضوع وأغلقني فمك هذا هل تسمعين"

لم يعجبها رده، نترت يدها من يده لتتحدث بحدة:

"ليس كل شيء يأتي على مزاجك يا سيد أسر، ثم أنني لا أحدثك بشأن أحد غريب، هما والداك ويجب عليك  
المسامحة لأجلك ولأجل والدك المريض، لقد حدثتني ماريا بكل شيء وحدثتني عن قسوتك تجاههما، لما كل هذا  
ها أجنبي هيا"

احتدت ملامحه ليتحدث بشيء من الحدة والسخرية:

"ومن أنتِ حتى تحكمن على قساوتي وأنتِ لم تتذوقي ربعها فقط ها؟ لا تشغلين عقلك الصغير بأموري الخاصة  
هل تفهمين"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"حسناً وأنا لن أكون لك حتى تسامحهما وأرني ما لديك"

صدم من جملتها وهبط قلبه ولكنه ظل على حدته ليتحدث:

"هل تتحديني أسيل؟ هل ترييني لعبة بين يديك؟ في المرة السابقة قلتي لي بأنني كاذب ولا تريدني والآن  
تقولي بأنك لن تكوني لي إلا عندما أسامح والداي؟ هل أصبحت مسألة تعجيز أم ماذا، لا تتهربي مني، إذا كنتي  
لا تريدني فإمكانك أن تقولين وانتهينا"

بدأت طرقات قلبها تزداد لتتحدث بهدوء وجمود:

"أنا لا أتهرب منك، ثم أنني لو كنت أتهرب لما كنت نظرت لوجهك البارحة، ولكن أنا أخيرك إما أنا والداك أو  
لا أحد"

صعق من ردها لبيتسم بشر ويقول:

"حسناً، وأنا لا أريد المسامحة فلتفعلي ما يحلو لك وللجيم السابع"

أدمعت عيناها لتقول:

"هل أعتبر من جوابك بأنك لا تريدني"

تحدثت بجمود:

"أنتِ التي وضعتي خيارات في موضوعنا لذا تحملي العواقب أسيل، افعلي ما تشائين لن أمنعك"

ابتسمت بسخرية وهبطت دموعها لتتحدث:

"حسناً أسر ولكن هذه المرة سأخرج من حياتك للأبد"

نظر لها مطولاً وازدادت وتيرة أنفاسه وطرقات قلبه العنيفة ليتحدث بصراخ:

"حباً بالله ما الذي تريدينه؟ لما تفعلي هذا وتعذبيني وتعذبي نفسك بهذا الشكل ها؟ أنا حقاً لا أفهمك، ماذا تريدين بالتحديد؟ أتوهين تعذيبي أنت أم ماذا؟ حسناً كما تشائين اذهبي للأبد لم أعد أبالي بك فقد تعبت حقاً"

ازداد بكائها لتتحدث ببكاء:

"حسناً سأذهب ولكن صدقتي أنني أحبك وكنت أحذثك بكل هذا لأجلك ولكن أنت من اخترت بعدي هذه المرة ولست أنا لذا لن تراني بعد الآن، سأسافر بعيداً ولن أعود أبداً"

ابتلع ريقه ونظر لها ببرود، ما إن ذهبت حتى بدأت نوبة جنونه وغضبه، ستذهب بعيداً عنه ولكن دون رجعة، ستبتعد ولن تبالي لأي شيء، كما أنها قد سئمت من تفكيره وغروره كحالها هو الذي سئم من كبريائها وتقلب مزاجها، اتجهت إلى منزلها حاسمة أمرها وعازمة على السفر دون رجعة.

---

بينما من الجهة الأخرى يجلس بتوتر بالغ، يهز بقدمه ويقضم أظافره بتوتر، لم يتحدث ولم يصدر أية حركة فقط يكتفي بالتحديق باللاشيء وجو التوتر يسوده، تنهد بقوة والتفت ليرى والد شهد يتقدم منه لاستقباله، نهض ليلقي التحية عليه مع ابتسامة توتر، جلس أمامه والد شهد ليقول:

"أهلاً بك حضرة الضابط يوسف"

ابتسم بتكلف ليقول:

"أهلاً بك يا عم، كيف حالك"

تحدث سليم والد شهد:

"بخير وبأحسن حال"

حرك يوسف رأسه موافقاً ليقول:

"وكيف حال شهد والخالة هدى"

ابتسم سليم ليقول:

"بأحسن حال الحمد لله"

ابتسم يوسف وظل صامتاً بينما دخلت عليهما هدى وألقت التحية على يوسف بابتسامة واسعة وانضمت لهما بالجلوس، وهذا مازاد من توتر يوسف، ولم يعلم كيف سيطلب طلبه من والد شهد، بينما سليم عقد حاجبيه باستغراب من حالة يوسف وقد اتضح له بأنه متوتر جداً، حمم سليم ليقول:

"ما بك حضرة الضابط؟ لما يبدو عليك التوتر"

بلل يوسف شفثيه ليتحدث بتوتر:

"أنا أريد أن أتحدث مع شهد، أقصد يعني أريد أن أطلب منك شيئاً"

همهم سليم ليقول:

"حسناً سننادي على شهد ولكن ماهو طلبك"

ابتلع يوسف ريقه ليتحدث بتوتر:

"أأ أنا أريد، أقصد أريد يعني أن .."

صمت وابتلع ريقه ولم يكمل ليتنهد بقوة وهو يهز قدمه بتوتر، شجع نفسه ليقول بسرعة:

"أريد أن أتزوج شهد"

جحظت عينان هدى ولم تصدق ماسمعت ولكنها فرحت جداً بطلبه، بينما سليم ابتسم وتحدث بهدوء:

"حضرة الضابط أنا ليس لدي مانع أبداً"

ابتسم يوسف بتوسع ليرد له سليم:

"ولكن أنت تعلم بالذي حدث مع شهد وأنا لا أعلم بردة فعلها ورأيها في هذا الموضوع بصراحة"

حك يوسف مؤخرة رأسه ليقول:

"عمي أنا أريدها لأنني أحبها، أريد أن أقف بجانبها، لا يهمني الماضي وإذا كانت شهد تعرضت للاغتصاب من قبل فهذا لا يعني بأنها أصبحت منحلة أو غير قابلة للزواج ولتكوين عائلة، فأنا أريدها لأنها فعلاً هي مميزة بالنسبة لي ولا أريد غيرها"

ابتسم سليم بتكلف، هو ليس لديه مانع بيوسف أبداً ولكنه خائف على شهد كثيراً خصوصاً بعد ما حدث معها ولكنه قد أعجبته إجابة يوسف، نظر له يوسف وكأنه قرأ من عيناه مايجول بخاطره ليرد له:

"صدقني ياعم وثق بي تماماً بأنني لن أؤذيها أو أرحها أبداً، سأكون رجليها وسندها في هذه الحياة ولن أذكرها بالماضي أبداً لأنني أنا بالأساس قد نسيتته"

ابتسم له سليم وحرك رأسه موافقاً ليقول:

"حسناً يا يوسف ولكن يجب عليك أن تقنعها لأنني أعلم بأنها لن توافق"

حرك يوسف رأسه موافقاً بابتسامة لينهض سليم وينده على شهد، لم يمر وقت طويل حتى دخلت شهد عليهم، ألقى التحية على يوسف وجلست بجانب والدتها، نظر لها يوسف وابتسم لها وبادلته الابتسامة، حمم سليم ليقول:

"شهد حبيبتي، يوسف يريد أن يتحدث إليك بموضوع مهم، سأذهب أنا والدتك للغرفة، تحدثا بهدوء"

نظرت له شهد بحاجبين معقودين لينهض كل من سليم وهدى للغرفة الثانية، بينما شهد توترت قليلاً كونها تجلس مع يوسف بمفردها، حمم يوسف وسألها عدة أسئلة عادية كي يكسر الصمت قليلاً، ابتلع ريقه من بعدها ليقول:

"شهد الموضوع الذي أريدك به هو أنني ."

صمت يوسف ولم يكمل، عقدت حاجبيها باستغراب لتقول:

"أنك ماذا حضرة الضابط، تحدث ما بك"

ابتلع ريقه ليقول:

"اسمي يوسف يا شهد، ألم نتفق من قبل"

ابتسمت بتوتر لتحرك رأسها موافقة بينما أردف لها:

"شهد اسمعيني جيداً، أنا بصراحة أريد أن أحدثك بشيءٍ مهم، منذ أول لقاء بيننا وأنا أفكر بك ليلاً ونهاراً، أحسست بأنك مسؤولة مني ويجب علي مراعاتك والحرص عليك جيداً، ومع الوقت تعلقت بك وأحببتك من كل قلبي"

صمت قليلاً ليبلل شفثيه ويردف لها:

"صدقيني أنا أحبك كثيراً وأريدك أن تكوني زوجةً لي، أنا لن أكذب عليكِ بشيء، لقد كان لدي علاقات كثيرة مع النساء ولكن أقسم لك بأنني لم أعد أواعد أية امرأة منذ أن التقيت بك ومن قبلها بالأصح، لقد أحببتك كثيراً، أنت الفتاة الوحيدة التي دخلت قلبي، ولا تظني بأنني أريدك لشفقة أو أي شيء من هذا القبيل، أقسم لك بأنني أريدك بكل جوارحي ولقد نسيت الماضي لذلك لا تظني هكذا أبداً، والآن هل تقبلين الزواج بي"

ألجمت الصدمة عليها ولم تعد تستطيع النطق حتى، شلت حركتها بكل معنى الكلمة، هي لم تكن تفكر بهذا الموضوع بتاتا، لا تنكر بأنها متعلقة به وولدت نقطة حب بداخلها تجاهه، ولكن لا تستطيع أن تكون له، فهي ليست مكتملة بالنسبة لها وبرأيها، تظن بأنها ناقصة ولا تستطيع الزواج، لا تصدق أي أحد بحبه ولن تستطيع تصديق ذلك، فعلاً هي تظن بأن يوسف يشفق عليها ويريد الزواج منها فقط من أجل السترة ومن بعدها سيتخلى عنها لا محال، ولكنها لمحت الصدق بكلماته، هي لا تريد أن تجرح قلبه وبنفس الوقت لا تريد أن تتجرح هي أيضاً، بينما يوسف كان يتابع صدمتها، يريد أن يعلم ردة فعلها، ولكنه انتظر كثيراً ولم يرى منها أي ردة فعل وهذا مازاد من قلقه، ابتلع ريقه ليقول:

"شهد صدقيني بأنني أحبك كثيراً وأريدك زوجةً لي، لن أجد مثلك ولن ألتقي بمثلك لذا لا تظلميني وترفضين طلبي"

ابتلعت ريقها وبللت شفثيها وهي تنظر للاشياء، تحولت نظرتها لنظرة حنق لتقول بجمود:

"طلبك مرفوض حضرة الضابط"

عقد حاجبيه بحزن وبدأ قلبه يقرع كالطبول ليتحدث بشيء من الخوف:

"اسمعيني أرجوك، أنا أحبك وأعلم ما الذي يجول بخاطرك، صدقيني بأنني سأظل سندك بهذه الحياة ولن ترين مني أي شيء مزعج، سترين الحب والحنان فقط ياشهد"

ما إن سمعت هذا الكلام حتى هبطت دموعها على وجنتها، صدقته وصدقته مشاعره بالفعل، كونه علم بجوارحها وب الذي يجول بعقلها، ولكنها مع ذلك لن تظلمه معها ولن تقبل به، لأنها لا تريده أن يظلم معها، علمت بأنه لن يؤديها أو يجرحها ولكن هي ستجرحه بخوفها من لمسته وخوفها من الماضي أيضاً، بينما هو عندما رأى دموعها لم يعد يعلم كيف سيتصرف، أصابه التوتر، يريد أن يطبطب عليها ويواسيها ولكن خائف من صدها ومن خوفها أيضاً، مسحت شهد دموعها لتتحدث بانكسار:

"صدقني لن ينفذ هذا، أنا لا أناسيك، أنت لا ذنب لك بأن تقضي حياتك مع فتاة مثلي"

عقد حاجبيه بحزن ليتحدث بسرعة:

"لا لا ياشهد لا تقولي ذلك، أنت فتاة جيدة وجميلة وأنا أريدك لي، صدقيني أنا لا أفكر بهذه الطريقة التي تفكرين بها"

تحدثت بجمود:

"أجل أعلم ولكن مع ذلك أنت لن تتحمل عقدي وخوفي من أي شيء، لن تتحمل تصرفاتي وبكائي المفاجئ، لن تتحمل تقلب مزاجي واكتنابي، صدقني لن تتحمل لذا لن ينفذ ارتباطنا أبداً"

تحدث بإصرار وصدق:

"صدقيني سأتحملك بكل حالاتك، لن تهوني علي أبداً يا شهيد، أنا لا أريد جسديك أريد أن تبادليني الحب الذي في قلبي لك فقط، أنا على استعداد تام بأنني لن أقترب منك ولن ألمسك إلى أن تتقبلين الأمر أنت، سأساعدك وأسألك بكل شيء إلى أن تنفكي عن عقدتك، وبما أنك ستكونين بجانبني فلا داعي للخوف أبداً"

تسمع حديثه وتعلم بأنه صادق، ولكن حالتها النفسية تمنعها من موافقتها وارتباطها بأي أحد، عاجزة، منكسرة، كئيبة، لا تريد شيئاً سوى عودة الزمن للوراء ومقابلتها له بغير هذه الظروف، عندها ستكون محظوظة بالفعل عندما سترتبط بإنسان مثله، ابتلعت ريقها لتتحدث بجمود:

"أنا أرفض الفكرة، اعذرنني"

نظر لها وابتسم بحزن ليقول:

"حسناً يا شهيد، ولكن أريد أن أعلم شيئاً واحداً، هل تبادليني المشاعر نفسها؟ أقصد هل تحبينني مثل ما أحبك"

توترت جداً عندما سمعت بسؤاله، لن تنكر بأنها أحبته ولكنها أخفت هذا الشيء عن الجميع، حتى أسبل ذاتها لم تحدثها بذلك، قررت الاعتراف له، حتى وإن كانت سترفضه ولكنها ستعترف له، تريده أن يعلم بأنها أحبته أيضاً وبادلتها المشاعر ولكنها لن تقبل به ولن تقبل بأي أحداً كان، تنهدت بقوة لتتحدث بتوتر:

"أأ أجل أحبك وأبدلك المشاعر ولكنني لن أكون لك ولا تطلب مني هذا الشيء أرجوك"

ابتسم بسخرية وصمت، لا ينكر بأنه تهللت أساريره عندما علم بحبها له ولكنه حزين من أجل رفضها، ومع ذلك لن يشعر باليأس أبداً، كونها تبادلته نفس المشاعر فهذا يعني بأنه سيظل لديه أمل، تنهد بحرقة ليتحدث بابتسامة حزينة:

"حسناً يا شهد كما تشائين، ولكن اعلمي جيداً بأنني لن أتركك، سيظل عندي أمل بأن تكونين لي في يوم من الأيام، وبالمناسبة إذا لم تقبلي بي ك شريك حياتك، فأريدك أن تقبلي بي ك صديق لك ولكن مؤقتاً اتفقنا"

نظرت له بحزن وهبطت دموعها من جديد لتحرك رأسها باستسلام ويأس، بينما هو تنهد بقوة وعادت إليه ملامح الجمود، نهض من جانبها ليذهب ولكنه التقت فجأة إليها ونظر لها نظرة أخيرة بحزن لدرجة أنه أدمعت عيناه من رؤيتها وهي عاجزة، تنهد بحزن وتوجه إلى الخارج ليعود أدراجه إلى منزله مكسور خاطر حزين من رفض محبوبته له.

---

من الجهة الأخرى وصلت أسيل إلى منزلها ودموعها على وجنتيها، تملكها اليأس والتعب، لم تعد تحتل هذه الأوجاع، ستبتعد عن كل شيء موجه ومتعب، لا تريد شيء سوى راحة بالها وقلبها، حدثت والديه برغبتها بالسفر ولكنهما عارضاهما على فكرتها بشدة ولكن مع إصرارها وافقا وسمحا لها بالذهاب، وعدتهما بأنها ستعود وكذبت عليهما ولكنها لن تعود إليهما أبداً إلا عندما تنتهي جميع أجزائها وتلتئم جراحها من محبوبها البارد والمغرور.

بينما أسر من بعد ذهاب أسيل لم يبدي أي ردة فعل سوى أنه بدأ بالشرب والتدخين، لم يعد يعلم كيف يتصرف أو كيف سيرضيها، هي تدخلت بشيء لا يعنيه، كان يحاول أن ينسأهما ولا يحثك بهما ولكنها جاءت لتوقظ قلبه جميع مشاعر الحنين والاشتياق إلى حضن والديه، ومع ذلك سيبقى على موقفه ويحاول أن يعود ليدفن مشاعره تجاه والديه وتجاهها هي أيضاً، ولكنه يعلم جيداً بأنه لن يستطيع نسيانها فهي من ملكت قلبه وتربعت على عرشه.

" أبداً لن تنساني

أبداً لن تنسى

أبداً من الندم ينتظرك

مَن أضعني مِن يدهِ

قضى وحيداً كَ حصانٍ

لا مربطٌ بعدي لقلبيهِ "

---

" دلني عَن قلبها

فإن شوقي يُحرقُ

وأنا المُتيمُّ لِلقاء

حتى جفاها أعشقُ "

---

مضى سبعة أشهر على حياة أبطالنا

ولكنه طرأ تغييرات كثيرة بهذه الأشهر، فباسل قد اعترف بحبه لماريا وقد كانت هي مشاعرها تجاهه تفوق الحد، فهي حقاً أحبته وصدق قلبه وحبه، لم تنكر بأنها أحبته وكذلك لقد ألجمت الصدمة عليها حين اعترف لها بحبه، كما أنها فرحت كثيراً باعترافه ولكن لم تنطق بحرف وهذا مازاد من خوف باسل، نهضت وتركته مكانه متخبط بمشاعره، خائف من رفضها، وخائف من قلبها إذا حدث ولم يتقبل هذا الحب، ولكن ماجعله يطير من سعادته وتحليقه في السماء هو اعترافها بحبها له الغير المباشر بعد عدة أيام من اعترافه لها، كانت رقيقة بكلماتها، ينبع اعترافها بإحساس صادق، الآن علم باسل ما هو طعم السعادة والفرح، لذا قد قررا بعد ثلاثة أشهر أن يقيمان حفل زفافهما، طبعاً بعد أن أخذوا رأي يوسف وموافقته، وقد جاءت والدته باسل وطلبتها بشكلٍ رسمي وتمت الموافقة وحددوا موعد الزفاف بعد ثلاثة أشهر وهما في غاية سعادتهما وفرحتهما.

أيضاً قد تجرأ ليث واعترف بحبه وإخلاصه لرنيم، طبعاً تحت تشجيع ماريا له ومساعدتها شجع نفسه واعترف لها بحبه، لم تنكر هي بأنها فرحت جداً ولمست الصدق بكلماته، ولكنها أحببت بأن تلعب بأعصابه قليلاً لذا قد رفضت الفكرة أولاً، ولكن تحت تشجيع ماريا لـ ليث بأن لا يتخلى عنها وإصراره عليها وافقت واعترفت هي

أيضاً بمشاعرها تجاهه بكل صدق ومحبة، وقد كانت فرحته لا توصف حينما علم بمشاعرها الصادقة، وقد تقدم لها رسمياً وأيضاً تمت الموافقة، وتم تحديد موعد زفافهما بنفس اليوم الذي سيقام به حفل زفاف باسل وماريا.

بينما يوسف عندما علم بصدق مشاعر باسل لشقيقته وافق على الفور، هو لا يريد شيئاً من هذه الدنيا سوى سعادة شقيقته وراحتها، وكونها تحبه وتبادلته المشاعر فليس لديه مانع أبداً بأن ترتبط شقيقته وتكون زوجة صديق طفولته، لا ينكر بأنه يشعر بالغيرة من باسل على شقيقته، ولكنه يخفي ذلك أمامهما ويحاول التحكم بأعصابه، هو أيضاً لا يريد أن يراها حزينة أو تخسر حب حياتها، يريد لها سعيدة معه طوال عمرها، لا يريد لها أن تجرب الخذلان وحرقة القلب من محبتها لأنه هو قد جربه وذاق عذابه.

لا يكل ولا يمل عن تفكيره بشهد، يزداد حبه لها يوماً بعد يوم، منذ ذلك اليوم ورفضها له لم يعد يضايقها أو يشعرها بأي شيء، عندما يراها ينفجر قلبه من هيامه بها ولكنه يتحكم بأعصابه ويهدأ من روعه ويحاول التصرف معها بشكل طبيعي، ومع كل مرة يحاول فيها يفشل لأنه يرتبك ويتوتر عندما ينظر لعيناها أو يحدثها، ومع كل ذلك لم يفقد الأمل بعد، سيظل يحاول معها إلى أن تقبل به وتكون له.

بينما شهد منذ ذلك اليوم مع يوسف ازداد حبه لها ولفت نظرها بشكل كبير، تعشق تفاصيله عندما يحدثها ويرتبك، تفكر في نفسها كيف لقلبها أن يحبه ويتعلق به وهي أصلاً كانت قد أقسمت على عدم محبتها لأحد أو تقربها من أحد، ولكن مع يوسف قد فعلت وأحبته، كانت تلتقي به نادراً عندما تأتي لماريا، لا تعلم بأنه يتعمد المكوث في المنزل كلما علم بأنها قادمة، يحترق قلبها ببعدها عنه وعجزها عن فعل أي شيء، أحبته وأحبت رجولته، كبر عينها كثيراً عندما احترم رغبتها ولم يعد يفاتحها بموضوع الزواج، وهذا ما جعل قلبها يتمزق، نعم رفضته من أجله ومن أجل عدم ظلمها له، تظن نفسها بأنها ستقضي حياتها هكذا للأبد، كلما فكرت بأن يوسف سيتزوج من غيرها في يوم من الأيام تكاد يتمزق من داخلها وتأتيها رغبة كبيرة في البكاء، ومع ذلك وإلى حد الآن صامدة، قوية، بشخصية جامدة وواثقة، ألجمت الصدمة عليها وتعجبت كثيراً عندما علمت بسفر صديقته دون حتى توديعها، حزننت كثيراً ببعدها لأنها دائماً ما تحتاجها، تتواصل معها وتحدثها كل فترة وقد علمت أيضاً ما هو سبب سفرها وأعطتها العذر، كما أن شهد قد حدثتها بشأن يوسف وهي من شجعتها وزادت من ثقة نفسها وقوتها وأخبرتها بعدم الاستسلام والمضي للأمام.

كحال الشبان والفتيات الذين صدموا جميعاً عندما علموا بموضوع سفر أسيل، عدا أسر الذي كان جامداً ولم يبدي أي ردة فعل لأنه يعلم بأنها ستفعل ذلك، قلبه يحترق لأجلها، نيران العشق توأد في قلبه، يشناق لها، يحن لها ويعيش على ذكراها، في كل مرة تأتي سيرتها تلعب عيناه ويتنهد بحزن، فكر كثيراً بأن يسامح والديه فقط من أجل أن يسترجعها، ولكن لا، إذا لم يكن يريد المسامحة من قلبه فلن يستطيع استرجاعها، يعيش على أمل أن يلتقي بها يوماً، في كل ليلة يضع رأسه على الوسادة تأتي صورتها في مخيلته، ينظر لصورتها الموجودة عنده ويتأملها لساعات وساعات دون كلل أو ملل، يحترق من داخله ولا أحد يشعر به، لعن الحب آلاف المرات كونه وصل إلى تلك المرحلة بسببه، أصبح متعجرف، بارد، غاضب، غير مبالي أكثر من ذي قبل، ازداد سوءاً وازداد غضبه وأصبح الجميع يتجنبه خوفاً من غضبه، لا ينفك عن الشرب والتدخين، لم يعد يطبق حياته السوداء، ولم يعد يخالط أحد كثيراً، حتى يوسف قد بدأ يتجنبه وهذا مازاد من قلق يوسف عليه وقد علم بكل شيء حدث بينه وبين أسيل.

كان يفكر كثيراً بأن يميل لإحدى النساء ويخرج طاقته السلبية وعذابه بهن ولكن لم يستطع، حاول مراراً وتكراراً بأن يقترب من إحدى النساء التي تحوم حوله ولكنه مجرد تذكره لأسيل ينفر من المرأة ويبتعد عنها فوراً دون عودة، حاول كثيراً المضي في حياته وتكوين علاقات ولكنه عجز عن فعل ذلك، يريد أن ينساها بامرأة أخرى ولكن يعود لوعيه ويبتعد فوراً عندما يتذكرها ويؤنبه ضميره وبعاتب نفسه على طريقة تفكيره، هو لم يخنها بالجسد ولكنه خانها بالتفكير، وبعد عدة محاولات منه بالتفكير أيضاً لم يستطع أن يخرجها من عقله لحظة واحدة، يغضب من أبسط الأشياء ويفتعل المصائب فقط من أجل أن يفرغ شحنته السلبية.

بينما أسيل عندما سافرت إلى الإمارات كانت منهاراً كلياً ونفسيتها متعبة بشكل ملحوظ، أصبحت تائهة من بعده، حالها كحالها، لا تستطيع إخراجها من رأسها، ولم تستطع نسيان ما فعله بها، ابتعدت عن كل شيء موجه وأوله هو فقط من أجل أن ترتاح، أيضاً ابتعدت عن الرسم فقط من أجل أن لا ترسمه لأنها تعلم جيداً حالما أمسكت الريشة والألوان سترسمه هو، لا ننكر بأنه قد طرأ تحسن عليها عندما ابتعدت قليلاً، مضت للأمام وأصبحت باردة ولم تعد تبالي بشيء، نعم تتذكره وتحن له وتشتاقه كل ليلة ولكن كبريائها لم يعد يجبرها على التنازل، ستنسى أو بالأصح ستناسى فقط من أجل أن تعيش بسلام، هي تعلم بأنها لن تنساه ولكنها ستحاول، لقد مرت بصعوبات كثيرة هذه الفترة وتجاوزتها لذا ستتجاوزها هو أيضاً.

---

تجلس تلك الفتاة البريئة في غرفتها، ابتسامة بلهاء ترتسم على شفتيها، فرحة كبيرة تجتاحها لأنها تشعر بالحب والحنان تجاه حبيبها، كما أنها سعيدة جداً كونها ستتزوج منه في الأسبوع المقبل، دخل عليها أخيها مبتسم لتنهض وتنفض عليه معانقة إياه ويبادلها العناق، ابتعد يوسف عنها ليقول:

"عروستنا الجميلة كيف حالها"

ضحكت ماريًا خجل لتقول:

"بخير وبأحسن حال"

همهم يوسف قائلاً:

"هل جهزتي كل حاجياتك"

حركت رأسها بابتسامة لتقول:

"أجل أعني تقريباً كدت أنتهي، سأنزل اليوم أنا ورنيم وشهدي للتسوق لكي نكمل الاحتياجات وكل شيء"

ما إن سمع اسم شهد حتى حرك رأسه وتنهذ بقوة، نظرت له ماريًا بحزن لتقول:

"مايك يوسف؟ أنا أسفة لقد ذكرتك بها"

ابتسم بحزن ليقول:

"أنا لم أنساها لكي تذكريني بها ياماريا، أتمنى فقط أن تعلم بقوة مشاعري تجاهها وحبى لها وتكون لي"

ماريا:

"مازلت تحبها أليس كذلك؟ ولكنني أراك عندما تلتقي بها تعاملها بشكل عادي وبرسمية جداً"

تنهد بحزن ليقول:

"أجل لقد وعدتها بذلك ولكن سيظل لدي أمل وستكون لي في يوم من الأيام أنا متأكد"

حركت رأسها بابتسامة حزن لتغير الحديث وتخطي خطوتان وتفرد يداها لتتحدث بدرامية ومرح:

"احم احم والآن انظروا إلى البرنسس ماريا، حفل زفافها في الأسبوع المقبل، ستكون في غاية الأناقة والجمال، وطبعاً لا شيء جديد فهي دائماً تبدو بأبهى طلة لها، اها شكراً شكراً على التصفيق الحار أشكركم"

أنهت جملتها بتواضع لتصفق بمرح ومن بعدها تطلق تصفيرة عالية كالشبان، بينما يوسف يكاد يموت من شدة ضحكه على فعلتها هذه، فرحت كثيراً كونها استطاعت بأن تضحكه وتخرجه من هالة حزنه قليلاً، ابتسمت باتساع لتراه مازال يضحك عليها، أطلقت صرخة عالية وانقضت عليه لتبدأ مشاجراتهما التي لا تنتهي أبداً.

---

في منزل أسر

يمدد جسده على الأريكة بكل ارتياح، ينظر للاشيء ببرود وكأس النبيذ يرافقه أينما كان، يرتشف منه ببرود وجمود، مسك هاتفه ليفتح على صورتها ويتأملها، ينظر لأدق تفاصيلها، عيناها، شفتاها، وجهها، ابتسامتها التي يعشقها، تنهد بجمود لياتيه الحارس ويلقي التحية ويقول:

"سيدي السيد جلال والسيدة أمينة قد أتيا"

رفع نظره له بصدمة ليقول:

"ما الذي جاء بهما؟ وأين هما"

تحدث العسكري بإيجاب:

"إنهما في الخارج سيدي، ينتظران سماحك لهما بالدخول"

احتدت ملامحه وزفر بقوة ليتحدث بغضب:

"أدخلهما"

حرك العسكري رأسه بإيجاب وخرج ليعتدل أسر بجلسته وينظر للاشيء بجمود، دخلا عليه لينظرا له بشوق كبير، هبطت دموع والده أسر فوراً، بينما والده اكتفى بالتحديق به والنظر لهيئته ورجولته الطاغية، كم تغير عليه وكم كبر، شتم نفسه أفضع الشتائم لأنه تخلى عن ولده الوحيد، نظر له بحزن وانكسار لتهبط دموعه بعجز، بينما أسر لم يكلف نفسه حتى بالنظر لهما، ظل ينظر للاشيء بجمود وبرود، ولكن قلبه سينفجر من حنينه لهما، كما أنه يسمع شهقات والدته ونحيبها وبكائها وهذا مايزيد من حزنه عليها وحنينه لها، ابتلع ريقه بصعوبة لينهض بجمود مصطنع وينظر لهما، كم تغيرا هما أيضاً وكم كبرا، تغيرا عليه بشكلٍ بالغ وغزى الشيب رأسيهما، ابتسم لهما بسخرية ليقول:

"أهلاً بالسيد جلال والسيدة أمينة، ما الذي أتى بكما ياترى؟ أووه لا أصدق والداي العزيزان هما الآن أمامي؟  
هه يا للسخرية"

نظر له والده بحزن ليقول:

"بني أسر اشتقت لك ياعزيزي"

ضحك بسخرية ليقول:

"حقاً اشتقت لي؟ الآن تذكرت بأن لديك ابن"

تحدثت أمينة ببكاء:

"أرجوك بني لا تقسي قلبك علينا، نحن اشتقنا لك بحق، حبيبي أنا والدتك ألم تشتاق لي؟ ألم تشتاق لحضني ها"

نظر لها بحزن وشوق، لم يطيق المكابرة ولكنه مكسور وحزين منهما جداً، تنهد بحنق وأشاح بوجهه عنهما ليعود ويجلس بمكانه، بينما تقدما والداه وجلسا أمامه، عم الصمت بالمكان، لم يتحدث أحداً منهم، فقط يناظرانه باشتياق وحنين، ابتسمت والدته من بين دموعها لتقول:

"ابني الوحيد أصبح رجلاً وسيماً جداً"

ظل جامد الملامح ولم يلين أبداً، ازدادت وتيرة بكائها لتقترب منه وتضمه إلى صدرها دون أي اعتراض منه، ظل جامداً بحضنها لم يبدي أي ردة فعل، ولكن شعور جميل لا يوصف اجتاحه عندما احتضنته، شعر بالأمان

والراحة، وكم كان يحتاج لهذا الحزن فقط لكي ينسى جميع آلامه، ظل ساكناً بين يديها لا يبادلها العناق فقط ساكن، بينما والدته تجهش بالبكاء وتحدثه بكلمات اعتذار، ابتعد عنها ووقف بجمود ليقف والده أمامه ويقول:

"أسر بني أنت لن تقسو علينا هكذا، كفاك فقد تعبت جداً ببعذك عني"

نظر له بحزن وغضب بنفس الوقت، أجل والده تعب جداً ولكن أسر كان تعب مضاعف أكثر، احتقن وجهه وعلقت الغصة بحلقه، تنهد بضيق وأشاح بنظره عنهما ليقول:

"لن أسامح ولن أعود أسر القديم، أنتم من فعلتما بي هكذا لذلك لا تلوماني على قسوتي"

اقتربت منه والدته ووضعت يدها على خده لتقول ببكاء وحنان:

"حبيبي أسر نحن ندمنا جداً، أليس لدي خاطر عندك يا ولدي"

حرك رأسه ونظر لها بحدة ليقول بغضب:

"أها تريدان أن أسامحكما أليس كذلك؟ حسناً وماذا عني؟ ماذا عن عذابي طيلة العشر سنوات التي قضيتها لوحدتي ها؟ بسببكما أصبحت قاسي غير مبالي لأحد، بسببكما كرهت حياتي وكرهت نفسي، بسببكما خسرت حب حياتي، خسرت الفتاة التي أعشقها فقط لأنها أرادت مني أن أسامحكما ولكنني رفضت وتركتها، بسببكما أنا الآن وحيد أتعذب من دونها وبعدها عني، هي جعلت حياتي أجمل، أنتم ماذا فعلتما؟ أجياني ماذا فعلتما"

أنهى جملته بصراخ وقهر، ليسقط والده على الأريكة ويتنهد بحزن وهو عاجز تماماً، بينما والدته وضعت يدها على فمها لتكتم شهقاتها، أما أسر ينظر للاشيء بحدة وغضب، التفت لهما ليحدثهما بحدة:

"إذا كنتم تريدان المكوث هنا لا مانع لدي، ولكن أنا أحذركما من الاقتراب مني والاحتكاك بي، أعلم بأنكما أنيتما إلى هنا من أجل حضور زفاف مارييا وليس من أجلي، لذلك قدما واجبكما وارحلا بعيداً عني"

أنهى جملته ورحل خارجاً من المنزل بأكمله، لا يعلم كم من الألم الذي أصابه، كل ما يعلمه بأنه يشناق لهما ويحن لأيامه معهما وخصوصاً والدته التي كانت تهتم به وتبثه حنانها، هو لن يسامح بهذه السهولة ولن يضعف أمامهما أبداً، سيصارع ويحاول أن لا يضعف مهما كلفه الثمن.

ها قد حل موعد الزفاف، والكل يجهز له بكل حماس وفرح، بينما كانت خبيرة التجميل تضع لمساتها الأخيرة على وجه كل من ماريا ورنيم، كانت تبدوان بأبهى طلة لهما، جمالهما يأخذ العقول، تزينتا بشكل بسيط وبدت كل واحدة منهما بغاية الجمال بفساتينهما البيضاء، كانتا كالبدن بذاته برقتهما وجمالهما وبساطتهما.

بينما ليث وباسل لا أستطيع وصف وسامتهما، فكل منهما كان يحمل قدراً كبيراً من الجاذبية والجمال ببذلهما السوداء، كل منهما كان ينتظر هذا اليوم على أحر من الجمر، سواء الفتيات أو الشبان، فرحة كبيرة تحيطهم، وتوتر بالغ ينبع من الفتيات، القلوب تدق بسرعة كبيرة سواء كانت من الفرحة أو التوتر، باسل لا يستطيع وصف شعوره وفرحته بحوزته وأخيراً على محبوبته التي تعذب لأجلها سنوات طويلة.

بينما ليث كان أسعد رجل في الدنيا لأن حبيبة قلبه ستصبح حلاله وزوجته، كحال رنيم التي تكاد تطير من الفرحة والسعادة لإنها وأخيراً ستكون مع محبوبها.

أما ماريا يحيطها شيئاً من التوتر لإنها تخاف من المسؤولية ومن تلك الأشياء وطبعاً عقلها بصور الكثير من الأشياء المفزعة، ولن يمنع إذا افتعلت القليل من المشاكسة في هذه الليلة فقط من أجل أن تفقد صواب زوجها، ولكن لا تنكر بأنها تشعر بالراحة والاطمئنان تجاه حبيبها الذي سيصبح بعد أقل من ساعة زوجها طوال العمر.

تجهز الشبان والفتيات ليأتي كل من الشبان ويأخذ عروسه، لم يستطع باسل أن تحمله قدماء عندما رأى كل هذا الجمال، نزلت إليه محبوبته لينظر لها بصدمة ويفتح فمه ببلاهة ويجلس على الأريكة والصدمة مازالت تحيطه.

أما ليث عندما رأى رنيم ابتسم باتساع وأقسم بأنه الآن أسعد رجل في الدنيا لأنه حاز على زوجة بجمال رنيم ورفقتها، ظل ينظر لها وهي تتقدم له بكل خجل وحياء وعيناه مسلطة عليها بحب، حتى أنه لم ينتبه لصديقه الذي قد شلت حركته وجلس على الأريكة بصدمة، بينما ماريا تعجبت من باسل عندما جلس هكذا، تقدمت منه بحياء

ووقفت أمامه بخجل وتوتر ومازال باسل ينظر لها ببلاهة وصدمة، اقترب يوسف الذي كان قد انفجر من الضحك عندما رأى باسل بهذه الحالة لينهضه ويسلمه عروسته الجميلة، أفاق من صدمته ليبتمس لها باتساع وتبادلته الابتسامة بخجل، اقترب منها وقبل جبينها بكل حب وحنان، جلست الفتاتان بجانب الشابين ليأتي المأزون

ويبدأ بعقد قران كل ثنائي وسط فرحتهم التي لا توصف، طبعاً لن ننسى حضور شهد التي كانت تبدو بغاية جمالها وبرائتها، وقد كانت سعيدة جداً من أجل صديقاتها التي تعلقن بهما بشكل كبير بعد غياب صديقتها عنها، كذلك والدا شهد ووالدا أسيل وأخوتها كانوا في الحفل فرحين لأجلهم وقد أتوا للمباركة ولمشاركتهم هذه الفرحة،

أما يوسف كان يتابع شهد بلهفة وحب، تلاقت عيناها بعيناه لينظرا لبعض ويسرحان ببعضهما مدة قصيرة، ابتسم لها لتبادلته الابتسامة وتخفص رأسها بحياء، لم يستطع منع قدماء من التقدم إليها بابتسامة عذبة مقترباً منها ليقول:

"اسمحي لي يا صديقتي الموقنة بأن أغازلك وأقول لك بأنك أجمل فتاة رأتها عيناى"

قلبا يطرق بعنف من شدة سعادتها لسماع كلماته، ابتسمت ابتسامة واسعة وهي مطرقة برأسها، تجرأ يوسف ومد يده ليرفع رأسها وتقابل عيناها بعيناها، أصابها التوتر من فعلته وابتسمت ابتسامة خفيفة، نظر لها بحب ليقول:

"أنرتى الحفل"

ابتسمت بحياء وتحذت بخفوت:

"شكراً لك"

ابتسم على حياها ليقول:

"لقد عُدّ القران، ألا تريدين أن تباركين لهم"

حركت رأسها بإيجاب ليحرك يوسف رأسه بمعنى هيا، توجهت برفقته لكي تبارك للعيسان بابتسامة نابعة من قلبها.

بينما أسر الذي كان موجود في الحفل ولكنه كان كالغريب، هو أصلاً لم يعد يطيق حياته ولم يعد يطيق أي شيء، فرح جداً بشأن مارييا وصديقيه لإنهما قد استقرا بحياتهما وبدأت حياتهم الزوجية، ولكن غصته وحرقة قلبه تمنعه من أن يظهر فرحته لهم، كان جامداً، بارداً، عاقد الحاجبين، كان والداه يتابعانه بحزن وحرقة قلب، ولكن مايبدهم حيلة سوى الصمود والتحمل إلى حين أن يحن عليهما ويعود لأحضانهما من جديد.

وهنا سيبدأ السيناريو وسيصدم كل من في الحفل من أجل تلك الفتاة الرقيقة التي تدخل بكامل أناقتها وجمالها، ينظرون لها الشبان بجرأة وانبهار على جمالها الأخاذ، تدخل وتمشي بكل ثقة غير مبالية لنظرات الجميع نوعاً ما إليها، توجهت بكل ثقة للعيسان لتبارك لهما، ليصعقوا كل من ليث ويوسف وباسل وشهد ورنيم وماريا لإنهم يرون أسيل التي تقف أمامهم بابتسامة لطيفة، انقضت عليها شهد محتضنة إياها بكل شوق لتبتعد عنها وتحتضن الفتيات وتبارك للشبان وتلقي التحية على يوسف، تحدثت شهد بحماس وفرحة:

"متى أتيتي"

ابتسمت أسيل لتقول:

"لقد وصلت منذ نصف ساعة تقريباً وأتيت فوراً، طبعاً لن أضيع فرصة الحضور لزفاف هاتان الجميلتان"

اتسعت ابتسامة كل من رنيم وماريا ليتحدث ليث باستنكار:

"فقط هاتان الجميلتان، ألا يوجد هذان الجميلان مثلاً"

ضحك الجميع على جملته وبدأوا بالأحاديث المعتادة، لتتوجه أسيل وتلقي التحية على والديها اللذان صدموا عندما رأوها، اتسعت ابتسامتهما وفرحاً جداً عندما رأوا ابنتهما أمامهما، ولقد لاحظا التغيير عليها وعلى نفسيتهما، بينما كان هناك من ينظر لها بصدمة، شوق، حب، ندم، حزن، لم يصدق أنها أمامه، شعر بدوار برأسه، وشعر بأنه وحيد في هذا المكان فقط هو وهي، رمش عدة مرات وأنفاسه متسارعة، ينظر لها ويرى محبوبته أمام ناظره.

أما هي كانت تجول بنظرها بحثاً عنه، لم تظهر للآخرين بأنها مهتمة أو أنها تبحث عنه ولكن داخلها نيران من الشوق توأد بصدرها، وقعت عيناها عليه وقد رأته ينظر لها بصدمة، توقف العالم من حولها، تسارعت أنفاسها

وبداً قلبها يخفق بقوة، نظرت له ولهيئته لتراه متعب بكل معنى الكلمة، هبطت دمعة ساخنة على وجنتها عندما رأتها بهذه الحالة، لم يعلم كم من الوقت مر عليه وهو ينظر لها، قلبه وعقله وحواسه كلها معها هي فقط، بينما هناك من يتابعهما وقد كانوا الشبان والفنيات، اقترب منها أسر ومع كل خطوة يتقدمها تزداد طرقات قلبه، وقف أمامها لتنتظر له من رأسه إلى أخص قدميه ببرود مصطنع، أما هو كانت عيناه تلتصع ليقول بصوت جاهد كثيراً لكي يخرجها ثابتاً ليقول:

"متي عدتي"

نظرت له مطولاً لتبتسم بسخرية وتحدثه بجفاء:

"وما شأنك أنت؟ اهتم بنفسك فقط"

ابتلع ريقه بتوتر ليقول من دون وعي:

"اشتقت لك"

نظرت له بحزن لتقول:

"حقاً؟ ألم تقل لي بأنك لم تعد تهتم لي"

صمت ولم يجيبها لتتشيح بوجهها عنه وتقول:

"لا يوجد كلام بيني وبينك، ثم أنني لقد عدت بعد أن نسيت كل شيء ولم أعد أبالي لك، جئت من أجل والداي وأصدقائي فقط"

نظر لها بحزن ليقول:

"ولكنني أريدك لي، سامحيني أسيل"

تنهدت بقوة لتتحدث بجفاء:

"عن إذنك"

خطت خطواتها بعيداً عنه لينظر لها بحزن، عاد أدراجه لمكانه مكسور الخاطر وجلس بصمت دون أن ينطق بحرف أو يبدي ردة فعل، بينما هي ذهبت ووقفت في ركن منزوي لتطلق سراح دموعها وتبكي بحرقة قلب، لم تكن تريد أن تحدثه بهذا الشكل ولكن عذابها منه قد أثر عليها بشكلٍ سلبي جداً، مسحت دموعها وعدلت من

هيئتها لتعود وتجلس بجانب والديها وصديقتها، بينما يوسف كان منشغل بتفكيره، يفكر بأن ينفذ خطته وفي الحال من أجل أن يكسب قلب شهد، شجع نفسه ونهض للمنصة ليمسك المايك بيده ويحمم ليقول:

"احم مساء الخير لكم جميعاً، أريد أن أهنأ العرسان من كل قلبي، وأتمنى لهم الحياة الزوجية السعيدة من كل قلبي، والآن أريد أن أعتزف بشيء لفتاة جميلة تجلس هنا"

أنهى جملته ونظر لشهد، بينما شهد توسعت عيناها وبدأ قلبها بالخفقان السريع، دعت بسرها بأن لا يكون مقصده هي، أكمل يوسف حديثه وهو ينظر لشهد:

"شهدي حبيبي وحياتي، لا تعلمين كم من المشاعر أحملها لك، صدقيني بأنني أحبك من كل قلبي وسأكون الدرع الحامي لك، فقط أمني بي وصدقي قلبي الذي لم يعلم الحب إلا عندما قابلتك، أنت أجمل فتاة عرفتها في حياتي، وعدتك من قبل بأنني لن أفقد الأمل وسأظل ورائك حتى تقبلين بي زوجاً لك، والآن يا حبيبة يوسف هل تقبلين الزواج بي"

تقدم لها وررع أمامها ليخرج من جيبه خاتم من الألماس وعلى محياه ابتسامة صغيرة، بينما هي ترمش بصدمة ولكن ما إن أفاقت من صدمتها حتى اتسعت ابتسامتها وهبطت دموعها من فرحتها، نظرت لأسفل التي كانت تنظر لها بابتسامة محبة لتحرك رأسها بمعنى وافقي لتتنظر ليوسف وتحرك رأسها موافقة بابتسامة وينهض ويحتضنها بكل حب، بينما الجميع كان يتابعهما ليصفقوا لهما بحرارة وسعادة، كما أن والدة شهد لم تصدق ما حدث وقد فرحت جداً من أجل ابنتها الوحيدة، فصلا العناق ليخرج يوسف الخاتم ويلبسها إياه، نظر لها بحب وأمسك يدها ليقبلها وتبتسم بخجل وتخفض رأسها للأسفل، بينما ماريما كانت تقفز من فرحتها كالبلهاء من أجل أخيها، كحال الشبان والفتيات الذين فرحوا كثيراً بهذه الخطوة التي اتخذها يوسف من أجل شهد، بينما أسر كان يتابع الموقف بابتسامة حزن ليقتررب من يوسف ويحتضنه ويبارك له ولشهد، أيضاً والدا أسر قد تقدما وباركا لهما.

انتهت هذه الليلة على خير ليعود كل منهم إلى منزله، بينما ماريما وباسل اتخذتا طريقهما إلى منزلهما تحت فرحة باسل وتوتر ماريما، لم يمضي وقتاً طويلاً ليصلا للمنزل ويدخلان إليه، كان المنزل كبير وغاية في الجمال والهدوء، تماماً كما تحب ماريما، حمم باسل ليقول:

"حسناً ماريما تعالي لتغير ثيابنا ونتناول العشاء"

حركت رأسها بإيجاب ليصعدان ويغيران ثيابهما ويهبطان للأسفل لكي يتناولان عشاءهما، مضى وقت ليس بطويل لينتهيان ويصعدان لغرفتهما، دخلت ماريما الغرفة وورائها باسل، لتخطر على بال ماريما فكرة شيطانية، التفت له ونظرت له بخوف مصطنع وتقول:

"ابتعد عني واخرج حالياً أنا خائفة منك"

نظر لها بصدمة وكان سيثد شعره ليقول باستنكار وغيظ:

"ماريا حبيبي أنا زوجك الآن، ثم أنك لا يجب عليك أن تخافي مني ما بك حبيبي"

نظرت له بغضب لتقول:

"ابتعد عني ولا تقترب، إياك والاقتراب وإلا سأقتلك، كل شيء إلا الشرف"

فتح فمه بصدمة ونظر لها بعينان جاحظة ليحرك رأسه بمعنى ماذا، رمش عدة مرات ليقول:

"أ حسناً حبيبي حسناً، ألا تريدين النوم"

نظرت له وتحدثت بغرور:

"بلى أريد ولكن أريد النوم لوحدي هيا اخرج"

نظر لها بصدمة وكاد أن يبكي ليلعن ويشتم ويتحدث بغيظ:

"اللعة على تفكيري وأنا من ظن بأنه سيكون أجمل يوم في حياتي"

نظرت له بغيظ لينظر لها وهو على وشك البكاء وهو يدعي بسره الصبر، ظل واقفاً مكانه لتخطر على باله فكرة ويتحدث بمرح:

"ماريا حبيبي ألا تريدين المخدرات"

نظرت له بفرح لتتحدث بحماس:

"أجل أجل أريد أرجوك"

ابتسم لها ليقول:

"حسناً هل ترين ذلك الجرار إنه مليئ بالشوكولا، تعالي لكي أطعمك ومن بعدها نجلس سوياً اتفقنا"

شدد على حروف كلماته الأخيرة لتحرك رأسها بحماس وتصفق بمرح، اقترب وأخرج لها كل أنواع الشوكولا لنصرخ ماريا من سعادتها وتبدأ بأكل الشوكولا وهي تتلذذ بطعمها، بينما باسل قد علم بأنها ستفعل هكذا لذلك قد

جلب لها كل أنواع الشوكولا من أجل أن يسكتها ويقضي ليلته الأولى معها بكل حب وحنان، ظل ينظر لها وهي تأكل الشوكولا وقد مل من الانتظار، تأفأف ليحدثها بضجر:

"ماريا هيا ألم تنتهي بعد من الشوكولا؟ حبييتي دعينا نكون سوياً الآن وغداً سأجلب لك منها أضعاف التي جلبتها لك هذه"

ضحكت برقة لتقول:

"بسبوسي ما رأيك أن تفتح لي معمل شوكولاتة"

همهم باسل وابتسم ببرود لتختفي ابتسامته ويتحدث باهتمام:

"ماذا قلت؟ بسبوس من أيتها البقرة الصغيرة؟ هل ترينني قط مثلاً"

ضحكت بقوة لتحرك رأسها موافقة وتقترب لتقرصه من وجنته بينما هو ينظر لها بغیظ، اقترب منها لتبتعد هي وكلما اقترب تبتعد ليصرخ من غیظه ويقول:

"ماريا أنا لم أعد أستطيع التحمل هيا حبييتي وإلا سأبكي"

نظرت له وقلبت شفقتها السفلى كالأطفال لينظر لها بانتباه ويكز على أسنانه، تحدثت بدلال:

"بسبوسي أنا أتناول الشوكولا الآن"

تحدث باسل بغضب وغيظ:

"اللعة على بسبوسك وعلى الشوكولا وعلى تفكيرني حسناً"

عقدت حاجبها بغضب وأشاحت بوجهها عنه وأكملت تناول الشوكولا خاصتها، نظر لها بغیظ وهو يقضم أظافره ليقرب منها مبتسم ويقول:

"ماري حبييتي ما رأيك أن أريك القطعة التي تنجب فئران"

النفقت له باستغراب قاتلة:

"قطعة تنجب فئران! كيف ذلك"

أراد مجاراتها ومسايرتها ليقول:

"أجل، يوجد نوع من القوط لا ينجبون سوى الفئران، هل تريد أن أريك"

عقدت حاجبها باستغراب ولم تعد تستوعب كلامه لتقول:

"ماذا ستريني؟ وكيف تنجب القطة فئران؟ هل تمازحني"

مثل الذهول ليقول:

"أمازحك! وهل بيننا شيء كي أمازحك مثلاً؟ اسمعيني، دعك من الشوكولا وتعالى لى أريك القطة التى تنجب فئران هيا"

كانت تشعر بأنها تائهة من حديثه فعلاً لتقول بعد تفكير:

"هل جلبت قطة لى نربها هنا بسبوسى"

تنهد بنفاذ صبر مجيباً:

"لا لا، ولكنى أريد أن أريك القطة فقط، تعالى"

أمسكها من معصمها وجذبها نحوه ليمد اللحاف عليهما ويقوم بتغطية وجهه وتتعجب ماريما وتقول:

"ماذا تفعل فقط أخبرني؟ يكاد عقلى يتوقف"

أبعد الغطاء عن وجهه ليقول هامساً:

"إنها هنا، تعالى وانظري لها"

نظرت له بذهول وبلاهة لتقترب وتنظر تحت غطاء السرير ويردف لها:

"أترين القطة"

نظرت له بغضب وانفعلت قائلة:

"أى قطة وأى فئران؟ هل تضحك على عقلى"

أجاب:

"صدقيني إنها قطة، وستصبح تحت أغطية السرير بعد أقل من ثواني، القطة التي برفقة الأسد الذي لم يعد  
يحتمل حماقتك وفصولك البلهاء مثلك يا قلبي"

جذبها من معصمها ومددها بينما هي تحاول إبعاده عنها تحت صرخاتها وتذمراتها ليطبق علي شفتيها ويقبلها  
بقوة وما هي إلا ثواني حتى تجاوزت معه وذهبت معه برحلة وردية.

-----

بينما عند ليث ورنيم، كانت رنيم يتملكها التوتر والخوف نوعاً ما، اقترب منها ليث ونظر لها بحب وقبل يدها  
ليقول:

"مبارك لنا حبيبتي"

ابتسمت له بتوتر ولم تتحدث ليعقد حاجبيه ويقول:

"ما بك حبيبتي"

توترت جداً ولم تعلم ماذا تقول، ابتلعت ريقها لتقول:

"الجو حار"

نظر لها بصدمة ومن ثم أشاح بنظره لجهاز التكييف الذي قام بتشغيله منذ وصولهما ليتحدث باستنكار:

"حبيبتي التكييف على وضع التشغيل"

نظرت له وابتلعت ريقها لتبدأ نوبة بكائها، نظر لها بصدمة ليقول:

"رنيم لماذا تبكين حبيبتني؟ هل حدث شيء"

تحدثت بكاء:

"أريد أمي"

نظر لها بصدمة ليشد شعره ويقول:

"ومن أين أجلب لك أمك الآن"

نظرت له وشهقت لتقول بغضب:

"لا أعلم اجلبها لي"

مسح وجهه بكفه ليحاول تهدأ نفسه ويقول:

"م حسناً حبيبتي لا تخافي اجلسي هيا وقولي لي من هو ابن الحمقاء ومن نسل أحمق الذي أخافك بهذا الشكل  
ها"

قلبت شفتها لتتنظر له وتتحدث ببكاء:

"ماريا لقد قالت لي بأنك ستضربني ومن بعدها تمارس معي بعنف وتعاود الكرة كثيراً، أرجوك لا تفعل ذلك  
ليث أنا حبيبتك لا تفعل ذلك بي"

نظر لها بصدمة وقضم أظفاره بغيظ وهو يتوعد لماريا بأفطع الأفعال عندما يراها، نظر لرنييم التي كانت  
مازالت تبكي ليقول:

"حبيبتي كيف سأضربك وأنا أحبك؟ لا تخافي ياقلبي بما أنها ليلتنا الأولى ف سأراعي مشاعرك وأكون هادئ لا  
تخافي، هيا تمددي تعالي حبيبتي"

طاوعته وتمددت لتتوسد وتنام بين ذراعيه، بينما هو يملس على شعرها وهو يفكر بطريقة إجرامية لكي يتخلص  
من ماريا، تنهد بقوة ليمضي وقتاً ليس طويلاً وينزل لمستواها وينظر لها ويتحسس وجنتها، بينما هي ابتسمت  
ابتسامة صغيرة وأخفضت رأسها بحياء، رفع رأسها لتتقابل عيناه بعيناها ويقترب ليلتقط شفتيها بكل حب.

لم تكن ليلتها الأولى سيئة كما قالت لها ماريا، على العكس تماماً فقد كان ليث حنون معها لأبعد حد، راعى  
مشاعرها وتعامل معها بلطف لتشعر بطعم السعادة وتحلق معه في السماء بعالمهما الخاص المغلف بجنونهما.

" غيابك لم يكن كافياً حتى أنساك "

ف كلُّ أشيائي تُذكرني بك

وَكُلُّ الدُّرُوبِ تَقْوَدَنِي إِلَيْكَ

فَنَحْنُ كُنَّا بَعِيدَانِ وَمَهْمَا افْتَرَقْنَا

فَمَا زَالَ فِي رَاحَتَيْكَ الْأَمَانُ

تَغْيِيبُنْ عَنِّي وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ

يَغْيِبُ وَإِنْ كَانَ مَلَى الْمَكَانِ

فَلَا الْبُعْدُ يَعْنِي غِيَابَ الْوَجْهِ

وَلَا الشُّوقُ يَعْرِفُ قَيْدَ الزَّمَانِ "

---

خُذْنِي إِلَيْكَ

إِنِّي ظَلَامٌ يَرْتَجِي وَجْهَ الضُّحَى

حَنِينٌ هَامٌ كَهَمْسِ سَرَابٍ بُوْهُمِ قَضَى

يُسَابِقُ وَهَجَّ صَحْوَةٍ فِيهَا الرَّجَاءُ

خُذْنِي إِلَيْكَ

نائمة تلك الفتاة بسلام، ولكن أظن أنها كانت تلعب المصارعة في نومها، فهي نائمة كالأموات، فقد كان نصف جسدها على الأرض وقدميها ممددة على السرير، تنام بعشوائية وشعرها منسدل على الأرض، استيقظ بأسل ونهض بنصف جسده ليرى بوجهه قدمان صغيرتان، رمش عدة مرات ليمد رأسه ويرى ماريا نائمة بتلك

الوضعية، جحظت عيناه بصدمة من ذلك المنظر وسؤال واحد يتردد في عقله بـ (من هذه)، لم يعلم بأن حبيبته وزوجته تلعب المصارعة وهي نائمة، نهض من على سريريه ليتوجه للناحية الأخرى ويحمل زوجته ويعدل وضعية نومها العجيبة مبتسماً على نومها الطفولي، مرر يده على أنحاء وجهها لتتململ بانزعاج وتتسع ابتسامته على منظرها، ظل يحرك يده على وجهها وهي تتململ وتهمم بانزعاج، تذكر باسل ليلة أمس وماذا حدث لينظر لها بهيام ويقتررب منها ويقبلها قبلة سطحية على فمها، لقد كانت أسعد ليلة في حياتهما، عندها علم ماهو معنى الحب والسعادة وهي بين أحضانها، حاول إيقاظها ولكن لا حياة لمن تنادي، حركها بعنف وقد بدأ يفقد أعصابه من نومها الثقيل، بدأت ماريها تهمم لتفتح نصف عيناها وتتنظر له، ضحك باسل على مظهرها ليقول وهو مقترب من وجهها:

"صباح الخير يا حبيبتي الباندا"

نهضت بنصف جسدها لتعقد حاجبيها وتتحدث بغضب طفولي ونبرة ناعمة:

"لست باندا بسبوسي، أهذا هو صباحي ك عروس كانت ليلة زفافها في الأمس"

همهم باسل ليقول:

"ممم حقاً؟ وهذه الوضعية التي كنتي تنامينها تدل على أنك عروس جديدة"

عقدت حاجبيها باستغراب لتقول:

"أي وضعية؟ أنا أنام بهدوء ونومي خفيف كالريشة"

صعق باسل من جوابها لأنها لم ترى نفسها وهي نائمة، حرك رأسه بغيظ ليسمعها تقول:

"أين الفطور بسبوسي"

تحدث بتهكم:

"حبيبتي هيا انهضي وجهي وجهزي الفطور لنأكل هيا"

صرخت بوجهه:

"لااا أنا عروس ويجب عليك أنت أن تجهز الفطور"

أنهت جملتها وضمت ذراعيها لصدرها، نظر لها باسل بغيظ ليبتسم بخبث ويقول:

"حبيبي هل أعجبتك القطة التي تلد فئران"

نظرت له بصدمة وبعدها أخفضت رأسها وتوردت وجنتيها خجلاً ولم تجب، ليردف لها مبتسماً بشغب:

"بالنسبة لي لقد أعجبتني كثيراً، والآن مارأيك بجولة أخرى"

جحظت عيناها بصدمة وصرخت:

"لاااا لا أريد، منحرف"

لم يسمعها ولم يدعها تكمل لأنه انقض على شفتيها بسرعة، لتبادله ماريا بعد محاولاتها التي باءت بالفشل ويحلقان سوياً في عالمهما الخاص.

بينما من الجهة الأخرى

تلملم ليث في فراشه ليستيقظ وينظر لجانبه ويرى رنيم نائمة بجانبه بهدوء، ابتسم واقترب ليتحسس وجنتها ويتأمل شكلها اللطيف وهي نائمة، اقترب وطبع قبلة على وجنتها وهو مبتسم، لتتململ رنيم وتفتح عيناها وترى ليث مقترب منها، شهقت بخفة ليضحك عليها ويمس على شعرها ليقول:

"صباح الخير يازوجتي الجميلة"

ابتسمت بخجل لتقول:

"صباح الخير"

اتسعت ابتسامته وطبع قبلة سطحية على شفتيها لتدفعه مبتعداً عنها من شدة خجلها بينما ليث ضحك على خجلها، توجهت لحمام غرقتها وغسلت وجهها ومن ثم توجهت للمطبخ لكي تعد الفطور لتشعر بيدان تحاوط خصرها، شعرت بأنفاس زوجها على رقبتها، توترت من قربه ولكنها مستمتعة بذلك الشعور، بينما ليث كان يدفن وجهه برقبته ويقبلها قبلات متقطعة، جعلها تستدير له لينظر لوجنتيها المتوردة، ابتسم لها لتبادله بخجل وتحذنه:

"سأعد الفطور"

همهم لها ليتحدث:

"هل تريدين المساعدة"

تحدثت رنيم:

"لا شكراً، هيا اخرج وانتظري في الصالة"

اقترب وطبع قبلة على وجنتها ليتحدث:

"وإن لم أفعل"

ابتسمت لتقول:

"اذهب هيا، وسأتي بعد قليل"

حرك رأسه بإيجاب ليقول متصنع البرائة:

"مارأيك أن نتوجه لغرفتنا بدل الفطور"

نظرت له بعينان جاحظة لتقول بتوتر:

"ها؟ لا لا سنبقى هنا أفضل"

حرك رأسه نافياً ليقول:

"لا سنذهب لغرفتنا هيا"

ابتلعت ريقها وحاولت التملص من بين يديه ونجحت لتبتعد عنه وينظر لها بغیظ، تحدث بإصرار:

"حسناً سنتناول الفطور ونصعد لغرفتنا"

نظرت له وعبست لتكمل إعداد الفطور بهدوء تحت نظراته التي تأكلها، جلسا وتناولوا فطورهما تحت مشاغبات ليث لها وظلت رنيم تماطل في أكلها فقط من أجل أن تنسيه الأمر، بينما ليث بدأ يمل وانزعج من مماطلتها ليقول بنفاذ صبر:

"هيااا رنيم"

نظرت له ببراءة لتقول:

"ماذا"

زفر بحنق ليقول:

"ارحميني لم أعد أحتمل"

تحدثت بتوتر:

"مازلت أتناول فطوري مابك"

نهض من على المائدة وأنهضها من على الكرسي ليحملها بين يديه ويقول:

"سأطعمك أذ فطور ولكن في غرفتنا"

أنهى جملته واتجه بها لعالمهما الذي يمارسان فيه حبهما وجنونهما اللامنتهي.

---

يجلس في غرفته بهدوء، ينظر للاشيء ببرود تام، شارد، كئيب، حزين، يتذكرها ويتذكر كل شيء يخصها، تذكر لقاءهما في البارحة وكيف عذبت فؤاده وتجاهلته ببرودها الذي كرهه ومقته، لم يستطع تحمل جفائها، في كل مرة كان يقسم بأن ينساها ولكنه يعود ويتذكرها ولا يستطيع إخراجها من رأسه، ظل يتذكر موافقهما جميعها وأولها برودها وجفائها، كلماتها ليلية أمس تتردد في عقله وتتغلغل في داخله لتهشم قلبه، نهض من على سريريه واحتدت نظراته، أمسك برأسه وأغمض عيناه على أمل أن يخرجها من رأسه، دخل بحالة هستيرية، يحطم ويكسر كل شيء يراه أمامه، لم يستطع التحكم بأعصابه، هي وحدها من تستطيع أن تقوضه للجنون وهي وحدها من تستطيع أن تهدأه بكلمة واحدة منها، أتلفت أعصابه وأحس بنيران تأكل صدره، لا يعلم من أين سيجدها، جفاء محبوبته التي يموت بها حباً، أم والداه اللذان ظلماه وفعلا به مافعلاه، ظل على نوبة جنونه هذه إلى أن دخلت عليه والدته ورأت ذلك المنظر، كل شيء كان محطم، الزجاج المتناثر، والغرفة التي قلبت رأساً على عقب، تصنمت في مكانها من ما رأتها، بينما أسر عندما رأى والدته أمامه احتدت نظرتيه وأشاح بوجهه عنها، احترق قلبها لأجله وهبطت دموعها على وجنتها، اقتربت منه بحذر وجلست أمامه لتمد يدها وتمسح على شعره، بينما هو ساكن بمكانه لا يبدي أي ردة فعل ولا يسمع له صوت سوى أنفاسه المتسارعة، تحدثت أمينة بحنان:

"حبيبي مابك ياقلب أمك"

نظر لها ببرود ولم يجب لتبتلع ريقها وتردف له:

"أسر حبيبي قل لي ما بك"

تحدث بنبرة تحذيرية:

"أخرجي من هنا حالياً، الزفاف انتهى، بإمكانك أن تعودين أنتِ وزوجكِ من حيث جئتما"

أشدت بكائها لتقول:

"ألم تسامح بعد؟ ماهذه القسوة يا أسر؟ لقد تعبت جداً، حباً بالله سامحني وسامح والدك، قلبي يحترق، أيهون عليك حرقه قلبي يا أسر"

نظر لها بعتاب ليقول:

"أنتما من تركتاني وحيداً يا أمي، لم تأبها لحالي أبداً، كيف تريديني أن أسامحكما ها"

ابتسمت بسرها وكم كانت متشوقة لسماع كلمة أمي من بين شفثتيه، مسحت دموعها لتتحدث:

"أجل نحن أخطئنا بحقك ولكن أقسم لك بأننا ندمنا كثيراً، نحن نحبك كثيراً، أنت ولدنا الوحيد ولن تهون علينا، لا تعلم كم الألم الذي كنا نعانيه بغيابك"

نظر لها بضعف، لم يعد يستطع المكابرة، يحتاج حنان والدته وقوة والده، يحتاج حضنها، تهدمت حصونه ولم يعد يستطع أن يخفي أوجاعه، أحس كم هو ضعيف في هذه اللحظة وارتمى بأحضان والدته، بينما هي لم تسعها الدنيا من فرحتها، ظلت تمسد على شعره، بعد وقت ليس بطويل تنهدت أمينة بقوة وقيلت جبين ولدها بحنان بالغ، كانت فرحة جداً بسكونه بين أحضانها، بينما هو شعر بأن أوجاعه قد خففت عنه قليلاً، لأنه كان يحتاج لهذا الحزن كثيراً، تحدثت والدته بنبرة حنونة:

"ألن تقول لي ما بك؟ أعلم بأنك تخفي شيئاً عني، هل سبب نوبة جنونك هو تلك الفتاة التي كنت واقفاً معها البارحة"

فصل العناق ليتنهد بقوة ليقول:

"أجل أمي هي لا تشعر بي أبداً، أنا أحبها كثيراً صدقيني"

ابتسمت بخفة لتقول:

"حسناً اذهب واطلبها للزواج"

ابتسم بسخرية ليقول:

"أنتِ لا تعلمين شيئاً مما حدث بيني وبينها"

همهمت والدته لتقول:

"حسناً وأنا الحزن الحنون لك، بإمكانك أن تقول لي وتخرج كل مافي قلبك"

نظر لها وابتسم من عيناه ليقترب ويطبع قبلة على رأسها، ابتسمت ابتسامة واسعة بفرحة كبيرة، وضع رأسه على قدميها ومدد جسده على الأريكة، بينما هي ملست على شعره لتقول:

"هيا حبيبي قل ما في قلبك"

حدثها بكل شيء حدث بينه وبين أسيل، منذ أول لقاء بينهما إلى ليلة أمس، بينما هي كانت تستمع له بتركيز وإمعان، احترق قلبها على حال ابنها والحالة التي وصل لها، أما أسر فقد أنهى حديثه وتنهى بقوة وصمت، تحدثت أمينة بهدوء:

"أنا أشعر بك ولكن أنت تخليت عنها، هي كانت تريد مصاحتك، لماذا لا تفكر بروية؟ حبيبي أعلم بأن العتاب لا يجدي نفعاً الآن ولكنني أريدك أن تعلم بأنها ليست وحدها المخطئة، كلاكما أخطئتما ولم تعلمان كيف تحافظان على حبكما، لا تتركها يا أسر، اجعلها لك وحارب من أجلها، لقد رأيتها البارحة ورأيته كيف كانت تحدثك بجمود، ولكن لمعة عينها أكدت لي بأنها مازالت تحبك، لذلك لا تتخلى عنها، هي ظلمت كثيراً ورأت الكثير، كن سندا ورجلها، أنا متأكدة بأنها تحبك كما تحبها أنت"

كلماتها جعلته يشعر بالراحة جداً، وكأنها وضعت يدها على جرحه لتخفف عنه آلامه بكلماتها الحنونة وحثها على تشجيعه بعدم الاستسلام، اعتدل بجلسته وابتسم لها ابتسامة واسعة وحرك رأسه بإيجاب، ليرتمي بأحضانها من جديد وهو يشعر براحة كبيرة، وكيف أن لا يشعر بهذه الراحة والدته التي حرم منها عشر سنوات عادت لتداريه وتوجهه وتبثه حنانها.

ابتسمت له بحنان بالغ ليبادلها بسعادة، بينما جلال كان يقف ويستمتع لحديثهما بالكامل، ألمه قلبه على ولده واحترق فؤاده لأجله، شجع نفسه ليدخل عليهما، بينما نظر له أسر بهدوء، وقف جلال بصمت ولم يتحدث ولم يعلم كيف ومتى أصبح ولده بأحضانها، صدم أولاً ولكن ما لبث وعاد لواقعه ليبتسم بسعادة بالغة، كل مايعلمه بأن

ولده الوحيد قد سامحه بمجرد عناق، فصلا العناق ليبتسم له أسر بهدوء ويبادل له والده، وضع يده على كتف ابنه ليقول:

"ابني الوحيد أصبح شاباً وسيماً ووقع في الحب أيضاً"

أخرج من هذه الكلمة، فها قد عاد أسر بشخصيته المرحّة والضحوكة أمام والداه، وضع يده خلف رقبتة بعفوية وإجراج ولم يتحدّث، ليضحكان والداه على مظهره.

وها قد عاد شمل العائلة من جديد بعد طول انتظار وطوال عشر سنوات، ولكن بالنسبة لأسر لن تكتمل عائلته بعد إلا عندما يعيد محبوبته لأحضانها ويجعلها زوجة له، وهنا ستطيب جميع أوجاعه وتبدأ حياته بأخذ الجانب المحب والسعيد، وبهكذا يصبح لا يريد ولا ينقصه شيئاً من هذه الدنيا سوى دوام هذه السعادة عليه وعلى عائلته.

---

جالسة في غرفتها تنظر أمامها ببرود تام، ولكن نظرة الحزن ظاهرة بعيناها، ندمت أشد الندم على حديثها البارد معه في ليلة أمس ولكن بالنسبة لها يستحق، فهي ذاقته الكثير منه، تعبت وتألّمت بحق.

صدح صوت هاتفها في الأرجاء لترى المتصل ويكون أسر، هبط قلبها من مكانه وابتلعت ريقها بتوتر، أتجيبه أم لا؟ توترت بشدة ولم تعلم كيف تتصرف، تنهدت بثقل عندما صمت هاتفها ليعاود صدح صوت رنينه مرة أخرى، ابتلعت ريقها ونبضات قلبها تفرع كالطبول، شجعت نفسها لتمسك بهاتفها وتجيبه ببرود:

"أهلاً"

بينما من الجهة الأخرى عند أسر كان يدعي بسرّه بأن تجيبه ونبضات قلبه تدق بعنف، اتصل بها أول مرة ولم تجبه ولكنه لم يشعر باليأس ليعاود الاتصال مرة أخرى ويسمع صوتها تجيبه ببرود، ابتلع ريقه ليحدثها بتوتر:

"|| كيف حالك أسيل"

امتعضت قائلة:

"بخير، من المتكلم"

زفر بقوة ليتحدّث بغضب:

"حباً بالله كفاك، ألم تعرفي على صوتي أم أنك تتعمدين ذلك؟ أنا أسر"

هممت لتقول:

"مم أهلاً سيد أسر ماذا تريد"

صك على أسنانه ليجيبها بحدة:

"أريد أن أراك لأمر هام جداً، نصف ساعة وسأتي لأخذك، نصف ساعة ودقيقة سأدق الباب عليك هل تفهمين هيا لا تتأخري"

أنهى جملته بأمر ليغلق الخط بوجهها، بينما هي نظرت للهاتف بغيظ وصدمة، تغلغت من غيظها لتصرخ بأعلى صوتها (باااارد)، نهضت من مكانها لتأخذ غرفتها ذهاباً وإياباً، لا تنكر بأنها فرحة جداً كونه مازال يلاحقها ومصراً عليها، ولكنها خائفة من بعده عنها مرة أخرى، حدثت نفسها (أذهب أم لا؟ يا إلهي كيف سأذهب؟ ماذا سيفعل؟ هل سيضربني؟ أم يهزأني؟ أم ماذا؟ إن لم أذهب إليه سيأتي إلي هو بنفسه وعندها لن أنتهي من تحقيقات والداي، يا إلهي سأجن، كيف سيتعامل معي، هل يعقل بأن يحتضنني أم يقبلني)

أنهت حديثها مع نفسها بصوت مسموع بابتسامة بلهاء، عقدت حاجبيها بغياء لتضرب على رأسها، وجدت باب غرفتها يفتح لترى والدها يدخل عليها وعلامات التعجب ظاهرة على وجهه، نظرت له لتسمعه يقول:

"ما الأمر أسيل؟ لما كنتي تصرخين"

نظرت له بغياء لتقول:

"ها لا، لا شيء أبي، فقط كنت أحدث نفسي لا شيء"

ابتسم واقترب منها ليقول:

"حبيبتي ما الأمر تحدثني"

تحدثت بتوتر:

"اا لا شيء أبي لا يوجد شيء"

همهم لها ليقول:

"حسناً هيا إلى الغداء، الساعة الثالثة هيا"

حركت رأسها بابتسامة لتتنظر له وتشهق بصدمة وتقول:

"كم الساعة الآن؟ يا إلهي"

نظر لها بصدمة ليقول:

"ما الأمر؟ ما بك"

تحدثت بسرعة وهي تخرج ثيابها:

"أبي يجب أن أذهب إلى شهد، أجل أجل هيا اخرج كي ارتدي ثيابي"

نظر لها بعدم فهم ليقول:

"حسناً ولكن انتظري حتى.."

لم يكمل جملته لأنها حدثته بسرعة:

"أبي المسألة بها حياة أو موت، هيا اخرج اخرج"

أنهت جملتها وهي تجر ألبسها للخارج وتغلق الباب بوجهه، التفتت سريعاً وارتدت ثيابها لترى الساعة ولم يتبقى على موعدها سوى خمسة دقائق، شهقت بقوة وعدلت من مظهرها ورتبت شعرها وخرجت مسرعة للخارج تحت نظرات والديها وأخوتها المتعجبة، خرجت لتراه يقف أمام السيارة ببرود وشموخ منتظرها، ابتلعت ريقها وحولت نظرتها للبرود لتتقدم له، اقتربت منه لتوشك على الحديث ولكنه قاطعها وعيناه مسلطة على ساعته ليقول:

"متأخرة نصف دقيقة يا أنسة"

نظرت له بصدمة وكاد فمها يصل للأرض، حاول أسر جاهداً أن يخفي ابتسامته فقط على مظهرها، تحولت نظرتها لغيظ لتقول:

"يا إلهي ماهذا؟ ماذا تريد ها"

أخذ نفس عميق وحاول التحكم بأعصابه وابتسم ابتسامة باردة وقال:

"كل خير"

أنهى كلمته وأمسكها من يدها متوجهاً بها إلى مقعد السيارة الأمامي، أركبها وركب بعدها ليتوجه بها إلى حيث يريد، ظلت طوال الطريق صامتة تدعي بسرّها بأن لا تبدأ عليها نوبة غضبه، لإنها تعلم جيداً بأنها لن تسلم منه، بينما أسر كان يفكر بطريقة ما لإرضائها وكيف له بأن يصلح الأحوال بينهما، تنهد بقوة وبدأ يفكر بطريقة حديثهما سوياً وكيف ستبتعد عنه وستتركه، استبق الأحداث فوراً ليشد بقبضته على مقوض السيارة ونظر للأمام بحدّة، أقسم بينه وبين نفسه بأن لا يعيدها إلا وهي موافقة على الزواج منه وإلا لن يعيدها للبيت وسيعقد قرانه عليها بالغضب، هو مجنون ويفعلها ولن يهمله شيء، لم يمر وقتاً طويلاً حتى وقف بسيارته بمكان شبه معزول، عقدت أسيل حاجبها باستغراب لتقول:

"لماذا وقفت هنا"

تحدث بجمود:

"يجب أن نتحدث"

همهمت لتقول:

"أجل ولكن ليس هنا، لنذهب إلى مكان عام"

ابتسم بسخرية ليقول:

"هل تخافين مني"

رفعت حاجبها لتتحدث باستنكار وبرود:

"ولماذا أخاف منك؟ هل أنت ذئب مثلاً"

همهم ليقول بهجوم:

"أسيل أنا أحبك"

تحدثت بسخرية:

"حسناً وبماذا أخدمك مثلاً"

كز على أسنانه ليقول:

"أسيل لا تتباردي علي ولا تتحدثي بسخرية، كوني جدية ولو لمرة في حياتك، مالعنتك"

أنهى جملته بصراخ لتتحدث بحدة:

"ما الذي تريده مني"

تحدثت بغضب:

"أريدك أنت"

هممت لتقول:

"اها حسناً المسألة بسيطة وأنا لا أريدك"

نظر لها بغضب ليقول:

"أنا لم أجلبك إلى هنا كي آخذ رأيك وإنما جلبتك لكي أمرك وتنفيذين هل فهمتي"

نبرته جعلت غضبها يثور لتتحدث بغضب:

"وأنا لن أطيع أوامرك، لست عبدة لديك لكي تعطيني الأوامر، هل فهمت يا هذا"

مسح على وجهه وحاول أن يتحكم بأعصابه ليقول بحدة:

"أسيل لا ترفعي صوتك علي هذا أولاً، وثانياً لا داعي للنقاش لأنني قررت وانتهيت"

تحدثت باستنكار وغضب:

"اها وإلى ماذا توصلت"

تحدثت بجمود:

"سننزوج في الشهر القادم"

ضحكت بسخرية لتقول:

"في أحلامك عزيزي"

نظر لها بتحدى ليقول:

"سنرى"

نظرت له بحدة وأشاحت بوجهها عنه وقد فعل المثل، تنهد كل منهما بقوة وعم الصمت لمدة، كسر الصمت ليقول:

"أسيل دعينا نعطي لأنفسنا فرصة ثانية"

همهمت بشيء من الغضب لتقول:

"فرصة ثانية أليس كذلك؟ وكيف لي أن أثق بك؟ أنت لم تعد تطاق وأنا لم أعد أفهمك، لقد تركتني أذهب ولم تكثرث أو تمنعني حتى، تخليت عني وهذه المرة الثالثة، ماذا تريد مني حياً بالله ما الذي تريده؟ لم أعد أفهم منك شيء أو كيف تفكر، كنت أحدثك بشأن والديك من أجلك لإنني أعلم جيداً بأنك تتألم من بعدهما عنك، أردت أن أكون وجه السعد عليك وتعود لوالديك كي يفرحان بنا سوياً ولكن أنت ماذا فعلت؟ لم تكثرث لي وتركتني للمرة الثالثة، لقد أحببتك رغم كل شيء ولكن الآن ثق تماماً بأنني لم أعد أحمل لك أية ذرة مشاعر صدقني، أنا لم أعد أثق بك، سأعود إليك لتتركني مجدداً وهذا ما سيؤلمني كثيراً لذا الأفضل بأن تبحث لك عن فتاة أخرى"

أنهت جملتها وهبطت دموعها بغزارة، كان يستمع لها والشرار يتطاير من عينيه، غير ذلك ألمه قلبه بشدة على ما فعله بها، تحدث بغضب وهجوم:

"كيف لي أن أبحث عن فتاة أخرى وأنا أحبك أنت؟ لم أستطع نسيانك لحظة، لم تغيبي عن بالي أبداً، لا تظني بأنني تركتك وحيدة لا، لقد خصصت مجموعة رجال ليحمونك ويأتوني بأخبارك، لم أستطع تحمل جفائك، ألمني قلبي ببعدك عني، في كل ليلة أتأمل صورتك وأنام وأنا أتخيلك بأحضانني، أجل لقد أخطأت بحقك ولكنني أستحق فرصة ثانية لإنني تعذبت عذابك أضعاف وأضعاف صدقيني، سامحت والداي وهما الآن يقيمان معي، حدثتهما عنك وشجعاني على استعادتك، لم أستطع التحمل أسيل ارحميني فقط"

أخذ نفس عميق وزفر بقوة وأغمض عيناه بألم، بينما هي كانت تبكي وتشهق، لم تعد تفهمه أو تفهم طباعه، هي تريده وتحبه ولكنها خائفة منه وخائفة من أن يتركها مجدداً، في كل مرة يعود إليها يعطيها وداع أفسى من سابقه، مسحت دموعها لتتحدث بنبرة بها قليلاً من الضعف:

"أنا لم أعد أثق بك، ولم أعد أحبك وانتهى أمرنا"

همهم لها ليتحدث بحدة:

"مم متأكدة بأنك لا تحبينني"

تحدثت بجمود وهي تمسح دموعها:

"أجل"

حرك رأسه بإيجاب ليقترب منها وينظر لعيناها، بينما هي شعرت بأنفاسه الحارة تضرب وجهها، تحدثت بتلعثم:

"أ أنت لماذا تقترب"

لم يتحدث وإنما ظل صامتاً يتأمل عيناها بقوة، تجرأ واقترب ليطبق بشفتيه على شفثيها، توقف العالم من حولها وكم كانت متشوقة لتلك الشفاه، بينما أسر كان له هدف من قبلته هذه، فهو يريد أن يختبرها ويعلم إن كانت بالفعل لم تعد تحبه أم لا، فصلا القبله بعد مدة قصيرة ولكنهما لم يبتعدا، ظلت أسيل مغمضة عيناها وكأنها تخدرت من قبلته ليقول أسر بشغب:

"أقلتي بأنك لم تعودي تحبينني؟ إذا لماذا بادلتيني القبله"

ابتعد أسر عنها وقد شعرت أسيل بابتعاده وسمعت كلماته التي نزلت عليها كالصاعقة لتفتح عينيها على وسعها، ابتسم لها أسر ابتسامه نصر بينما هي تمننت أن تنشق الأرض وتبتلعها، ابتلعت ريقها وحاولت الدفاع عن نفسها لتتحدث بتوتر:

"أنا كنت فقط أعني أنني لم أقصد و.."

لم تكمل كلامها لتسمعه يقول:

"أسيل لا تنكري وكفاك ألعيب، أريدك زوجة لي وسيحدث شئني أم أبيتي"

أنهى جملته لتبتلع ريقها بتوتر وتصمت، بينما هو نظر لها وقد كانت مخفضة برأسها ليمسك يدها ويقبلها بحنان بالغ ويضعها على وجنته وهو ينظر لها، بينما هي سرحت بلامحه ولم تعلم بماذا تتحدث، ظلت تتأمل تقاسيم وجهه الوسيم وابتسامته العذبة لتسمع صوته يقول:

"لماذا أشعر بأنك مازلت تريدين الكثير من قبلاي"

أنهى جملته بابتسامة لعوبة لتحدثه بتوتر:

"ها ماذا تقصد؟ لا لا، لا أريد شيئاً"

همهم لها بابتسامة ليقترب منها ويلامس شففتيها بشفتيه دون تقبيلها، تحدثت ضد شففتيها بنبرة لعوبة وأشبه للهمس:

"متأكدة"

تخدرت بكل معنى الكلمة لتضغط بشفتيها على شففتيه، بينما هو كان يحلق من السعادة وابتسم أثناء القبلة، لم يفصلا القبلة مع أنهما كانا بحاجة للهواء، ولكن الابتعاد عن رحيق شففتيها كابتعاد طفل رضيع عن والدته، والابتعاد عن الجنة ذاتها، كانا كالمغناطيس، أحس بإنها بحاجة للهواء ليفصل القبلة وظلا مقتربان من بعضهما ليتحدث أسر بأنفاس لاهثة:

"أعشقتك"

ابتسمت بحب لتقول:

"وأنا أيضاً"

ابتسم بسعادة ليعاود تقبيلها، لم يستطيعان الابتعاد عن بعضهما، كانا في أشد السعادة سوياً، يريدان أن تتوقف عقارب الساعة عند هذه اللحظة، يهيمنان ببعضهما، يعزفان تناغيم الحب سوياً غير مكترثان للعالم الخارجي، كل شيء كان رائع، يحلقان في السماء بسعادة، يشعران بأنهما في النعيم، تلاقى أعينهما، عادا لبعضهما، ليتبادلا العشق والهوس والجنون بسعادة كبيرة، لم يظلا وقتاً طويلاً سوياً علماً بأنهما كانا يريدان قضاء وقت أطول من هذا ولكنهما ودعا بعضهما على أمل اللقاء في الغد وبهذه الأثناء سيأتي أسر بوالديه إليها ويطلبها رسمياً ليجعلها زوجته وحبيبته الأبدية.

---

تجلس في غرفتها تلك الفتاة البريئة، شيء من الملل يملكها، زفرت بقوة وفكرت في نفسها بأن تحدث يوسف ولكنها تخجل، تنهدت بغيظ مكتوم لتسمع صوت رنين هاتفها ويكون يوسف، اتسعت ابتسامتها عندما رأت اسمه يزين الشاشة لتحييه بخجل:

"أهلاً يوسف"

تحدث بنبرة هائمة:

"أهلاً ياقلب يوسف"

ابتسمت بخجل ولم تتحدث، وكأنه شعر بخجلها ليقول ضاحكاً:

"هل ظهرت الطماطم أم ماذا"

ضحكت ضحكة رنانة وقد رقص قلبه فرحاً لسماع صوت ضحكتها لتحدثه بخجل:

"أجل ظهرت"

تحدث بنبرة حب:

"أعشقت أينها الطماطم، سألقبك بالطماطم من الآن فصاعداً"

ضحكت ضحكة خفيفة لتقول:

"لا مانع لدي، اها بالمناسبة هل حدثت ماريا أم لا"

همهم ليقول:

"أجل لقد حدثتها وطبعاً باسل سيقتل نفسه من جنونها، إنها مجنونة"

ضحكت لتقول:

"لا تقول عن ماري هكذا"

همهم لها بابتسامة ليقول:

"حسناً جلبت لك خبر مفرح"

تحدثت بحماس:

"وما هو أرجوك تحدث"

"ضحك على حماسها ليقول:

"مم أسر سيتقدم لخطبة أسيل في الغد"

صرخت من سعادتها وفرحت كثيراً لتسمع يوسف يضحك عليها، تحدث بهدوء:

"حسناً اهدأي حبيبتي لا تكوني مثل أختي أرجوك"

همهمت ولم تتحدث لتسمعه يردف لها:

"شهدي"

ابتسمت بخجل لتقول:

"نعم"

تحدث بهيام:

"أعشقتك"

أحست بحرارة وجنتيها من غزله معها، وكل هذا الغزل على الهاتف فما بالها إن كان أمامها؟ مؤكداً بأنها ستقلب إلى مزرعة طماطم، كان يبيها كل أنواع الغزل والحب بينما هي مستمتعة بكلماته، خجلة منه لأبعد حد، وفرحة عارمة في قلبها، ظلاً يتحدثان سوياً مدة من الوقت، ليغلقان الخط ويتواعدان غداً بموعد يقضيانه سوياً وينسيان كل شيء، ليظلا فقط في عالمهما المغلف بغزل وحب وعشق يوسف لشهده.

---

جالسة في غرفتها وابتسامة بلهاء على محياها، تشعر بأنها خلقت من جديد، وكيف لا؟ وهي كانت مع من ملك قلبها وستصبح له عما قريب، تضحك بسرهما وتذكر محادثته معها، تذكرت عندما ودعها كيف طبع تلك القبلة المفاجئة على شفتيها ليقول بنبرة هائمة (اغتناب القبلة ألد من طلبها)، خجلت، توترت، وتوردت وجنتيها، لم تسعها الدنيا من الفرحة، تركته وهبطت من السيارة لتهرب منه وتتحكم بقلبها الذي يدفعها للجنون تجاهه دائماً، الآن ستضحك لها الدنيا وستكون برفقة محبوبها للأبد، ستعيش حياة هادئة وسعيدة، ستكون أسعد إنسانة في الوجود، انتشلها من شرودها صوت هاتفها، لترى المتصل ويكون رقم مجهول، عقدت حاجبيها باستغراب لتجيب بـ:

"أهلاً"

تحدث المتصل بجديّة:

"الآنسة آسيل"

نبرتها كانت أشبه للسؤال وليس جواب لتقول:

"أجل"

همهم المتصل ليقول بجديّة وثبات:

"عفواً أنتي ولكن السيد أسر أصيب بطلق نارِي في صدره وهو الآن في المستشفى"

"تماسكي في هذه الساعاتُ يا حبيبتِي"

فَـ عِنْدَمَا يُقَرِّرُ الشاعِرُ أن يَتَقَبَّ بالحروفِ جُلْدُ الكَرَةِ

الأرضِيه

وَأَن يَكُونَ قَلْبُهُ تَفاحَةً يَقْضُمُهَا الأَطْفالُ في الأَزَقَةِ الشَعْبِيه

وَعِنْدَمَا يَحاولُ الشاعِرُ أن يجعلَ مِن أشعارِهِ أرْغَفَةً

يَأْكُلُهَا الجِياغُ للخَبِزُ وللحَرِيه

فَـ لَن يَكُونَ المَوْتُ أَمراً طارِئاً

لَأَنَّ مَن يَكْتُبُ يا حبيبتِي يَحْمِلُ في أوراِقِهِ ذِبحَتَهُ القَلْبِيه"

---

تجمدت بمكانها، لم تعد تبدي أي ردة فعل، جحظت عيناها بقوة، تسارعت أنفاسها وهبطت دموعها على وجنتها بصمت، بينما من الطرف الآخر والذي كان منتظراً ردها على الهاتف ظل يتحدث ويناديها ولكنها لا تجيب، أغلق الخط وقد كان أحد حراس أسر هو من أخبرها كما أمره إذا حدث له أي مكروه، هو نفذ أمره وأخبرها وأغلق الخط ليبحث لها رسالة نصية تحتوي على عنوان المستشفى، بينما سنعود قليلاً للوراء لنعلم كيف تلقى أسر الرصاصة.

:Flash back

بعد أن ودعها كان يقود سيارته ليأتيه اتصالاً من العقيد لجيبه أسر باحترام:

"أمرك سيدي"

تحدث العقيد برسمية:

"حضرة الضابط أسر ربع ساعة وتكون موجود في مكنتي"

همهم أسر ليقول:

"تحت أمرك سيدي"

أغلق الهاتف وتوجه إلى منزله بسرعة البرق ليرتدي بذلته العسكرية ويتوجه فوراً إلى العقيد، لم يمضي خمسة دقائق ووصل لمكتب العقيد ودخل عليه ليلقي التحية باحترام وإيجاز، نظر له العقيد الذي يدعى سلمان نظرة ذات مغزى وأشار له بالجلوس، توجه أسر وجلس لسمع صوت يحدثه بنبرة هادئة:

"حضرة الضابط أسر لديك مهمة اليوم في الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل"

ظل أسر ينظر له ببرود وهمهم له ليرد له سلمان:

"اسمعي جيداً سأوكلك بهذه المهمة لأنها خطيرة جداً وأنا أعتد عليك بكل شيء يا أسر وأعلم بأنك أهل للثقة ولهذه المهمة الهامة لنا بشكل كبير"

حرك رأسه بإيجاب ورسمية ولم ينطق بحرف ومعالم البرود على وجهه، تنهد سلمان بقوة ليبلل شفثيه ويردف له:

"سيكون معك طقم كامل من العساكر والحراس، وطبيعة المهمة هي بأنني أريدك أن تنفذها بروية وحكمة وتقبط على جميع من في مصنع الأدوية، إنهم يهربون الأسلحة والمخدرات من خلاله، ويعتبرونه ركناً هاماً وأمناً لهم كونه بعيد كل البعد عن هذه المدينة وبمكان شبه مهجور، لقد بحثت وجمعت كل المعلومات عنهم بمساعدة أعواننا و علمنا بكل شيء عنهم، والشخص الذي يترأسهم هو هذا الرجل (محمود) وهو من أكبر رجال المخدرات وتهريب الأسلحة، وطبعاً أنت تعرفه جيداً لأنه لا غنى عن التعريف ومعروف جيداً في وسطه، كما تعلم منذ مدة ونحن نبحث عنه ولكن كان يختفي، واليوم وصلني معلومات بأنهم سيهربون شحنة كبيرة من المخدرات لمعمل الأدوية ومن بعدها سيهربونها إلى خارج البلدة وسيكون محمود برفقتهم كونهم يعتبرون هذه الصفقة مهمة جداً بالنسبة لهم، وكما تعلم أيضاً بأن محمود ليس لديه أعوان أو أحداً يستطيع أن يكون أهلاً لثقتهم لذلك سيكون هو المشرف عليهم اليوم، وأريد منك أن تقبض عليهم جميعاً وإذا اضطرت لإطلاق الرصاص وجلبهم أموات فلا مانع لدي"

كان يستمع له بتركيز وبكل حواسه ونظرة البرود بعينيه، هو لا يهمله شيء ولا يخاف من شيء، يمارس عمله بكل جد، ولم يكلف بمهمة ذات مرة إلا ونفذها على أكمل وجه، ولكن الآن الموضوع يختلف فهذه المهمة صعبة وخطيرة جداً، ولكن لا يوجد صعب وخطير على أسر، مهمم له ليحدثه أسر بإيجاب:

"تحت أمرك سيدي، متى التنفيذ؟ طبعاً يجب علينا أن نراقب المكان وننطلق بأقرب وقت من موعد الصفقة أليس كذلك"

حرك سلمان رأسه بإيجاب ليقول:

"أجل طبعاً ستنطلقون من هنا في تمام الحادية عشر وسأعطيك العنوان لتنتقلون فوراً"

حرك أسر رأسه بإيجاب ليقول:

"بإذن الله"

تحدث سلمان:

"لقد جهزت طقم العساكر والحراسة وستترأسهم أنت وأتمنى لكم الحظ الموفق"

ابتسم أسر من عيناه ولم يتحدث لسمع صوت سلمان يقول:

"أها بالمناسبة لقد وصلني أخبار بأن الضابط يوسف قد أقيمت خطبته البارحة أليس كذلك"

ابتسم ابتسامة صغيرة ليقول:

"أجل سيدي لقد أقيم حفل زفاف أخته وهو استغل الأمر وخطب الفتاة التي يريدها"

همهم له سلمان بابتسامة ليتحدث بنبرة لعوبة:

"وأنت متى سيحين دورك وستخطب"

اتسعت ابتسامته ليقول:

"غداً"

ضحكا اثناهما ليقول سلمان:

"هذه أخبار جيدة ومفرحة يا أسر، أنت تعلم جيداً بأنني قبل أن أعتبرك ضابط فأنا أعتبرك كأخي الصغير وأتمنى لك الحياة الهنيئة برفقة محبوبتك"

ابتسم أسر مجيباً:

"شكراً لك سيدي، طبعاً ستكون أول المدعوين"

همهم سلمان ليقول:

"بالطبع لن أفوت فرصة كهذه وسأكون أول الحضور لكي أشاركك فرحتك"

ابتسم له بامتنان وحرك رأسه بإيجاب ليردف سلمان بنبرة جدية:

"حسناً أيها الضابط أتمنى لكم الحظ الموفق، هيا اذهب لكي تجهز نفسك وطبعاً السرية التامة لا تنسى ذلك"

نهض أسر بسرعة ليلقي التحية ويتحدث بإيجاب:

"تحت أمرك سيدي، بالطبع لن أنسى"

حرك سلمان رأسه بإيجاب ليستأذن منه أسر ويتوجه إلى مكتبه كي يجهز أموره، بينما سلمان ظل جالساً يحدق بالفراغ، لا ينكر بأنه قلق على أسر وعلى من معه فهو يعرف أسر منذ أكثر من ثمانية سنوات وكان دائماً المرشد والناصح له، يخاف عليه وعلى يوسف كأنهما أخوته ومسؤول منهما، هو بطبيعة عمله يمثل الصرامة والجبروت أمام جميع الضباط ولكن أسر ويوسف حالة خاصة بالنسبة له، تنهد بقوة ودعا ربه بأن يعود سالمًا لأنه لن يتحمل إذا حدث له أي مكروه، هو لم يكن يريد أن يبعث به إلى هذه المهمة ولكنه مجبر كونه من أكفأ

الضباط لديه وأكثرهم خبرة وذكاء، لذا اضطر إلى تكليفه بهذه المهمة كما أنه يثق به ثقة عمياء ويعلم بأنه يداري عمله بكل حكمة وروية.

بينما أسر في مكتبه وقد بدأ بجمع لوازمه، واستعد للمهمة بشكل كامل، كان يريد أن يحدث أسيل ويطمئن عليها ويخبرها ولكنه لا يريد أن تقلق عليه وتظل على أعصابها، زفر بقوة وبدأ يفكر، ماذا إن حدث له أي مكروه؟ ماذا إن لم يعود؟ ماذا سيحدث لها عندها؟ وكيف سينفذ الوعود التي وعدتها بها عندها؟ هو لا يهيمه نفسه ولكن يريد العيش فقط من أجلها ومن أجل والديه، توكل على ربه ولم يأبه لشيء ودعا ربه بأن يعود سالمًا فقط من أجل من بحاجته، تنهد بقوة وأكمل جمع حاجياته ليتوجه إلى مهمته.

-----  
الساعة 11:45

يختبأ أسر بسيارته وبرفقته الحراس والعساكر، ينتظر في ذلك المكان الذي ستنم فيه الصفقة، كانوا يختبئون بمكان بعيد قليلاً عن مكان التسليم كي لا أحد يراهم، فد أي خطوة خطأ يقومها أحدهم سيموتون جميعاً عندها، يراقب الوضع بتركيز، كما أنه وزع عدة دوريات بكامل المنطقة كي يحاصروهم من جميع الجهات، ظل ينتظر إلى أن ظهر أحد الرجال ولا يبدو عليه من رجال محمود لأنه هبط من سيارته وتوجه إلى مصنع الأدوية وعلى الأغلب بأنه أحد من رجال الطرف الآخر الذين سيقومون بتسليمهم الشحنة، انتظر قليلاً ليرى عدة رجال يتوجهون لداخل المصنع وورائهم تأتي شاحنة كبيرة ومؤكد بأنها شحنة المخدرات، بدأوا الرجال ينزلون الصناديق ونقلها للمصنع وكل هذا وأسر يتابعه بتركيز، كان ينتظرهم إلى أن يدخلوا جميعهم للمصنع وعندها سيسهل عليه القبض عليهم، مرت قرابة النصف ساعة وهم يحملون الصناديق المليئة بأكياس البودرة، إلى أن اجتمعوا كلهم في المصنع ليبدأوا بتفريغ الصناديق ووضع أكياس البودرة الصغيرة بـ علب الأدوية.

بينما أسر هم بالنزول من السيارة ليتوجه للمصنع طبعاً بعد أن جمع بحوزته جميع الدوريات وحدثهم عبر اللاسلكي، وأبقى دوريتان تراقبان الوضع من الخارج، تسلل أسر للمصنع برفقة العساكر بهدوء ودون إصدار أية حركة، وزع العساكر على كامل المصنع ليحاصروهم، بينما بقي هو وعدد قليل من العساكر، ظل ساكناً بمكانه لا يتحرك إلى أن خرج أحد الرجال وقد قام بتدبير أمره وضربه على رأسه حتى أغمي عليه، أعطى أسر أمر الهجوم لجميع العساكر الذين كانوا يحاصرون المصنع من الداخل ويحتبئون في ركن ما، ليهجم أسر ومن معه على رجال المصنع ويدخلوا العساكر المتبقيين، كانوا يوجهون أسلحتهم على الرجال، بينما رجال المصنع تسمرروا في مكانهم وقد أمرهم أسر بأن يرفعو أيديهم للأعلى وفعلاً مثل ما حدثهم، أمر العساكر بأن يجمعوهم واحداً واحداً ليأتي من يترأسهم وهو محمود ويقف بوجه أسر موجه مسدسه عليه، ليبتسم أسر ابتسامة جانبية بينما محمود ابتسم بشر ليقول:

"لا تعلم كم أنا سعيد بهذه اللحظة، فقط لإن الضابط أسر يقف أمامي"

ابتسم أسر بسخرية ولم يتحدث ليرد له محمود:

"اظنني غيباً كي أدعك تقبض على رجالي بهذه السهولة، وهل تظنني لا أعلم بأنك أنت من تدبرت أمر رجالي عندما كانوا يبيعون المخدرات في الجامعات"

ابتسم أسر ببرود ليقول:

"وهل رأيت شيئاً بعد؟ نحن مازلنا في البداية، أنت لم ترى شيء صدقني"

حرك رأسه وهو جاحظ العينين ليقول بنبرة غل وتشفي:

"تشاهد على روحك يا ابن زين الدين"

نظر له أسر نظرة قاتلة ليبدأ دوي إطلاق النار هنا وهناك بين رجال محمود والعساكر الذين برفقة أسر، بينما أسر كان يتولى أمر محمود فعندما ألتقط منه المسدس استطاع بأن يهرب منه ويمر من بين هذه المعركة ويختبأ، بينما العساكر استطاعوا بأن يقتلوا عدداً كبيراً من الرجال وقد ساندهم أسر لتتم السيطرة عليهم والقبض عليهم جميعاً، انتهوا من جمع الرجال والقبض عليهم وقد كان هناك إصابات للعساكر، وقد تم نقلهم للمستشفى وتم القبض على الرجال الذين استسلموا وتم الاستيلاء على شحنة المخدرات من قبل العساكر. أما أسر بالنسبة له المهمة لم تنتهي بعد لأن محمود استطاع أن يهرب منه واختفى ولم يعد أسر يراه من شدة الظلام الذي حل، ظل أسر في المصنع وهو يعلم جيداً بأن محمود مازال موجوداً هنا، لم يبق أحد في المصنع سواه، سمع أسر صوت حركة خفيفة آتية من المخزن الداخلي، اتجه بخطوات بطيئة وحذرة ليدخل إلى المخزن بترقب وحذر، صدح صوت ضحكة خشنة ليلتفت أسر إلى مصدر الصوت ويرى محمود أمامه موجهاً مسدسه نحوه، بينما أسر كان ينظر له ببرود وكذلك كان موجهاً مسدسه نحوه ليرى صوت محمود يقول:

"العناد في دمك يا أسر"

تحدث أسر بجمود:

"محمود سلم نفسك وهذا أفضل لك، سيخفف عنك العقاب عندما تسلم نفسك"

ضحك ضحكة قوية وساخرة ليقول من بين ضحكاته:

"أصدق لقد أفتعتني ولكن أريدك أن تتمنى آخر أمنية في حياتك لكي أنفذها لك لأنني لن أسلم نفسي ولن أستسلم، وها أنا أدعك تختار أمنية أخيرة، عد هذه الجمائل"

ابتسم ابتسامة شر ليقول:

"عد أنت آخر لحظات حياتك"

ضحك بسخرية ليقول:

"أنت تحمل المسدس الخطأ يا سيد أسر، فالمسدس الذي بين يديك فارغ الرصاص"

لم يعلم أسر إذا كان صادقاً أم كاذباً، فأسر الآن يحمل مسدس محمود الذي أخذه منه عندما واجهه أول مرة ولكنه كان يستعمل مسدسه الأساسي عندما كان يساند رجاله وقد أفرغ رصاصه وحمل هذا المسدس، ظل جامداً لا يبدي أي ردة فعل ولا يسمع سوى صوت ضحكات محمود الساخرة، تملكه الغيظ من ضحكاته الساخرة وحسم أمره ليضغط على الزناد ولكنه لم يخرج أي رصاصة لأنه بالفعل كان يحمل المسدس الخطأ، ازدادت ضحكات محمود بينما أسر رمى المسدس أرضاً ووضع يديه في جيبه، تحدث محمود ساخراً:

"ألم أقل لك، يا إلهي كم أنت عنيد، هيا هيا اختر أمينتك الأخيرة"

لم يخف أسر ولم يرمش له جفن، ظل جامداً ليقترّب منه بخطوات واثقة وكلما اقترب بيتعد محمود ليقول له:

"لا تقترب وإلا سأطلق النار صدقتي"

ابتسم بشر ليقول بتحدي:

"ها أنا أمامك هيا أطلق النار"

في الواقع محمود رجل ذو شخصية شريرة ولا يهاب شيء ولكن نبرة أسر واقترابه منه جعل الخوف يتملكه لا إرداباً، وقف أسر أمامه ليبتسم ابتسامة جانبية ويقول:

"أرني ما لديك يا محمود"

حسم محمود أمره وقام بتلقين المسدس ليوجه المسدس على أسر، بينما أسر استغل قربه منه ليحاول أخذ المسدس منه بحركة سريعة، تجمدا اثناهما بمكانهما بسبب صوت تلك الرصاصة التي أطلقت وقد أصابت أحدهم، ظل أسر واقفاً وابتلع ريقه ولم يعد تحمله قدماه ليسقط أرضاً بسبب تلك الرصاصة التي أطلقت عليه من قبل محمود، ابتسم محمود بتسفي ليوجه مسدسه مرة أخرى عليه وينهي حياته، صدح صوت إطلاق رصاصة أخرى ولكن لم تصب أسر فيوسف هو من أطلق الرصاصة وقد استقرت الرصاصة برأس محمود ليسقط أرضاً جثة هامدة، وها هو يوسف قد أتى في الوقت المناسب عندما علم بهذه المهمة وعلم أيضاً بعدم رجوع أسر وبقيّة العساكر، ليتوجه إليه فوراً دون التردد حتى، اقترب يوسف منه بسرعة وحدثه بلهفة:

"أسر هل أنت بخير؟ أسر أجبني"

لم يسمع الرد منه لأنه أغمي عليه، دخل جميع العساكر إليه وقد جاءت سيارة الإسعاف لتتنقل أسر إلى المستشفى.

.End flash back

استفاقت من صدمتها لتنهض وتتوجه إلى المستشفى بأقصى سرعة، نشر الخبر فوراً واتجه الجميع إلى المستشفى، بينما أدخلوا أسر إلى غرفة العمليات، كانت أسيل تجهش بالبكاء كحال والدة أسر وماريا، لم يكفوا عن البكاء طيلة مكوثهم، ينتظرون الخير الشافي والمفرح بتوتر وهم على أعصابهم، جاءوا الجميع إلى المستشفى طبعاً الشبان والفتيات ووالدا أسيل ووالدا أسر ووالدا شهد ووالدة باسل، كما أن سلمان كان يقف بملامح حادة ونظرة الندم ظاهرة بعينه، ندم أشد الندم على إرساله إلى هذه المهمة، شعر بأنه هو السبب بحال أسر الآن، الأعصاب مشدودة، والتوتر بالغ، والخوف ظاهر، كل منهم يدعي له بالشفاء العاجل، كانت أسيل تتأكل من جوف قلبها على محبوبها الذي بين الحياة والموت، ولكنها تدعي بسر ها له والخوف يجتاحها.

مضت ساعتان ليخرج باسل وينتفض الجميع ويحومون حوله منتظرين الجواب منه، متأملين بالخبر السار في حالته الصحية، رفع باسل الكمامة من على فمه وتحدث بعد تنهيدة قوية:

"الرصاصة دخلت في صدره أي أن فوق القلب بإيش واحد، ولقد استطعنا إخراج الرصاصة بصعوبة بالغة ولكنه بغيوبة الآن ولا نعلم كم سيظل على وضعه، كما أننا أثناء العملية عرضناه للصدمة الكهربائية لإن قلبه قد توقف ولكننا نجحنا بالعملية"

ابتلع يوسف ريقه ليقول بخوف:

"حسناً ولكن ماهي أقصى مدة للغيوبة"

أجاب بأسف:

"لا أعلم صدقني، محتمل يومان أو شهران أو سنتان، على حسب قوة جسده وإرادته وتحمل قلبه"

عادت وتيرة البكاء لوالدة أسر، بينما أسيل لم تبدي أي ردة فعل سوى الصمت والجمود، ليقوموا الممرضين بنقل أسر إلى العناية المشددة.

-----

مر شهران على الحادثة وأسر مازال في غيبوبته، لم يحدث شيئاً جديداً منذ ذلك اليوم، أسيل تأتيه كل يوم وتجلس بجانبه ولا تدعه أبداً، تحدثه وكأنه يسمعها، تتألم لرؤيته بهذه الحالة، ولكن مع كل ذلك لم يملكها اليأس أبداً، فهي على أمل لقاءها بعيناه الساحرتان يوماً ما، ولن تمل أو تكل منه أبداً، أقسمت على عدم ابتعادها عنه

والوقوف بجانبه، بينما يوسف لا يختلف بشيئاً عن حال أسيل فهو أيضاً كل يوم يأتي إليه ويجلس أمامه ويحدثه بكل شيء حدث في العمل أو في أي مكان يهمله، كما أن ليث وباسل لا ينفكان عن رؤيته ويأتیان لرؤيته دائماً وباسل لا يتركه أبداً كونه الطبيب المشرف على وضعه الصحي. بينما هناك من يتأكل من ندمه على تسببه بهذه الحالة لأسر وهو سلمان، أيضاً لا ينفك عن زيارته، كل يومان يأتي ويشجعه ويحدثه بأن يستيقظ ليعود لهم من جديد، الجميع يدعون له بالخير والشفاء العاجل، كما أن الجميع كانوا ينتظرون بأن يستيقظ لكي يعود لهم لأنهم اشتاقوا له بحق.

-----

جالسة في غرفته، تضم يده بين يديها الصغيرتين، تقبلها بين الحين والآخر، تنظر له بكل حزن واشتياق، تذرف دموعها بسببه وعلى حاله، تلومه وتعاتبه على غيابه الطويل عنها، بينما هو ممدد على سريره بحالة سكون، لا يبدي أي ردة فعل، تنظر له وتشهق ويحتد بكاءها، في كل يوم تأتي إليه، تنتظره بفارغ الصبر على أمل الاستيقاظ والرجوع لها، اشتاقت لغضبه عليها، اشتاقت لحنانه، لمغازلته، ولبروده المعتاد، تدعي له دائماً بسرها، تبته كل أنواع حنانها وشوقها حتى وهو بغيوبته، قلبها ينزف، عينيها تذرف، يديها ترتعش، قدماها لا تقوى على الحركة، دعت الله أن يشفيه، تظاهرت أمام الجميع بالقوة، وهي بداخلها بركان من الخوف، تمننت لو تخفف عنه آلامه وتشاطره المرض، تنعت الدنيا بالحقارة لأنها تتمنى منها الأمانى ولا تأتيها إلا بالمآسى، تسأل نفسها؟ كيف لها أن تقف مكتوفة الأيدي وهو في غيبوبته لا تستطيع الحراك، كيف لهذا الزمن القاسي الذي لم يتوقف عن صفعها ليل نهار أن لا يراف بحالها؟ أن لا يبكي لدموعها؟ أن لا يكون جليسا بسهر الليالي؟ كيف له أن يجعلها بعيدة عنه فهي في واقعها الأليم وهو في غيبوبته التي ليس لها وقت لكي تنتهي؟ كل يوم تمسك بيده وقلبا خاشعاً في محراب الرحمن تدعوه بدعوة متضرعة أن يشفيه، تضع رأسها على يده وتغمض عيناها داعية لربها بأن يستيقظ، لتشعر بيده تتحرك، رفعت رأسها بصدمة لتشعر به يشد على يدها وهو مغمض العينين، ابتسمت بسعادة لتسمعه يهمس باسمها، لم تسعها الدنيا من فرحتها عندما رآته بهذه الحالة، توجهت فوراً للخارج لكي تنادي على باسل ليأتي برفقتها وبسرعة كبيرة مقترباً منه وهو يفحص حالته الصحية، ابتسم بسعادة بالغة عندما رآه يفتح عيناها وينظر لهما بوهن، اقتربت منه أسيل ليوجه كامل حواسه لها وتقبله من جبينه وهي مبتسمة بسعادة، بينما هو ابتسم بوهن ليقول بصوت خافت:

"أحبك"

اتسعت ابتسامتها لتقول:

"أعشقتك"

قالتها وأمسكت بيده وقبلتها بكل حنان بينما باسل يقف مكتف يديه وينظر لهما بابتسامة فرحة.  
علم الجميع باستيقاظ أسر من غيبوبته ليجتمعوا عنده على الفور وهم في غاية سعادتهم.

-----

وها هو أسر يخطو خطواته خارجاً من المستشفى بعد مرور أسبوعين على استيقاظه من الغيوبة، برفقة محبوبته التي لا تسعها الدنيا من الفرحة ويوسف، تحدث يوسف بمزاح:

"أيها الأحمق بسببك قمت بتأجيل موعد زفافي"

همهم له أسر ليقول:

"مم لم يحدث شيء ستقيمه في الشهر القادم وسيقام حفل زفافي أنا أيضاً"

قالها وهو ينظر إلى أسيل التي أخفضت رأسها خجلاً، بينما يوسف قفز من سعادته ليقول:

"سيكون هذا رائع يا حبيبي"

ضربه أسر على بطنه ليتأوه بشدة ويقول أسر:

"لست حبيبك"

تحدث يوسف:

"إذن أنت حبيب من"

أشار أسر بيده على أسيل التي ابتسمت بخجل، ضحك يوسف بخفوت وصمت، بينما أسر وجه نظره إلى أسيل التي كانت تحاول قدر المستطاع بأن تتجنبه من شدة خجلها، لتسمعه يهمس في أذنها:

"حبيبتي لا أريد الخجل عندما نتزوج، كوني جريئة اتفقنا"

أنهى جملة غامزاً لها لتتورد وجنتيها خجلاً وتخفض رأسها للأسفل، ليتجهوا إلى السيارة وينطلق بهما يوسف إلى وجهتهما.

-----

بعد مرور ثلاثة أيام توجه أسر لخطبة أسيل برفقة والديه وقد وجد القبول منهم ليتفقوا على موعد الزفاف بعد شهر من اليوم وطبعاً سيقيم حفل زفاف يوسف معه، لم يشعروا بمرور الأيام وقد مضى شهر كامل وجاء اليوم الموعود الذي ينتظره أسر ويوسف بفارغ الصبر.

وسامة، أناقة، طلة بهية، وشخصية محببة، ورجولة صارخة، كل هذه الصفات اجتمعت بهذان الشابان اللذان يقفان بشموخ وابتسامة محببة، يحاول أسر التحكم بأعصابه وينتظرها بفارغ الصبر، لم يعد يستطيع الانتظار أكثر من ذلك، لقد صبر كثيراً وهو ينتظر الآن ودقات قلبه المتسارعة وعجلته تشهدان على ذلك، تنهد بضيق ليرى ملاكه البريء تتوجه إليه، كانت غاية في الجمال والبراءة، كالملاك الصغير، تتوجه إليه بابتسامة خجولة، توقف العالم عنده في هذه اللحظة عندما رآها بأبهى طلة لها، سحر بها، وأغرم بها أكثر من ذي قبل، لا يصدق بأن كتلة الجمال هذه ستكون له إلى الأبد، وقفت أمامه واخضت رأسها بحياء بينما هو ارتسمت على وجهه ابتسامة بلهاء وقد أبهر من شدة جمالها، أمسك بيدها وقبلها بحب لتبتسم له خجلاً.

بينما يوسف كان ينتظر شهبه على أحر من الجمر لتهبط إليه والبراءة والجمال ظاهران على وجهها، ارتسمت ابتسامة محببة على وجهه عندما رآها بهذا الجمال، أنوثتها تجعله يركع لأجلها، جمالها وشدة برانيتها التي لم يرى لها مثيل، ابتسامتها وضحكتها وكلماتها الناعمة تنغلل في كيانه، اتجهت له بحياء لتتسع ابتسامته ويقترب منها ليطلع قبلة مطولة على جبينها، توجهوا أربعتهم إلى المنصة كي يعقدوا القران تحت تصفيقات الجميع، كان الحفل مميز بشكل ملفت للأنظار، ومع وجود كتلتا الجمال هاتان زاده جمال وجمال.

عُقد القران على خير وكل منهم يصرخ من شدة سعادته، لتبدأ رقصة كل ثنائي ويتوجهون لحلبة الرقص، كان أسر ينظر لأسيل بهيام، يتفحص تفاصيل وجهها بحب، كأنه مغيب عن العالم، بينما هي لمستها لها تجعلها ترتعش بقوة، تحاول الهروب من نظراته ولا تحدد به خجلاً منه.

أما شهد ويوسف كانا مغيبان عن الواقع تماماً، يهيمنان ببعضهما فقط من النظرات المسترسلة بينهما، كانا فرحان جداً، لا تنكر شهد بأن بعض التوتر والخوف يملكها ولكن بوجود يوسف لا داعي للخوف، انتهت الرقصة ليعودان إلى أمكنتهم، كان أسر يريد الرحيل فقط، لم يعد يطيق الانتظار، زفر بقوة ليرى ماريا تتجه إليهما وتبارك لهما وتجلس بجانب أسيل وتهسهس في أذنها، لم يعلم بماذا حدثتها، ولكنه يعلم جيداً بأن الخير لا يأتي من وراء هذه الفتاة، شهقت أسيل بخفة لتقول:

"كيف لي أن أفعل ذلك ماريا"

ابتسمت بخفة لتقول:

"صدقيني سيجن جنونه فقط افعلي مثلما حدثتني اتفقنا"

حركت رأسها وابتسامة خبيثة نمت على شفيتها لتردف لها ماريا:

"حسناً سأذهب إلى شهدي"

أنهت جملتها وهي تراقص حاجبها لتضحك أسيل بخفة، ضيق أسر عيناه ليقول:

"ماذا كانت تقول لك"

تحدثت بابتسامة:

"لا شيء فقط تحدثني عن حياتها مع باسل"

همهم أسر ليقول:

"م اها كانت تحدثك عن حياتها مع زوجها أم أنها تعلمك ما يجب عليك فعله في هذه الليلة"

جحظت عيناها بقوة بينما هو ابتسم ابتسامة مأكرة لتقول له:

"أنت ليس لديك أخلاق صدقني، لعين"

حرك رأسه ليقول بتوعد وهو موجه نظره للأمام:

"سأريك هذا اللعين ما الذي سيفعله بك"

نظرت له بشيء من الخوف لكنها لم تبالي ونظرت للأمام بغرور، بينما ماريًا توجهت إلى شهد لكي تحفر في رأسها أفكارها المجنونة، ولكن يوسف منعها من الاقتراب منها لأنه يعلم جيداً بأن شقيقته ستوسوس لها ولن تدعها وشأنها، كما أنه علم ب الحديث الذي قالته لرنيتم في يوم زفافها، لذلك منعها ولم يدعها تقترب منها خوفاً عليه وعلى شهد.

انتهى الحفل بسلام ليتوجه كل ثنائي إلى منزله بحماس، بينما أيضاً الجميع رحلوا متمنين لهم الحياة الهنيئة طوال الدهر، اتجه أسر بزوجه إلى الجناح الذي حجزه من أجلهما، كحال يوسف أيضاً الذي خصص له جناح في نفس الفندق، توجهوا جميعاً إلى هناك ليدخل كل شاب بعروسه إلى جناحه الخاص، بدأت أسيل تجول بأرجاء المكان وقد أذهلت من منظره، فقد كان رائعاً بكل معنى الكلمة، بينما أسر كان يتابعها بعيناه ويتابع نظرة الانبهار، وأخيراً تحقق حلمه وأصبحت له بعد طول انتظار، اقترب منها ليقول:

"هل أعجبك"

حركت رأسها بابتسامة ناعمة وحماس ليبتسم ابتسامة جانبية، توجهت لتغيير ثيابهما وتناول العشاء، لم يمضي وقتاً طويلاً ليدخلان إلى غرفتهما، كانت أسيل تفكر بكلام ماريًا هل تنفذه أم لا؟ ولكنها أعجبتها الفكرة لذا ستنفذها، اقترب منها أسر ووضع يديه على خصرها وقد كان عاري الصدر، جحظت عيناها بقوة عندما رآته بهذا المنظر، كذلك صدمت من عضلاته البارزة وضخامة جسده، انبهرت من هذا المنظر وسرحت، أما أسر كان يحاول كتم ضحكته على منظرها المضحك، فهي يكاد يفهمها يصل للأرض، حمم أسر ليتحدث بابتسامة:

"مابك"

تحدثت بعيون جاحظة:

"ها"

ضحك أسر عليها بقوة بينما هي انتبهت إلى نفسها وتوترت بشدة، اقترب منها ليلامس جبينه بجبينها، أغمض عينيه مستمتعاً بهذه اللحظة، الآن يستطيع أن يفعل معها ما يحلو له ولا أحد سيقف بوجهه، توترت أسيل لتبتعد عنه بتوتر ليعقد أسر حاجبيه ويقول:

"ما بكِ أسيل"

جالت بنظرها بأحاء الغرفة لتقول:

"إل لن ينفذ ذلك، لا أستطيع"

تحدث بشيء من الحدة:

"ماذا تقصدين"

بللت شفثها لتقول:

"قلت لك لا أستطيع أريد النوم"

كانت ستمشي ولكن يده منعها من التحرك ليعقد حاجبيه ويقول:

"لماذا لا تستطيعين ها؟ ما الذي حدث لك"

أصابها التوتر لتقول:

"مم لا أستطيع فأنا لا يُسمح لي الآن"

رمش أسر عدة مرات وابتلع ريقه، دعى بسره بأن لا يكون الذي في باله صحيحاً ليقول بنبرة مترقبة:

"هل أنت في اللعنة الشهرية أسيل"

حركت رأسها بإيجاب وأخفضت رأسها بخجل لينظر لها بغیظ ويقول بصوت أشبه للصراخ:

"ولما لم تقولي مثلاً؟ وأنا اللعين أنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر، اللعنة على حظي"

كتمت ضحكتها وصمتت، بينما أسر يجول بأرجاء الغرفة وقد تملكه الغيظ والغضب، زفر بقوة ليقول:

"والآن اذهبي ونامي، اللعنة على هذا اليوم"

حاولت جاهدة أن تخفي ابتسامتها، بينما أسر أصبح يزفر بشدة ولعن هذا اليوم تحت أنفاسه مئات المرات، بدأ يقضم أظفاره بغيظ وهو عابس الوجه، أما أسيل كانت تتابعه بابتسامة مستمتعة، ولكنها لم تستطع تحمل رؤيته بهذا الشكل لتنهض وتتوجه له، جلست بقربه ووضعت رأسها على كتفه بينما هو زفر بقوة ليقول:

"أسيل اذهبي من هنا، لا تغيظيني أكثر هيا اذهبي"

ضحكت ضحكة صغيرة لتقول:

"حبيبي أريد أن أقول لك شيئاً ولكن من دون أن تصب علي كل غضبك اتفقنا"

نفخ خديه ليقول:

"ماذا"

ابتسمت لتقول:

"كنت أمزح معك فقط، أنا سليمة"

نظر لها بصدمة وما لبث ليتحول إلى غيظ كبير، نهض ليمسكها من يدها ويتحدث بغيظ و حدة:

"أسيل هل تريد أن أموت بسكتة قلبية أم ماذا؟ أجبي"

هزها بعنف لتتأوه وقد شعرت بغضبه لتقول مدافعة:

"صدقني هذه ماريما هي من قالت أن أفعل ذلك"

عض لسانه بغيظ ليتحدث بغضب مكتوم:

"أها هي من قالت لك أن تفعلي ذلك"

حركت رأسها بإيجاب ليحرك رأسه ويتوعد لماريا بأشد العقاب، جرها ورائه إلى السرير ليدفعها بقوة وتتأوه قليلاً، اعتلاها ونظر لها بغضب لتبتلع ريقها وعلمت بأن ليلتها لن تمر على خير، تحدث أسر بهمس:

"ستنالين عقابك"

اقترب منها والتقط شفيتها بقبلة عميقة وقوية لدرجة أن شفيتها نزفت، ابتعد عنها ليرى دمعة ساخنة سالت على خدها ليمسحها بإبهامه ويلاص أنفه بأنفها ويقول:

"أنا أسف"

عاد لتقبيلها مرة أخرى ولكن كان هادئ جداً لتبادله هي من بعدها ويتعمقا بالقبلة، رحلا لعالمهما الخاص، عالمهما الذي يشوبه الدفء والحنان والعشق اللامنتهي لديهما، لم يعكس شخصيته الحادة عليها بهذه الليلة بالذات وهي بين يديه، احترم بأنها ليلتها الأولى وكان بيثها حبه وحنانه، بينما هي فقد رأت الجانب اللطيف والمحب منه، لم تعلم بأنه بتلك الحنية والهدوء، يهيمن ببعضهما أكثر وأكثر، غير أبهين للعالم الخارجي ومن فيه، فقط هو وهي.

"تحقق الحلم"

أصبحت حبيبي الآن بين يدي

تركت أهلك من أجلي وجئت إلي

وبأمر الله وسنة نبيه أصبحت سيدي وصياً علي

تحقق الحلم

لم يعد يقف شيء بيني وبينك

لم يعد باستطاعة أحد أن يمنعني من رؤيتك عندما تشتاق إلي

وصارَ باستطاعتي أن أختبئَ منكُ حتى تبحثُ عني بلهفةٍ عاشقٍ إلي

-----

بينما عند يوسف وشهد، جالسان في غرفتهما، التوتر ظاهر على شهد، بينما يوسف لم يحدب إخافتها منه أو الاقتراب منها لذا بدأ يحدثها بأمر عدة كي يزيح التوتر عنها، هدأ من روعه قليلاً فهو خائف أكثر منها، لا يعلم لما، علماً بأنه كان زير النساء وكان الأمر طبيعي جداً له ولكن الآن الوضع مختلف، فهي محبوبته وزوجته وكل شيء في حياته، لذا ستكون معاملته معها مختلفة تماماً، محمم ليقول:

"حبيبتى هل تريدين النوم"

ابتلعت ريقها بتوتر لم تعلم بماذا تجيب، حركت رأسها نافية بصمت، هو لا يريد أن يخاف منه أو أن يجبرها على شيء، زفر بقوة وهو لا يعلم كيف يتعامل معها، أيقرب أم لا؟ يريد أن تعطيه الإشارة الخضراء فقط ومن بعدها تسهل أمره ولكنها صامته لا تبدي أي ردة فعل، اقترب منها وحاوط خصرها بيديه وابتسم لها لتبادله الابتسامة بتوتر ليقول بهدوء:

"شهدي حبيبتى أعلم بأنك متوترة جداً ولكن أنا لن أجبرك على شيء، كوني مطمئنة اتفقنا"

ابتلعت ريقها وحركت رأسها بإيجاب ليردف:

"حسناً هيا إلى النوم"

توجهها سوياً للسريير وتمددا ليناما، اقترب يوسف منها وأحاط بذراعيه جسدها الصغير، بينما هي أغضت عيناها وكانت تشعر بالخجل، لم تعلم ماذا تفعل، أتوافق أم لا؟ فهو لا ذنب له، هو رجل ولديه رغبات وهي زوجته وعليها أن تطيع رغباته، عقدت حاجبيها بحيرة ولم تعلم ماذا تصنع، هي لا تشعر بالخوف بوجوده ولكن الحادثة التي حدثت معها جعلتها تخاف من العلاقة الزوجية ذاتها، رفعت نظرها لترى يوسف مغمض العينين ويده تعبت بشعرها، بحركة لا إرادية منها بدأت تعبت بشعيرات صدره العاري، فتح يوسف عينيه وبدأ قلبه يطرق بعنف، اقشعر بدنه من لمستها، ظل ساكناً وهو يفكر هل يعقل بأنها تريده أم هي حركة عفوية، ظلا على حالهما مدة قصيرة لينظر لها يوسف وترفع رأسها لتتلاقى أعينهما، ابتسم لها ابتسامة جانبية لتبادله، تجرأ ونزل لمستواها ليلتقط شفثيها بقبلة هادئة ومحبة، بينما هي صدمت أولاً ولكن بعدها تخدرت لتبادله فوراً، مزيج من المشاعر كان يشعر بها يوسف كأنه يحلق في السماء، شعور لا يوصف اجتاحه عندما قبلها، نعم لم تكن أول امرأة يقبلها ولكن شهده حالة خاصة وكنلة جمال تخصه، أما شهد كانت غارقة معه لأبعد حد وتشعر بالسعادة التي لا توصف، ابتعد عنها قليلاً وبأنفاس لاهثة وصوت متهدج تحدث:

"هل تسمحين لي"

رأت نظرة الرغبة والحب، حركت رأسها بخجل ليبتسم بسعادة ويعاود تقبيلها من جديد، لم يشعر بالرفض منها بادلتته وتجاوبت معه، كان حريص جداً عليها، يبيثها أنواع الغزل والحب أثناء فعلته معها، يهيم بها ويخاف عليها ويعاملها برقة كأنها لوح زجاج شفاف يخاف أن ينشعر أو يكسر، احترمها وعاملها بروية، يشعر بالسعادة وهي بأحضانها ومتجاوبة معه، لا يصدق بأنها بين يديه وبارادتها، رحلا سوياً لعالمهما الخاص ليعزفان أحلى الأنغام بحب وحنان ومشاعر متبادلة.

"خلوتي"

ملاكي

إفتحي ذراعيك ودعيني أتوه

دعيني أنسى نفسي ومَن أنا

وأخذُ

جرعة مُفرطة منك "

---

بعد مرور أربعة سنوات:

يخرج ذاك الشاب، يرى النور ويرى الشمس، يأخذ نفساً عميقاً مستمتع بحريته، ولكن خرج ولا يعلم إلى أين ينتمي ولمن ينتمي، ليس له أحد، تخلت الجميع عنه، أو بالأصح هو من تخلى عنهم لأنهم لم يصلحون له، يفكر بينه وبين نفسه، أضغاث زمن هاربة من سجن الزمن، صوته مخنوق بين قضبان ذاته، وتنهيدات روحه وصفعة الأيام على أعتاب قلبه، لا يمكنه الكلام، فصوته ضاع بين الزحام، قلبه الآن أضحى غابة محترقة تماماً، لم ينجو منها سوى أشباح الماضي، الساعة تدق في داخله الآن، وساعة الحائط غير موجودة، وساعة يده مركونة على الرف، وساعة الزمن تدور لتعلن أن الوقت قد انتهى في الماضي، تعطلت ساعته الوحيدة لنفاذ بطارية التشغيل مع أول يوم سجن فيه، وكبلت يده السلاسل لتكبل معها مصير حياته، ومستقبل أيامه التي بقيت من الماضي، وأضحى الماضي هو الحاضر والمستقبل بعد الإفراج عنه.

الماضي لدى محكمة الجنايات الكبرى للزمن، يتربص لحظة تنفيذ الإعدام لكل شيء، لكل الأحلام الوردية، الماضي قاضي ظالم، وحاكم ظالم، وبشر ظالم، وزمن ظالم، ومجتمع ظالم بالنسبة له، الماضي ابتسامة صفراء تسللت إلى شفاه ممنوع عليها الكسب الحرام في زمن الحرام، الماضي بكارة قلب فضت باسم الشرف بزمن اللاشرف، الماضي طلقة نارية طائشة من سلاح غير مرخص يصيب الهدف من أول مرة، الماضي قاتل غير مستفيد من أسباب التبرير في قانون عقوبات يرفض الجريمة في زمن الجريمة والإرهاب.

هل سيجد مأواه بعد خروجه من السجن؟ وإن لم يجد من يتوهمه سيعود لقضبان السجن في عزلته ووحده وهذا سيكون أفضل بالنسبة له، لقد ظلم وظلم، قتل نفس بغير حق ونال جزائه، خرج بعد أربع سنوات من عذاب

وشقاء السجن، حكم بسبع سنوات ولكن نظراً لحسن سلوكه وتوبته الصادقة أصدروا عفواً وقد شمله لبداية حياة جديدة وأشخاص جديدة، تاركاً الماضي خلفه ورامياً كل شيء وراء ظهره.

تنهد بقوة متجهاً إلى منزله، لم يمضي وقت طويل ليصل إلى منزله الذي هجره منذ أربع سنوات ونصف تقريباً، دخل ليراه مظلم وهادئ، شعر بوهلة منه، لم يحبه ولم يطيقه، دخل إلى غرفته التي كان يمكث فيها، ما إن دخل حتى تذكرها وتذكر رائحتها التي تغلغل في كيانه، هبطت دموعه دون سابق إنذار، يتمنى لو أن يعود الزمان للوراء لكان أفضل وأحسن من ما هو عليه ولم يكن ليخسرها، مازال يحبها ولكنه اقتنع بأنها ليست له، مسح دموعه بباطن كفه ليبدأ ويتلمس صورتها التي ظلت معه منذ أن رحلت عنه، يتأملها ويتأمل براءتها، يفكر هل تزوجت أم أنها مازالت عذباء؟ هل كلفت وأصبح لديها رجل تسلمه جسدها بكل حب؟ وهذا الرجل هنا يحترق من داخله، ابتسم بسخرية على تفكيره الساذج، تنهد بعمق ونظرة البرود تحيطه، قرر الابتعاد ولم يعد يريد المكوث هنا، سيسافر ويترك كل شيء، سيبدأ حياة جديدة بعيداً عن كل وجع وكل حزن، نهض ليرتب أموره وهو عازماً على السفر دون عودة.

-----

في المساء بعد أن رتب جميع أموره وحجز بالطائرة المتوجهة إلى تركيا حصراً، يتنهد بعمق، قلبه يدق بسرعة، يريد الابتعاد والطمأنينة، لا يريد شيئاً سوى راحة البال، حزم أمتعته وخرج لينتظر سيارة أجرة تنقله إلى المطار، بينما كانت من الجهة الأخرى فتاة تنتظر سيارة أجرة أيضاً، لتأتي سيارة أجرة وبهم الشاب والفتاة بالركوب بالسيارة سوياً، نظر لها عاقد الحاجبين باستغراب وهي كذلك ليقول:

"لو سمحتي يا أنسة أنا من ركبت قبلك لذلك تفضلي بالنزول"

تحدثت الفتاة والتي تدعى فرح ذات الاثنان والعشرون عاماً لتقول بامتعاض:

"لا يا أستاذ أنا من ركبت قبلك وأنت من سينزل وليس أنا"

زفر بقوة وهو يحاول تهدئة أعصابه لأنه صدقاً ليس له المزاج الجيد كي يناقش ليقول بثبات:

"الأفضل لك أن تنزلي يا أنسة ومن دون نقاش لأنني أنا من ركبت قبلك هيا إذا سمحتي"

اغتاظت فرح من طريقة كلامه لتقول بقليل من الحدة:

"قلت لك لن أنزل ولن أتزحزح من مكاني، وأنت يجب أن تنزل هيا إذا سمحت"

احتقن وجهه وتصاعدت الدماء لوجهه ليقول بنفاذ صبر:

"واللعنة لما لاتفهمين ها؟ لا تسببين لي الصداع، هيا انزلي واركي بغير سيارة"

احتدت ملامحها ونفخت خديها بغضب، وكل هذا الحديث يسمعه سائق التوكسي والسيارة متوقفة، تدخل السائق ليقول كي يحل هذه المشكلة:

"عذراً على تدخلتي ولكن إلى أين وجهتكما أنتما الاثنان"

تحدثا بصوتٍ واحد:

"إلى المطار"

نظرا لبعضهما باستغراب لبيتسم السائق ابتسامة خفيفة ويقول:

"حسناً هل تمانعان الركوب معاً وإصالحكما أنتما الاثنان في نفس الوقت بما أن طريقكما واحد"

لم يعترض وائل ولا حتى فرح، ظلا صامتان وقد علم السائق إجابتهما لينطلق متجهاً إلى المطار.

---

في المطار

يجلس وائل منتظراً نداء طائرته، بينما تلك الفتاة تجلس أمامه في المقعد الأمامي وهي تتابعه بعيناها، تنظر له ولملامحه الرجولية، شعرت بالإحباط كونها تحدثت معه بتلك الطريقة الغبية، بينما وائل كان جالساً بصمت، شعر بنظرات تلك الفتاة وبدأ ينظر لها بطرف عينه، يتأمل ملامحها من دون أن تنتبه، ابتسم من عيناها عندما رأى لون شعرها البندقي ليتذكر لون شعر أسيل فوراً، تذكر أيضاً طريقة حديثها وامتعاضها، ك طريقة حديث أسيل وغضبها وعنادها، زفر بقوة ونظر للأمام ليراها متجهة له بحياء، ضيق عيناها عندما رآها جلست بجانبه، تعجب من فعلتها لتحمحم هي وتقول:

"أنا أسفة على الإزعاج ولكن أريد أن أعذر على طريقة كلامي في السيارة، لقد كنت أمزح فقط"

ضحك ضحكة رنانة على توترها وحديثها ليقول:

"تمزحين؟ وهل تعرفيني حتى تمزحين معي"

توردت وجنتيها من حياها وغبائها الشديد لتقول بتوتر:

"مم لا، لا أعرفك أعني أنني لم أكن أقصد فقط"

همهم ليقول بابتسامه:

"حسناً لا بأس، وأنا أعتذر أيضاً منك، بالمناسبة ما اسمك"

ابتسمت بخجل لتقول:

"اسمي فرح وأنت"

اتسعت ابتسامته ليقول:

"وائل، اسمي وائل"

همهمت لتقول:

"تشرفنا"

حرك رأسه بإيجاب لتردف له:

"مم إلى أين وجهتك؟ أقصد إلى أين ستسافر"

تحدثت وائل بهدوء:

"إلى تركيا"

ضحكت ضحكة بلهاء لتقول:

"واوو وأنا أيضاً، يبدو أننا سنصبح أصدقاء"

ابتسم لها بلطف ليقول:

"أجل لا مانع لدي، يسعدني ذلك"

اتسعت ابتسامتها وحركت رأسها ببلاهة، بينما هو ابتسم بتهكم على طلاقها وعفويتها واسترسالها في الحديث، صدح نداء الطائرة ليتوجه كل من وائل وفرح إلى الطائرة، جلسا بجانب بعضهما، وأقلعت الطائرة، بدءا بالتعرف شيئاً فشيئاً والأحاديث العادية جداً، استطلق وائل تلك الفتاة جداً على ظرافتها وحديثها المسلي، بينما فرحت كثيراً بالحديث معه وشعرت بانجذاب كبير له، كانا يتحدثان بأمور عدة وقد نسي وائل كل همومه بحديثه معها.

مضى وقت طويل ليصلان إلى تركيا وهبطت الطائرة معلنة عن وصولها، نزلا سوياً ومازالا يتحدثان ويضحكان وقد أصبحا أصدقاء بالفعل، تبادلوا أرقام الهواتف ورحل كل منهما إلى وجهته موعودان بلقاء آخر قريب جداً.

-----

مر أربعة أشهر على صداقتهما ومازالا يخرجان مع بعضهما البعض، شعر وائل بشيء من الحب تجاهها ولكنه خائف من المبادرة، بينما هي كانت مشاعرها أقوى بكثير فهي من اللقاء الأول بينهما وهي واقعة له ولعيناه الزرقاء، تقرح كثيراً عندما يحدثها بأموره، تطير من سعادتها عندما تسمع صوته الرجولي، تتأمله كل مرة بلقاءها به، بينما هو اعترف بأنه وقع لها وأعجب بها، ولكن ما زالت محبوبته السابقة تسيطر عليه وتخطر على باله في أغلب الأوقات، يريد التقدم في حياته ونسيانها لأنه علم من مصادره الخاصة بأنها تزوجت وقد أنجبت من زوجها أيضاً، هو لم ينساها أبداً عندما كان في السجن وكان دائماً يتذكرها وتخطر على باله إلى حد الآن، يريد أن يعيش حياة هادئة طبيعية وأن يعيش مع التي يحبها ولكن ليس قبل أن ينسى أسيل، هو يريد فرح ولكنه لن يظلمها معه، ما زال يفكر بأسيل وهو لا يريد أن ينساها بفتاة أخرى.

---

تذهب أيام وتأتي أيام وما زال وائل على معرفة بفرح، جاءت فترة من الزمن وانقطعت أخبارها عنه وعندها شعر بشيء ينقصه وحزن جداً عندما علم بأنها عادت لبلادها ولكنها عادت بعد أسبوعان، وقد فرح جداً بروجوعها وأقسم على أنها زينت حياته وأفرحتها.

---

يقف أمام المرأة يعدل من هيئته، يضع من العطر الخاص به وهو بكامل أناقته، حسم أمره وسيجعلها ملكه، لن يضيعها من يده بعد أن التقى بها، يتنهد بقوة ويتجه لها بعد أن طلب منها موعد خاص، بينما هي تزين نفسها وتخرج بكامل أناقتها، اختارت فستان ناعم وجميل باللون الأزرق كلون عيناه التي تعشقها، تتوجه له وهي بكامل أنوثتها، كان ينتظرها بالأسفل في سيارته، تمشي بخطوات وثقة ورزينة، وهذا ماجعل من وائل يصير على قراره، ابتلع ريقه وبدأت حرارة جسمه بالغلجان، ركبت بجانبه لتلقي عليه التحية ويتجه بها إلى وجهته، لم يمضي وقت طويل حتى وصلا إلى شاطئ البحر، يقف أمامها بجمود ولكن داخله قلق وخوف، يحاول جمع كلماته بينما هي تتابعه بعيناها الزيتونية الممزوجة بالعسل، تحاول أن تكتشف ما يريد قوله، زفر بقوة ووضع يده على وجهه تعبيراً عن توتره، ابتسمت ابتسامة خفيفة وقد ظهرت غمازتيها الصغيرتان لتقول:

"ما بك أبو اللول"

نظر لها رافع الحاجبين ليقول باستنكار:

"ماذا قلتي فرح"

ضحكت ضحكة صغيرة لتقول:

"أبو اللول، ما رأيك بهذا اللقب؟ أو ممم لولي ها ما رأيك اختر واحداً"

امتعض وجهه ونظر لها بغيظ ليقول بغضب مكتوم:

"لا أحب الدلع، اسمي وائل وانتهينا"

قلبت شفيتها السفلى وقد نظر لها وائل ولفنت نظره، عض على شفته السفلى من دون إرادته، بينما هي رآته ورأت نظرة الرغبة بعيناه لتخفض رأسها خجلاً، تنهد بقوة وقال بهدوء:

"حسناً سأحدث وأنت بعدها تعطيني الجواب النهائي اتفقنا"

عقدت حاجبيها لتقول ببراءة:

"لم أفهم"

تسارعت أنفاسه وحدث نفسه (واللعنة لا تنظري لي هذه النظرة، يا إلهي أعني يارب)، زفر بقوة ليتحدث بهجوم:

"هل تقبلين الزواج بي"

شهقت بقوة ونظرت له بصدمة، لم تصدق ماقاله وما طلبه لتقول بصدمة:

"أعد ماقالته"

عقد حاجبيه ليقول:

"ما بك؟ قلت هل تقبلين الزواج بي"

ظلت مصدومة من حديثه، نظر لها باستغراب ليقول:

"ما بك لما تنظرين هكذا؟ اها واضح بأنك لن تقبلين، حسناً سأغير رأيي"

شبهت بقوة لتتقدم خطوة منه وتمسكه من ياقة قميصه وتقول:

"تغير رأيك في ماذا أيها المجنون"

نظر لها وهو متعجب منها بشدة، رمش عدة مرات وتسارعت أنفاسه من اقترابها، ظلت سارحة بعيناه الزرقاء، لم تعلم كيف ومتى تجرأت لتتقدم منه وتمسك رأسه بكلتا يديها بلطف وتقبله قبلة عميقة، جحظت عينان وائل بقوة ولم يصدق بأنها هي من بادرت بهذا الشيء، ابتسم أثناء القبلة وأغمض عيناه مستمتعاً بهذه اللحظة، وأقسم على أنه أسير لعيناها ولها بالكامل وبأن هذه الفتاة ستقوده للجنون بعفويتها وبرائتها، فصلا القبلة لتبتعد فرح وتعض على شفتها السفلى من شدة خجلها وغيابها، لعنت نفسها على تسرعها وعفويتها، تقدم منها وائل ليمسكها من خصرها ويقول بصوتٍ متهدج:

"لم أسمع جوابك"

نظرت له بحب لتبتسم له وتقول:

"موافقة"

اتسعت ابتسامته وحملها ليدور بها وهما يضحكان، أمضيا أجمل يوم في حياتهما وقد قررا إقامة حفل زفافهما في الأسبوع المقبل، وصل بها إلى أمام منزلها، توقف بسيارته لينظر لها وقد كان وجهه جامد، شعرت بجموده لتقول:

"ما بك وائل"

تنهد بعمق ليقول:

"اسمعيني جيداً فرح، إذا كنتي تريدين إمضاء بقية حياتك معي فلا أريدك أن تسأليني عن ماضيي أبداً، أنا لست ملاك وقد مررت بتجارب كثيرة وخاطئة أيضاً وها أنا قررت بأن أمضي وأتقدم في حياتي معك أنت فقط، فهذا كل ما أريده منك لا أريد التحدث عن الماضي أبداً اتفقنا"

ابتسمت بلطف وأمسكت يده وقبلتها قبلة لطيفة لتقول:

"حبيبي لا يهمني أي شيء من الماضي ولا يهمني كم أخطئت وكم أذنبت، كل ما يهمني هو أن تظل بجواري لأجعل حياتك جنة ونعيم، صدقني لن تهون علي وسأحافظ عليك بقلبي وبكامل قوتي وسننسى كل الماضي لنبدأ صفحة جديدة وبداية جديدة"

نظر لها بأعين دامعة، أل هذه الدرجة تحبه ومتعلقة به؟ أل هذه الدرجة متقبلة حاله ومزاجه؟ علم بأنها هذه هي الفتاة التي ستهتم به وتنسيه ألم الماضي الذي مر به، ابتسم لها ابتسامة واسعة واقترب منها ليلتقط شفيتها ويهيم بها وبحبها أكثر فأكثر.

أنقاط متفرقة، متناثرة، تشكل سوياً اللوحة مكتملة، أجزاء متفرقة تتشابك لتصنع لوحة، قصيدة، لحناً، أو حياة أحداث متباعدة تتقارب، مواقف تتلاحم، قصاصات تتناثر في الهواء، نفحات تحمل خبراً، نسمات تعبر الروح، ودقات تنبئ القلب بما يريد أو لا يريد، نقول عنها صدفة، علامة، نقول نصيب، والأصل فيها قدر، والحدوثة مكتملة تشكل لنا جميعاً كل الأقدار، قدر يسعدنا أو يشقينا، يفرحنا اليوم ويبكيها غداً، فما ترى حلته اليوم قد يزداد بياضه مع الايام، وماترى فيه النور قد تشتد ظلمته، وماترى فيه الحياة يأتي لك بالفناء، وماتأمل في زواله يمسى لك كل الحياة، مجموعة صدف متناثرة، علامات على الطريق، إشارات غامضة لاندركها في حينها، قصاصة ورق صغيرة تغير مجرى الحياة، غريب على الطريق، لحن خافت يحمل وميضاً في اتجاه معاكس، مجرد صدفة تجعل الغريب قريباً والحلم وهماً والأيام مجرد حياة، وصدفة ستجمعك بها فتأتي أجيالاً من بعدها، والأصل في القدر أن نستمتع به إلى أن يتبدل، وعند أكمال الصورة نرى الوجود جميلاً ولم ندركه في حينه، والربيع صحوً وكنا ننتظر الخريف والشتاء قارصاً في انتظار نسمات الصيف، فلا رأينا جمال الصقيع، ولا أدركنا نفحات الربيع، ولا استوعبنا سر الحياة.

" حين سأحدثُ عن جمالِ الصُدفِ

سأكتفي بِ تلكِ الصدفةِ

التي جمعتني بِك "

ممددة على سريرها، تنام بعشوائية، منذ أن تزوجت وهي لم تبطل عادة نومها العجيبة هذه، وذلك الروميو يتابع تفاصيل وجهها بابتسامة هائمة، حركها بخفة لكي تستيقظ ولكن لا حياة لمن تنادي، تمتعض بوجهها ويضحك عليها زوجها، اقترب من أذنها ليتحدث بنبرة هائمة:

"أعشقتُ يافتاة"

ابتسمت وهي مغمضة العينين لتتسع ابتسامة باسل ويردف لها:

"ها انهضي أريد قبلي"

نهضت بنصف جسدها وبعينان نصف مفتوحة لتقول:

"أنت لا تشيع أبداً، لن أعطيك أية قبلة ابتعد"

جاءت لتنهض ولكن يده التي أمسكت بها منعته من ذلك، تعلق بها وكأنها أمه ليقترب ويقبلها قبلة صغيرة على رقبته لترتعش إثر قبلة، ابتسم وهو يدفن وجهه برقبته ويستنشق عطرها، تحدث بصوت خافت:

"هيا أريد قبلي"

ابتسمت واقتربت وأمسكت وجهه بكلتا يديها لتقبله ولكن صوت أحد صغير جعلهما ينتفضان ويبتعدان عن بعضهما، شهقت ماريا عندما رأت ابنتها لين ذات الثلاث سنوات أمامها والتي أخذت تفاصيل وجمال والدتها، بينما باسل كز على أسنانه وتمتم بحلق:

"يا إلهي ما الذي جاء بك أيتها القردة"

ضحكت ماريا ضحكة رنانة لتجعل ابنتها تقترب شيئاً فشيئاً وترتمي في أحضانها، تحدثت الطفلة بنبرة ناعمة:

"مامي أريد الحليب"

ابتسمت ماريا ابتسامة واسعة بينما باسل ظل محتقن الوجه لتقول:

"حسناً ياروح مامي وقلبيها"

نظر لها باسل بغیظ ليقول:

"هيا أريد أن أتناول الفطور"

ضحكت ماريا لتقول:

"حسناً حبيبي ولكن ليس قبل أن أعطيه الحليب ياقلب ماريا"

نظر لها بغیظ وكز على أسنانه، بينما تلك الطفلة تنظر لوالديها ببراءة وتتابع الحديث وهي غير مستوعبة شيء، نهضت ماريا لتحضر لابنتها الحليب الخاص بها، بينما باسل كان يتابعها ويتابع حركتها بنظرات هائمة، استغل عدم وجود ابنته والتي كانت تجلس في الصالة تتابع الرسوم المتحركة الكرتونية ليقترب منها ويحاوط خصرها وهي معطية له ظهره، جفلت ماريا ومن بعدها ابتسمت، ليتحدث بجانب أذنها:

"هيا أريد قبلي، تلك القردة أتت في الوقت الخطأ عندما كنا في غرفتنا"

استدارت له وهي عابسة لتقول:

"لا تقول عن ابنتي هكذا أفهمت"

همهم لها ليقول:

"حسناً والآن أريد قبلي"

ابتسمت له واقتربت لتطبع قبلة على شفتيه ولكن ابنتها جعلتها تبتعد فوراً، جاءت لين لهما وتحدثت:

"ماذا تفعلان"

ابتلعت ماريا ريقها بينما باسل كتلة الغضب كاد أن يقتلها، كور قبضته وعض على يده وأخرج صوت معبراً عن حنقه وغضبه، التفت لابنته ونظر لها بغضب بينما هي كانت تنظر له ببرائة وتضع إبهامها الصغير في فمها، احتقن وجهه وخرج من المطبخ بالكامل، بينما ماريا كانت تحاول كتم ضحكتها، وما إن خرج حتى انفجرت ضاحكة وقد شاركتها لين بالضحك وهي لا تعلم شيء فقط تضحك مع ماريا.

" شفتاك تُثملني كعشرين كأس خمر

فـ حينَ تمرُّ على أطرافِ شفتي تذبُّ وتتمزق

فـ بِشفتيك ينسكبُ هذيانِ جنوني

سأمارسُ شريعةَ العشق بينَ شفتيك

وسأغتالُ أنفاسك وأروبيها من سحر رجولتي

فـ حينَ أشتأفك أركضُ بشوقي وأغمركِ بقبلةٍ عميقةٍ منبعها الشوق

أدمنتُ شفتيك "

-----

يوسف وشهد

ذلك العاشق الولهان الذي يبث محبوبته كل أنواع الغزل والحب والرومانسية، لم يحزنها يوماً، كان دائماً يساندها ويساعدها بكل شيء، يحمد الله ويشكره على هذه النعمة التي وهبها إياها، تنام في أحضانها كل ليلة، لا يغمض له جفن إلا عندما يتأكد بأنها نامت وذهبت في نوم عميق، يتأمل تفاصيل وجهها وبراعتها، منذ أربعة

سنوات وهو لم يفارقها أو يجرحها بكلمة واحدة، ينظر لها وهو يكاد لا يصدق بأن محبوبته معه منذ أربع سنوات، وطبعاً اليوم عيد زواجهما وقد جهز يوسف وأسر كل شيء من أجل الاحتفال في هذه الليلة المميزة.

اقترب منها وطبع قبلة صغيرة على وجنتها وهو مبتسم، ولكنه عيس عندما لم يرى منها أية ردة فعل فهي نائمة، حركها بخفة لكي تستيقظ ولكن لم تستيقظ، خطرت على باله فكرة لينهض ويجلب كتلة البرائة من غرفتها وهي ابنته الصغيرة جوري ذات السننتين ونصف، وضع ابنته على السرير وهسهس في أذنها بأن توقظ والدتها، لتقترب جوري من والدتها وتضرب على وجنة شهد بيدها الصغيرة، عقدت شهد حاجبها وبدأت تهمهم، فتحت عيناها ببطء لترى ابنتها أمامها تجلس وتبتسم لها ببلاهة، ابتسمت لها شهد ابتساماً واسعة لتقول لها:

"كيف جئتني إلى هنا يا حلوة"

نظرت لها جوري ببرائة وأشارت إلى والدها الذي كان يتابع الموقف بابتساماً واسعة، التفتت له شهد لتبتسم وتنهض وتتجه إليه، وضعت يديها على رقبتة لتقول:

"دائماً تفعل ذلك لن تبطل عادتك"

اتسعت ابتسامته ووضع يديه على خصرها ليقتررب ويطلع قبلة سطحية على شفيتها ويقول:

"صباح الخير يا أجمل امرأة في حياتي"

ضحكت بلطف لتقول:

"صباح الخير على رجلي وسندي"

تحدث بنبرة هائلة:

"لدينا سهرة طويلة اليوم"

أخفضت رأسها بخجل وعضت على شفيتها السفلى ليبتسم لها ويقبلها قبلة سطحية غير مبالين بتلك الطفلة التي تتابعهما، اقتربت منهما ليبتعدان عن بعضهما وتشهق شهد كونها نسيت أمر ابنتها، نظرت لها ونزلت لمستواها لتقول:

"حبيبتي مابك"

تحدثت الطفلة ببرائة:

"أنا أيضاً أريد اممواه"

انفجر يوسف وشهد بالضحك عليها، ليقترب يوسف ويرفعها ليهبط هو وشهده وابنته الصغيرة إلى الأسفل كي يتناولان فطورهم بسعادة تامة ونظرات هائلة.

" حبيبتني

أنت الدنيا وما فيها

أنت المعنى لكلمة همس

أنت رحيقُ الزهور ونورِ الفجر

أنت الندى بالمطر ونسيمك عطرُ آخاذ

أنت شراعِ النجاة بقلب البحر

أنت الملاكُ البريء بين البشر

أنت صدفةً من ترتيبِ القدر

أنت التي برموشي أداريها

أنت شمسي تُضيئُ لي الظلمات

حبيبتني يا أجملُ نساءِ الأرض "

---

كان ليث غارقاً في النوم

شعر بأحد يوقظه ولكنه لم يبالي، عقد حاجبيه باستغراب من ذاك الطفل الذي يقف عند مستوى قدماه ويشد بنطاله وهو يبكي، فزع وظن بأن ابنه حدث له شيء اقترب منه والتقطه ليجلسه بحضنه وينظر له بعيون ناعسة، نظر له الطفل ببرائة وبأعين دامعة ليحدثه ليث:

"ما بك صغيري"

تحدث جود ذو الثلاث سنوات والذي أخذ جمال عيني أبيه ليقول بنبرة طفولية:

"ماما"

عقد ليث حاجبيه ليقول:

"حسناً أين ماما"

قلب شفته السفلى ومد يده وحركها في الهواء ليرفعه ليث ويمسك جود بخصلات شعر أبيه ويشدها، تأوه ليث بخفة ليقول بانز عاج:

"ماذا تريد أيها القرد؟ وأين والدتك زوجتي وحببيتي؟ وكم الساعة الآن"

وضع الطفل إبهامه بفمه ونظر له ببراءة وهو غير مستوعب كلام أبيه تماماً، بينما ليث ينظر له بتعجب لينفخ خديه بقوة، حمله وهبط به إلى الأسفل ليرى محبوبته تعد الفطور لهما، ابتسم وتقدم منها ويده يحمل طفله ليقترب منها ويطلع قبلة دافئة على رقبتها، شهقت رنيم بقوة لتلقت إلى زوجها وتقول:

"يا إلهي لقد أروعبتني، ما بك ليث؟ محم على الأقل"

ضحك ليقترب ويطلع قبلة صغيرة على وجنتها ويقول:

"صباح الخير جميلتي"

ابتسمت باتساع لتقول:

"صباح الخير حبيبي، هل جود أوقظك"

همهم لها ليقول:

"أجل هذا القرد كان يبكي ويشد لي بنطالي أيضاً"

ضحكت ضحكة خفيفة بينما جود كان وما زال بيد أبيه، ويحمل رضاعة الحليب الخاصة به كطفل ويشرب منها، ابتسم ليث ليترك جود من يده وينزله أرضاً ويحدثه:

"هيا اذهب إلى الصالة وسنأتي أنا ووالدتك بعد قليل"

نظر له جود ليقول بنبرة طفولية:

"ماذا ستفعلان"

ابتسم ليث بمكر ونظر لرنيم التي كانت ملتفتة لإعداد الفطور، ليقرب منه ويحدثه بهمس:

"سنجلب لك ولد صغير، سيصبح لك أخ اتفقنا"

ضحك الطفل ضحكة بريئة وحرك رأسه بإيجاب ليركض إلى الصالة، بينما ليث نهض وابتسم بمكر ليقرب من محبوبته ويحتضنها وهي معطية له ظهرها، ابتسمت ووضعت يداها على يديه، اتسعت ابتسامتها عندما شعرت بأنه يقبل رقبتها قبل متفرقة لتقول ضاحكة:

"ابتعد كي لا تفسد أخلاق الطفل"

تحدث ليث بهمس:

"أريده أن يكون مثل أبيه في الانحراف، ثم أنه هو ليس هنا لقد صرفته لا تقلقي"

هممت رنيم لتستدير له وتحاوط رقبتها لتقول:

"مم وماذا تريد الآن"

ابتسم بمكر ليقول:

"أنت تعلمين ماذا أريد"

ادعت البراءة وعدم الفهم لتقول:

"لا، لا أعلم"

همم ليث بمكر واقتررب ليطبع قبلة على شفتيها الوردية ويقول:

"أريد مانفعله كل يوم مساءً"

شهقت لتقول:

"ابتعد لا أريد ثم أن جود مستيقظ"

تحدث ليث بهمس:

"لا تقلقي هو مشغول الآن بمشاهدة التلفاز"

أنهى جملته وحملها بينما هي شهقت وبدأت تركز أرجلها بالهواء، طبعاً ليث غير مبالي لحقها وعدم رغبتها ليصعد بها إلى الغرفة ويتوجه بها إلى السرير، وضعها بخفة بينما هي ضربته بخفة على كتفه لتقول بحنق:

"لا تكن هكذا، لن أترك جود بمفرده هيا ابتعد"

لم يبتعد وإنما انقض على شفيتها بقبلة عميقة لتستسلم له وتتهدم حصونها أمامه لتبادله القبلة برحابة صدر، تعمقا أكثر فأكثر ليرحلان سوياً لعالمهما الخاص.

"حبيبتى لا أجدُ لوصفها حدًا يُرام

فلمثل جمالها خلق العَرام."

آسر وأسيل

ذاك العاشق الولهان المتيّم بمجنونته، حياته كانت عبارة عن كتلة برود وجفاء، ولكن من بعد دخولها لحياته لونتها له بألوان الطيف السبعة، وصل إلى حد الهوس بعشقه لها، لا يستطيع فراقها، هي حياته بأكملها، هي نبض قلبه، هي عروق يديه، هي عمره الماضي والحاضر والمستقبلي، يظهر محبته لها في الكلام وتظهر محبتها في الدموع والقبلات، وإن هبطت دموعها تجده يمسحها لها، تحبه وكان الحب عندها ديناً وكان حبيبها وزوجها موضع التقديس والعبادة، يغار من كلماته حينما يهديها لها خوفاً أن تعجبها كلماته ولا يعجبها هو، لا يحبها لإنها مصدر راحته وإنما يحب راحته لإنها مصدرها، أحبها حباً لا يوصف، تربعت في قلبه وجعلت حبه وساماً على صدرها، أهداها حبه وقلبه وعمره، أصبحت كل شيء في حياته، أقسم على أنه لم ولن يستطيع على أن يشعر ويعيش إذا كانت الحياة خالية منها، هي أيضاً لا تنفك عن عشقه، فلو كانت تملك أن تهديه عيناها لوضعتها بين يديه، لو كانت تملك أن تهديه قلبها لنزعت من صدرها وقدمته إليه، لو كانت تملك أن تهديه عمرها لسجلت أيامها باسمه، حياتها معه كالأحلام كأنها في الجنة ذاتها، أجل هناك بعض الشجارات من أجل غيرة ومرض آسر من ابنه الصغير، يغار منه على زوجته، يهزأها ويغضب منها فقط لأنها تقبله لدرجة أنها تبكي في بعض الأحيان، تحزن منه وتلومه بجفائها وبرودها، يبكيها ويبكي لبيكائها، ولكنها تعود لأحضانها بهمسمة منه تجعلها تذوب فيه، يستقبل عنفها وغضبها برحابة صدر.

يحدق بها وهي مشغولة بتوضيب بعض الأمور، يراقب تحركاتها وأدق تفاصيلها، يبتسم بين الحين والآخر على تدمرها في بعض الأشياء، تنهد بقوة ليقترّب منها ويسحق عظامها في عناق قوي، لتبتسم بشدة علماً أنها تتألم من عناقه ولكن تستقبل عنفه برحابة صدر، فصل العناق ليمسك وجهها بكلتا يديه ويلامس شفّتيه بشفّتيها، يعلم بنقطة ضعفها ويعلم كم تكره هذه الحركة ولكنه يحب أن يرى غيظها، يحب أن يرى ضعفها أمامه، ابتعدت وجهها قليلاً لتعقد حاجبيها بغضب وتقول:

"أسر لا أحب ذلك"

ابتسم لها ليقول:

"ولكن أحب ان أرى غيظك"

مطت شفّتيها وامتعصت وهي تنظر للجهة الأخرى، تعلم جيداً إذا نظرت لعيناه سنتوه حتماً، مد يده ليداعب رقبتها وهو متعمد إغاضتها، لتصرخ صرخة صغيرة تعبيراً عن غيظها وحنقها منه، عبست وابتعدت عنه لتجلس على السرير مكتفة الأيدي وعابسة الوجه، ضحك على شكلها ليقترّب منها ويجلس بجانبها ليلتصق بها وهي معطية ظهرها له، طبع قبلة رقيقة على رقبتها الصغيرة بينما هي ابتسمت وصرخت بطفولية لينفجر ضحكاً على ضحكتها الصغيرة، تغار جداً عندما يقبلها من رقبتها، التفتت له وقرصته من وجنته لتقول:

"حبيبي كفاك مشاكسة"

رفع حاجبيه وهمهم فقط لتردّف له بترقب:

"حبيبي كم بالشهر اليوم"

ابتسم من عيناه وقد علم إلى ماذا تريد الوصول ليدعي البلاهة ويعقد حاجبيه ليقول:

"مم اثنان وعشرون لماذا"

رفعت حاجبها لتتحدث بغیظ:

"مم ولا تذكر شيء في هذا اليوم مثلاً"

ظل على حالة متعجباً ليقول باستغراب:

"لا، لا أنكر، لماذا حبيبتني؟ ماذا هناك"

نهضت واقفة واحتقن وجهها وتحدثت بغضب مكتوم:

"لا شيء"

أرادت المشي ولكن يده منعتها، أمسكها ليشدها إليه ويحتضنها وهو يدفن وجهه برقبته ليقول:

"هل تظنين بأنني سأنسى يوم سعادتي"

ابتسمت في العناق لتبتعد قليلاً وتقول:

"ظننتك نسيت"

تحدث بهمس:

"أخطئي"

ابتسمت بخجل ليقرب ويقبلها ولكن طرقات الباب جعلته يتوقف عن فعلته، احتقن وجهه ونفخ خديه بغضب لتتعالى طرقات الباب، تحدث بصراخ:

"اللجنة ألا يمكنني أن أمضي بعض الوقت مع زوجتي"

فتح الباب وقد رأى شيئاً صغيراً يمر من جانبه راكضاً إلى أمه، ابتسمت أسيل باتساع عندما رأت ابنها تيم ذو الثلاث سنوات يركض لها ويحتضنها، احتضنته وبتته حنائها، بينما هناك من يغلي من غيظه وكأن أذناه سيخرج منها الدخان، صرخ أسر بولده ليقول:

"هيا أيها الصغير، نريد الجلوس أنا والدتك بمفردنا، هيا اخرج"

عبس الطفل بوجه أبيه ليتحدث بنبرة طفولية غاضبة:

"لا لن أخرج"

مسح وجهه بكفه ليتحكم بأعصابه كي لا يركل ابنه خارج الغرفة، بينما أسيل شعرت بحنقه وغيرته وهي تعلم علم اليقين عندما يغار أسر سيبدأ بركان غضبه، تحدثت موجهة حديثها لطفلها:

"حبيبي هيا اخرج وسنلحق بك بعد قليل وسأعطيك شوكولا كثير اتفقنا"

حرك تيم رأسه بإيجاب وطبع قبلة صغيرة على وجنة والدته، نظر له أسر بغیظ وتابعه بنظراته وهو يتوجه إلى الخارج، أمسك أسيل وعانقها بقوة، عناق حب، تملك، عشق، فصلا العناق ليقول:

"ابتعدي عن ذلك الصغير، لا تقتربي منه من أجلي حبيبي اتفقنا"

ابتسمت ابتسامة هادئة لنقول:

"حسناً حبيبي كما تريد"

لانت ملامحه ليقترب ويلتقط شفيتها بقبلة قوية، فصلا القبلة فجأة عندما سمعا صوت ذلك الطفل وهو يقول:

"بابا يقبل ماما، سأقول لجدي"

أنهى الطفل جملته وركض بسرعة خارجاً من الغرفة، صدم كل منهما ليحتقن وجه أسر ويصرخ به:

"اللعة عليك سأريك أيها القرد الصغير"

ما إن أنهى جملته حتى انفجرت أسيل ضاحكة على شغب ابنها وغيره زوجها.

-----

في المساء كان الجميع مجتمعين في ساحة كبيرة، مزينة بأبهى الزينة وتخطف الأنظار، كان الحفل من النوع الفاخر، شعرت أسيل بالدهشة من جمال الحفل والزينة وكل شيء، فرحة الدنيا بالنسبة لأسيل استهلكت بالسعادة والوصال، عيدها الغالي يشرح خاطر من أربع سنين، زوجها الحاني حنو العطف والحب الحلال، ميلاد من حبه في قلبها تربح، ودعت به عام مضى وأقبلت به عام جديد.

أما شهد تلك التي عذبت فؤاد محبوبها ومنحته الانتظار الطويل لكي ينال وصالها، حياتها كالأحلام معه، زوجها وحبيبها بقربها، طفلتها بأحضانها، هذه هي السعادة بالنسبة لها، في كل يوم تعانق عيناها بعيناه، ترتشف شفيتها بشفتاه، تخبره نبضات قلبها كم تهواه، وكم تعشقه، تبتسم بسعادة كونه لم ينسى هذه الذكرى التي جمعتهم وهذا اليوم الخاص بهما، كل شيء جميل، كل شيء يخطف الأنظار، يحتلفون وهم في أشد سعادتهم، يرقصون، يفرحون، يضحكون من قلوبهم، كانت سهرة مميزة تشوبها السعادة والحب.

انتهت السهرة على خير ليعود كل منهم ويرفقتة زوجته، كان يوسف يشعر بسعادة بالغة، لأن هذا اليوم بالذات مميز عنده بشكلٍ كبير، كما أنه يكاد لا يصدق بأن حبيبته وزوجته معه منذ أربعة سنوات، دخل برفقة زوجته إلى منزله ليتجهان إلى غرفتهما، كما أنهما قد تركا ابنتهما عند والدة شهد، اقترب منها ليحاطب خصرها بيديه ويدفن وجهه برقبته، ابتسمت عندما شعرت بأنفاسه تلمح رقبته، بدأ يوزع قبلات دافئة على رقبته بينما هي قد فقدت حصونها بالكامل وتملكتها الرغبة مثله، ابتعد قليلاً لينظر بعينها ويقول:

"أحبك"

لم تستطع شهد التحدث أو أن ترفع نظرها حتى، مازالت تخجل منه إلى حد الآن، مددها على السرير واعتلاها لتبدأ جولتهما التي لا يكلان ولا يملان منها.

-----

بينما عند أسر وصل إلى منزله برفقة زوجته، وأول شيء فعله أسر هو أنه نيم ابنه الصغير لأنه يعلم كم يعشق أن يخرب عليهما لحظتهما الرومانسية، انتظر قليلاً بالأسفل لأنه كان يتحدث على الهاتف مع أحد الضباط لأمر هام، بينما أسيل توجهت لغرفتها ومن ثم بدلت ثيابها لترتدي ثوب حريري وناعم باللون الأبيض، توجه أسر إلى غرفته ليرى ملاكه البريء تجلس على السرير تنتظره، ابتسم لها وتوجه إليها ليجلس بقربها ويمرر يده على طول ذراعها لتسري قشعريرة بجسدها من لمسته التي تذوب منها، ظلاً ينظران لبعضهما مدة ليست بطويلة، جو من الحب والعشق والجنون يغلفهما، يتناغمان ويعزفان أجمل سمفونيات الحب بعالمهما الذي لا يملان منه برفقة بعضهما.

" لأجلك أنت "

نسيتُ الماضي وتركتُ المستقبل

ولا أدركُ نفسي إلا أمامَ حُسنكِ الفتان

لأجلك أنتِ

أعلنتُ في مُدنِ العشق

أني أحببتُ أجملُ امرأةٍ

في الكونِ بلا وعي وبلا حرمان

لأجلك أنتِ

قدمتُ لكِ قلبي بينَ يديكِ

وبعثرتُ روعي بينَ شفراتِ شفتيكِ

وسكبتُ حُبي في قلبكِ

ونثرتُ دمعِي على عِينِكَ "

النهاية

تمت بإذن الله

---